ابن الانسان



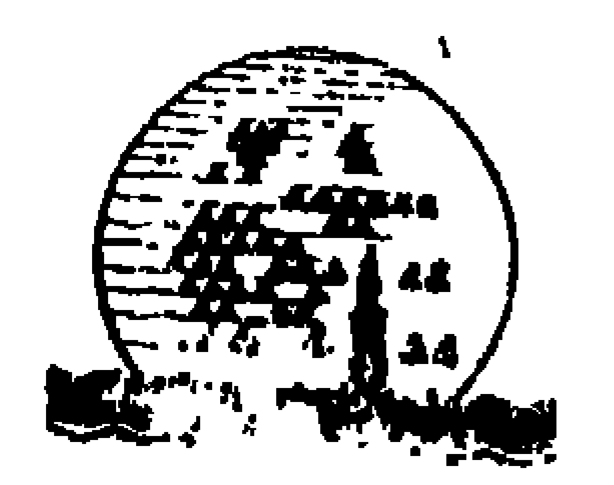
الدكتور القس لبيب مشرقى

قصص الكتاب المقدس

ابن الإنسان

THE SON OF MAN

القس لبيب مشرقي



طبعـة ثـانيـة

صدر عن دار الثقافة - ص . ب . ١٢٩٨ - القاهرة .

 ١٠ / ٩٠ ط٢ (أ) / ٣ - ٦ / ٥٤ - ١٩٩٠ .

رقم الايداع بدار الكتب : ٣٢٢٩ / ٩٠ .

طبع بمطبعة دار نوبار للطباعة - شبرا - القاهرة .

مع الاربعة الكبار

١ — ها قد فرغنا يا صديقي من استكشاف « أقاليم » العهد القديم . ولعل ما يبدو على وجهك من اغتباط يكفي للدلالة على أن « الكتاب » ليس ثقيلاً كما ظننت أولاً ويكفي لاقناعك أن تسير معي لنستكشف « الأقاليم » الباقية ! !

أما أنا فقد أحسست برهبة وأنا « أدخل » كتب العهد الجديد. انني أدخل أقدس اقليم . لم أدرِ الا وأنا أنكفي على وجهي وأدخل « الأرض المقدسة » جاثياً . ولقد ظللت جاثياً كل الطريق . ومن اللائق أن تجثو معي لأن الأرض التي نحن داخلون اليها أرض مقدسة !

أصغيت الى لاوي بن حلفى الذي نعرفه باسم « متى »

أصغيت اليه وهو يتحدث عن «المسيا» المخلص والفادي . ورأيت في الصورة التي رسمها شخصية « ابن داود »

والتفت الى يوحنا مرقس

وتحدث مرقس عن الملك العظيم « ابن الله »

ولما انتهى مرقس من حديثه تكلم لوقا الطبيب والكاتب . . نعم لوقا الذي ذاق ثقافة يونانية، تكلم لوقا عن اكمل شخصية ظهرت على سطح الأرض، وصور لنا في كلمات حلوة «يسوع المسيح ابن الانسان »

أما يوحنا فلم يتكلم كما تكلم غيره . لقد رأيته يعيش بعيداً عن الأرض . كان جسده يسكن هنا ولكن روحه حلقت هناك وقد سمعت صوته يأتي من حالق يتغنى « بالكلمة » الذي كان في البدء عند الله وكان الكلمة الله !!

جثوت وأنا أسمع الأربعة

جثوت أمام الكائن الأزلي الذي كان في البدء . . الذي قبل ان يكون ابرهيم هو كائن

جثوت أمام ابن ابرهيم ابن داود الملك الذي هتفت له الجماهير أوصنا مبارك الآتي باسم الرب

جثوت مع الرعاة ومع المجوس أمام الطفل الذي هو إله . يا المحبة الازلية !! الذي كان في صورة الله ولم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله يخلع عن نفسه مجده اللاهوتي ويصير انساناً ويبدأ من أولى مراحل الانسانية يبدأ طفلا ؟؟ !!

جثوت أمام الطفل وهو هارب مع والديه الى مصر

جثوت أمام الصبي وهو يجلس مع المعلمين يسمعهم ويسألهم

جثوت أمام الابن الخاضع « لوالديه » في الناصرة !

جثوت امام النجار الذي يعيش من تعب يديه

جثوت امام المعلم الذي لم يتكلم قط انسان مثله

جثوت امام الطبيب الذي شفى كل مرض

جثوت امام صانع الآيات والمعجزات . . أمام صاحب السلطان !

وعند ما رأيته يشفي المريض

ويطهر الابرص

ويفتح عين الاعمى وأذن الاصم

وينتهر البحر

ويخرج الشيطان

عند ما رأيته يفعل كل هذا قلت في نفسي، من هو هذا ؟ ؟

ولكني عند ما رأيته معلقاً على الصليب وسمعته يصفح عن صالبيه ويقول يا أبتاه اغفر لهم.. ويجيب طلبة اللص فيقول، انك اليوم تكون معي في الفردوس..

عند ما رأيته على الصليب ودمه يسفك من أجلي فاضت دموعي وصرخت من أعماق قلبي، حقاً انت ابن الله !!

هلم بنا ياصديقي نسير جاثين صامتين في اقليم البشائر لنسمع للأربعة الكبار ولنرى ابن الانسان الذي هو ايضاً ابن الله !!

٢ — لكني يا صديقي أحس ان من الواجب ان اخبرك ان جثوى كان مصحوباً ايضاً بسعادة . لقد تأثرت وفاض قلبي بدماء وفاضت عيناي بدموع . ولكني كنت أراني مغموراً من الداخل ومن الخارج بفيض من ابتهاج وسعادة !

ما سعدت في حياتي كما سعدت وأنا أجوس ذلك الاقليم المقدس !

كنت أجلس الى الكتاب لأرى سيدي . كنت أملأ عيني منه . . واملأ أذني بحديثه وتمرّ الساعات دون أن أدري !

وكنت أمسك بالقلم وأخط كلمات احاول انها تنقل صورة قريبة لسيدي ، ولا أزال أكتب والليل ينقضي دون ان أدري من فرط بهجتي !!

وكنت أتمنى ألا أنتهي من القراءة والكتابة !!

وبعد ان انتهيت من الكتابة كانت لذتي الكبرى ان أعود الى ما كتبت فأقرأه مرّة ومرّة ومرّات !

تعال معي يا صديقي . . تعال لنستمع للأربعة الكبار . . متى ومرقس ولوقا ويوحنا . تعال وقاسمني بهجتي وسعادة نفسي . نعم تعال لنتذوق شيئاً من حلاوة السماء ، بل من حلاوة ذاك الذي حلقه حلاوة وكله مشتهيات . ذاك الذي هو أبرع جمالا من بني البشر !!

٣ — أما هذه الكلمات التي كوّنت هذا الكتاب فانها كلمات بشرية خطّها قلم عاجز ، لا يستطيع ان يصور بهاء تلك الشخصية النورانية الكاملة . سيحمل هذا الكتاب صورة ضعيفة لما رأيت وسمعت في اقليم البشائر . وهل يمكن ان اقدم صورة توازي عظمة ابن الله الذي صار انساناً ؟؟

أنا أعلم يقيناً ما في كتابي من وجوه ضعف ، ولـكني أعلم ايضاً ان لمعان الشخص الالهي بل الاله الانساني سيتخلل الكلمات السوداء المسطورة في الـكتاب. و بالروح والايمان سترى المسيح في الكتاب. فاذا استطعت ان تصل الى هذه النتيجة فقد نلت حقاً أعظم بركة من هذا الـكتاب

أما أنا فقد أخذت أجرتي مقدماً

تلك السعادة التي ملأت حياتي وأنا اجلس الى «الأربعة» أسمعهم وأسألهم. من أجل هذا لن أطالب بأجر آخر . بل يسعدني ان يصل الـكتاب للجميع . لن يقف عائق من جانبي للوصول الى هذه الغاية !

٤ — وأرى لزاماً عليّ ان اذكر ان هذا الـكتاب لا ينحو الى التحليل النقدي مما يهتم به كثيرون من العلماء هذه الأيام وقبل هذه الأيام . ان الـكتاب لا يتعرض الى الدراسات العلمية لـكتبة البشائر ولا للغتها وزمنها وآراء النقاد المختلفين بصددها. انه لا «يشرّح» الـكتاب ولا يضعه في أنابيب الاختبار و يمزجه بالعقاقير و يضعه على النار . كلا . ان كتابي لا يفعل شيئاً من ذلك . انه يترك هذه الدراسة لمن هم أعلم منه من الـكتّـاب و يـكتفي بأن يبسط حياة ابن الله أو ابن الانسان كما جاءت.. محتفظاً بطابع الـكتاب الظاهر في عنوانه «قصص الـكتاب المقدس» — والـكاتب يعتقد ان القصص التي كتبها ألزم من نقد غيره خصوصاً وغالبية الناس ليسوا علماء !!

وخير ما اختم به هذه المقدمة الـكلمة التي جاءت في ختام مقدمة الجزء الأول:

« فاذا ما قرأت الـكتاب وأعجبك فعد الى « الـكتاب المقدس » عد الى « الـكتاب » فانه النسخة الأصلية التي كتبتها يد القدير ، لا الصورة الممسوخة التي نقلتها يد عاجزة . . »

« عد الى الـكتاب »

مارس سنة ١٩٥٤ — القس لبيب مشرقي

الى مؤلف

قصص الكتاب المقدس

للاستاذ خليل جرجس خليل

طلعتَ علينا بما يستحب ... قبست لنا من « كتاب الكتب »
نشأنا وفي أصغرينا تقى ... وفي دمنا ديننا والأدب
نقدس ما في الكتاب المقدس ... من قصص أو حديث قشب
يقصّ علينا جليل الأمور ... ويروى لنا ذكريات الحقب
ويلقي علينا أجل الوصايا ... وأسمى العظات وأقوى الخطب
بها نهتدي في سلوك وعيش ... ويدنو بها الأمل المرتقب
وفيها بشائر فادي الخليقة ... كيف تجلّى وكيف صُلب
وكيف هدانا وكيف افتدانا ... وكيف حبانا بأعظم حب

* * *

وجئتَ فجليّتَ هذى المعاني ... وقربتَ هذى الفنون العجب
ومن وحيها صغت عذب الحديث ... وعذب الفصول وعذب النخب
ونسقتها قصة قصة ... وبسطتها قصة أو سبب
بفنّ من القول أبدعته ... ولون من السرد لا يُجتلب
هو الدر صغتَ سوى انه ... تطالع منه ضياء الذهب !
وسر التفنن في نظمه ... وسرّ التذوق فيما انتخب
وأوتيتَ فناً يبذّ الفنون ... وأعطيت علماً يبذ السحب !
ومن وُهب العلم من ربّه ... تسنّم حتى عنان السحب !
« لبيب » وأنت مسمى على اسمٍ ... ليهنك ما نلته من أرب
طلبت عظيماً وحققته ... وان العظيم عظيم الطلب
من الكتب قدمت عشراتها ... وتوجتها بكتاب الكتب

١

الشخص العجيب

« ويدعى اسمه عجيباً »   اش ٩ : ٦

ظهر في اليهودية بعد موت الملك هيرودس الكبير شخص هو أعجب شخصية ظهرت في الوجود

وُلد في أحقر قطر هو فلسطين

وفي أحقر أقليم في فلسطين هو الجليل

وفي أحقر مدينة في الجليل هي الناصرة

وفي أحقر بيت في الناصرة هو بيت يوسف النجار

ومع ذلك فقد ظهر ذلك الشخص كما لو كان سيد الكون . لم يرَه أحد ينحني لأنسان بل كثيراً ما رأوه يوبخ الرؤساء ولا يهابهم

كان فقيراً ولكنه كان يمنح الغنى للآخرين

كثيراً ما جاع ولكن ما اكثر ما أشبع الجائعين

تعب جسمه وانهد حيله ولكنه منح القوة والشفاء للمتعبين

جاء معلماً فتكلم بما لم يقل مثله انسان . كانت الجماهير تصغي لتعليمه اليوم بطوله فتنسى الطعام والشراب وكل شيء

وجاء طبيباً فلم يوجد مرض استعصى عليه . لمس العميان فأبصروا ، والصمّ فسمعوا ، والبُرّص فطهروا ، والعُرج فمشوا ، والموتى فعاشوا . كانت لمسته تشفي. بل لمس طرف ثيابه جاء بالحياة ، بل مجرد إلقاء كلمته جاء بالصحة والقوة

وجاء رجل قوات

اضطربت أمامه الشياطين وفزعت

فخضعت لأمره
وتركت الناس الذين حلّت بهم

والبحر انحنى أمام كلمته.

كان البحر ثائراً يوماً واذا ما ثار البحر فان قلوب الجبابرة تذوب. ولكن ذلك البحر المائج انحنى أمام ذلك السيد. ولما قال له اسكت ابكم سكت البحر وكان هدوء عظيم.

بل الموت المخيف الذي تحدى كل قوات الارض



يسوع

الموت لم يستطع أن يقف أمامه . وعنـد ما نادى الميت من القبر قام الميت .
ولقد يخيّل لك أن شخصية نظير هذه الشخصية تسير متعاظمة وتجلس على
أعظم عرش . ولكن تلك الشخصيـة العظيمـة اتسمت بالتواضع والوداعة .
ونحن نراه يحتضن الاطفال ويباركهم ويجلس مع المرأة السامرية ويحدثها عن نفسها العطشى ويقول للمرأة التي أمسكت في زنى « ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئي » وينادي المتعبين قائلاً :
تعالوا إليّ ياجميع المتعبين والثقيـلي الاحمال
وأنا أريحكم
احملوا نيري عليكم
وتعلّموا مني

هانذا واقف على الباب واقرع

لأني وديع ومتواضع القلب
فتجدوا راحة لنفوسكم
هذه الشخصية العظيمة هي شخصية يسوع
يسوع المسيح
ابن الله الحي

٢

كوكبان لامعان في ظلمة ليل بهيم

« وكانا كلاهما بارين امام الله سالكين في جميع وصايا الرب واحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدمين في ايامهما » لوقا ١ : ٨ و ٩

كانت اليهودية تعيش في أشد ظلمة مرّت بها في تاريخها الطويل
فقد كانت يد رومية ثقيلة عليها
فأذلّتها
وداست كرامتها
وطوحت بأبطالها أيدي سبا
وأقامت عليها شر الأبالسة حكاماً
باعتها لهيرودس الطاغية
وسلطت عليها بيلاطس شر الوحوش
وتدخلت حتى في شئون دينها

وكان اليهودي الامين يحدق وسط الظلام الى المستقبل المرتقب، الى مسيا الملك المخلص . ولـكنه لا يستطيع أن يرى شيئاً

لذلك كانت اليهودية غارقة في ظلمة الجهل . وقد هلك الشعب لعدم المعرفة . كان جمهور الشعب يعيش كالسائمة لا يعرف له رباً ولا نبياً ولا كتاباً . وكان رعاته طغمة من اللصوص ولكنه كان يقبّل أذيالهم لانهم رسل إلهه، ويسمع لهم مهما قالوا !

على أن أشد ظلمة كانت ظلمة الاثم التي غمرت كل جزء من أجزاء البلاد فالشعب لجهالته انحدر في أوحال الخطية بحيث صاروا كائنات قذرة لا ترى في السرقة والكذب والاقسام الباطلة والسكر والنميمة والمذمات شيئاً خارجاً عن المألوف.

والطبقة المتعلمة لم تكن أفضل من الطبقة الجاهلة بل كانت شراً منها إذ استخدمت معارفها لاختراع الشرور والتفنن بها

أما الحكام فكانوا مجموعة مجرمين، كل مهمتهم امتصاص دماء الشعب المسكين وانفاق المال في الفسق والسكر و بقية المحارم

وكان آخر رجاء للبلاد في رجال الدين

ولكن رجال الدين كانوا أخبث المجموعة كلها

رئيس الكهنة وحاشيته كانوا عصابة لصوص

وكان مجلسهم المقدس مجلس فئة من قطّاع الطرق

كل شر في العالم كنت تجده بينهم

كانوا حلفاء الشيطان

وكان الشيطان يذودهم بأحدث مبتكراته

أم أن الشيطان كان يتعلم منهم ؟ ! !

يا لها من بؤرة !!

تلك القطعة من فلسطين التي حل فيها « الشعب المختار »

القطعة التي كان فيها الهيكل

وكانت تقدم فيها الذبائح

وكانت ترفع الصلوات

ولقد اجتاز المسيح مرّة بذلك المكان فطرد الجمهور وقال : مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص

على أنه في غمرة ذلك الظلام لمع شعاع صغير من نور هو ذلك الشعاع المنبعث من قليل من الكواكب المتناثرة في قبة السماء. ونحن نتأمل تلك السماء التي ارتسم في صفحتها السوداء ذلك العدد القليل من الكواكب ونتحسر . . ولكننا نشكر

وبين تلك الكواكب يلمع كوكبان بنور بهي . وندقق النظر في الكوكبين فنعرف انهما لزوجين عزيزين علينا هما زكريا واليصابات

زكريا واليصابات !

زوجان قدما للتاريخ صورة جليلة قدسية للحب الخالد

زكريا واحد من الكهنة ويعود به النسب الى أبيا

وامرأته اليصابات وهي أيضاً من نسل الكهنوت

ونحن لا نراهما إلا بعد أن تجاوزا عهد الشباب بكثير ، إذ كانا كلاهما متقدمين في أيامهما. ولكننا نرى فيهما جمال المحبة التي لا تشيخ، وبهاء الطهارة ونقاوة الحياة.

زوجان عاشا معاً سنين طويلة لا يربط بينهما ولد ، ومع ذلك تظل رابطتهما الزوجية قوية، لا يفكر الرجل في الخلاص من امرأته ولا تفكر المرأة في مشاكسة زوجها . زوجان في مثل هذه القوة من الحياة الزوجية لا بد وأن يكونا زوجين مثاليين . كانت الحياة الزوجية في اليهودية في ذلك الوقت قد انحدرت الى أسفل دركات الهوان . وأصبح الطلاق شيئاً عادياً يأتيه الرجل لأتفه الاسباب بل تأتيه المرأة أيضاً اذا استطاعت . ونحن نعرف ذلك من سؤال القوم للمسيح ، هل يجوز للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب . ونعرفه من قول المسيح انه إذا طلق الرجل امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني واذا طلقت المرأة رجلها لغير هذه العلة تزني

أما زكريا واليصابات فكان بينهما يتألق بضياء المحبة والقداسة والكمال ، ولا عجب فقد كانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم !

كان بيت زكريا في الجبال في مدينة يهوذا . ولكننا نراه أول مرة في مدينة أورشليم وكانت عليه النوبة في الخدمة في الهيكل أمام مذبح البخور . كان عدد الكهنة كبيراً جداً وكانوا يقسمون الخدمة بالنسبة للفرق الكهنوتية. وجاءت نوبته للخدمة في أحد الايام

ومع أننا لا نستطيع ان ندخل معه الى القدس ولا نرى ما يحدث في ذلك المكان إلا انه هو يحدثنا بما حصل له على انه لم يقص علينا الرواية المؤثرة التي حدثت إلا بعد سنة تقريباً . قال :

« كنت واقفاً أقدم البخور وأرفع الصلاة في خشوع واذ بنور بهي يملأ المكان أخذتني روعته وملأ عيني بهاؤه فاضطرب حسي واهتزت ركبتاي وأسرعت دقات قلبي . ولكني ظللت حافظاً لوعي واذا بي أرى من خلال النور كائناً إلهياً في صورة انسان واقفاً الى يمين المذبح فازداد خوفي ولكنه نظر إليّ بعينين عطوفتين نظرة ملأت نفسي اطمئناناً وتحدث إليّ قائلاً : لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا . ويكون لك فرح وابتهاج ، وكثيرون سيفرحون بولادته. لانه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب إلههم . ويتقدم أمامه بروح ايليا وقوته ليرد قلوب الآباء الى الابناء والعصاة الى فكر الابرار لكي يهيء للرب شعباً مستعداً »

كان زكريا يسمع هذه الكلمات ومع انه كان قد طلب من الله هو وزوجته أن يعطيهما الله نسلاً إلا أنه كف عن الطلب على ما يظهر من مدة طويلة أي منذ انقطع أن يكون لأليصابات عادة كالنساء . ولذلك لم يطرب لكلمات الملاك بل

شك فيها . . بل أنكرها . وها نحن نسمعه يقول للملاك : كيف أعلم هذا لاني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها ؟ !

ما كان لزكريا أن يقول ما قال وهو الكاهن التقي الذي يعرف أعمال الله مع شعبه . ألم يسمع بميلاد اسحق من سارة ، وميلاد شمشون من منوح ، وميلاد صموئيل من حنة ؟ ألم يقرأ عن آيات ومعجزات عملها الله القادر على كل شيء ، فكيف طاوعه ايمانه أن ينطق بكلمات الشك وعدم الايمان ؟ !

نعم فقد شك

وحزن الملاك وتكلم كلمات عميقة وقال له :

أنا جبرائيل الواقف قدام الله

وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا

وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم الى اليوم الذي يكون فيه هذا

لانك لم تصدق كلامي الذي يتم في وقته

* * *

كان الشعب ينتظرون زكريا وهم على أشد ما يكون اندهاشاً وقلقاً من ابطائه في الهيكل . فلما خرج حاولوا أن يعرفوا منه سبب ابطائه فلم يستطع أن يكلمهم وكان يومىء اليهم . ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل

و بعد انتهاء أيام خدمته مضى الى بيته

و بعد وقت لانعرف مدته حبلت اليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر

ظن البعض انها أخفت نفسها خجلاً

وظن آخرون انها كانت لا تصدق انها حبلى فأخفت نفسها ريثما تتأكد

ولكننا نعتقد انها رغبت في أن تعيش في خلوة مع الله حتى يكون الجو الذي تعيش فيه أقدس جوّ وحتى يكون الطفل المرتقب منذ تكوينه في المكان الذي يليق به . وقد أخفت نفسها شاكرة الله وقائلة : هكذا قد فعل بي الرب في الايام التي فيها نظر اليّ لينزع عاري بين الناس

وفي الشهر السادس جاءت العذراء مريم بعد أن تلقت بشارة الملاك لتزور قريبتها . وحدث بين المرأتين حادث وحديث من معجزات الكتاب وسيكون موضوع دراستنا في ما بعد

وتمت أيام اليصابات فولدت ابناً

وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظّم رحمته لها ففرحوا معها

وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي وسمّوه باسم أبيه زكريا . غير أن أمه رفضت الاسم وقالت بل يسمى يوحنا . وتعجب الجيران . انه اسم غريب لم يتسمّ به واحد من العشيرة . على انها أصرّت أن يكون الاسم يوحنا

فلما اشتد اللجاج بينهم أومأوا الى أبيه ماذا يريد أن يسمى . فطلب لوحاً وكتب قائلا اسمه يوحنا. فزاد انذهال القوم. على أن انذهالهم بلغ أقصاه فانه حالما كتب زكريا اسم المولود انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله

وعندما سمعوه يتكلم وقع خوف

وتحدث بهذه الامور جميعها في كل جبال اليهودية

فأودعها جميع السامعين في قلوبهم قائلين : أترى ماذا يكون هذا الصبي

وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلا :

مبارك الرب إله اسرائيل لانه افتقد وصنع فداء لشعبه

وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه

كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر

خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا

ليصنع رحمة مع آبائنا و يذكر عهده المقدس

* * *

القسم الذي حلف لابرهيم أبينا أن يعطينا

اننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا

نعبـده
بقداسة و بر قدامه جميع أيام حياتنا

* * *

وأنت أيها الصبي نبيّ العلي تدعى
لأنك تتقدم أمام وجه الرب
لتعدّ طرقه
لتعطي شعبه معرفة الخلاص
بمغفرة خطاياهم
باحشاء رحمة إلهنا
التي بها افتقدنا المشرق من العلاء
ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت
لـكي يهدي أقدامنا في طريق السلام

٣
العـذراء

لا عجب أن يضطرب القلم وهو يقترب من قدس العذراء المباركة . فانها وان تكن من البشر إلا أن أمومتها للسيد تضفي على شخصها نوراً قدسياً يرفعها عن طبقة البشر العاديين .

من هي ، من هو أبوها ومن هي أمها ؟

اين اقامت وماذا كان مركز عائلتها وكيف خطبت ؟ وهل تزوجت ؟

هناك مئات الأسئلة التي تحيط بها والتي لا تجد جواباً محدوداً

و يلذ للباحثين أن يعودوا إلى التقاليد و يقرأوا ما ذخره الآباء من انباء طريفة عن حياة العذراء في طفولتها وفي بكور شبابها . وما ذكروه عن تقواها وتعبدها وكيف أن الملاك جاءها وكانت تصلي وقدم لها تحية السماء

أما انها كانت تقية إلى أعمق أغوار التقوى فأمر لا شك فيه . يكفي أن نعلم أنها نبتت في شر مدن الجليل ، المدينة التي قيل فيها أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح . نعم جاء الملاك إلى

الملاك يبشر العذراء

عذراء من الناصرة اسمها مريم وقال سلام لك أيتها المنعم عليها . مباركة أنت

في النساء . عذراء في الناصرة تتمتع بهذه التحية السماوية ، لا بد أن نقاوتها نقاوة النور الذي لا تؤثر عليه أوحال الأرض. كانت مريم شعاعاً بهياً من نقاء ضاء بجمال على أرض الناصرة القذرة. كانت زنبقة بيضاء شقت طريقها صولجاناً من جلال وسط أوحال!

وهل من عجب أن تكون العذراء أطهر امرأة على سطح الأرض ، بل أطهر انسان ، هل من عجب وقد أوكلت السماء اليها حمل ابن الله في بطنها وارضاعه من ثديها والعناية به بين يديها . يا لها من أمانة يعجز البشر عن تقدير عظمتها !

كانت مريم فتاة في الناصرة

ولكنها لم تكن كباقي الفتيات اللواتي تذخر رؤوسهن في فترة الشباب باحلام الحب وافكار الزواج

نعم قد ذخر رأسها باحلام الحب ، ولكنه كان حباً من نوع آخر فقد أحبت إلهها وهامت به ، وكان نهارها وليلها يمتلئان بخفقات قلبها النابض بالحب له وكم رنّ في جوف الليل صدى غزلها وتشبيبها . كانت العذراء قلباً وكانت حياتها نشيداً من حب بل كانت كلها حباً !!

و بينما كانت في احدى هاتيكم الخلوات تناجي حبيب قلبها وترسل له مع النسيم سلاماً ، بينما هي تفعل ذلك إذا بها تفاجأ بخطوات هادئة . تتلفت فاذا هي امام كائن بهي تصوره لنا الأساطير شاباً في جمال النور وقد ظهر جناحان أبيضان خلفه. وتقدم الملاك منها بتحية ملكية : «سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء»

واضطربت العذراء

من هو هذا الكائن البهي

من أين جاء

وما هذه التحية الغريبة

وبانت الحيرة على وجهها وظهرت آثارها في عينيها. وأسرع الملاك يهدىء من روعها. .

«لا تخافي يامريم لانك قد وجدت نعمة عند الله
وها أنت ستحبلين
وتلدين ابناً
وتسمينه يسوع
هذا يكون عظيماً
وابن العلي يدعى
و يعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه
و يملك على بيت يعقوب إلى الأبد
ولا يكون لملكه نهاية !!»

كانت مريم تستمع لهذه الـكلمات الغريبة باندهال . انها تنتظر كسائر بنات اسرائيل الملك الذي سيأتي و يخلص اسرائيل.وتود ككل فتاة في اسرائيل أن يأتي الملك منها أو من نسلها . ولكن مريم عذراء وكيف تلد العذراء . أم هل يقصد الملاك أن العذراء مريم ستتزوج وتلد الملك المنتظر . ان كلمات الملاك توحي الى أن الولادة لن تتأخر ريثما تتزوج بل توحي انها ستلد وهي عذراء . ولذلك تسأل الملاك بكثير من الخوف، كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا . والملاك يجيبها « الروح القدس يحلُ عليك وقوة العلي تظللك ولذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله . وهوذا اليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً . لانه ليس شيء غير ممكن لدى الله »

سمعت مريم كلمات الملاك
وصدقتها

ولـكنها أدركت ولا شك ماستلاقيه من ضيق ومن أحن. سيثور الناس ضدها. أقرب الناس اليها سيتهمها . الجمهور المحيط بها سينعتها شر النعوت . نعم انها تؤمن
تؤمن انها ستحبل من الروح القدس

وانها ستلد الملاك الآتي

وأن الملاك الآتي هو ابن الله

ولكنها تؤمن أيضاً انها ستدفع ثمناً غالياً لقاء هذا الشرف العظيم. وقد قبلت أن تدفع لا لأنها تطلب مقاماً ممتازاً لنفسها لكن لأن الله سيدها وربها وهي تقول للملاك:

هوذا أنا أمة الرب

ليكن لي كقولك

* * *

ترك الملاك مريم وقد امتزج في رأسها وفي قلبها عدد من العواطف المتباينة ! أهي مسرورة ؟ أهي فخور ؟ أهي خائفة مضطربة ؟ هي كل ذلك . وقد أحست كما لم تحس في أي وقت مضى من حياتها انها في أشد حاجة الى أم تسند رأسها على صدرها وتسكب عند قلبها عواطفها وتفيض مدامعها .

لقد ماتت أمها وتركتها وحيدة بلا أم . لكن هل هي حقاً بلا أم ؟ أليست اليصابات امرأة زكريا أماً لها منذ كانت طفلة . فلماذا لا تذهب اليها وتسند رأسها المتعب على صدرها وتقص لها قصة الملاك ورسالته وقصة الحبل بدون زرع بشر وابن الله المنتظر . نعم نعم لماذا لا تذهب ؟؟

وقامت مريم وذهبت مسرعة الى الجبال إلى مدينة يهوذا وقصدت لتوها بيت زكريا وسلمت على اليصابات

يا للآية !

ما ان سمعت اليصابات صوت سلام مريم حتى ارتكض الجنين في بطنها ! كانت حركته حركة ابتهاج فائض . وامتلأت اليصابات بالروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ . فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني . فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب !

كانت العذراء تسمع هذه الكلمات مبهورة الأنفاس وقد شاع في جسدها

ضطراب أثر خلجات قلب ملأه العجب . ليس هناك مكان لأخذ ورد ولسؤال وجواب . أن اليصابات تعرف وتصدق وتبارك . أن اليصابات تقص لها قصتها وتهنئها على ما اكرمها الله من مقام لم يحز أحد في البشر نظيره . انها ستكون أماً لذاك الذي سيأتي إلهاً من إله . وبعد أن كان القلق يراود نفس العذراء ملأ قلبها فرح طاغ وهزّها الفرح فاذا هي تنشد :

تعظم نفسي الرب
وتبتهج روحي بالله مخلصي
لانه نظر إلى اتضاع أمته
فهوذا منذ الآن جميع الاجيال تطوبني
لان القدير صنع بي عظائم
واسمه قدوس
ورحمته إلى جيل الاجيال للذين يتقونه
صنع قوة بذراعه
شتت المستكبرين بفكر قلوبهم
أنزل الأعزاء عن الكراسي
ورفع المتضعين
أشبع الجياع خيرات
وصرف الاغنياء فارغين
عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمة
كما كلم اباءنا
لابراهيم ونسله
الى الابد

* * *

عادت العذراء إلى مدينتها وظهرت بوادر الحمل عليها !

هل كان حملا عادياً دفعت فيه العذراء الثمن الذي تدفعه كل امرأة أم أنه كان حملا خاصاً . نظن انه كان حملا خاصاً . ان كل حمل يسبب للمرأة سروراً ولكنه سرور مشوب عادة بانقباض ينشأ عن أوجاع الحمل . أما حمل العذراء فكان على ما نعتقد حملا أشاع السرور في كل جسدها. كيف لا والكائن الذي يقيم في جسدها كائن إلهي نور من نور و إله من إله . لا شك أنها كانت تحس أن الجو الذي يحيط بها والذي يهتف داخلها هو جو مقدس . كانت تقوم مع الله وتنام مع الله. كان حملا يختلف عن كل حمل آخر في ما عدا مظهره. ورأى خطيبها بطنها يرتفع فملأ قلبه شك كبير . أن العذراء قديسة ولكن بطنها يكشف الحمل وهي بعد عذراء . كان اضطراب خطيبها لا حد له ٠ أن العذراء خطيبته بل يظن البعض انه كان قد عقد عليها فهي أمام القانون امرأته وان كان لم يبن بها . لكنها تبدو كما لو كانت قد خانت الامانة !

فهل تحدث اليها ؟ .

نظن أنه فعل وأن يكن بكثير من التردد وهي لم تنكر الحمل ولا بد. لا شك انها حدثته عن ظهور الملاك لها وعن زيارتها لمدينة يهوذا . ويبدو أنه لم يصدق الكلام أو على الأقل تبلبلت أفكاره فلم يعرف هل يصدقها أم يكذبها . كان على الاغلب يميل إلى تكذيبها ويظن أن احدهم خدعها وانها ذهبت ضحية بساطتها! ولم يشأ أن يشهرها بل رتب أن يخليها سراً ! كان في الحق رجلاً باراً وكان لا يطيق أن يسيء اليها . وحتى في تفكيره أن يخليها سراً لم يكن جاداً كل الجد فقد طال تردده . وفيما هو في حالة القلق هذه ظهر له ملاك الرب في حلم وقال له يا يوسف لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم !

استيقظ يوسف لا كمن يستيقظ من حلم بل كمن ينتبه من رؤيا . هل كان

حديث الملاك له حلماً نتج من انشغاله بالموضوع ومن حديث مريم له أم انه كان رؤيا حقيقية وان الله حدثه بسلطان ؟ كلا. لم يكن الأمر حلماً. ولذلك فعل يوسف كما أمره الملاك . كتب كتابه على مريم وزفت اليه ولكنه عاملها طول الوقت كما لو لم تكن زوجة . لقد نظر اليها كشخص مقدس. في بطنها مخلص العالم. في بطنها القدوس ابن الله . كلا انه لا يستطيع أن يفرض حقوقه الزوجية عليها على الأقل طالما أن بطنها يحمل الجنين الالهي !

بل أن اكثرية ساحقة من المسيحيين ترى أنه لم يقربها كزوج طول مدة اقامتها كزوجة وأنها ظلت عذراء إلى المنتهى وهم يؤمنون بذلك لانهم يعتقدون أن جسداً امتزج به جسد ابن الله لا يمكن أن يكون جسداً عادياً ولا يمكن أن يعامل كجسد عادي بل لا يمكن أن يجري عليه من الأحداث ما يجري على الجسد العادي !

انهم يؤمنون أن مريم بشر كسائر البشر وأمة لله كسائر الناس. ولكنهم ، ولهم ما يبررهم ، يؤمنون أن الله اكرمها كما لم يكرم أي انسان على الأرض وجعلها موضوع البركة والطوبى من جميع الخلائق !

وليس من قصد الكاتب بسط الفروق المذهبية من حيث مكانة العذراء . انه انما يروي قصتها كما جاءتهم في الكتاب. ويكفي أن يذكر أن جميع المسيحيين يطوبون العذراء ويباركونها ويعتبرونها أعظم انسان في ما عدا « الانسان » يسوع المسيح

ومضت الأيام في القرية الجليلية بطيئة كما تمضي أيام القرية عادة ووصلت مريم إلى نهاية شهرها الثامن في حملها وستضع مولودها بعد أيام قليلة في الناصرة طبعاً !!

يغلب انها لم تعد إلى النبوة التي كانت تذكر أن مخلص العالم سيولد في بيت لحم. ولو أن احد الناس أشار أمامها الى النبوة لأجابت أنها ولا شك تتصل بمولود آخر. هي ستلد في الناصرة إذ لا يعقل مطلقاً انها تقوم في شهرها الاخير وتسافر على دابة من الجليل إلى بيت لحم أرض يهوذا !!

ولكن افكار الله ليست كافكارنا ولا طرقه كطرقنا فهوذا الامبراطور

أغسطس قيصر يصدر أمراً لجميع سكان أمبراطوريته أن يتم الاحصاء . وقد أباح لجميع اجزاء الامبراطورية أن يكون تعداد الناس حيث يقيمون. ولكنه أمر ان اليهود بسبب تقاليدهم الدينية يتممون الاحصاء كل واحد في مدينته الاصلية !

وجاء يوسف يحمل إلى « امرأته » مريم انهما ينبغي أن يقوما في الحال إلى أرض يهوذا إلى بيت لحم ليتم التعداد فيها حسب الامر الملكي. ولا بد أن الامر كان ثقيلا عليهما . ولكنهما لم يكن أمامهما إلا تنفيذ الامر !

وشاهدت طرقات اليهودية جماهير من الرجال والنساء يسيرون كل واحد إلى مدينته . وكان بين الجماهير رجل وامرأة . وكانت المرأة في آخر مراحل الحمل . وقد وصلت متعبة مكدودة إلى بيت لحم!!

وليس من قصدنا تصوير العناء الذي لقياه في الحصول على مكان إذ أن ذلك سيتصل بقصة الولادة نفسها التي سيفرد لها فصل خاص ولكننا نذكر أنها في ليلة وصولها على الاغلب وضعت مولودها المقدس !

ولم يشأ الوحي أن يصور لنا حالة العذراء المباركة بعد أن ولدت «ابنها البكر» كل ما ذكره أنها كانت تنظر وتتأمل وتحفظ جميع ما تسمعه من الكلام متفكرة به في قلبها !

وتوالت الايام . . . ونحن نتبع العذراء وهي تراقب الابن الحبيب وهو يختن، ثم نرافقها إلى الهيكل وهي تقدم ذبيحة التكريس . . وهي تسمع كلمات سمعان الشيخ وحنة النبية . ونعود معها إلى الناصرة .. ثم نرافق العائلة المقدسة وهي تهرب إلى مصر من وجه هيرودس ونحس ان العذراء بدأت تشعر بمرارة السيف الذي انبأ سمعان أنه سيجوز فيها. ثم نرافقها وهي تعود مرة أخرى إلى اليهودية ومنها الى الناصرة حيث تحط رحالها !

ونحن لا نرى مريم كثيراً بعد ذلك . نراها عند ما بلغ وليدها الثانية عشرة وقد صعد معها ومع يوسف . و بعد أيام العيد عادت العائلة المقدسة ولكن مريم

افتقدت ابنها في ختام اليوم الاول ولم تجده فعادت هي ويوسف يبحثان عنه . وليس يعلم إلا الله مقدار ما حفل به قلبها من الاضطراب والقلق والخوف . كانت ترى انها أذنبت إلى أقدس أمانة وضعت في يديها وظلت تبحث عنه إلى أن وجدته في الهيكل بين المعلمين وتقدمت نحوه موبخة يا بني لماذا فعلت بنا هكذا. هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين. أما هو فاجابها بعتاب رقيق ، لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي ان اكون في ما لأبي . ولم تفهم مريم ماذا كان يقصد أن يقول ولكنها أحسّت أنها لا يجوز لها أن تسأل اكثر . على أن السيد نزل معهما وكان خاضعاً لهما خضوع الابن لوالديه !

وقضى يسوع مع أمه سنوات أيضاً . ويجدر بنا أن نذكر انها وهي ترضعه ثديها أرضعته الكثير من المعرفة. لابد أنها حدثته عن قصة ميلاده وقصص الكتاب المقدس ولا بد أنها قدمت له في حياتها أجمل صورة للتقوى الصحيحة . ونحن لا نتعرض هنا لما تعجز عنه أفهامنا من إدراك شخصية المسيح. فهل كان يعرف كل شيء بدون تعليم .أم انه استكمل انسانيته فكان انساناً في كل شيء وكان تبعاً لذلك في حاجة لان تقوم أمه على تربيته كما يتربى أي انسان آخر . نحن هنا نرى أمامنا انساناً ولد طفلاً كسائر الاطفال وتربى في أحضان أم وكان تقدمه في الحكمة والقامة والنعمة يعود إلى نعمة الله و إلى كمال أمه المباركة !

كذلك نسأل مرة أخرى هل كانت مريم زوجة ليوسف وهل ولدت بنين و بنات كما يعتقد البعض! وليس لنا أن نجيب عن هذا السؤال . فان البعض يقول أنها تزوجت فعلا والكتاب يذكر ذلك بوضوح . ويذكر هؤلاء أن الزواج مقدس وطاهر وأن ولادة الأولاد لا تنقص من قدر مريم ويقول هؤلاء أن الكتاب لم يذكر بالتحديد إلا أن يوسف لم يعرف امرأته حتى ولدت ابنها البكر !

غير أن البعض الآخر يقول أن امتناع يوسف عن المطالبة بحقه كزوج لم يكن امتناعاً وقتياً اذ أحس ان العذراء وقد حملت في بطنها ابن الله اصبحت أرفع منه

مقاماً وأعلى مكانة. واذا كانت أم الامير لا يجوز أن تصبح زوجة لرجل عادي فكم بالحري أم ابن الله . ويقول ذلك البعض أن مريم عاشت في بيت يوسف زوجة له بالاسم فقط ! !

ومرّت سنون كثيرة . ويبدو أن يوسف مات وكان يسوع يعمل في النجارة ولكن عند ما بلغ الثلاثين تركها . وجال يكرز ويخرج الشياطين . وبلغ مريم ما قاله « اخوة » يسوع وما قاله اليهود من أن يسوع مختل — وخشيت العذراء أن القوم يسيئون إلى ابنها الحبيب فخرجت مع « الاخوة » تبغي أن ترده. وقال المحيطون بيسوع أمك واخوتك خارجاً يطلبونك فقال لهم من هي أمي ومن هم اخوتي . ثم أشار الى المحيطين به والى تلاميذه وقال ها أمي واخوتي لان الذي يفعل مشيئة ابي الذي في السموات هو اخي واختي وامي

وانتهى المطاف بيسوع الى الصليب وتركه الجميع ولكن أمه لم تترك المكان وظلت عند الصليب تبكي بدموع القلب ابنها الذي صلبته الخطية. وعند الصليب اهتم السيد بأمه فأوصى يوحنا الحبيب بها وأخذها يوحنا الى خاصته. ولعل هذا من اقوى البراهين على ان مريم لم تلد أولاداً خلاف يسوع !

وبعد القيامة كانت العذراء مع التلاميذ تشاركهم في الصلوات. وقد حل الروح القدس عليها معهم . وظلت تشهد للمسيح الى منتهى حياتها

ويقول الشرّاح أن يوحنا مدين الى حد بعيد في حياته وكتبه الى العذراء التي حدثته بجميع ما حفظته في قلبها عن ابنها « البكر » .

ولا شك في ان العذراء تتمتع بمكان بهي مجيد وسام هناك في السماء ! !

٤

استقبال الملك

« فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود. فلما رأوه اخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي » لوقا ٢ : ١٦ و ١٧

لما ولد «عمانوئيل» لم يعلم بمولده أحد
فان ملك الملوك ولد كما يولد أفقر فقير
بل أقسى من ذلك
ولدته أمه في مذود البقر

ومع ذلك فانه كان ملكاً وهو في المذود ، وجاءت ملائكة السماء تحييه على الأرض. لاشك أن مظاهرات ملائكية قامت في السماء وهتفت هناك نشيد التمجيد لله . وجاءت بعض الملائكة إلى الأرض واسمعتها ذلك النشيد الخالد

كانت الأرض كلها نائمة

ولكن رعاة متبدين كانوا يحرسون حراسات الليل على رعيتهم . كان أولئك الرعاة ساهرين. لسنا نشتط في القول إذا قلنا انهم كانوا ساهرين يصلون . أو ربما كانوا يتذاكرون أحاديث مسيا المنتظر . ان السماء تقترب ممن يعيش بالقرب منها، وابصر الرعاة نوراً وهاجاً يقترب منهم . فلما ازداد قربه ارتعبوا. ولا عجب فانه منذ دخلت الخطية الى الأرض والناس يخافون من المثول أمام القداسة . ان القداسة تذكرهم باثمهم وبوجوب عقابهم. ولكن الملاك ناداهم ، لاتخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطاً مضجعاً في مذود !

كان الرعاة يسمعون الـكلام وهم في ذهول. لقد حان مجيء المسيح الذي طالما انتظروه فها هو ملاك الله يحدثهم عن المسيا المرتقب. يحدثهم هم دون غيرهم من الشعب المختار. كان اندهالهم عظيماً. لقد كانوا يظنون أنهم آخر من يحق له ان يسمع الخبر السار. سكان القصر أولى

الملاك يبشر الرعاة

بالطبع ورؤساء الهيكل والمعلمون الـكبار. والفريسيون والـكتبة والناموسيون والعلماء والاغنياء. لـكن هوذا السماء تجري معهم عجباً. انها تتحدث الى أفقر الفقراء معلنة أن الملك ابن داود قد وُلد!

و بينما هم في ذهول! ازداد النور المحيط بهم لمعاناً و إذا فرق من الملائكة تتجمع معاً و إذا بهذه الفرق تنشد أشجى نشيد سمعته الارض:

المجد لله في الاعالي

وعلى الارض السلام

و بالناس المسرة

وتجاوبت الجبال والوديان بهذا الصوت الذي خرج من أفواه الملائكة. صوت امتزجت فيه الحلاوة بالجلال!!

وخشع الرعاة وهم يسمعون النشيد السماوي وسجدوا الى الأرض ولمست وجوههم التراب في كثير من الخوف ولكن أيضاً في كثير من الفرح !

ولما عاد السكون إلى المكان استيقظ الرعاة من ذهولهم وقال أحدهم لشدّ ما أخشى أني لا أزال أحلم! وقال الثاني انه لم يكن حلماً ولكنه حقيقة اكيدة. وقال الثالث هل حقاً ما سمعته عن المخلص المولود ؟ وقال الرابع وهل سمعتم ذلك النشيد المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام و بالناس المسرة ام انه خيل لي اني سمعت وانا أحلم ؟

وتأكد كل واحد منهم انه سمع ما سمعه الآخرون عن ميلاد المخلص الذي هو المسيح الرب . فقال بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي اعلمنا به الرب !

فانطلقوا في عجلة إلى القرية الصغيرة . ولم يطل عليهم البحث فعثروا في حوش الخان على يوسف ومريم والطفل يسوع !

شكراً لله

شكراً لله أن السيد ولد في مذود

هذا ما قاله الرعاة بعضهم لبعض وهم يدوسون باقدامهم الخشنة الارض الخشنة ليصلوا الى مهد الطفل المسيا

ولا بد أن سجودهم طال

لو أن العناية دبرت أن يولد السيد في قصر هيرودس

أو في بيت رئيس الكهنة

أو في بيت صاحب سلطان

لو أنه جاء في بيت كبير ما أمكن أولئك الرعاة المساكين أن يقتربوا منه أو يقدموا السجود له. ولكنه ولد في مذود البقر فصار من الميسور للجميع أن يقتربوا منه

وتحدث الرعاة عن ظهور الملائكة وعن الرسالة العجيبة وعن النشيد السماوي .
وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة
وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها !

ولعل البعض يسأل عن الصبي الذي رآه الرعاة . هل كان يختلف عن بقية الاطفال . لا شك انه كان يختلف في برارته . لقد ولد بدون خطية . ولكنه على ذلك ، كان طفلا له كل ما في الاطفال الآخرين من خاصيات . لقد أخذ السيد الانسانية الكاملة و بدأ من أول السلم فيها!

كان السيد طفلا كباقي الأطفال، ينام و يستيقظ ويتألم و يأكل ويشرب و ينمو
رأى الرعاة طفلا عادياً
ولكنهم رأوا فيه المسيا المرتقب
فسجدوا له
ورجعوا وهم يمجدون الله و يسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم !

٥

الصبي يسوع

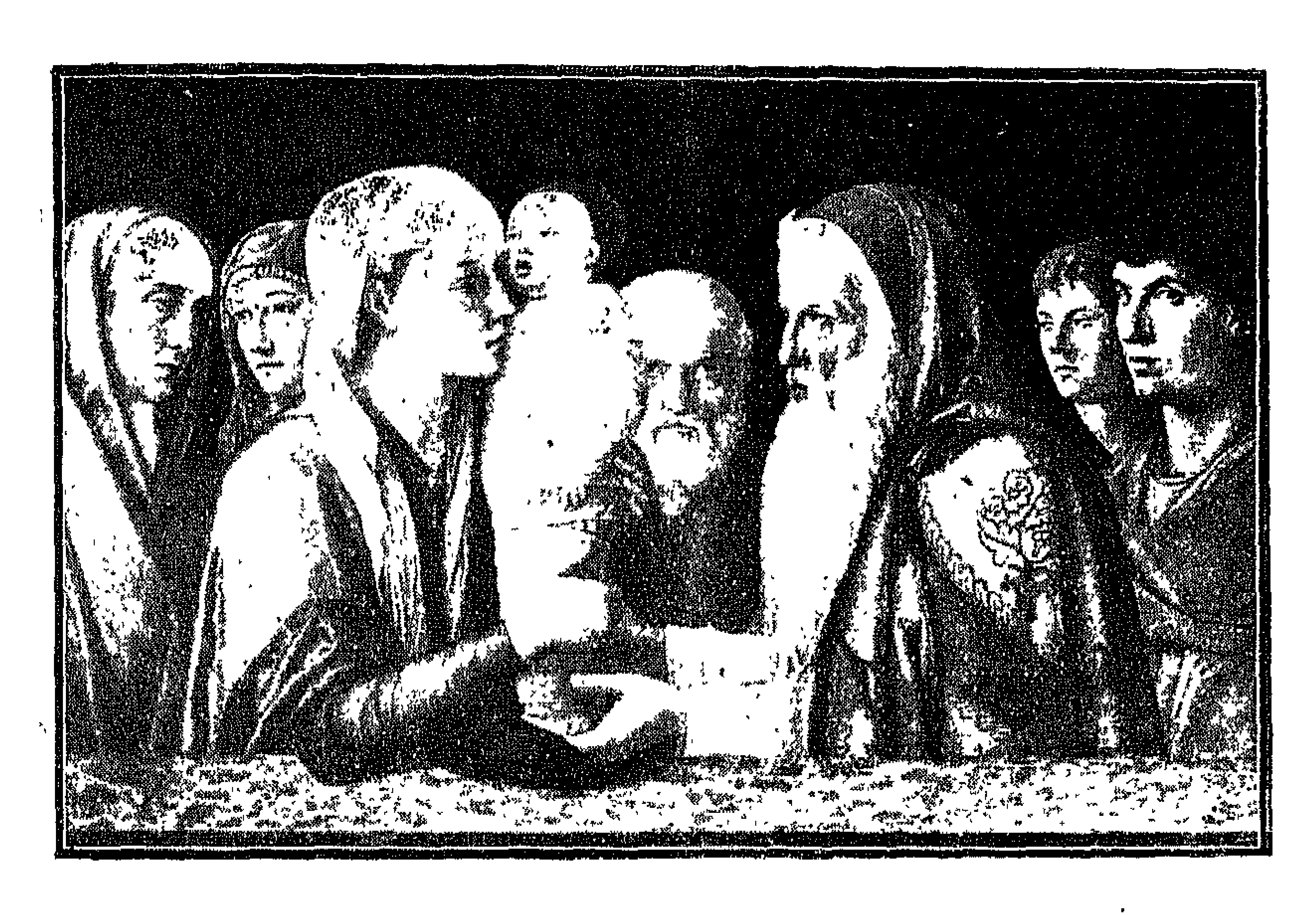
« وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه » لوقا ٢ : ٤٠

وُلد يسوع في خان بيت لحم ولم يكن مكان في الموضع فقمطوه وأضجعوه في المذود . وفي ذلك المكان جاء الرعاة وحدثوا عن رسالة الملاك ونشيد الملائكة . على أن العائلة لم تطل مكثها في الخان بل استطاعت أن تجد لها مكاناً في بيت . وعندما كان الصبي يسوع ابن ثمانية أيام ختنوه حسب الناموس . ولما كملت

له أربعون يوماً أخذه أبواه إلى الهيكل وقدموا عنه ذبيحة البكر يماماً أو حماماً .
وفي الهيكل حدثت أمور غريبة

كان رجل اسمه سمعان، كان أحـد افراد الجماعة التي اطلقت على نفسها «جماعة المنتظرين». وهي جماعة آمنت بالنبوات وأن المسيا سيأتي وكانوا يترقبون مجيئه بمراقبة العلامات التي تسبق ذلك المجيء . وقد شاع بين القوم أن ترقبهم قد وصل الى منتهاه وأنهم قد اصبحوا في فلك ذلك المجيء ـ وقد سبق سمعان فاعلن أنه قد أوحى اليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب . ليس بين اسرائيل و بين مجيء المسيح إلا سنوات معدودة . لا يمـكن أن تتعدى بحال من الاحوال نصف قرن . وها هو سمعان يتطلع في صباح كل يوم إلى احـداث . وفي احد الأيام جاء بالروح الى الهيكل . أحس في ذلك اليوم بقوة تجذبه نحوه . ربما كان متعباً أو كانت حالته الجسمية ضعيفة ولكن ذلك الجاذب جرّه جراً إلى الهيكل . ترى ماذا سيلاقيه في الهيـكل . وصل إلى الهيكل فلم يشعر بأي أمر غير عادي . ابصر عائلة فقيرة جداً تتقدم من الـكاهن وتقدم الذبيحة المفروضة على الفقراء زوج حمـام أو فرخي يمام . كان الرجل يلبس ملابس الصناع وكان متقدماً في السن . وكانت المرأة شابة صغيرة تبدو في صورة الفتاة لا في صورة الزوجة . وكانت تحمل على يديها طفلا ما أن رآه سمعان حتى شعر ان سلاسل أقوى من الحديد والنحاس تجذبه نحوه . ها هو يسير نحوه و يتقدم منه و يضعه على ذراعيه و يسمع صوت الروح القدس في داخله، هذا هو مسيا المنتظر هذا هو المسيح المخلص واذ ذاك رفع لله صلاة شكر ثم قال « الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب . نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل » .

كانت مريم و يوسف يسمعان الكلمات باندهال . انها آية جديدة فوق الآيات التي سبق أن سمعاها . وقد بدا عليهما التعجب وأشرق وجه مريم بضياء سماوي .
وتقدم سمعان منهما و باركهما



سمعان الشيخ والطفل يسوع

ووجه الكلام لمريم أمه

ها ان هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل

وأنه قد وضع هدفاً لسهام المقاومة

واضطربت مريم اضطراباً عظيما وضمّت الطفل المقدس الى صدرها وكأنها تقول فلأكن أنا تلك العلامة التي تقاوم ويصوّب القوم سهام اضطهادهم نحوي أنا ويتركوه هو

وهنا قال سمعان نعم

وأنت ايضاً يجوز في نفسك سيف

لتعلن أفكار من قلوب كثيرة

وقد حفظت مريم كل كلمة سمعتها من سمعان ولو أن إدراكها لم يصل إلى عمق تلك النبوات التي وصفت ما وقع على السيد من مقاومة بلغت الى الموت !

وقبل ان تخرج العائلة من الهيكل حدث أمر آخر عجيب . فقد تقدمت امرأة عجوز اسمها حنه قيل أن عمرها نحو أربع وثمانين سنة بل قيل أن الأربع والثمانين سنة هي مدة ترملها لا مدة عمرها

وقد ترملت في أوائل زواجها إذ لم تمكث مع زوجها إلا سبع سنوات . هذه، وقد فشلت في حياتها الأرضية، وجدت التعزية في الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً . وكانت تترقب في الهيكل تعزية اسرائيل بل تعزية العالم . هذه حالما رأت الطفل يسوع وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع «جماعة المنتظرين» فداء أورشليم.

ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة. وكان الصبي ينمو ويتقوى بالرب ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه !

٦
أمراء الشرق

« فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيما جداً. وأتوا الى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخرّوا وسجدوا له . ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومراً »

متى ٢ : ١٠ و ١١

كان يسوع لا يزال في المهد . لكننا لا نعلم عمره على التحقيق . نستنتج من القرائن العديدة أنه كان أقل من سنتين. وكان لا يزال في بيت لحم وان كنا نعتقد أن العائلة تركت الخان وأقامت في أحد البيوت

وفي احدى الليالي اقبل على المدينة الصغيرة ضيوف عظماء. قال البعض انهم ملوك وقال آخرون انهم امراء وذكر الكتاب المقدس انهم مجوس من المشرق !

ولا يزال حديث أولئك المجوس يشغل أذهان العالم كله . وقد نسج الكتاب

والروائيون عشرات القصص وتخيلوا مختلف الحوادث المتصلة بهم. على أننا سنحاول أن نراهم من خلال الضوء القليل الذي ألقته القصة الكتابية عليهم !

كانوا مجوساً من المشرق

وليست كلمة « مجوس » غريبة عنا فقد رأينا المجوس في بابل في أيام دانيال .وهم أول الحكماء الذين سمعنا عنهم . وكانت دراساتهم تتصل بالفلك،وهم يعتقدون أن هناك ارتباطاً بين جميع الكواكب. وان مصائر سكان الارض مرتبطة بحركة الافلاك، وكانوا يسجلون حركات السماء بحساب دقيق. كان الملوك يستشيرونهم في جلائل الامور ، ونحن نعلم أن المجوس كانوا غالباً من أشرف العائلات

فاذا لم نقل عن المجوس من المشرق انهم ملوك من المشرق أو أمراء من المشرق فاننا نستطيع أن نقول انهم حكماء من المشرق

وقد تخيلهم الدارسون ثلاثة بل ذكروا لهم اسماء فهم كاسبار ومالكيور وبالتازار ، وتخيل لهم فانديك المستشرق المشهور رابعاً تعطل في طريقه - ونسبوهم الى أمم الشرق المشهورة فهم من مصر وفارس والهند أو اليونان

أما نحن فنعلم انهم مجوس من المشرق فقط ، لا نعلم كم هم ولا من أي بلاد على التحديد وفدوا ولا ما هي اسماؤهم ، وهل جاءوا من بقعة واحدة ، ام جاءوا من بلاد مختلفة،وانهم أبصروا نجماً غريباً في السماء أغرب من النجوم التي اعتادوا أن يروها ، وان اعلاناً جاءهم ان ذلك النجم لمولود ملك في بلاد فلسطين سيكون له شأن كبير يخرج عن دائرة القوم الذين هو ملك عليهم . هو المولود ملك اليهود . على انه لو كان شأن ذلك المولود لا يزيد عن ذلك أي انه ليس إلا ملك اليهود فان أمره ما كان يعنيهم . وفي كل يوم يولد ملوك لأمم مختلفة . لا بد أن الاعلان السماوي كان فيه شيء عن « سمو » ذلك الملك بل عن لاهوته. وقد اتضح ذلك من اهتمامهم بالبحث عنه وهم ليسوا يهوداً ومن هداياهم التي كانت لا تقدم إلا للآلهة ومن سجودهم له كما سنرى ذلك ! !

وتبع أولئك الحكماء النجم
ووصلوا الى أورشليم
وفي أورشليم اختفى النجم !

يغلب انهم ظنوا أن رحلتهم انتهت وانهم سيجدون المولود في المدينة المقدسة التي طالما سمعوا عنها. ولكنهم لم يشعروا بأية علامة تدل على ذلك الحدث الكبير الذي تركوا بلادهم وقطعوا الابعاد من اجله ، ولذلك بدأوا يسألون أين هو المولود ملك اليهود

وفزعت المدينة من السؤال
فزعت ولو أن العامة سرت ان الملك المرتقب قد آذن إقباله

فزعت رعباً من الطاغية الجالس في القصر . كان في القصر ملك طاغية مستبد سفاك للدماء مجنون هو هيرودس الكبير . وقد استطاع ذلك الرجل ان يربط نفسه في عجلة رومية فاطلقت يده في حكم البلاد . وقد حكم بالسيف فدانت له الرقاب ولكن القلوب كلها كانت ضده . ما اكثر من سفك دماءهم . قتل اعداءه واصدقاءه على السواء . بل قتل ابناءه لأنه تخيل انهم ينازعونه في الملك . وقتل زوجته الجميلة الطيبة مريام . كانت حياة كل فرد متصل به معلقة بخيط دقيق . وكانت مهمته الأولى المحافظة على كرسيه . كان يقتل بدون شفقة كل من اشتبه انه يتطلع اليه . وعاش سكان أورشليم في رعب مستمر . والآن ها هم حكماء من المشرق يسألون « أين هو المولود ملك اليهود فاننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له » . وسأل الغرباء شخصاً بعد آخر . بل نظن أنهم انطلقوا نحو القصر او نحو الدوائر المتصلة بالقصر . ووصل الخبر اخيراً الى هيرودس وكان انزعاجه عظيماً . وكان ينتظر تبعاً لطبيعته ان يأمر بقتل اولئك الغرباء الذين ينادون بملك آخر غيره ولكنه رأى ان يأخذ الأمور بالروية و بالحكمة حتى يتمكن من العثور على ذلك الملك الذي سيغتصب ملكه ويقتله . و بعد ان يفعل ذلك يمكنه قتل من يرى قتله : اما قتله للمجوس فلن

يفيده شيئاً . ونظن ان الملك علم ببعض تفصيلات النجم اما من المجوس أنفسهم او من جواسيسه المنبثين في كل نواحي البلاد . وربما فهم ان في كتابات اليهود ما يشير الى ذلك المولود . فانه بالرغم من عدم تدينه كان يعرف شيئاً عن النبوات . وان كنا نستبعد انه كان ينتظر المسيا الآتي !

كان اليهود ينتظرون المسيا الملك الذي سيخلصهم من نير رومية و بالتالي من نير هيرودس حليف رومية . ولـكن هيرودس لم يكن يعلم بذلك الانتظار . او كان يعتبره على الاقل تخريفاً من العامة . وكان يسخر من انتظارهم . فأين الملك الذي يستطيع ان يتحدى رومية . وهل يمـكن أن يخرج من بلاد اليهودية الحقيرة ملك يقف أمام جبروت رومية . إن قصة المسيا الملك خرافة او على الاقل أمـل ولده الضغط الشديد على ذلك الشعب الذي لا يختلف عن السوائم في شيء !!

لـكن ما باله يضطرب عندما بلغته أخبار المولود ملك اليهود . لقد كان يسمع عن ملك اليهود من عامة الشعب . أما اليوم فان غرباء من المشرق لهم منظر ولهم جلال . وهم يقولون أنهم رأوا نجمه في المشرق وأنهم جاءوا ليسجدوا له !!

وجمع هيرودس كل رؤساء الـكهنة وكتبة الشعب وتحدث معهم عن المسيح وعن النبوات التي جاءت بشأنه. فهل استطاعوا أن يخبروه بالحقيقة السافرة. هل قالوا له فعلا أن النبوات تذكر أن مسيا سيأتي ويخلص اسرائيل. ام أن الرؤساء داوروه. وكان رؤساء الكهنة من جماعة الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالناحية الروحية في الدين. وكانوا يعتقدون ان النبوات في الكتاب لا تمتد الى مابعد السبي. وأن المسيا المرتقب من العامة قد جاء من زمن بعيد فهو حزقيا أو عزيا أو زربابل بن شألتئيل أو نحميا. ولذلك لا نستبعد أنهم ظانوا نخاوف هيرودس وا كدوا له انه لن يكون هناك ملك لليهود آخر وأن ما يقول به المجوس لا يزيد عن خيالات فلـكيين. ويغلب أن خوف هيرودس تلاشى أو ذهب ا كثره. ولـكنه لهذا السبب أو لذاك سأل رؤساء اليهود عن المكان الذي تقول الـكتب أن المسيح يولد فيه سواء كان المسيح قد جاء ام لم يجيء. و بحث

القوم أسفارهم وذكروا أن المكان المذكور هو في بيت لحم اليهودية وقد ذكروا له ملخص النبوة التي ذكرها ميخا . قالوا انه هكذا مكتوب بالنبي« وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل » ـ أما النبوة كما وردت فكانت أزيد من ذلك فقد قال النبي ميخا «أما أنت يابيت لحم افراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » وقد حذف رؤساء اليهود الجزء الاخير من النبوة أما لانهم هم لم يكونوا يفهمون حقيقة المسيا أو لانهم لم يشاءوا أن يواجهوا الملك بالحقيقة التي تظهر الملك المنتظر اكثر من ملك عادي!

ويبدو أن اطمئنان هيرودس الى ما قاله رؤساء الكهنة لم يكن كاملاً ، فهو يدعو اليه سراً المجوس ويسألهم عن زمان النجم الذي ظهر ثم يرسلهم الى بيت لحم قائلاً اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فاخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له . وهي كلمات غريبة ينطق بها الملك هيرودس . كيف يقبل الملك الجالس على العرش أن يذهب ليسجد لملك آخر . ولا شك أن المجوس ذكروا أن النجم يدل على ملك يسود العالم أو ربما على ملك يسود العوالم وأن ملوك الأرض سيكونون ملوكا تحت سلطانه ولذلك يبادر هيرودس فيخبر المجوس انه يقبل أن يكون تابعاً للملك الجديد فهو مستعد أن يذهب ويسجد له . وكان هذا منه مكراً وخديعة . وقد أراد أن يزيد تمويهه فأرسل المجوس دون أن يرافقهم أحد من قبله

لكن هل خفيت نياته عن المجوس الحكماء . انهم حكماء لا أغبياء . لقد لاحظوا الاضطراب الذي ملأ اليهودية من مجرد سؤالهم . ورأوا عين الصقر وقد أطلت منها الخديعة ، ولم تغشهم الكلمات الناعمة التي القاها ذلك الثعلب العجوز. بل انهم تحققوا ان هيرودس أرسل جواسيسه يتعقبونهم ، على انهم كانوا حكماء فساروا في طريقهم واذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم وكان فرحهم لذلك طاغياً . وساروا خلف النجم . فهل تحول النجم لهم كما تحولت السحابة النارية

لبنيْ اسرائيل يوم خروجهم من مصر ، نوراً لهم وظلاماً لمطارديهم . من يعلم . أم هل سلك المجوس دروباً جانبية وخدعوا جواسيس الملك هيرودس. أم أن جواسيس الملك انتظروهم على رأس الطريق الذي يتحتم أن يعودا منه متيقنين انهم لن يجدوا طريقاً آخر . ربما كان الأمر هذا أو ذاك ! !

ووصل المجوس الى البيت حيث كان الصبي ورأوا الصبي مع مريم أمه. فخرّوا وسجدوا له. ونحن نلاحظ أنه سجود تعبدي . ونرى هداياهم هدايا كبيرة ذهباً ولباناً ومراً وهي الهدايا التي ترفع في الهياكل قرابين تعبد وشكر.

ونحن لا نجد في القصة ما يفيد أنهم تكلموا مع مريم أو مع يوسف . لكن هل يمكن أن تتم زيارة عجيبة كهذه دون



العذراء تحمل الطفل المقدس

كلام. لا بد أن المجوس تحدثوا عن النجم وعن المسافات التي قطعوها وعن اورشليم وعن النبوات . ولا نستبعد أنهم تحدثوا عما لا حظوه من عين الغدر عند هيرودس وان كانت القصة تبدو كما لو انهم لم يفكروا في شيء من ذلك. وكان الذين يسمعون الحديث يتعجبون،أما مريم فكانت تحفظ جميع ذلك الكلام متفكرة به في قلبها !!

كم قضى المجوس في بيت لحم ؟ لا نعلم. لكن لابد انهم مكثوا مدة حتى استراحوا من مشقة السفر. وعندما فكروا في العودة الى بلادهم انشغلوا بأمر طريق الرجوع. وقد أوحى الله اليهم أن لا يرجعوا الى هيرودس. فانصرفوا في طريق أخرى. وليس معنى ذلك أنهم كان خالي الفكر من ناحية غدر هيرودس بل بالعكس نرجح أنهم كانوا يعتقدون بغدره وانهم كانوا ينتظرون استجابة السماء لتفكيرهم. وجاءهم الصوت محققاً لشكهم

وعاد جواسيس هيرودس يخبرونه ان المجوس خدعوهم فطرقوا مسالك أخرى وعلم هيرودس أن مظهر البساطة الذي تجلى على وجوههم كان ستاراً لمكرهم به. نعم فقد سخر اولئك «البسطاء» بالثعلب العجوز ، ولا نستبعد أنهم أشاعوا انهم سيطيلون مكثهم في بيت لحم وان جواسيس هيرودس انتظروا طويلاً فلما علموا بمكر القوم كانوا قد قطعوا مسافات طويلة في الصحراء ، وكان في الصحراء قبائل عربية ليست على صلة حسنة برومية وهذه ولا شك كانت حماية وترساً للمجوس !

فلما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب غضباً عظيما فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس ، وذلك لكي لا يفلت الملك المولود . مسكين. لقد ظن انه يستطيع أن يقاوم الله . من أنت أيها الانسان حتى تقف أمام العلي . ان الله ساهر على ابنه فلن تصل اليه يد الأذى ـ وسنرى كيف نجا في قصة هروبه الى مصر

أما اولئك الاطفال الابرياء الذين ذبحهم هيرودس فطوبى لهم ، انهم أول شهداء المسيحية وسيلبسون الاكاليل والثياب البيضاء ويقفون أمام العرش ويخدمون الله نهاراً وليلاً !!

٧

في مصر

« فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف الى مصر . وكان هناك الى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني » متى ٢ : ١٤ و ١٥

تحدث الانبياء قديماً عن مصر

تحدث بعضهم بالمحنة . والذي يقرأ قصة معاملة مصر لبني اسرائيل يقول أن مصر تستحق !

لكن رحمة الله لم تترك مصر . وها نحن نقرأ في كلمات النبي العظيم اشعياء :

« مبارك شعبي مصر »

كما نقرأ في هوشع « من مصر دعوت ابني »

وقد تباركت مصر بركة لا نزال نتحدث بها . فقد اضافت ابن الله وانقذته من سيف هيرودس . قديماً قتلت مصر ابن الله البكر اسرائيل . لكن ها هي توفر لابن الله الوحيد أسباب الرعاية والحماية !

بعد أن علم هيرودس أن المجوس سخروا منه غضب غضباً شديداً وأمر جنوده أن يقتلوا جميع الاطفال في بيت لحم وجميع تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من النجم. وكان يقصد من ذلك أن يضمن هلاك الملك المولود !

مسكين . . انه جاهل

انه لا يعرف مدى قوته

ان الله هو الذي يتولى حماية ابنه

ها هو يوسف يضطجع لينام فيأتيه الملاك في حلم ويأمره أن يأخذ الصبي وأمه ويهرب إلى مصر لأن البعض يطلب ان يقتله . ويبادر يوسف فيحمل الابن والأم على اتانه وينطلق إلى مصر !

ويمتد السيف الى بيت لحم وتخومها. ويموت عشرات الاطفال بل مئـات ! ! ولـكن السيف لا يصل الى يسوع !

ووصل يسوع والعائلة المقدسـة الى مصر ولا نعرف شيئاً بالمرة عن فترة اقامة العائلة في مصر. لا نعرف أين أقامت . وكم من الوقت اقامت .

الهروب الى مصر

قيل أن العائلة وصلت الى مصر بعد أن تعرضت لسيف جنود رومية ولكن الله أنقذها . وقيل أن أول مكان حلّت فيه كان في جهة المطرية حيث توجد شجرة لا تزال تدعى إلى الآن شجرة العذراء ـ وقيل أن العائلة سارت بعد ذلك الى الجزء الذي يدعى الآن مصر القديمة. وتوجد كنيسة قديمة هناك يقولون انها كانت المخبأ الذي ستر الله العذراء المباركة وابنها فيه !

ومع أننا لا نستطيع ان نجزم بصحة هذا أو ذاك إلا اننا نميل ان نصدق كل



الطفل المقدس بين يدي العذراء المباركة

خبر طيب عن زيارة المسيح إلى مصر . ولا شك ان مصر افادت كثيراً من زيارة السيد لها.لابد ان البعض سألوا عن ذلك الطفل الذي وان بدا كسائر الاطفال إلا ان فيه كما لاحظوا اشياء غريبة . تلك الهالة القدسية التي احاطت به . نظراته العميقة الصافية،الشعور في حضرته بهيبة لايحسها المرء إلا في حضرة الله.لابد أن المصريين أو بعض المصريين لاحظوا ذلك وسألوا عنه ولابد ان العذراء المباركة حدثتهم وان يكن بتحفظ فيأول الأمر عنالمولود الذي ولد بغير زرع بشر وان يوسف وانيكن زوجها امام الناس إلا انه ليس ابا الطفل فان اباه الله نفسه. والمصريون الذين آمنوا بأوزيرس وايزيس وابنهما لم يكن الخبر غريباً عليهم . لا بد ان بعضهم آمن به . فكانت لنا جماعة مسيحية فيمصر قبلان تكون جماعة نظيرها فيأي مكان آخر!!!

ولقد قيل ان احد المجوس كان من مصر وان ذلك الأمير لا بد وانه رحب بمقدم الطفل الذي سافر هو مسافات شاسعة ليراه . ولكننا لا نعلم بالتحقيق هل تقابل الأمير المصري ، ان كان ثمت امير مصري بين المجوس ، ويسوع ؟!

على انه سواء صحت القصص التيرُويت عن الصبي فيمصر ام لمتصح فان امراً واحداً لابد وان يكون صحيحاً هوان مصر نالت بركة كبيرة من زيارة يسوع لها . وان البلد التي رحبت بالصبي المطارد وأوسعت له صدر الرعاية والعناية قد نالت مكافأتها وستنال . فان البلد التي ظنت انها خلصت يسوع من الموت قد نالت وتنال هي من يسوع الخلاص من الموت الابدي

وجاءت الاخبار الى مصر ان هيرودس قد مات. فقام يوسف ومريم والطفل وعادوا الى بلادهم . ولما وصلوا إلى هناك علموا ان الأسرة الهيرودسية لا تزال تملك وان اقليم اليهودية واقع تحت سيطرة ارخيلاوس القاسي. فآثرت العائلة ان تسكن بعيداً عن أورشليم ورتب يوسف بمصادقة إلهه ان يعود إلى مدينته الاصلية الناصرة وهكذا استقر بالأسرة التي خرج افرادها من الناصرة ، السكنى في مدينتهم التي نشأوا فيها ! !

٨
الصبي يسوع في الناصرة

« ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة» لوقا ٢ : ٥١



الصبي يسوع

وُلد يسوع في بيت لحم وختن في بيت لحم ولما كان عمره اربعين يوماً صعد به يوسف ومريم الى الهيكل حيث رأينا هناك سمعان وسمعنا كلمات حنة

وعادت العائلة إلى بيت لحم بعد ذلك . أن البشير لوقا يذكر انهم عادوا إلى الناصرة . ذلك لأن لوقا ترك موضوع زيارة المجوس والهرب إلى مصر والعودة الى اليهودية . . .

فاذا رتبنا الحوادث كما جاءت في أقوال البشيرين كانت كما يأتي: وُلد يسوع في الخان في بيت لحم وهناك جاءه الرعاة واخبروا عن ظهور الملائكة ـ وختن الصبي في اليوم الثامن و بعد أربعين يوماً صعدوا به إلى أورشليم وقدمت الذبائح المرسومة. وعادت العائلة المقدسة إلى بيت لحم وأقامت في بيت مستأجر أو بيت احد الاقرباء. وفي ذلك البيت جاء المجوس وقدموا هداياهم. ومن ذلك البيت هربت العائلة المقدسة إلى مصر ومكثت في مصر مدة لا نعلم مداها. قيل انها سنتان وقيل بل خمس سنوات وليس هناك سند تاريخي للمدة التي أقاموها في مصر!

و بلغ العائلة أن هيرودس الكبير مات فعادت العائلة إلى اليهودية ولكنها بسبب ملك أرخيلاوس فضلت أن تقيم في الجليـل في مدينة الناصرة حيث كان يوسف يعمل نجاراً

وها نحن نرى الصبي يسوع في المدينة التي نعرفها من القديم الناصرة

ونحن لا نسمع شيئاً عنه إلا عند ما بلغ الثانية عشرة

لا بد انه درج في البيت كعادة ابناء اليهود فذهب إلى مدرسة المجمع وهو في سن الخامسة وحفظ «الشمعة والهلّيل» . ولكنه لم يعتبر ابناً للشريعة إلا لـما بلغ الثانية عشرة . وهنا بدأ ينفذ مطاليب الشريعة. فكان لزاماً عليه أن يقدم الصلوات و يقوم بالاصوام و يقدم الذبائح كما يقوم بها الـكبار . ولا بد أن الصبي قام بكل المطاليب اكمل قيام .

ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدت العائلة إلى أورشليم كعادة العيد ومكثوا أيام الفصح . و يغلب أن يسوع نال في ذلك الوقت ختم التكريس كابن للشريعة و بعد ما اكملوا الأيام عادوا

وكانت العادة انهم يعودون في شبه قوافل. وكان الرجال يعودون معاً يتبعهم النساء والأولاد. وعاد يوسف مع كثيرين ممن عادوا ووجدت مريم رفقة من نساء وكانت تظن أن يسوع مع يوسف وكان هو يظن أن يسوع مع أمه وهكذا ساروا اليوم كله !

وفي المساء اجتمعت كل عائلة مع أفرادها

وافتقدوا يسوع فلم يوجد

وسألت مريم وسأل يوسف الجيران والأصحاب ولم يجدوه

وفي الصباح التالي عاد يوسف ومريم وجعلا يسألان اليهود الراجعين من الهيكل عن يسوع فلم يجداه . وظلا اليوم بطوله يسألان

ووصلا إلى أورشليم في المساء

وفي الصباح التالي جالا في المدينة يبحثان عنه . بحثا في كل مكان يظنان انه يمكن أن يوجد فيه. فبحثا في اماكن الملاعب واماكن الفرجة وعند حوانيت اللعب والحدائق والقصور وسألا كل من قابلاه عن الصبي الجميل - ولم يجداه

واخيراً ذهبا إلى الهيكل

وجعلا يبحثان هنا وهناك إلى أن وصلا إلى غرف المدرسة العليا حيث يجلس علماء اليهود . . . وهناك وجداه

لم تقف مريم لتسأل كيف يمكن أن يجلس صبي صغير بين فقهاء اسرائيل . ولكنها في مرارة نفسها اندفعت نحوه واخذته في احضانها وقد فاضت دموعها وقالت له في نغمة باكية عاتبة يا بني لماذا فعلت بنا هكذا. هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين. يخيل إليّ انها لم تستطع أن تتكلم ايضاً إذ انفجرت باكية بصوت عظيم

ليس يعلم إلا من اختبر مرارة قلب الأم وهي تبحث عن ابنها المفقود

كانت مريم تبحث عن ابنها

نعم كان لها ابناً

ولكنه كان اكثر من ابنها

كان ابن الله

كان وديعة في يدها

وقد فقدته

وقد ذاقت أشد مرارة وهي تبحث عنه

ويسوع يجيب أمه بكل هدوء، لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما انه ينبغي ان اكون في ما لأبي ؟!

كانت هذه كلمات غريبة لم يفهماها . ولـكنهما لم يكن لهما وقت ليفكرا فيها، إذ انهما لاحظا ساعتئذ رؤساء اليهود الشيوخ الـكبار ينظرون إلى الصبي بكثير من الاجلال !

كان يسوع في وسط العلماء

يسمعهم

ويسألهم

لا شك أنه سألهم اسئلة كثيرة عجيبة . لم تكن كالأسئلة التي اعتادوا ان يسمعوها . لا بد انه سألهم عن المسيح كيف يكون ابن داود ورب داود في نفس الوقت. ولا بد انه سألهم عن عبد الرب الذي لا صورة له ولا جمال. ولا بد انه سألهم عما جاء في المزامير عن ذاك الذي قال إلهي إلهي لماذا تركتني. وربما سألهم عن الذبيحة وتكرارها وعن مئة مسألة ومسألة . ربما سألهم عن قول داود هيأت لي جسداً بعد أن ذكر ان الله لا يقبل الذبيحة !!

ولقد حاول الرؤساء أن يجيبوه ولـكنه لاحقهم بأسئلته فكشفوا فيه روحاً وعلموا انه ليس شخصاً عادياً وكل الذين سمعوه بهتوا من اجوبته !!

ويغلب أن الشيوخ تحدثوا مع مريم ومع يوسف عن ابنهما العظيم وتنبأوا له بمستقبل كبير . وأخذت مريم ويوسف يسوع وعادا به الى الناصرة

وكان خاضعاً لهما

وكانت أمه تحفظ جميع هذه الامور في قلبها

وأما يسوع فكان يتقدم في الحـكمة والقامة والنعمة عند الله والناس !!

٩
سنو الانتظار

«وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل» مرقس ١:٩

لانسمع شيئاً عن يسوع منذ أن صعد الى الهيكل مع « أبويه » الى أن ذهب ليعتمد من يوحنا . وهي فترة يقدرها الدارسون بثماني عشرة سنة . أين كان يسوع في ذلك الوقت . وماذا كان يعمل . وكيف استطاع أن يصبر فلا يخرج لخدمته ؟ !

وقد سرت بين القوم في الأيام الأخيرة ان يسوع صرف تلك المـدة في بلاد الهند . إذ قيل ان اليهود طاردوه أو ان بيت هيرودس لما سمع عنه بعد وجوده في الهيكل ، اراد أن يبطش به فهربت العائلة الى بلاد الهند . وهناك عاش مع «فقراء» الهنود وعرف اسرارهم،اسرار معارفهم واسرار قواتهم ويؤيد القائلون بذلك أقوالهم بوثائق يقولون انها وجدت في بلاد الهند تذكر عن صبي يهودي قدم هارباً وعاش في احد هياكل الهند . كما يقولون ان تعاليم يسوع في ما بعد تبدو مشابهة تمام المشابهة لما في الكتب المقدسة الهندية. وان معجزاته تجد لها نظائر في قوّات فقراء الهنود.

وهي أقوال، كما ترى، لا تستند إلا على الظن والاستنتاج !!

أما الكتاب المقدس فمع انه لا يذكر الكثير عن هذه المدة الا أن بعض التصريحات هنا وهناك تدلنا على أن يسوع أقام في الجليل وانه سكن الناصرة وانه كان يعمل في النجارة !!

ونحن نقرأ بعض هذه التلميحات في الأناجيل المتفرقة

« وجاء الى الناصرة حيث كان قد تربى »

« وقال الحق أقول لكم انه ليس نبي مقبولا في وطنه »

« وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجـــة من فمه ويقولون اليس هذا ابن يوسف » .

« وكثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين من اين لهذا هذه . وما هذه الحكمة التي

أعطيت له حتى تجري على يديه قوات مثل هذه ، اليس هذا هو النجار ابن مر-
وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان . او ليست اخوانه ههنا عندنا . فكانوا
يعثرون به . فقال لهم يسوع ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه و بين اقربائه وفي بيته»

فهذه وغيرها من الآيات المتناثرة في البشائر المختلفة تكشف لنا ان يسوع
أقام في الناصرة وان القوم كانوا يظنون ان يوسف ابوه . والذين سمعوا قصة ولادته
من عذراء اطلقوا عليه لقب ابن مريم . وذكروا في احدى مناقشاتهم معه انهم
يعرفون أباءهم اما هو فلا يعرفون له اباً ! !

وكذلك تكشف لنا البشائر انه اشتغل مع يوسف في النجارة وكانوا يقولون
عنه ابن النجار ولما مات يوسف استمر هو نجاراً فقالوا عنه « اليس هذا هو النجار
ابن مريم » .

وكان يسوع يتمم جميع المطاليب الدينية كيهودي امين فكان يذهب الى المجمع كل يوم سبت . وكان يحضر الخدمات المنوعة .

ونحن نسأل عن الأحاسيس التي كانت تدور في رأسه وفي صدره . لا بد انه كان يعلم ان له رسالة ولكنه لم يسمع الدعوة للخروج .



يسوع النجار

ما اشق الانتظار
كانت الحالة في اليهودية اسوأ من اية صورة سيئة يمكن ان تخطر ببال
كانت السوء مجسّما
من هامة الرأس الى باطن القدم جرح واحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت

يمثل الامبراطورية المحتلة ولاة قساة طغاة يعاملون الناس معاملة السوائم . ويشترك مع اولئك الظلمة عدد من كبار اليهود . يشتركون معهم في امتصاص دم الشعب ، في الوقت الذي يرأسون فيه جمعيات وطنية تتظاهر بمقاومة الاحتلال

وكان الرومان يستعينون في تنفيذ سياستهم بجيشهم المدرب وبالملك الذي نصبوه بالرغم من الأمة وبرؤساء الكهنة وبفئة العشارين . وكان للملك هيرودس من عائلة غير يهودية الاصل ولكنه كان آية في الذكاء فاستطاع ان يرضي رومة في الوقت الذي اسكت فيه مقاوميه

وكان رؤساء الكهنة فئة متعصبة متكبرة ولكنهم كانوا يحنون الرأس امام رومية ابقاء على مكانهم . وكانوا في ذلك الوقت من شيعة الصدوقيين الذين كانوا الجانب العصري المثقف بين اليهود . وقد كانت هناك خلافات كثيرة بينهم وبين الهيرودسيين ولكن الحزبين اتفقا على استغلال النفوذ وقد قسما مناطق النفوذ هذه واتفقا على ألا يتداخل احدهما في دائرة الآخر

واستعان الرومان بفئة ثالثة هي فئة العشارين وكانوا خليطاً من طبقات . فمنهم بعض ابناء البيوت الكبيرة الذين لفظتهم بيوتهم لجرم ارتكبوه او فضيحة شائنة اتوها. ومنهم بعض ابناء الطبقة الحقيرة الذين لم يستطيعوا ان يحصلوا على خبزهم إلا بخيانة وطنهم. فانطرحوا عند اقدام الرومان يجمعون لهم الضرائب من جمهور الشعب وكان الشعب يبغضهم وكانوا هم يبغضون الشعب وينتهزون كل فرصة للانتقام منه. وكانت مظالمهم وسرقاتهم تصل الى عنان الجو !!

كان يسوع يرى هذه الامور ويتنهد

كان يبصر ظلم الرومان

وكان يبصر نفاق رجال الدين

وكان يلاحظ السرقات

كان يرى الفقر

والجوع

والمرض

والجهل

كانت اليهودية بقعة اصطلحت عليها المآثم فاصبحت جسما قتلته شر الجراثيم. لم يكن في اليهودية انسان واحد يبكي من اجلها! ويمد يد الاصلاح لها. كانت بؤرة من مفاسد وشرور

وكان يسوع يرى

وكان قلبه يلتهب

ولكنه لم يخرج ليبدأ خدمته

ان وقته لم يكن قد حل

ان ساعته لم تأت بعد

وفي أحد الأيام، وقد بلغ الثلاثين من عمره، قام من نومه وذهب الى حانوته وسلمه لأحد النجارين ليعمل فيه. قيل انه كان شريكه. وترك المكان وخرج ليبدأ رسالته التي جاء من أجلها!!

١٠

المعمودية

« فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه. وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » متى ٣ : ١٦ و ١٧

جاء يوحنا يعمّد

وقد عرفه الناس باسم يوحنا المعمدان

فما هي هذه المعمودية ولماذا جاء يوحنا يعمّد ؟

كان في اليهود نظام الغسلات . كانوا يغسلون كل شيء اشتروه من السوق لا لكي ينظفوه مما عساه يكون قد لصق به من أوساخ لكن لكي يطهروه مما علق به من خطايا ونجاسات . من أجل هذا كانوا يغسلون أيديهم وأجسامهم . يغلب ان الأمر في أوله لم يكن أزيد من تنظيف ولكنه انقلب بعد مدة الى دين . شأنه في ذلك شأن كثير من الفرائض الدينية !

وكان اليهود يعرفون شيئاً قبل مجيء المعمدان يشبه المعمودية وهو ما كانوا يدعونه غسل الميلاد الثاني . كان الأمم الذين يريدون أن يتهودوا يمارسونه . أما اليهود فكانوا أبناء ابرهيم ومكانهم في السماء مضمون . ان ابرهيم سيجلس على كرسيه ويراقب الملائكة وهم يقذفون بالأشرار الى جهنم ، حتى إذا ما لاحظ انهم أخذوا أحداً من أبنائه منعهم من ذلك !

غير أن يوحنا لما جاء أعلن أن اليهود يحتاجون الى أن يغتسلوا نظير بقية الناس . إذ أن الجميع خطاة والجميع يحتاجون الى التطهير . وكان الناس يأتون اليه معترفين بخطاياهم فيصلي معهم ويعمدهم بمعمودية التوبة !

وفي أحد الايام جاء يسوع الى يوحنا الى الأردن ليعتمد . قيل ان يوحنا لم يكن يعرفه وقيل انه كان يعرف من هو ولكنه لم يكن يعرف انه هو المسيا والرأي الراجح انه لم يكن يعرفه اطلاقاً. على انه حالما وقف امامه وطلب ان يعتمد ، نظر اليه يوحنا في رهبة. فقد ابصر نوراً سماوياً يشعّ من وجهه وبراً قدسياً يكلل هامته. كان الفريسيون إذا أقبلوا اليه أبصر نفوسهم الابليسية تطل من عيونهم معلنة انهم شياطين . وقد ناداهم بالقول ، يا أولاد الأفاعي . اما هذا فانه عندما رآه شعر انه في حضرة كائن علوي فانحنى امامه قائلاً . كلا يا سيد . انت تعتمد مني ؟ أنا محتاج ان اعتمد منك !

على ان يسوع التفت اليه وقال اسمح الآن فانه ينبغي ان نكمل كل برّ

لم يفهم يوحنا كلمات يسوع . ان يسوع لا يعترف بخطية فلماذا يعتمد ؟ لم يعلم يوحنا ان يسوع كان ينوب عن الناس كلهم وهو يعتمد نيابة عنهم

ونزل السيد إلى الماء ووقف فيه . قيل بل غطس فيه . وقيل ان يوحنا رش الماء على رأسه . ونحن لا ننشغل كثيراً بكيفية العماد . ليكن كيفما يكون . ان السر ليس في الماء بل في عمل الروح القدس

كان يسوع يصلي . وإذ ذاك فتحت السماء كدرج ونزل الروح القدس شبه حمامة واستقر على رأسه وسُمع صوت من السماء يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت !

كان ذلك إيذاناً ببدء خدمة يسوع

وكان اعلاناً ليوحنا عن المسيا

فان يوحنا لم يكن يعرفه ولكن الذي ارسله ليعمد بالماء ذاك قال له « الذي ترى الروح القدس نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس »

وهوذا يوحنا نفسه يقول « وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله »



معمودية يسوع

١١

التجربة

« وللوقت اخرجه الروح الى البرية. وكان هناك في البرية اربعين يوماً يجرب من الشيطان . وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه » مرقس ١ : ١٢و١٣

هيا بنا نذهب مع يسوع الى البرية . هيا بنا على اجنحة الخيال . تسألني أية برية ؟ في الحق اني لا أعلم . قال البعض انها برية سينا وقال آخرون انها البرية الواقعة الى الجنوب الغربي من اريحا . ومع ذلك فلماذا نسأل عن المكان ونحن نرافق السيد ؟؟

وإذ ندخل معه إلى البرية نحس برعشة ، فانه يدخل إلى قلب البرية حيث تقيم الوحوش الضارية . وفي ذلك المكان استقر مدة أربعين يوماً !

ماذا كان يعمل في تلك المدة ؟

قيل انه كان في حضرة الآب في شركة روحية كما كان موسى . فلم يأكل ولم يشرب إذ شبعت نفسه من الحضور الالهي

وقيل بل كان طول الوقت يجرب من إبليس

ونظن انه كان فعلاً في حضرة الله ولكن الشيطان كان يحاول أن يصل اليه وكان يرسل سهامه ضده . وهل من الغريب ان يجرب الشيطان ابن الله وهو في حضرة الله ؟

ولا نعرف شيئاً بالمرة عن التجارب التي شغلها إبليس طيلة الاربعين يوماً ، ولكننا نعلم أن السيد كان في حالة روحية ظافرة وان كل سهام إبليس تكسرت !

وبعد صيام يسوع أربعين يوماً جاع اخيراً وهنا بدأت سلسلة التجارب القوية.

جاء إبليس وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً !
ونحن لا نرى أمامنا إبليس في صورته المخيفة . لا نراه في جسم الحية ولا في صورة الوحش . لـكننا نرى انساناً ظريفاً رقيقاً . نتطلع اليه اكثر فاذا هو ملاك نور وهو يتحدث إلى يسوع بنغمة البراءة. انه يشفق عليه من الجوع و يتضايق ان الآب يترك ابنه يجوع. و يضع في كلامه المعسول سماً غير ملحوظ «إن كنت ابن الله» ترى هل قصد أن يشككه في بنويته لله . أم هل قصد أن يبعث في قلبه روح التذمر في عناية الآب . أم هل قصد أن يدفعه إلى عمل أناني. أم هل قصد أن يثير في نفسه كل هذه الأحاسيس الآثمة .

وكذلك لا يبدو سمّه واضحاً في قوله «فقل ان تصير هذه الحجارة خبزاً». اليس هو ابن الله. ألا يملك قوات خارقة . لقـد رأيناه فيما بعد يطعم خمسـة آلاف نفس من خمسة أرغفة. فلماذا لا يطعم نفسه؟

حقـاً ان ابليس عدو مخيف

انه يجرب تجارب ظاهرة السهولة. وويل لمن ينزلق فيها

فقل ان تصير هذه الحجارة خبزاً

أما مخلصنا فيرى السم في الدسم ويرد سهم العدو اليه فيقول: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . وفي جوابه هذا أعلن للعدو أن الله كفيل بكل شيء وهو حكيم ومحب ويعتني بخاصته !

ولعل ذلك الدرس الذي لقنه لنا في هذه التجربة ألزم درس لنا. فنحن نضطرب لاجل الخبز ونتذمر ونشكو ونشك. وفي سبيل الخبز نأتي ما لا يجوز أن يأتيه ابناء الله. عاد السيد إلى تلك الكلمات التي خاطب بها موسى الشعب « فأذلك وأجاعك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه اباؤك لكي يعلمك انه ليس بالخبز يحيا الانسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الانسان » .

كان السهم الذي رده يسوع للعدو قاتلاً وكان ينتظر أن يعود الشيطان خائباً. ولكن الشيطان لا يفشل . انه يحاول محاولة ثانية . ها هو يقف بجانب يسوع على جناح الهيكل وهو ذلك الجزء الناتيء الذي بني على وادي يهوشافاط من علو شاهق. وقد قال يوسيفوس ان علوه كان اربع مئة ذراع. يعتري الناظر منه إلى اسفل دوار. وقال العدو له : اطرح نفسك إلى أسفل . أي من سطح الهيكل إلى الدار الوسطى أو من سطح الرواق إلى الوادي . اطرح نفسك إلى اسفل لانه مكتوب انه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك !!

ونحن نلاحظ المهارة الدقيقة في هذه التجربة . فقد لجأ العدو إلى اثارة روح الطمع في يسوع دون أن يبدو شر ذلك الطمع . بل بالحري قد بدا الايمان والاتكال على مواعيد الله !

كان عند اليهود تقليد يتوارثونه عن مجيء المسيا انه عندما يجيء يأتي من السماء محمولاً على أيدي الملائكة إلى ان يستقر في صحن الهيكل . وها هو العدو يقول ليسوع: ألست أنت المسيا الآتي، إذن اطرح نفسك إلى الاسفل وعندما يراك جمهور الشعب في هذا الموكب العظيم سيخرون عند قدميك معترفين انك انت المسيح . يا له من موكب ! وبالطبع لا يجوز لك ان تخاف . انك لن تصاب

بشيء . انك تستند على المكتوب ألا تتمسك بالمكتوب ، ألم تقل لي من لحظة انه مكتوب انه ليس بالخبز وحـده يحيا الانسان . اسمع إذن المـكتوب انه يوصي ملائكته بك !

أما يسوع فلا يؤخذ بهذه التجربة . انه دائم الاستعداد . انه يعلم فكر العدو ويعلم بألاعيبه. انه يفسر المكتوب على هواه. بل هو أيضاً يحذف منه ما لا يلائمه. إن المكتوب كان اكثر مما قاله. ان الوعد لم يكن « يوصي ملائكته بك » فقط بل « يوصي ملائكته بك لـكي يحفظوك في كل طرقك » ان الطريق الذي لا يتفق مع إرادة الله ، سيردني الملائكة عنه . انهم سيحيطون بي .

وعاد السيد إلى المكتوب أيضاً وصـوّب للعدو أيضاً سهماً جبّاراً فتّـاكاً .

مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك !!

فهل خجل العدو . هل ءد إلى مسكنه مدحوراً ؟ كلا. بل أرسل سهماً آخر.

وقد تمت التجربة على جبل عال جداً. يحتمل انه جبل نبو أو تابور أو حرمون المعروف بجبل الشيخ الذي ترى منه كل الارض المقدسة و بعض سورية ويحتمل انه جبل الزيتون العالي بالنسبة لما حوله من الجبال !

وأشار العدو إلى الممالك المنظورة من الجبل وما لها من مناظر خلاّبة ومواقع حصينة و بالجملة ما لها من أمجاد . وقال له : إن كل هذا قد دفع لي وأنا أعطيه لمن أريد . ثم قال انه مستعد أن يعطي يسوع كل هذا إذا خرّ وسجد له . ولا شك ان البشير كشف التجربة هنا فانها لم تكن سافرة ولا شك بهذه الصورة . ونظن ان العدو قال ليسوع انك قد أتيت لتسترد العالم عن طريق الألم والصلب والموت. فأنا مستعد أن أسلمه لك بأقل من ذلك. ليس من داع لان تصلب وتموت. كل ما أطلبه ان تستعمل شيئاً من أساليبي. شيئاً من السياسة وشيئاً من الكياسة والحكمة.. وهكذا مما يقول البعض انه كذب أو مداورة وما هو في الحق إلا سياسة وحكمة . فلماذا لا ينزل مثلاً عن مُثله العُليا و يضم اليه رؤساء اليهود . ان فيهم عيوبهم

ولكنهم يملكون النفوذ . لماذا لا يغمض عينه عن شرورهم ليستفيد منهم . لماذا لا يعمل عن طريق المجاملة فيكتسب، بدلاً من مصارحة القوم بحقيقتهم فيمادونه .

يا لها من تجربة .

لو أن السيد خضع له لكانت النتيجة وهي فرض مستحيل بدون جدال !

كل الممالك للمسيح

المسيح وكل الممالك لابليس ! .

نظر السيد إلى إبليس نظرة اخترقت إلى أعماقه وأخرجت الى النور حقيقة شخصه وانتهره قائلا : اذهب عني يا شيطان لانه مكتوب للرب إلهك تسجد واياه وحده تعبد

اختفى ابليس وجاءت ملائكة تخدم يسوع. فقدمت له كل حاجاته .

عاد يسوع منتصراً

أما إبليس فرجع إلى مكانه وقد اصابته سهام قاتلة .



اما ابليس فرجع الى مكانه وقد اصابته سهام قاتلة

لـكن

هل سلم بالهزيمة ؟

كلا . كلا . لقـد فارق يسوع الى حين فقط . وبعد وقت جعل يلاحقه بتجاربه كما سنرى ذلك في حينه . ولكن يسوع انتصر في كل المواقع لانه خرج غالباً ولكي يغلب ! !

١٢
مدرسة الكرازة

جاء يسوع الى الأرض يحمل رسالة محبة الله للبشر . لم تكن الرسالة جديدة فقد سبق أن ارسلها المولى بيد أشخاص سبقوا يسوع إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحسنوا تقديمها على الوجه الا كمل !

كانت رسالة محبة الله تتطلب رسولا يتفق تمام الاتفاق مع الرسالة ، رسولا نقياً كامل النقاوة ، محباً كلّـي الحب

كانت تتطلب انساناً يحس بأوجاع الناس ويدرك تمـام الادراك آلامهم ، وكانت تتطلب في نفس الوقت الهاً يستطيع ان يرفع عنهم آلامهم وأوجاعهم

جاء ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وصموئيل وايليا وأليشع واشعيا وأرميا وحزقيال ودانيال وهوشع وملاخي وآخرون وكانت رسالتهم تحوي كثيراً من القوة ولـكنها لم تكن من القوة بحيث تحمل فعلا رسالة محبة الله

وجاء يسوع . وقدم رسالة محبة الله في كلامه . لم يتـكلم انسان قط نظيره . وليس معنى ذلك ان كلامه كان ابلغ من كلام الذين سبقوه في الفاظه وتعبيراته ، او كان متعمقاً في فقه الدين اكثر من سائر المعلمين ، او كان مبنياً على قواعد منطقية

أفضل من غيره ممن جلسوا على كرسي التعليم .. قد يكون هذا كذلك ، ولكن سر قوة كلامه لم يكن في ذلك. لقد كانت كلماته منسوجة بالمحبة، سداها ولحمتها المحبة

كان غيره من المعلمين يتحدث عن قوة الله وعدل الله وشرائع الله . وكانوا يهتمون كثيراً بتفصيلات الشريعة وفروعها ونتائجها وأقوال الشراح فيها

أما هو فجاء يحدثهم عن الله الذي أحب الناس ، الله الذي وفر لهم أسباب الحياة والراحة فأشرق عليهم بشمسه وأرسل لهم أمطاره واعتنى بغربان الجو وبزنابق الحقل. وزاد فأعلن لهم ان الله أب يهتم بأولاده ويرعى أمورهم وشعور رؤوسهم محصاة

كان كلامه عجيباً

لم يسبق للناس ان سمعوا نظيره

وأعلنت عيناه محبة الله ففاضتا بعطف وحنان ودموع . كان غيره ينظر إلى الجمهور بعدم اكتراث وباحتقار . أما هو فكان يرى الجمهور ويتحنن . وفي شدة تعبه يخدم وكثيراً ما رأوه يبكي

على انه حمل رسالة محبة الله كاملة في ذبيحته . لقد قدم نفسه لله ذبيحة

وذهل الناس

هل وجد في العالم من يموت لأجل الآخرين

ربما لأجل الأحباء وجد البعض

أما هذا فقد مات لأجل أعدائه

ونحن نقف عند الصليب لنرى أروع صورة لمحبة الله ولنستمع لأحلى نشيد عن محبة الله ولنقرأ ابلغ قصيدة في محبة الله

هكذا أحب الله العالم

حتى بذل ابنه الوحيد

* * *

وكان على السيد أن يوصل هذه الرسالة إلى جميع أطراف الأرض ، انه لن يمكث في الأرض حتى يتم الرسالة . ينبغي أن يوجد أناس يحملون رسالته

وقضى السيد ليلة كاملة يفكر في اولئك الذين يستطيع أن يأتمنهم على الرسالة الغالية و يصلي صلاة حارة من أجل ذلك

وفي الصباح اختارهم

وإذ نلقي نظرة على أسمائهم نندهش

فقد اختار بطرس واندراوس و يعقوب و يوحنا وفيلبس ونثنائيل وتوما من جماعة الصيادين ومتى من جماعة العشارين وسمعان الغيور من جماعة الفريسيين ويعقوب بن حلفى ويهوذا أخا يعقوب و يهوذا الأسخريوطي

وإذ نلقي نظرة فاحصة على اولئك التلاميذ نذهل أن السيد يختار مثل هؤلاء ليحملوا رسالته فقد كانوا جماعة مغمورة لا اسم لهم ولا مقام ومركزهم الاجتماعي يجعلهم أبعد الناس عن الاهلية لمواجهة العالم برسالة

وكانوا جماعة جاهلة عاميين وعديمي العلم . لم يدرسوا دراسة فقهية في مجامع اليهود كما أنهم بالطبع لم يدرسوا دراسة جامعية في المدارس اليونانية المشهورة

كيف يتأتى لأولئك الجهلة أن يقارعوا منطق اليهود بالمنطق أو شروحهم من جهة النبوات بشروح فقهية . كيف يتأتى لهم أن يخطبوا أو يكتبوا أمام علماء اليهود أو جهابذة اليونان

كذلك كانت صناعاتهم أبعد الصناعات عن خدمة الكرازة . لو أنهم كانوا من معلمي اليهود او من الكتبة لكانوا أقدر على تفهم الملكوت الجديد والمناداة به ولكنهم لم يكونوا كذلك ، بل كانوا صيادين وعشارين، وماذا يعرف الصيادون عن الانجيل ، وماذا يفهم العشارون الذين يخدمون ملك رومية عن حساب ملكوت المسيح

ثم انهم كانوا جماعة ضعيفة في الذهن وفي الارادة وفي الخلق. ما اكثر ما اتعبوا المعلم حتى قال أحتى الآن لا تفهمون . و بعد ان كان يشرح لهم الحقائق السامية

مرة ومرات ، كانوا يتكلمون و يتصورون كما لو لم يكونوا قد سمعوا شيئاً بالمرة عما حدثهم به .

وأمام أضعف تيار معارض كانوا يضطربون و يعودون إلى الخلف ، ما أكثر ما سلكوا مسلكا مجافيا للولاء وما أكثرما أظهروا عدم الايمان

لكن السيد اختارهم

ودرّبهم كما لم يدرب معلم تلاميذه

علمهم بكلامه .. و بحياته .. و بموته

وخلق من تلك الفئة التي كانت أقل من لا شيء أعمدة المسيحية

بطرس ويوحنا ويعقوب

وباقي التلاميذ المباركين

مجداً للمعلم العظيم !

١٣
الاسخريوطى

يوم اختار السيد تلميذه الثاني عشر سرى بين القوم همس أن السيد احسن الاختيار . كان التلاميذ الآخرون كلهم من الجليل ممن عاشوا بين الطبقة العامة وممن تنطق لغتهم انهم لا يمكن أن يجدوا لهم مكاناً بين جماعة المتمدنين

كان يهوذا من حي اسخريوط المتاخم لمدينة أورشليم . ويبدو أنه جاء من بيت متدين فقد دعاه والداه يوم ولد يهوذا تيمناً باسم أب الاسباط يهوذا ولعله كان من سبط يهوذا الذي جاء منه المسيا

وقد بدأ من بكور حياته يلتصق بالدين فقد درس في المجمع اليهودي أسفار

الـكتاب وتتلمذ للمعمدان عند ظهوره ، وتبع يسوع بعد ذلك . وكان ظاهر الغيرة في حياته الروحية كثير الاهتمام بالفقراء ولذلك سلموه الصندوق بالرغم من وجود متى العشار بين التلاميذ

وكان قوي النفوذ فانه كان بلباقته يجتذب التلاميذ إلى رأيه. وقد رأيناه يقول لمريم عند ما سكبت الطيب على رأس يسوع لماذا هذا الاتلاف لانه كان يمكن أن يباع هذا الطيب باكثر من ثلاث مئة دينار ويعطى للفقراء . وانضم اليه سائر التلاميذ يرددون رأيه بحماس

ولقد كنا ننتظر أن يأخذ يهوذا مكانه، بسبب مؤهلاته هذه، في رأس التلاميذ. ولـكننا نحزن لأننا نراه في مؤخرة التلاميذ وقد التصقت باسمه عبارة مؤلمة هي

« الذي أسلمه »

« يهوذا الاسخر يوطي الذي أسلمه »

ومن الواجب أن ندرس انهياره هذا كما ندرس ما عمل السيد لاقالة عثاره

ولعل من اللازم أن نقول أن الرجل لم يكن في يوم من الأيام مؤمناً بقلبه . قد يكون انه آمن بذهنه أو بمصلحته ولـكنه لم يؤمن بقلبه

تبع يهوذا يسوع كما تبعه كثيرون لانهم ظنوا انه هو الملك الذي سيجلس في أورشليم على عرش داود . وظنوا أن سيكون لهم في ملـكه المجيد مكان الوزراء. على انهم — بعد وقت — خابت آمالهم واكتشفوا أن معلمهم بالرغم من مؤهلاته الـكثيرة ليس هو الملك المنتظر ! !

وكان يمكن أن ينتظر يهوذا فترة أخرى لولا انه فشل أيضاً بالنسبة لمـكانه من التلاميذ . فقد كان أحق التلاميذ — في رأيه - بالزعامة !

أليس هو من مدينة اسخر يوط ؟

واليس هو اكثر التلاميذ مدنية

وثقافة

ومركزاً اجتماعياً

وغيرة دينية ! ! ؟

ولكن المعلم سلك معه مسلكا مفشلا فأعطى الزعامة ـ أو على الاقل سمح بها لبطرس و يوحنا و يعقوب.. واندراوس !

وفي احد الأيام ملأت الغيرة صدره فثار على المعلم وعلى التلاميذ وعلى كل شيء وتوجه إلى الفريسيين واتفق معهم على أن يسلمهم سيده في هدوء فلا يحدث شغب في الشعب !

وفعلاً اتى ذلك الغدر الشنيع في الليلة التي اسلمه فيها

ويسأل الكثيرون

لئن كان يهوذا شريراً

فلماذا اختاره يسوع

ولماذا لم يعمل على اصلاحه؟؟

أما لماذا اختياره فقل علم ذلك عند ربي و يعلم ما لا تعلمون

أما لماذا لم يعمل على اصلاحه فسؤال الجاهلين فقد عمل السيد معه كل ما يمكن ان يعمل ولكن قلب يهوذا تقسى امام النعمة المتفاضلة. ولئن كانت نعمة الله للبعض رائحة حياة لحياة ، فانها للبعض الآخر رائحة موت لموت

ألم يجالس السيد الى تلاميذه و يعلمهم أزيد من ثلاث سنوات ؟ وقد خصهم في تلك السنوات بما لم يخص به أحد آخر من الناس لقد أخذوا العلم الالهي من فم ابن الله نفسه. وهل كان يمكن أن يسمع يهوذا تعليماً اكثر تأثيراً مما سمعه من سيده

بل ألم يصلّ السيد من اجله

ألم يطلب من أجل تلاميذه أن يحفظهم من الشرير . وقد صعدت صلاته الى الله وأرسل الله ملائكته لحماية التلاميذ ولكن يهوذا فك ذلك الحصار ورفض تلك الحماية !

بل ألم يرسل له تحذيراً تلو تحذير

جاء تلاميذ السيد في أحد الأيام يقولون حتى الشياطين يخضعون لنا باسمك .
فاجابهم يسوع رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء لكن لا تفرحوا بهذا أن الشياطين تخضع لكم ـ ثم نظر الى يهوذا على الأغلب وقال ـ افرحوا بالحري أن اسماءكم كتبت في سفر الحياة.وفي جلسة أخرى ذكر عن الذين يقولون له أليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة وأن الملك سيقول لهم لا اعرفكم اذهبوا عني

وسمع يهوذا هذه التحذيرات ولكن قلبه تقسى. فارسل له السيد تحذيراً آخر
كانوا على المائدة وقال السيد
واحد منكم سيسلمني
واضطرب التلاميذ
وسألوا ، من هو يا سيد . ربما ظنوا انه واحد من التلاميذ الآخرين الذين لا يأكلون معه ولكنه اجاب، بل واحد من الآكلين معي الذي اغمس أنا اللقمة وأعطيه . ومن دون ان يلحظ احد غمس اللقمة وأعطاها ليهوذا
وسأل التلاميذ مرة أخرى
هل أنا يا رب
هل أنا يا رب
ولم يتكلم السيد
ولكن عند ما سأله يهوذا هل أنا يارب همس السيد في أذنه بصوت غير مسموع أنت هو

ولم يؤثر هذا في قلبه القاسي فاستمر جالساً مع السيد. ونظر اليه يسوع وقال ما أنت تفعل فافعل بأوفر سرعة. لم يفهم التلاميذ قصد يسوع ولكن يهوذا فهم وكنا ننتظر انه يقوم من مكانه وينطرح عند قدمي يسوع باكياً ويقول ارحمني يا سيد ارحمني

ولـكنه لم يفعل

وخرج من المـكان وتوجه رأساً الى الفريسيين واتفق معهم على مكان وكيفية التسليم

ونحو نصف الليل جاء يهوذا

كان قد اتفق مع الفريسيين ان الذي يقبله هو هو . كان الوقت ليلا ، وكان الفريسيون يريدون أن يقبضوا على يسوع دون أن يثيروا شوشرة

وجاءوا يتقدمهم يهوذا

وتقدم من سيده وقبله

التصق وجهه بوجه سيده

لقد التصقت شفتا نبي في أحد الايام بشفتي طفل مائت فقام الطفل من الموت. بل لمست جثة ميت عظام نبي مات من مدة طويلة فقامت الجثة حية . وها هو يهوذا يلتصق وجهه بوجه يسوع الذي طالما أحيت لمسته موتى وفتحت أعين عميان . بل ان امرأة لمست هدب ثوبه فشفيت من دائها. ولكن يهوذا بعد القبلة ظل كما كان يهوذا الخائن

وقال له السيد عاتباً

يا يهوذا ابقبلة تسلم ابن الانسان

ولم تستطع ولا هذه الـكلمة ان تيقظ ضميره المائت

* * *

على ان ضميره استيقظ اخيراً

استيقظ بعد فوات الاوان

استيقظ لا يقظة الرجاء بل يقظة اليأس

ذهب إلى الفريسيين بعد ان رأى ما أصاب يسوع ورد لهم فضتهم وقال اخطأت اذ سلمت دماً بريئاً

وهم ، لم يهتموا به بل
شيعوه باحتقار وذهب إلى بيته
وربط عنقه في حبل
في شجرة على الاغاب
وسقط بسبب ثقله
ومات مخنقاً
وكذلك انشقت بطنه
وخرجت احشاؤه
وذهب الى حيث أراد
لنفسه
ومن ذلك الوقت صار
يهوذا رمزاً للغدر والخيانة

يسلّم سيده بقبلة

* * *

كان بين يهوذا و بين الخلاص خطوة ولكنه لم يخطها ! !

١٤
الاثنا عشر

« واقام اثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا » مرقس ٣:١٣

كان المعلم يعلم ان مهمته الجسيمة لا يمكن أن تتم في وقت قصير بل كان يعلم انها مهمة متجددة. لذلك فكر في ان يختار لها تلاميذ يدربهم على رسالته و يعدهم لكي يحملوا العَلَم يوم يسلمه اليهم !

وقد اجتمع حوله من أول الأمر عدد عديد ممن رأوا فيه معلماً عظيماً . كما انه هو دعا البعض لكي يتبعوه فقد رأيناه يدعو بطرس واندراوس و يعقوب و يوحنا وفيلبس ونثنائيل . . ومتى العشار . دعا البعض هو بنفسه والبعض الآخر دعاه من دعاهم هو . وكان عدد التلاميذ كبيراً جداً .

على انه فكـر في أن يختار من هؤلاء عدداً محدوداً ليحملوا رسالته وليكونوا رسله . وكانت المهمة جسيمة . نعم ان كل تابع من أتباعه له أهميته الخاصة ولكن هؤلاء الاثنى عشر سيكونون خلفاءه لا في مجده بل في خدمته !

وقد رأى ان يختارهم ليكونوا معه يدربهم طول مدة اقامته معهم . كان هو معلمهم في تلك المدرسة اللاهوتية الممتازة . وكانت غايته من تدريبهم ان يرسلهم ليكرزوا بملكوت السموات !

كما رأى ان يزودهم بسلطان . فوضع فيهم من روحه ولذلك كانوا يتكلمون بسلطان وكانت تجرى على أيديهم آيات وعجائب !!

وفي إحدى الليالي صعد إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله . ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر .

ومن اللائق ان نعرف أسماء هؤلاء الاثنى عشر واذا أمكن نعرف القليل عنهم.

فهذا سمعان بن يونا وقد دعاه السيد ، بطرس أي صخرة وقد صار مقدم الرسل وزعيمهم .

وهذا اندراوس أخوه وكان بعكس بطرس هادىء النفس وديعاً ولكنه كان كثير الخدمة فقط في جو من السكون !!

وهذان يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه وقد دعاهما المعلم، بوانرجس أي ابني الرعد. كانا في أول أمرهما ثائرَين ملتهبين ناريين ولكنهما أصبحا تحت أشعة المحبة نوراً أشد لمعاناً من النار في هدوء وفي سكون !

وهذا فيلبس وقد دعا هو نثنائيل !

وهذا نثنائيل الذي نعرفه باسم برثولماوس !

وهذا متى العشار وقد كتب البشارة الاولى بين البشائر !

وهذا توما وقد عرفته الاجيال بقوله لا اؤمن إن لم أضع يدي في أثر المسامير.

وهؤلاء هم يعقوب بن حلفى وقد قيل انه أخو متى الذي هو لاوي بن حلفى .

وتداوس أو لباوس وقيل انه يهوذا أخو يعقوب !
وسمعان القانوي أو الغيور وكان من جماعة الفريسيين الثائرين ضد رومة .
ويهوذا الاسخريوطي الذي صار مسلّماً له .

* * *

هؤلاء هم الاثنا عشر .

يوم اختارهم كانوا عدداً من النكرات لا يذكرهم حتى أهلوهم . لم يكن يخطر لأحد ولا في الحلم أن سيكون لهم شأن يوماً ما !

ودار التاريخ دورته فاذا هؤلاء الاثنا عشر أنوار التاريخ كله واذا أسماؤهم اكثر لمعاناً من أعظم أبطال التاريخ . ولم يكن ذلك إلا لأن شخصاً يدعى يسوع دخل يوماً في حياة كل منهم !

١٥

١ – الصيّاد الكبير

هو رجل اسمه سمعان
واسم أبيه يونا
وهو متزوج ويقيم مع حماته في مدينة كفر ناحوم
ولا نعرف من كل أسرته إلا هو وأخوه اندراوس
كان على الأغلب تلميذاً للمعمدان
وقد دلّ هذا على انه ليس مجرد شخص من العامة
فلقد انضم الى حلقة المنتظرين وهم جماعة من اليهود قرأوا النبوات ورأوا فيها رجاء أمتهم في مخلص يأتي هو المسيا أو المسيح

واجتمعت هذه الفئة يربط بينها رباط من غيرة روحية ووطنية وكانت تتطلع الى الامام مترقبة بزوغ نور ذلك المخلص المرتقب!

ولقد أحست تلك الجماعة لهذا السبب أو لذاك ان مجيء الملك قد آن أوانه، وترامت اليهم اخبار عن وليد ذهب الى الهيكل يوماً يحمله والدان فقيران وان نوراً سماوياً كان يشرق من وجهه ومن نظرات عينيه وبسمات فمه!!

وأن سمعان الشيخ الذي امتد به الزمن وهو يترقب!

وحنة النبية التي ظلت في الهيكل قرابة قرن من الزمان تنتظر!

وان عدداً يذكر من المنتظرين أبصروا ذلك النور وتكاموا بالالهام ان ذلك الوليد هو مسيا المنتظر!

وعندما نادى المعمدان نداءه المعروف

توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات

هرعوا اليه وجلسوا عند قدميه

وظنوا أنه المسيا

ولكنه أعلن بغير ما مواربة وبكل جلاء انه ليس مسيا

وانه لا يمكن أن يكونه

ان مسيا سيأتي قريباً

وانه هو لا يستحق ان ينحني ويحل سيور حذائه

وانه هو لا يزيد عن صوت صارخ في البرية ليعد طريق الرب

وتزعزع يقين الكثيرين في يوحنا

غير أن سمعان ظل مع المعمدان وانتظر!!

وحدث ان أخاه اندراوس جاءه في أحد الاصباح

جاء وقد فرّ لونه

وبدت في عينيه علائم اضطراب

وكانت شفتاه تتحركان بعنف حركات متتالية دون ما صوت
وقال بصوت تجلت فيـه محاولة عنيفة ان يكون هادئاً . . ولكنه خرج
يدوي كالرعد :
يا أخي يا سمعان
قد وجدنا مسيا !!
قالها قولة جازمة
قوية
يقينية
ولم ينتظر حتى يسأله سمعان عن ذلك المسيا أين وجده وكيف عرفه
بل جذبه من يده
وركض به حتى وصل الى يسوع
وأبصر سمعان يسوع
وعرف في الحال انه هو هو
فجثا على ركبتيه
وعفر وجهه في التراب
وهو يقول يا مسيا المنتظر ! !
وأقامه يسوع
ونظر بعينيه العميقتين اليه
نظر اليه وعرف ان له من اسمه نصيباً كبيراً
هو سمعان!
هو حفنة رمل لا يمكن أن يقام عليها بناء ! ! !
ولـكنه لن يظل رملاً !
فسيكون صخرة ! !

وسيكون أساساً لبناء كنيسة المسيح

وقال يسوع

أنت سمعان بن يونا

أنت تدعى صفا !

نعم أنت تدعى بطرس أي صخرة ! !

لم يتحول سمعان الى صخرة في لحظة

ولكنه بدأ يتحول

ولقد ظل سنين طويلة في عملية التغيير هذه

الى ان صار بطرس حقاً وصدقاً !!

١٦

٢- الصياد الكبير

« فقال لهما يسوع هلم ورائي فأجعلكما تصيران صيادي الناس . فللوقت تركا شباكهما وتبعاه» مرقس ١ : ١٧و١٨

أحب سمعان معلمه الجديد

وكان حالما ينتهي من عمله في صيد السمك يسرع بالذهاب اليه لينضم الى حلقة التلاميذ الكثيرين الذين اعجبوا بالمعلم . وكان المعلم يلقي لهم تعاليم غريبة لم يسبق أن سمعها ، تعاليم تمس صميم الحيـاة بل تخترق النفس فتهز المشاعر بل تهز نفس الروح !!

لقد سبق له أن سمع تعاليم رجال الدين ، ولكن تعاليمهم كانت لا تزيد عن كلمات جامدة لا حياة فيها . لقد مكث أحد هؤلاء الائمة ثلاث ساعات مرة ، وهو يشرح لهم ما يحل فعله في السبت وما لا يحل . وما أعجب ما سمع من فتاو ومن

حيل للتخلص من مطاليب الشريعة . أما المعلم الجديد فقد خاطبهم عن الله المحب الصالح وعلمهم أن مطاليبه ليست إلا بركات لهم !!

كان أئمة الدين ينظرون الى الجمهور كمجموعة من السائمة الجاهلة ويحدثونه وفي حديثهم نغمة الترفع . أما المعلم الجديد فحدثهم ككائنات حية عاقلة بل كاخوة فجلس معهم على الارض ولمس أجسامهم المكدودة ورؤوسهم المضطربة وقلوبهم الجريحة . . . ورفع عيونهم نحو الله أبيهم !

يا له من معلم !

كان سمعان يقسم وقته بالتساوي بين عمله اليومي و بين جلوسه عند قدمي معلمه . وقد ظل على ذلك سنة كاملة !

كان سمعان رجل كفاح وكان يحب عمله كثيراً ولكن محبته للمعلم كانت تتزايد يوماً بعد يوم بحيث امتلأ صدره بأمنية كان يظن أنها بعيدة المنال . ألا يمكن أن يقضي العمر كله مع المعلم ؟

وفي أحد الأيام كان سمعان وأخوه اندراوس يلقيان شبكة في الماء في بحر الجليل فانهما كانا صيادين. ومرّ معلمه المحبوب بالمكان والتفت الى سمعان والى أخيه ونظر اليهما إحدى تلكم النظرات النافذة فاخترقت تلك النظرة قلب سمعان ونفسه واذا به يحسّ أنه لم يعد سمعان القديم وأن في داخله شخصاً آخر لم يعرفه سمعان من قبل. وفيما هو في عمق تأملاته دوى في اذنيه صوت خيل له أنه يأتي من الاعماق يا سمعان يا اندراوس هلم ورائي فاجعلكما تصيران صيادي الناس . فللوقت تركا السفينة وتبعاه ! !

ومن تلك الساعة خصص سمعان نفسه ووقته لسيده !

ومن تلك الساعة أخذ صياد السمك يتدرب ليكون صياداً للناس !

ونحن لذلك ندعوه الصياد الكبير !!

١٧

٣ - الصياد الكبير

« فأجاب سمعان بطرس وقال انت هو المسيح
ابن الله الحي »   متى ١٦:١٦

كان سمعان يراقب سيده وهو يتمم رسالته

وكان يعجب كيف لا يبادر فيعلن للعالم أنه مسيا المرتقب . وقد تم كل علامات المسيا

لقد رآه يضع يده على عيون العميان فيبصرون

ويلمس آذان الصم فيسمعون

ورأى يده الطاهرة تمتد الى أجسام البرص فيطهرون

بل رآه يقف أمام الموت وينتهره فاذا الموتى يقومون

وما اكثر ما تجمع المساكين حوله وقد رسمت الذلة سطوراً عميقة على وجوههم من حزن وألم واكتئاب ويأس وخوف فعطف عليهم وأفاض من قلبه حناناً أحال حياتهم الى ابتهاج ويقين وأعلن بصريح اللفظ أن المساكين يبشرون !

نعم قد تمم السيد كل مطاليب مسيا

لقد رأى سمعان ذلك ولو أن الناس لم ينظروه

ومع ذلك فقد ظل السيد ساكناً يعمل في هدوء ! ! !

كان صدر سمعان يغلي

كم حاول أن يقول لسيده ، أعلن نفسك يا سيد ملكا بل الملك المنتظر .

ولكن وجه السيد المملوء بالوقار كان يصده

فسكت على مضض

ومضت على ذلك شهور بلغت الى حد السنين

* * *

وفي أحد الأيام وكان السيد يسير مع تلاميذه في نواحي قرى قيصرية . ولم يكن معهم أحد من الجاهير

وانتهز السيد فرصة خلوته بتلاميذه فسألهم من يقول الناس اني أنا ؟

فأجابوا على لسان أحدهم أو بعضهم

أن البعض يقولون أنك ايليا

وآخرون يقولون أنك يوحنا وقد قمت من الأموات . ومن هذا البعض هيرودس الذي قتل يوحنا . ثار ضميره فرأى في يسوع يوحنا

وغيرهم يقول أنك نبيّ من الأنبياء الأقدمين قام من الأموات

لم يقل التلاميذ أن البعض قالوا أنه مختل العقل والبعض الآخر قالوا أنه سامري وغيرهم قال أنه حليف بعلزبول . لم يقولوا له ذلك لأنهم احتقروا شأن أولئك القائلين ولأنهم كانوا يعلمون أن معلمهم أسمى من أن تؤثر في شخصيته ترهات القوم، وفوق الكل لأنهم أحبوه !

سمع المعلم من تلاميذه ما قالوه و بعد أن صمت قليلا سألهم ، وأنتم ؟ وأنتم من تقولون اني أنا ابن الانسان ؟

وهنا انفلت سمعان يقول أنت المسيح ابن الله الحي !

يا له من اعتراف !

المسيح ! !

ابن الله الحي ! !

ترى هل كان بطرس يدرك معنى كلماته ؟

هل كان يعرف ماتحويه كلمة «المسيح» من معان؟

«وابن الله الحي» هل كان يفهم معناها ؟

نعتقد أنه كان يعرف معنى كلماته الى حدّ . كان يعلم أن يسوع هو مسيا المنتظر . كان يعلم أنه ملك اليهود المرتقب !

وكان يعلم انه انسان سما عن بقية الناس فهو عظيم وجليل ومجيد ، هو ابن الله الحي !

كان سمعان إذن يدرك شيئاً من معاني اعترافه العظيم . وهو لم يدرك ذلك من تلقاء نفسه. إن الله هو الذي أعلن له !

وقال يسوع له طوبى لك يا سمعان بن يونا
ان لحماً ودماً لم يعلن لك
لكن أبي الذي في السموات
وأنا أقول لك
أنت بطرس
وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي
وأبواب الجحيم لن تقوى عليها

* * *

وهكذا تحول الصياد
من سمعان الى بطرس ! !

١٨

يسوع في عرس

« هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده فآمن به تلاميذه » يوحنا ٢ : ١١

كان عرس في قانا الجليل !
وكان يسوع في العرس !
ان رجل الأحزان كان أيضاً رجل الفرح . ومن المبهج أن نرى أولى

معجزاته في عرس . ان صورة الحياة المسيحية عند البعض ليست صحيحة . هم يتخيلونها حزينة عابسة منقبضة باكية . نعم إن فيها شيئاً من الدموع ، ولكنها دموع تغسل فتعطى للابتسام مكانه . طوباكم أيهـا الباكون الآن لأنكم ستضحكون . بل أن الفرح في الحياة المسيحية اكثر من بركة مستقبلة . أنه بركة حاضرة . هوذا المسيح وتلاميذه ومريم العذراء في العرس !

وكانت التقاليد تقضي أن يوزع الخمر سبعة أيام . وكانت الخمر عند البعض عصيراً للعنب قبل اختماره . وعند البعض الآخر عصيراً مختمراً . كان الفرح عند البعض يظل فرحاً لان خمرهم لا تسكر . وكان الفرح عند غيرهم ينقلب غماً لأنهم كانوا يسكرون . ونحن نميل إلى أن خمر قانا الجليل كانت لا تزيد عن « شربات » ! !

* * *



المعجزة الاولى

ويظهر أن عدد الذين حضروا العرس كان اكثر مما قدّر أصحاب العرس، ولذلك فرغت الخمر . وكان فراغها « فضيحة » لبيت العرس . ولا بد أن همساً دار بين أفراد العـائلة ، وعلمت أم يسوع بالأمر فقد كانت على الأغلب ذات قرابة للأسرة . وقالت أم يسوع له، ليس لهم خمر . هل قالت ذلك على سبيل الخبر المجرد ، أم قالته طالبة

مشورة ، أم قالته حاثة إياه ومن معه على الانسحاب من البيت . أم ـ وهو الأصح ـ قالته تطلب منه آية ، وقد حملت به بآية ، وولدته بآيات ، وأحاطت الآيات بطفولته وصبوته ، . . . وكانت تحفظ جميع ذلك في قلبها ؟ ؟ ! !

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل المعجزة . فان مخلصنا أمر الخدام أن يملأوا أجران ماء التطهير ماء فملأوها . ثم طلب منهم أن يقدموا منها بدل الخمر ، واذا هي خمر من أطيب الخمر ، حتى دعى رئيس المتكأ العريس وقال له تلك الكلمات التي حوت من المعاني اكثر مما قصد . قال : « كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون . أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن » ـ وهو قول يصدق على كل ما يعطيه العالم . الجيد أولا ثم الدون . أما يسوع فقد لا يبدو الجيد عنده أولا ولكنه يبقي الجيد إلى الآخر . يعطي أولاده دموعاً في أول الامر ولكنه يحول تلك الدموع جواهر غالية أخيراً ! !

* * *

ونحس أثر اعتراضين لهذه القصة نحب أن نواجههما بكل شجاعة . الاعتراض الأول أن المسيح بحضوره في العرس حيث الخمر و بتحويله الماء خمراً ، يبيح شرب الخمر . وثانيهما أن تحويل الماء خمراً شيء لا يتفق مع العلم ولا مع طبيعة الأشياء . إذن الاعتراضان قائمان في موضوع الخمر وموضوع المعجزات !

أما عن موضوع اباحة الخمر فاننا نتساءل أولا باندهاش عن سر تمسك أنصار الخمر باستنتاجاتهم في هذه المعجزة . ونحن نفترض جدلا أن الخمر التي كانت في العرس خمر مسكرة . بل نزيد في الافتراض ، فنفترض أن يسوع صنع خمراً مسكرة . لنفرض ذلك . وأنا أقف بكل خشوع أمام سيدي وأقول حاشاه أن يأتي مثل هذا الامر . و إنما أفترضه على سبيل المناقشة . هل في الخمر خير ؟ كل ما فيها شر . كلها أذى . هي لعنة ووبال . فاذا قيل أن يسوع صنع هذه الخمر المسكرة ـ وحاشاه أن يصنعها ـ فان هذا لا يؤثر في قضية الخمر . ان الذي يصنع الخمر

المسكرة لا يمكن أن يكون هو يسوعنا . أن الخمر لعنة وشر . ولا يمكن أن يصنع رب الخير لعنة وشراً . إن السكيرين ، إذ أعجزتهم الحيل ، حاولوا أن يتمسكوا بأي شيء ينيلهم غرضهم ، وهم إنما يظلمون أنفسهم . ان يسوع الذي جال يصنع خيراً لا يمكن أن يصنع خمراً مؤذية . إن الذي طرد الأعداء الروحية الشريرة لا يمكن أن يأتي بمشروبات روحية ! ! !

وأما عن المعجزة فاننا أيضاً نندهش من المعترضين عليها . يقولون أن للطبيعة نظاماً تسير بمقتضاه وأن لها نواميس لا تتعداها ، بحيث أن الله نفسه لا يمكن أن يغيرها . ونحن نلمح في اعتراضهم هـذا شبح الالحـاد ، لأنهم يؤلهون الطبيعة ويؤلهون نواميسها ، وبالتالي ينكرون وجود إله للطبيعة . هم لا يقولون بأن الله غير موجود ، ولـكنهم يضعون الله تحت نظام الطبيعة وتحت نواميسها . ولسنا ندري كيف يكون هو « الله » وفوقه آلهة أخرى هي نواميس الطبيعة . ليكشف المعترضون عن حقيقة أنفسهم إذن وليقولوا إنا ملحدون . اما أنهم يؤمنون بوجود الله فمعناه أنه سيد كل الأشياء وهو الذي رسم للطبيعة نواميسها وهو الذي يستطيع أن يغير فيها و يبدل. وليست المعجزة شيئاً معجزياً عنده، وإنما هي كذلك عندنا نحن، لأنه هو الله وكل شيء مستطاع لديه ! !

والذي يتأمل إلى كل معجزة يرى أنها لا تختلف عن معجزات أخرى لا نراها نحن معجزات . لنتحدث مثلا عن ولادة الخمر الولادة الطبيعية . دفنت بذرة الكرم في الأرض فماتت . ومن ثم ارسلت السماء اليها مطراً امتزج بقبرها فقامت طفلة صغيرة ظلت تنمو من نبتة صغيرة إلى نبتة اكبر حتى صارت كرمة خرج ثمرها الشهي . أليس كل دور من هذه الأدوار معجزة ؟ وإنما نحن لا نرى في ذلك شيئاً معجزياً لـكثرة ما رأينا ونرى من مثل هذه التطورات . ولو أننا لم نرَ شيئاً من مثل ذلك لـكذّبنا واقمنا الاعتراضات!!

ان الذي يستطيع أن يخرج من البذرة المائتة كرمة ، والذي يخرج من بذرة

الأرز ملكة الأشجار والذي ينزل الأمطار ويهز الجبال يستطيع ان يصنع من الماء خمراً . قال بعضهم ان تحويل الماء خمراً واطعام الخمسة آلاف وغير ذلك من المعجزات المماثلة هي المعجزات الأصغر . انظروا الى الطبيعة وتأملوا المعجزات الأكبر ! !

١٩

البيت الذي صار مغارة لصوص

« بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص »
مت ٢١ : ١٣

ذهب السيد إلى الهيكل لأول مرة مذ بدأ خدمته الجهارية . ولنا أن نتصور مقدار ابتهاجه بالذهاب إلى بيت أبيه . ولكن هل وجد أشواق قلبه في أورشليم ؟ بل وجد أموراً أخرى آلمته وجرحت قلبه . ذلك الهيكل الذي كان الله ببهائه يحل فيه أصبح سوقاً للتجارة . وعيد الفصح أصبح موسماً من مواسم البيع . وبدلاً من سماع أصوات الترتيل والصلوات ارتفعت أصوات المساومة والحلف واللعن . وبدلاً من خلوص النيّة للعبادة امتلأ المكان بالخديعة والمكر ! كان رئيس الكهنة شريكاً للتجار وكان يربح من وراء تلك الشركة الشيء الكثير . وانقلب أمر الصلاة والدعاء إلى أمور بيع وشراء ! !

تألمت نفس السيد مما رأى

وغار غيرة للرب

وصنع سوطاً من حبال . وطرد الجميع من الهيكل

هذه معجزة ثانية

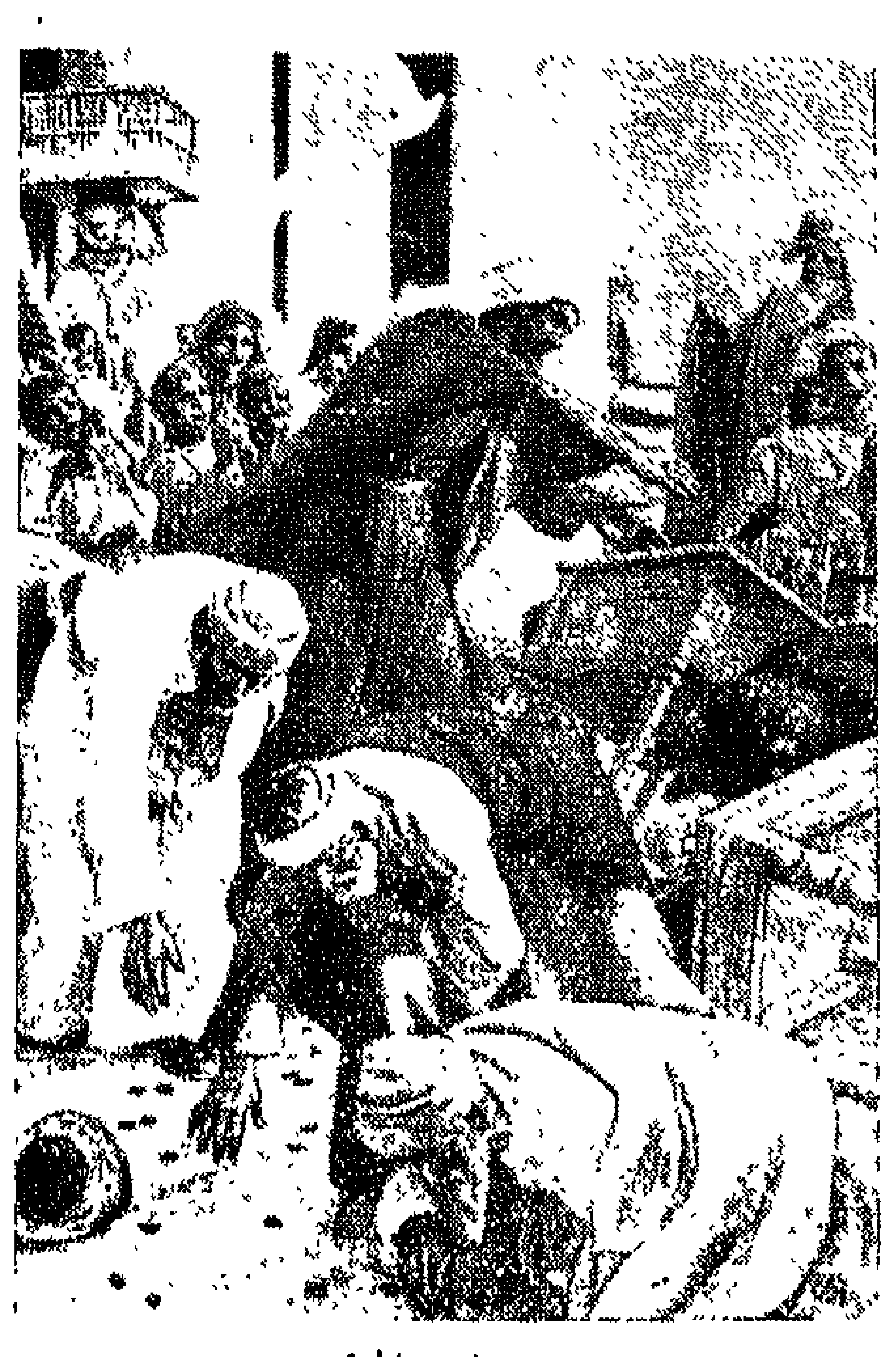
إن نفس رئيس الكهنة لم يكن يستطيع أن يعمل ما عمله يسوع . وكلنا يعلم أن الجمهور المنصب في عمله لا يسهل خلعه من ذلك العمل

أما يسوع فاستطاع ! !

لقد كانت له شخصية قوية استطاعت أن تسود !

فماذا كان سرّ قوة تلك الشخصية يا ترى ؟

قد يقول البعض أنه لاهوته . ولكننا نميل إلى رأي القائلين إن يسوع الانسان هو الذي طرد الجمهور. إن شخصيته كانت شخصية مخلصة نقية طاهرة بعيدة عن الذاتية. لماذا عجزت شخصيات الكهنة عما استطاعه يسوع ؟ السبب في الكهنة أنفسهم .



يسوع يطهر الهيكل

إنهم كانوا ملوثين في داخلهم ، وكانوا محبين المال ، ولذلك كانوا ضعفاء. إن انسانهم الباطن كان ضعيفاً بدرجة أن انسانهم الخارجي لم يستطع أن ينتصب ! !

* * *

واندهش اليهود مما أتاه يسوع فجعلوا يسألونه عن سلطانه وعن الآيات التي تؤيد هذا السلطان . وقد أجابهم قائلا : انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه !! واستاء اليهود لأن الهيكل كان عزيزاً عليهم ، ولم يصدقوا أنه يستطيع أن يقيم الهيكل الذي بنوه في ست وأربعين سنة ، في ثلاثة أيام !!!

مساكين ! لم تكن لهم العين الباصرة . كانوا يعيشون في جو الحس . لقد ظنوا أنه يقصد الهيكل المبني بالحجارة وهو كان يتحدث عن هيكل جسده . وقد تم الكلام حرفياً بعد ثلاث سنين ونصف !

على أننا نستطيع أن نفهم المعنى من ناحية أخرى . كان الهيكل يمثل النظام القديم ، وإذ هدم قام بدله هيكل النظام الجديد في ثلاثة أيام !!

٢٠

الرئيس الذي جاء ليلا

«كان انسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود ، هذا جاء الى يسوع ليلا » يوحنا ٣: ١و٢

كان يسوع في البيت . لا نعلم بيت مَن مِن الأصدقاء في أورشليم . ربما كان بيت مريم أمّ يوحنا مرقس

كان السيد في البيت مساء بعد يوم حافل بالخدمة . فقد كان يعلّم ويعمل آيات . وكلاهما كان يستنفد منه قوة ، فكان حقاً في أشدّ حاجة الى الراحة . ولكن هل يستطيع ان يستريح . بل هل كان يرضى ان يستريح أمام ميادين الحاجة الصارخة إلى المعونة ؟

ولقد حمل الليل كعادته أصوات أنين وتنهد البشر ، كما حمل أصوات خطوات الشر ومؤامرات الاشرار ، لذلك كان لا بد ان يحمل صوتاً آخر يعالج حزن الحزانى و يبريء شر الاشرار !

هذا صوت يسوع !

وفي احدى تلك الليالي التي حفلت بصوت يسوع اقبل على الباب ضيف غير معتاد . انسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس . شكراً لله . لقد ابتدأ ذلك الباب

المغلق ان ينفتح ، باب التعصب والكبرياء الفريسية . وهو ذا الفريسي البار . بل هوذا عضو السنهدريم الرئيس بين اليهود يأتي الى رجل الناصرة ، المعلم الجليلي الشاب ! ! !


يسوع ونيقوديموس

إن يسوع حياة جاذبة لكل طبقات الناس !

هو يستطيع ان يجتذب إلى شخصه ـ الذي هو الطريق والحق والحياة ـ يستطيع ان يجتذب الصياد والعشار واللاوي و.. الفريسي

أليس المسيح رجل الانسانية كلها ؟

وهل يمكن ان يكون رجل الانسانية إذا لم يكن ابن الله ؟؟

* * *

جاء نيقوديموس ليلا . وقد قيل في صدد ذلك انه كان جباناً خوافاً . وقد وجد الكتّاب والشراح في الزيارة الليلية ميداناً وسع خصيب خيالهم . على اننا لا يجوز لنا ان نجزم ان الرجل كان جباناً . إن مجيئه إلى السيد بطولة . فقد انتصر على الكبرياء والتعصب . نعتقد أن الرجل كان يبغي فرصة ملائمة وهل كان يمكن أن يجد مع السيد متسعاً من الوقت في غير المساء ؟ وهل كان يمكن الحديث من دون خوف مقاطعة في وقت آخر . بل انه كان يستطيع أن يأتي في النهار من دون خوف انتقاد . ألم يكن فريسيون يوماً وكتبة مع المسيح في بيت وكان يعلم ولكن

أربعة جاءوا حاملين مفلوجاً ونقبوا السقف وعطلوا الحديث . إذا لماذا لا يكون نيقوديموس قد تخيَّر وقت الليل للياقته أكثر من أي وقت آخر

ثم أن نيقوديموس لم يكن في الحقيقة قد انتهى إلى تسليم نفسه للمسيح . إنه كان يقصد بحث الموضوع . ألم يكن من الحكمة إذن أن يتحفظ . ونحن نعتقد أن نفس الوعاظ الذي يميلون على نيقوديموس باللوم . لا يقصدونه هو بالذات . وإنما هم يلومون الجبناء الخوافين . فلما لا يجدون في الكتاب مثلا لذلك يميلون على نيقوديموس المسكين ! !

كلا . لم يكن نيقوديموس جباناً

حاشا أن يكون الذي جابه الفريسيين بالدفاع عن يسوع جباناً

* * *

قال نيقوديموس ليسوع

يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لان ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه

فماذا كان جواب يسوع على هذه التحية ؟

هل شكر الفريسي لاجل رقة عواطفه ؟

أم شكر الله لأنه وجد بين الفريسيين من يشهد للمعلم الناصري ؟

كلا . إن السيد ما كان يهتم بالتحيات العاطلة وقد وبَّخ الفريسيين من أجل اهتمامهم بها . لقد جاء لموضوع هام هو ملكوت السموات . وهو من أجل هذا الملكوت يضحي براحته الليلية ، لا من أجل قبوله تحيات مملقة ، كاذبة كانت أم صادقة !!

على أن نيقوديموس كان يخفي وراء تحياته رغبة ملحة لفهم ذلك الملكوت وميلاً للانضمام اليه . لقد رأى آيات كثيرة مدهشة ، فتساءل هل يمكن أن يكون الناصري الذي لم يتخرج من مدرسة الكتبة ، هل يمكن أن يكون معلماً . ثم

قويت الدهشة فيه فآمن انه جاء معلماً من الله . والآن يمكنه أن يفهم منه عن «الملكوت» . و «الملكوت» هو حلم الاسرائيلي !

أليس «الملكوت» هو خلاصة نبوات الانبياء ؟

سيملك مسيا وسيعود إلى اسرائيل مجده فيسحق جميع الأمم بقدميه . وستعود خيمة داود الساقطة !

يا للبهجـــــة !

ومن يستطيع أن يفهم الملكوت تماماً أكثر من المعلم الجديد ؟؟

وهكذا جاء نيقوديموس إلى السيد !

أما السيد فقد برهن على انه القائد السماوي . لو ان قائداً ارضـياً رأى نيقوديموس لقابل تحيته بتحيات وحاول أن يضمه إلى عصبته ، ويرفع بالفريسي مقام تابعيه . السنا نرى زعماء العالم يحاولون ان يتصيدوا اتباعهم ممن سما قدرهم العالمي ، سواء كانوا متفقين معهم في المبـادىء أم لم يكونوا . بل في كنائسنا ـ ويا للأسف ـ السنا نضم من الاغنياء والكبراء من نعرف ان لا مسيحية فيهم بالمرة ونتسامح معهم إذ يهملون كل الفرائض الدينية وإذ يرتكبون شروراً وفضائح ونكتفي منهم بعطاياهم . وحتى هذه إذ يقطعونها نكتفي بان تكون اسماؤهم في سجلاتنا كي نستطيع ان نفخر انهم من اعضاء كنيستنا !!!

كلا . إن يسوع لم يكن كذلك ولا يمكن أن يكون !

إنه قائد عظيم !

إنه يعمل أحياناً سوطاً من حبال و يطرد !

إنه يطرد من الكنيسة التجار واللصوص !

* * *

ومع نيقوديموس ، هل اسرع بفتح باب الملكوت ليدخل الضيف الموقر ؟ بل

بالعكس ظهر كأنه يصعّب الأمر . قال ، الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت الله

يا لها من كلمات غريبة !

كلمات يجوز ان تقال للعشارين والخطاة

ولـكن ؟؟

هل يصح ان تقال للفريسي الرئيس ؟

اليس نيقوديموس باراً وطاهراً وحافظاً للناموس !؟

كل الشرائع حفظها منذ حداثته !

هو ابن للملكوت من يوم ان وُلد !

لكن . ها هو المعلم الجديد يقول إن نيقوديموس ينبغي ان يولد من فوق . نعم فان المسيح لم يأت ليضع على البشرية طلاء من جمال خارجي خلاب . وإنما جاء لكي يطهر الحياة البشرية ويملأها بروحه . لذلك يطلب ان يتجدد القلب . القلب الذي هو بالطبيعة فاسد يظل فاسداً ولو صار صاحبه فريسياً رئيساً ، ولو حاول ان يكون باراً ! !

ليس الداء في الخارج لكنه في الداخل !!

وحاول نيقوديموس ان « يجادل ». نقول «يجادل» لأننا نعتقد ان امر الولادة الثانية لم يكن غريباً على اذنيه . كان الاممي ـ إذا ما أراد ان يتهود ـ يدخل في رسوم دينية وغسلات ، يخرج بعدها يهودياً . وكانوا يدعون تلك الرسوم والغسلات « الميـلاد الثاني » . نعم كان الذين يولدون ولادة ثانية هم الأمم الذين يرغبون أن يتهودوا . أما يسوع فيقول انه لا يستطيع أحد ، ولا الفريسي ، ان يرى ملكوت الله إن لم يولد من فوق ! !

على اننا نشكر الله لأن معلمنا اجاب عن اسئلة نيقوديموس السخيفة بحقـائق سامية . فأعلن ان الولادة الثانية ليست رجوعاً إلى بطن الأم كما سأل الفريسي

مندهشاً ، و إنما هي ولادة روحية . قال ، « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح »
وقال أغلب الشراح إن الماء يشير إلى كلمة الله ، والروح ، وهي في الاصل الريح ،
تشير إلى الروح القدس . اي ان عملية الولادة الثانية تتم بالكلمة والروح القدس .
وقال البعض ان للولادة الثانيـــة عنصرين ، العنصر الاول خارجي رمزي هو
المعمودية . والعنصر الثاني داخلي حقيقي هو الروح القدس . وقالوا ، نعم إن
المعمودية ليست هي الولادة الثانية ، ولكنها مظهرها ورمزها !

ونستطيع أن نرى من حديث السيد ان الملكوت الذي جاء يكرز به هو
ملكوت روحي . اذن يجب ان يكون جنوده مولودين من الروح . وقد كان هذا
التعليم قالباً لكل انتظار اليهـود في ذلك الوقت . ولذلك ارتبك ذهن نيقوديموس
وجعل يتخبط في أسئلة من عينة واحدة : « كيف يمكن الانسان أن يولد وهو
شيخ» «ألعله يقدر ان يدخل بطن امه ثانية ويولد» «كيف يمكن ان يكون هذا»
واعلن السيد ان الولادة الجديدة سرّ ، ولكننا نحسّه فنحن نؤمن به، كالريح
لا نراها ولا نعلم اين تسير ولكننا نؤمن بوجودها !

ولما استمر نيقوديموس يظهر علامات تعجبه وقد ملأ الشك قلبه ، وبخ السيد
عدم ايمانه فقال ، « انت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا . الحق الحق اقول لك
اننا انما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا . إن كنت قلت لكم
الارضيات ـ اي الحقائق التي تتم في الارض ـ ولستم تؤمنون ، فكيف تؤمنون ان
قلت لكم السماويات ؟ ؟

* * *

وانتقل السيد مع نيقوديموس في حديث اعجب جداً من الحديث السابق وان
كانت وجهـة العجب تختلف . تعجب نيقوديموس في اول الامر من لغز الولادة
الثانية . ولا شك انه انذهل وهو يسمع عن اعلانات محبة الله للبشر !

وهل يمكن ان نجرؤ على شرح هذه الاعلانات السامية !

« وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية »

« لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية »

« لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم »

« الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد »

إن هذه الاعلانات هي انجيل سام للبشرية المحتاجة إلى النور ! !

* * *

لا نعلم كيف ترك نيقوديموس المعلم الجديد . ولكننا نرجح أن بذرة الايمان وجدت لها مكاناً في قلب الفريسي وظلت تشق طريقها حتى أصبحت شجرة ذات ثمر بعد ثلاث سنوات !

نعم فاننا إذ نرى الرؤساء يرسلون خداماً لكي يقبضوا على يسوع ويعود الخدام قائلين ، لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان . فيثور الفريسيون قائلين ، « ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم . ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به . ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون »

في ذلك الوقت نرى نيقوديموس ونسمعه يتكلم :

«ألعل ناموسنا يدين انسانا لم يسمع منه أولا ويعرف ماذا فعل»

بل عندما كان يوسف الرامي يدفن جسد يسوع « جاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى أولاً الى يسوع ليلا وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منا فاخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الاطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا »

لقد صار نيقوديموس مسيحياً !!

٢١

حاملة الجرّة

« فتركت المرأة جرتها ومضت الى المدينة وقالت للناس .
هلموا انظروا انسانا قال لي كل ما فعلت ، ألعل هذا هو
المسيح » يوحنا ٤ : ٣٨و٣٩

كان اليوم صاحياً، وكانت الشمس ترسل على رمال اليهودية شواظاً من نيران وقد خلت الطرقات من السابلة وآوى كل عامل الى وارف من ظل !

في ذلك اليوم وقرب منتصف النهار كان يسير في الطريق الصاعد الى مدينة سوخار جماعة من عامة اليهود يسير في وسطهم زعيمهم وقائدهم . كانوا يسيرون صامتين . وكان قائدهم يسير مطرقاً برأسه وقد ظهرت عليه كل علامات التعب والارهاق. ووصل الركب، ان صح ان ندعو جماعة من المشاة ركباً، الى بئر يعقوب القائمة على مسافة أقل من ميل من المدينة !

والتفت القائد الى رفقائه وقال : اذهبوا الى المدينة وابتاعوا لنا طعاماً . أما أنا فسأجلس على البئر لأستريح قليلاً . واجابه أحد أتباعه نعم يا معلم. وانطلق الاثناعشر وجلس يسوع على البئر إذ كان هو قائد الجماعة . وكان رفقاؤه هم التلاميذ !

جلس يسوع على البئر واتكأ بمرفقه على الحافة المرتفعة واستغرق في تأمل عميق. لقد زاره بالأمس القريب نيقوديموس وسأله عن طريق الحياة. وتأسف يسوع ان « معلم اليهود » كان لا يفهم أبسط الحقائق . ورجا أن تكون رسالة محبة الله قد لمست قلبه وأيقظت ضميره !

وذكر بعد ذلك جماعة الفريسيين الذين حاولوا أن يوقعوا الفرقة بينه و بين المعمدان إذ سمعوا أن يسوع يعمّد و يصيّر تلاميذ اكثر من يوحنا وكانوا في ذلك مفترين إذ أن يسوع نفسه لم يكن يعمّد بل تلاميذه

ولا بد أنه ذكر «التربة» القاسية التي يعمل فيها والمشقة التي يقابلها في عمله..

كم تأسف ان الخطية حجّرت القلوب وغلّظت الرقاب !

وكم تأسى وهو يبصر البشر ينحدرون الى أدنى دركات الهوان

وفيما هو مستغرق في تأملاته لمح طيفاً يقترب من المكان وعجب في نفسه ان كائناً حياً يخرج من مكانه في ذلك الوقت . وزاد اندهاشه ان القادم كان امرأة تحمل جرّتها على رأسها تبغي ان تستقي ماء !

لم يسبق ان رأى امرأة تستقي في الظهيرة. ان النساء يقبلن الى البئر في العادة في الصباح الباكر وفي العصاري . وهن يأتين جماعات جماعات . أما هذه فانها تأتي وحدها وتأتي في الظهيرة . وألقى السيد نظرة على المرأة ألمّ فيها بكل ما يلزم ان يعرفه عنها . يغلب انه لاحظ في ثيابها وفي حركاتها ، فوق مجيئها بمفردها وحدها في الظهر ـ انها ليست بلا لوم من جهة حياتها

وهكذا تقابل الانسان الكلي القداسة ، بالانسان الكلي النجاسة .

فماذا فعل ؟

هل استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ورفع الى السماء صلوات من مزامير الزبوري علها تقتل جراثيم الاثم التي حملتها تلك المرأة الخاطئة !

هل ألقى عليها نظرة من هاتيكم النظرات التي استطاعت ان تصرع الأبالسة ، وأرسل من عينيه أشعة كاشفة محرقة



عند بئر يعقوب

هل ازدراها واحتقر شأنها و بصق على الارض وهي تقترب من المكان علامة على احتقاره الكامل لها ؟؟

هل انتهرها بصوته القوي وأمرها أن تعود الى حال سبيلها فلا تدنس خلوته المقدسة؟

كلا . انه لم يفعل شيئاً من ذلك

بل يخيّل الينا انه ألقى على المرأة نظرة تفيض بالعطف والمحبـة . . وهل تقول ــ والاحترام

لقد رأى فيها انساناً خلقه الله على صورته..وجاءالسيد نفسه على تلك الصورة!!

لقد أطلق الناس عليها ألقاباً حقيرة. أما هو فيقول لها « يا امرأة ». وهو اللقب الذي كان يطلق عادة على كرام السيدات، وقد نادى السيد أمه بالقول « يا امرأة »

هل هي خاطئة ؟

وأين هو الانسان البار . ألم يخطىء الجميع . وأولئك الفريسيون الذين يقولون انهم أبرار هل هم أفضل منها ؟ أليسوا هم خطاة ؟ ألا يحتاجون الى البر الالهي ؟ بل هم شر من المرأة . ان كليهما يتساويان في الخطية ولـكنها تفضلهم انها تعرف انها خاطئة . . وهم لا يعرفون

والسيد ؟

ألم يأتِ الى العالم لمثل هذه المرأة ؟

ألم يأتِ لكي يطلب و يخلص ما قد هلك ! ؟

أليست هذه المرأة هي الخروف الضال

والدرهم المفقود

والابن الضال

أليس خلاصها موضوع بهجة السماء، وستفرح السماء بتوبتها اكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة ؟

هكذا نظر ابن الانسان نحو الانسان

وهكذا فكر في ان يرشدها الى النور

ويلذ لنا أن نراقب ذلك الحوار بين السيد و بين المرأة . لانه يرسم لنا كيف يمكننا أن ندخل الى مقادس الانسان وكيف نعمل في سبيل هدايته

كان موضوع الحديث الذي بدأ به مع المرأة شيئاً يتصل بها. انه لم يحدثها عن خطيتها أو عن حاجتها الى الخلاص . انه لم يزجرها لخلاعتها

لقد كان يعلم انها ان تصغي الى حديثه لو انه جاءها عن هذا الطريق !

لقد حدثها عن الماء الذي جاءت تستقيه

يا امرأة اعطيني لأشرب

انه موضوع يتصل بها

انها تعرف الماء

وتعرف قيمته

وحاجة الناس اليه

وهي على ذلك تملك الماء

ولكن المرأة تنظر الى محدثها بغضب ممتزج بعجب : كيف تطلب مني وانت يهودي

وأنا امرأة

سامرية ! ؟

كانت هناك خصومة أبدية بين اليهود والسامريين. ولعل من اللائق ان نعرف شيئاً عن هؤلاء السامريين .

لقد جلبهم قديماً الملك سنحاريب من بلاد الامم الوثنية . وقد أضافوا على وثنيتهم شيئاً من دين اليهود ، فكان دينهم وثنياً يهودياً وكان اليهود يكرهونهم ويحتقرونهم. وكان اليهود إذا ما أرادوا أن يسبوا انساناً يهودياً قالوا له أنت سامري. وعندما اغتاظوا من يسوع مرة قالوا ألسنا نقول حسناً انك سامري و بك شيطان ؟

ولم يقف السيد ليحدثها عن مقام المرأة أو عن العلاقة بين اليهود والسامريين.
انه يثب فوق هذه الحواجز التي أقامها الناس ، حواجز الجهل والتعصب
لماذا لا يتحدث المعلم اليهودي مع المرأة ؟
من الذي وضع ذلك الناموس الذي يحرم عليه ذلك؟
ولماذا يعتبر آثماً في حق مقامه ان يتحدث مع امرأة في الطريق ولو كانت امرأته؟
وما هو الفرق بين الرجل والمرأة ؟
اليس الرجل انساناً واليست المرأة انساناً ؟؟
أقام الجهل الأحمق ذلك الحاجز الكبير بين الرجل والمرأة . . بله وهل أقول الخطية ايضاً
منذ أن فتحت عينا الانسان
ومنذ أن عرف انه عريان
منذ ذلك الوقت اصبح لا ينظر الى المرأة إلا بالعين غير الطاهرة ، وان كان لا يدري. واصبح لا يرى فيها إلا أداة للاثم، ولذلك حاول ان يقيم حواجز وسدود بينه و بينها !!
ثم ذلك التعصب ، التعصب الذي بنى سدوده بين أمة وأمة و بين جنس وجنس و بين دين ودين!!
والعجب ان أشد تعصب وأقساه وأحمقه نراه في ما يتصل بالعلاقة بالله . انهم يكرهون الآخرين لانهم هم يحبون الله بينما الآخرون لا يحبونه !!!
و يحتقرونهم لانهم يعبدون الله على الوجه الصحيح بينما الآخرون لا يعبدونه كذلك !!
يقاومونهم لانهم يسجدون لله في اورشليم
بينما الآخرون السامريون يسجدون له على جبل عيبال !!
وقد بلغت كراهة اليهود للسامريين حداً لا يكاد يصدق

ولا شــك ان الله في السماء كان يحزن وهو يرى ذلك التعصب الذميم لانه آب وكل البشر أولاده !!

وجاء يسوع

ورفع الانسانية الى مكانها السامي

وهدم حواجز فروق الجنس والمذاهب

وسار في طريق السامرة

وجلس عند بئر يعقوب

وتحدث الى السامرية

* * *

لم يؤثر في السيد اعتراض المرأة، ولم يكلف نفسه مئونة الرد على اعتراضها بل اتجه معها اتجاهاً آخر

قال لها انها لا تعرف و إلا فلو انها كانت تعرف

لو كانت تعلم عطية الله

ولو كانت تعلم من هو الذي يقول لها اعطيني لأشرب

لطلبت منه هي

فأعطاها ماء حياً

ونظرت المرأة الى المعلم اليهودي نظرة امتزج فيها القلق بالشــك والاستفهام وقالت : يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة ! ! !

من انت حتى تقول انك تعطي ماء حياً

ألعلك اعظم من أبينا يعقوب الذي اعطانا البئر وشرب منها هو و بنوه ومواشيه؟

واجاب يسوع ما هي هذه البئر وما هو ماؤها ؟ انه ماء لا يشبع . كل من يشرب منه يعطش ايضاً . أما الماء الذي اعطيه أنا فانه ماء آخر . كل من يشرب منه لايعطش الى الابد. بل الماء الذي اعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة ابدية.

يا للجمال !

يا للروعة !

لا يعطش الى الابد !

ينبوع ماء !

ياسيد،أعطني من هذا الماء. اعطني منه ياسيد حتى لا اعود آتي الى هذا المكان وهمست لنفسها ، نعم حتى لا آتي هنا في الظهيرة ، أسير متلصصة ، تراقبني عيون القوم من بعيد وترسل نحوي نظرات زراية واحتقار !!

كانت المرأة تتحدث الى نفسها بهذا الكلام و بمثله وهي تظن أن أفكار قلبها مستورة حتى عن خلجات وجهها . ولكن ذلك العالم اليهودي سمع كل حرف مما قالته الى نفسها وعمل على ان يعيد الى تلك النفس المنزعجة طمأنينتها. على أن العلاج كان يتطلب « جراحة » للقلب . ان السيد لا يعالج علاجاً ناقصاً . انه رقيق القلب الى الدرجة التي يبكي فيها وهو يرى دموع الناس . ولكنه نقي القلب الى الدرجة التي يرسل فيها « سكينته » الى أعمق جزء في الحياة . نظر السيد الى المرأة نظرة تجلى فيها كل عطفه وحنانه . رأى فيها انساناً هالكاً جاء هو ليخلصه . بل رأى انساناً تحالف الناس مع الشياطين لإهلاكه فقام يعمل على إنقاذه !

لنقترب بخشوع لنراقب ذلك الجزء الدقيق من العملية ، الجزء الذي كشف السيد فيه المرأة لنفسها !

قال لها انه مستعد أن يعطيها الماء الحي ولكنه يشترط أن تمضي الى بيتها وتدعو زوجها . وتململت المرأة قليلاً . لقد لمس الغريب جانباً دقيقاً في حياتها، جانباً كان ولا يزال موضوعاً مؤلماً لها . لم يكن لها زوج أما الرجل الذي يعيش معها فلم يكن زوجها . على انها حاولت ان تهرب من النور فقالت ليس لي زوج !

والسيد لم يغضب لهذه المحاولة . لم ينعتها بالكذب والمداورة ولم يرسل اليها

تو بيخاً قاسياً . لو أن شخصاً آخر مكانه لانهال عليها بالتقريع أو سألها على الاقل بسخرية اذن من يكون ذلك الرجل الذي يقيم في البيت؟؟

على ان السيد لم يشأ ايضاً ان يغمض عينه عن الاثم فمد يده الرقيقة الى جرحها المضمود على غثم وفتحه ونظف أوساخه فقط بكل ما في المحبة من رقة.قال حسناً قلت ليس لي زوج.لانه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك.هذا قلت بالصدق

ونحن نحس ان المرأة وقد أثنى السيد على صدقها وان كان قد كشف داءها ، نالت غفران الله ورأت نفسها «امرأة» أمامه لا شيطاناً آثماً كما ير يدون أن يبقوها.

وانحنت المرأة أمام الغريب وقالت :

يا سيد أرى انك نبي

وهل تضيع منها فرصة جلوسها الى نبي . لماذا لا تتعلم منه ما يلزم ان تعمل بعد ان غفرت خطيئتها . لماذا لا تسأله أين تسجد السجود المقبول لله

يا سيد اخبرني أين أسجد

اباؤنا السامريون سجدوا في هذا الجبل

وأنتم اليهود تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه .

خبّرني ايها المعلم أين أسجد

ونظر السيد إلى المرأة الراغبة في السجود لله نظرة تشجيع وقال لها ليس المكان بذي شأن في موضوع العبادة أيتها المرأة. فسيأتي الوقت الذي يسجد فيه ابناء الله لا في هذا الجبل ولا في أورشليم . وهنا لفت نظرها الى أن السامريين لا يسجدون لله بخلاف اليهود . ان السامريين يسجدون لما ليس يعلمون . و إذ ذاك رفع نظرها الى الله وحده. وقال لها انها إذا ما سجدت لله فسيان عند الله أن تسجد في هذا الجبل أو في أورشليم.تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون لله بالروح والحق لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا »

ولا شك أننا نندهش أن السيد يرتفع مع المرأة السامرية من الأرضيات إلى السمويات . ان نيقوديموس المعلم اليهودي لم يستطع أن يفهم أو على الأصح لم يستطع أن يقبل ولذلك لم يعلن له السيد اعلانات سامية . أما هذه المرأة الخاطئة « الجاهلة » فكانت مستعدة أن تقبل ولذلك ارتفع معها السيد إلى ذروة السماء وأعلن لها اعلانات لا يزال العالم يقف أمامها بحيرة ! !

الله روح !!

والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا ! !

رأت المرأة في كلام النبي شيئاً جديداً وخشيت انها تطيل معه الحديث معه وربما احست أن ثمت تفصيلات أخرى يتطلبها الموضوع ستعلن في حينها، فقالت انا أعلم ان مسيا الذي يقال له المسيح يأتي . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء !

ويرى البعض في هذه الكلمات انها كانت ترى في ذلك النبي صورة لما تنتظر أن يكونها المسيح. ويرى البعض الآخر انها آمنت ان النبي اليهودي كان يمكن ان يكون هو المسيح لولا انه يهودي ومسيا ينبغي أن يكون سامرياً !

ويرى غيرهم ما سبق ان قلناه انها ارادت ان تقف بالحديث عند هذا الحد انتظاراً لمجيء المسيا

ونحن نظن ان الأمر اختلط على المرأة

ان النبي الجديد يقول أموراً غريبة جداً

انها اعلانات ينبغي أن تكون لها تفصيلات

ان مسيا الآتي سيخبرنا عند ما يأتي بكل شيء

لكن

ألا يمكن ان يكون هذا مسيا

كلا . لا يمكن ان يكون هذا مسيا

ان مسيا لا بد وان يأتي سامرياً كما علمنا آباؤنا وكما يقول كتابنا

ترى . هل اخطأ اباؤنا
وكتابنا هل يكذب علينا
ان هذا النبي يصلح ان يكون مسيا
لماذا لا اسأله ان كان هو مسيا ام لا
لأسأله سؤالاً مهذباً
ياسيد انا اعلم ان مسيا الذي يقال له المسيح يأتي
فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء
وعلم السيد بفكر قلبها واجاب على سؤالها المستتر في كلامها وقال لها :
نعم يا امرأة
انا هو مسيا الآتي

* * *

كان المسيح يتكلم مع المرأة عندما دخل التلاميذ يحملون الطعام. وقد اندهشوا انه يتكلم مع امرأة . ولكن لم يقل احد ماذا تطلب أو لماذا تتكلم معها !

وفرغ السيد من كلامه مع المرأة باعلانه انه هو المسيا . وكان الاعلان مثيراً للمرأة . فتركت المرأة جرتها عند البئر وخرجت لتذيع ذلك الاعلان العظيم . وقد أثبتت انها مبشرة حكيمة الى اقصى حدود الحكمة

ايها الناس
هلموا انظروا . . انظروا لأنفسكم ، انساناً قال لي كل ما فعلت
ألعل هذا هو المسيح ؟ ! !
وخرجت المدينة كلها لتنظر ذلك الرجل الذي كشف اسرار تلك المرأة الغامضة واحاطوا به فجعل يعلمهم
وأحس التلاميذ بالعطف على سيدهم
انه متعب مرهق وجائع

ولذلك تقدموا منه وقالوا يا معلم كلّ

فدفع الطعام عنه وقال انا لي طعام لآ كل لستم تعرفونه

وهمس التلاميذ بعضهم لبعض هل احداً اتاه بشيء ليأكل

اما السيد فتألم لقصر فهمهم الروحي . انهم لا يفهمون إلا الخبز المادي . انهم لا يرتفعون فوق التراب . وها هو يحاول مرة اخرى ان يسمو بهم عن الارض !

طعامي أن اعمل مشيئة الذي أرسلني واتمم عمله

وارتفع فهم التلاميذ.وزادهم السيد اعلاناً آخر عن الزرع والحصاد الارضيين والروحيين . قال أما تقولون انه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد ها أنا اقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول الروحية ، انها قد ابيضت للحصاد . والحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمراً للحياة الأبدية لـكي يفرح الزارع والحاصد معاً . لانه في هذا يصدق القول ان واحداً يزرع وآخر يحصد

أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه !

آخرون تعبوا وانتم قد دخلتم على تعبهم

وسكت التلاميذ

وجعلوا يراقبون السيد وهو يتحدث الى سكان مدينة سوخار

ترى ماذا قال السيد لأولئك السامريين ؟

هل علَّمهم عن الفرق بين العقائد اليهودية والعقائد السامرية . فاخبرهم عن هيكل أورشليم ونظام الذبائح ومذبح البخور وقدس الاقداس. وهل تحدث معهم عن سبط لاوي وكهنوت هرون . وهل اخبرهم عن الصيام والصدقة والعشور ؟ كلا . كلا . انه لم يتحدث معهم في شيء عن ذلك . وانما حدثهم عن الله الآب ، آب جميع الناس، السامريين واليهود . الله الذي يحب جميع الناس ويطلب الخير لجميع الناس. الله الذي يعتني بغربان السماء وزنابق الحقل. الله الذي يترك التسعة والتسعين

خروفاً و يذهب يبحث عن الخروف الضال حتى يجده والذي يكنس البيت حتى يجد الدرهم المفقود والذي يقبّل الابن الراجع الى بيت ابيه !

كان حديث السيد اليهم غريباً ومثيراً . لمس لا اذانهم ولا عقولهم بل قلوبهم فاحبوا الله وفاضت عيونهم دموعاً وانحنوا بخشوع امامه وسلموا حياتهم له وطلبوا اليه أن يمكث معهم مدة فمكث يومين يحدثهم .

كان كثيرون قد آمنوا انه مسيا بسبب كلام السامرية . فلما سمعوه آمن عدد اكبر به والتفت الجميع إلى المرأة وقالوا لها أننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن. لأننا نحن قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة « المسيح مخلص العالم » .

٢٢

١ – المعمدان

«كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور » يوحنا ١: ٦و٧

اسمه يوحنا وقد ولدته أمه في شيخوختها وكانت ولادته حديث الشعب لما لازمها من غرائب . على اننا لن نتأخر لنشاهد الولادة والطفولة لاننا سنرى « رجلنا » شاباً مكتمل القوة في الثلاثين من عمره . وهو قد علم من أمه انه قد دعي من قبل ان يولد ليعد الطريق للملك الآتي . وفي الثلاثين جاءته الدعوة واضحة فترك بيت أبيه وبدأ خدمته المجيدة

وقد كان يوحنا كارزاً عجيباً

كان غيره من معلمي اليهود يتجهون في خدمتهم الى الهيكل أو المجمع الكبير في اورشليم . أماهو فترك المدينة وذهب الى البرية القريبة. ومن العجيب ان الجماهير تبعته هناك تسمع كلامه . وقد ثار وعاظ اليهودية كيف يتركهم الجمهور و يتبعون

كارز البرية- وربما تساءلوا لماذا فعل الجمهور ذلك . اما نحن فنعرف ان الرجل كانت عنده رسالة أما هم فكان عندهم كلام. والناس في حاجة إلى رسالة لا الى مجرد كلام

وكانت حياته نقية

كان رؤساء اليهود عبيداً للمال وكانوا طلاب مكان فكانوا يلبسون الحرير ويأكلون أطيب الطعام ويسيرون في الطرقات ينتظرون التحيات . أما الكارز الجديد فكان يلبس ثوباً خشناً من وبر الابل ويتمنطق بمنطقة من جلد على حقويه وكان طعامه جراداً وعسلا برياً وهو طعام فقراء سكان البادية . ولم يقم في قصر ولم يكن له خدم ولم يسع لجاه !!

ولكنه كان ذا شخصية قوية خشعت امامها الجماهير بل خشع امامها الرؤساء!

كانت حياته وكلامه متفقين

أما رسالته فقد كانت:

«توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات»

واقبلت اليه الجماهير معترفة بخطاياها وطلبوا ان يعتمدوا منه

لم تكن المعمودية غريبة على الجمهور

كانوا يعرفون الكثير عنها

فقد كان الاممي اذا اراد أن يدخل الدين اليهودي يجتاز في غسلات ترافقها صلوات يخرج بعدها يهودياً يعبد إله اليهود

واليهودي مع عدم حاجته إلى هذه المعمودية اذ هو ابن ابرهيم كان محتاجاً إلى معموديات اخرى فكان يغسل يديه ورجليه وجسمه كلما عاد من الخارج تطهيراً لنفسه من أدران السوق وآثام الطريق

وكل من يشتري من السوق كان لابد وان يجتاز المعمودية ليتطهر من النجاسات

وجاء يوحنا يكرز بالمعمودية

ولكنها لم تكن المعمودية القديمة

كان يكرز بمعمودية جديدة

أعلن ان الجميع خطاة !

والجميع يحتاجون إلى توبة !

والجميع يلزم أن يعتمدوا !

الامم يلزم أن يعتمدوا !

واليهود يلزم أن يعتمدوا !

فلما أقبل الجموع ليعتمدوا منه قال لهم :

يا اولاد الافاعي

من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟؟

فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة!

ولاتبتدئوا تقولون في انفسكم لنا ابرهيم أباً!

لاني اقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابرهيم !

والآن!؟!

قد وضعت الفأس على أصل الشجر !

فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار !

واضطرب الجمهور من الكلمات الشديدة التي لم يسبق لهم ان سمعوا نظيرها والتي كانت تلمس نفس قلوبهم وسألوه ماذا نعمل ؟

وكان جوابه أعجب جواب سمعوه:

« من له ثوبان فليعط من ليس له ! »

« ومن له طعام فليفعل هكذا ! »

هذه هي الديانة كما وصفها يوحنا للجموع . ديانة بسيطة خالية من التعقيد . ليس فيها ناموس ولا تقليد ولا وصايا ولا فتاو . الديانة عند يوحنا كانت مشاركة الفقير في الكساء ومشاركته في الغذاء

من له ثوبان فليعط من ليس له

ومن له طعام فليفعل هكذا ! !

ترى هل قبل الجموع هذا الدين الجديد؟ لقد كانوا يظنون أن الدين هو صلوات وصيامات .. وتقدمات وقرابين . ولكن النبي الجديد يقول ان الدين شيء آخر. يقول انه أخوة انسانية حقيقية ! !

لاشك ان البعض قبل الدين الجديد

والبعض تململ وهو يسمع نصوصه وقامت في صدره حروب ومعارك

والبعض مضى حزيناً لانه كان ذا أموال كثيرة !!

* * *

وتقدم خلف الجموع جماعة من العشارين ، وهم الفئة المنبوذة التي لفظها المجتمع، تقدموا الى النبي الجديد مترددين يسألون ما اذا كان للعشارين رجاء، وماذا نفعل نحن ؟ وهوذا النبي ينظر اليهم بعطف وكأنه يقول: نعم لكم رجاء فانتم أفراد تلك الاسرة الكبيرة التي الله لها آب . نعم لكم رجاء. وليس عليكم ان تتركوا عملكم. كلا . لا تتركوه فقط لا تستوفوا اكثر مما فرض لكم

ولا نعلم هل قبل العشارون دين يوحنا ام لا . كان دين الكتبة قاسياً على العشارين لانه كان يأمرهم بترك عملهم . أما يوحنا فلا يرى في عملهم اثماً ولكنه يطلب ان تتطهر قلوبهم من الطمع

وآخر الكل تقدم جنديون ليعتمدوا . كان الجنود جماعة قاسية ظالمة خشنة وكان اليهود يكرهون الجنود ولكن يوحنا أعلن لهم دينه الجديد في كلمات قليلة.

لا تظلموا أحداً

ولا تشوا بأحد

واكتفوا بعلائفكم!!

واذا لخصنا كل ماقاله يوحنا عن دينه الجديد وجدناه يتضمن أموراً حرية بالتأمل.

فهو دين العودة الى الله بالتوبة والاعتراف
وهو دين الحياة التي تتفق مع المكان الجديد العائد
هو دين يكشف للمرء حقيقته كخاطىء
فيندم
و يترك خطيته
و يثمر
و يبدو ثمره مشاركة لأخوته المحتاجين
و براً في معاملاته
وعدلا وانصافاً وقناعة ! !
هوذا رجال الاصلاح منذ فجر التاريخ يحاولون أن يصلوا الى رفع المجتمع بشتى الطرق ولكنهم يتركون المادة الاولى من دين يوحنا
لا يمكن أن تقوم أخوة انسانية إلا بعد قيام بنوّة إلهية
ولا يمكن ان يقوم إصلاح اجتماعي إلا على أساس اصلاح خلقي
ولن يقوم اصلاح خلقي إلا على أساس اصلاح ديني !!

٢٣

٢ - المعمدان .. ويسوع

« وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من اجل صوت العريس اذن فرحي هذا قد كمل » يوحنا ٣ : ٢٩

وفي أحد الأيام أقبل انسان ليعتمد
أقبل آخر القوم
وأحس يوحنا أن ذلك الانسان يختلف عن بقية الناس. كان يوحنا يرى الجموع فيرى الخطية تحيط بهم و يشتمّ رائحة النجاسة في كل جزء و يبصر صورة الاثم تطبع

وجوههم . أما هذا فقد أقبل شعلة من النور وقبساً من نقاء . فانحنى يوحنا أمامه وقال بخشوع أنت تعتمد مني كلا . ياسيد أنا اعتمد منك

لم يكن يوحنا يعرف يسوع

قيل انه لم يكن قد رآه

وقيل انه لم يكن يعرف انه هو المسيا الآتي . ونحن نظن انه لم يكن يعرفه اطلاقاً. كان قد سمع عنه من أمه ولكنه لم يعرفه

أما ذلك الانسان فقال ليوحنا اسمح الآن لانه ينبغي أن نكمل كل برّ

ونزل يسوع الى الماء ليعتمد

وليس يهمنا ان نعرف هل كان التعميد بالتغطيس أم بالسكب أم بالرش ، اذ لم يكن الماء إلا مجرد علامة. كما اننا لا نعرف ما حدث ساعة التعميد . لا شك ان السيد لم يعترف بخطايا وانما اعتمد بمعمودية التوبة نائباً عن الناس

وبعد الفراغ من المعمودية كان يسوع يصلي

وكان يوحنا يراقبه بخشوع

و بغتة حدث أمر غريب

انشقت السماء كدرج

ونزل روح الله كحمامة واستقر على رأس يسوع

ودوى صوت كالرعد

هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت

وسجد يوحنا

وذكر ما حدث معه ساعة ان تلقّى الدعوة للكرازة لاعداد الطريق لمسيا الآتي. ذكر ان الله اعلن له انه سيميز الملك بعلامة. قال له ان الذي ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس

إذن يسوع هو المسيح ابن الله ! !

ولما اتسعت دائرة كرازة يوحنا وتساءلت الجماهير، ألعل يوحنا هو المسيح، ارسل اليه اليهود كهنة ولاويين ليسألوه من انت ؟ كان سؤالهم الاول بالطبع هل أنت المسيح . أما هو فاعترف انه ليس المسيح . واعلن ان المسيح على الأبواب وانه هو يعمد بالماء ولكن المسيح متى جاء فسيعمد بالروح القدس ونار !!

وكثر الهمس هنا وهناك

وبينما كان يوحنا واقفاً وسط بعض تلاميذه أبصر يسوع فاشار نحوه قائلا «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم. هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لانه كان قبلي ، وأنا لم اكن اعرفه . لكن ليظهر لاسرائيل لذلك جئت اعمد بالماء قال وأنا لم اكن اعرفه . لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس . وشهد يوحنا قائلا اني قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه »

كانت الكلمات غريبة على التلاميذ. واختفى يسوع قبل ان يفكر واحد منهم ان يتبع يسوع . لكن حدث في اليوم التالي ان كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه هما يوحنا بن زبدي واندراوس بن يونا. فنظر الى يسوع ماشياً فقال «هوذا حمل الله» . فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع ومنذ ذلك اليوم انفصلا عن يوحنا وتبعا يسوع

وظل يوحنا يكرز

كان لايزال يؤمن ان الطريق ليست بعد ممهدة للمسيا الآتي . وكان له تلاميذ على ان دعاة الفتنة حاولوا ان يوقعوا الانقسام بين الفريقين فبذروا بذور التحاسد. وجاء بعضهم يحاول أن يثير غيرة المعمدان وقالوا له يامعلم هوذا الذي كان معك في عبر الاردن الذي أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون اليه أما يوحنا فلم يثر. وكان جوابه جواباً يتفق مع قلبه الكبير. قال لهم «لا يقدر انسان ان يأخذ شيئاً ان لم يكن قد اعطى من السماء . أنتم انفسكم تشهدون لي اني قلت لست أنا المسيح بل

اني مرسل امامه . من له العروس فهو العريس . واما صديق العريس الذي يقف و يسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس . اذن فرحي هذا قد كمل . ينبغي ان ذلك يزيد واني أنا أنقص . الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع . والذي من الارض هو أرضي ، ومن الارض يتكلم . الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع . وما رآه وما سمعه به يشهد وشهادته ليس أحد يقبلها . ومن قبل شهادته فقد ختم ان الله صادق . لان الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله . لانه ليس بكيل يعطي الله الروح . الآب يحب الابن . وقد دفع كل شيء في يده . الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية . والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة أبدية بل يمكث عليه غضب الله »

وسمع يسوع بما حاوله اليهود مع يوحنا وماقاله يوحنافترك اليهودية ومضى الى الجليل وهكذا فشلت مؤامرة رؤساء اليهود !!

٢٤
٣ ـ المعمدان .. وهيرودس

« فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الاموات » متى ١٤ : ٢

كان في اليهودية ملك اسمه هيرودس ، هو هيرودس انتيباس بن هيرودس الكبير . وكان بيت هيرودس صنيعة الدولة المحتلة رومة . وقد اشتهر ذلك البيت بكل نقيصة .. كل أفراد البيت بدون استثناء... الرجال والنساء

ومن الغريب ان النعمة أتاحت لكل هيرودس فرصة ذهبية كان يمكن ان ترفعه من أوحاله الى ذروة النقاوة ولكنهم رفضوا الفرصة بل قاوموها . فهيرودس الكبير جاءه المجوس يسألون عن المولود ملك اليهود فقد رأوا نجمه وأتوا من أقصى البلاد ليسجدوا له. و بدلا من ان يسجد للملك حاول ان يقتله . ولما لم يعرف من هو قتل اطفال يهوذا من ابن سنتين فمادون !!!

وهيرودس اغريباس . وأخته برنيكي سمعا قصة يسوع من فم بولس ولمست

القصة حياة هيرودس وهزّته. ولكنه تقسّى ورفض وترك بولس سجيناً. ولا تزال كلمته « بقليل تقنعني ان اصير مسيحياً » شعاراً لكل من كان قريباً من الملكوت. ثم رفض!!

أما هيرودس انتيباس فقد أتيحت له فرص اكثر ولكنه اساء اكثر من الجميع. وقتل يوحنا المعمدان

سمع هيرودس عن المعمدان وطلب ان يسمعه

وتحدث المعمدان معه فاصغى له واصغى بسرور. لكن سرور هيرودس من رسالة المعمدان لم يكن قبولا. نظن انه أعجب بحياة المعمدان ونقاوتها وقناعتها. وانه أكرم الرجل لانه لم يطلب من خدمته مالا ولا جاهاً ولذلك كان شجاعاً فلم يخش في الحق أحداً ولو كان هيرودس نفسه. ونعتقد انه أكرم يوحنا وهو يواجهه بسجل خطاياه وينصحه ان يقلع عنها!!

لم يكن هيرودس معتاداً ان يسمع انتقاداً من انسان. كان الجميع يثنون على حكمته وعلى تعبده ويوافقون على كل ما يأتيه من شرور. لم يوجد شخص يقول له اخطأت. لكن المعمدان لما جاء ذكر له قساوته ومظالمه وجشعه وشهواته. وسمع هيرودس للمعمدان، سمعه كثيراً وسمعه بسرور!

على ان هيرودس ارتكب في تلك الاثناء « فضيحة » لو أتاها غيره لكان جزاؤه فيها القتل. ذلك انه تآمر مع زوجة أخيه هيروديا، على ان تهرب من بيت زوجها وتتزوج منه. ويغلب انه استطاع ان يجد بين رجال الدين من يبارك له هذا الزواج. نحن لا نعرف كثيراً عن تفصيلات القصة وعن ملابساتها ولكننا نعلم انها كانت فضيحة وان صوتاً واحداً من « قديسي » الهيكل لم يرتفع ضدها

أين أولئك الذين ثاروا من أجل السبت ففكروا في ان يهلكوا يسوع لانه شفى انساناً في يوم السبت؟؟

اين اولئك الذين غاروا غيرة « مقدسة » لاجل الناموس والتقاليد ، لاجل الصيام والغسلات ؟

لم يجسر واحد من أولئك أن ينتقد هيرودس بل اننا نستطيع أن نقول بشبه يقين أن جميعهم باركوا ذلك الزواج !!

لكن يوحنا لم يستطع أن يسكت

« يا هيرودس

لا يحل لك أن تكون هيروديا زوجة لك !! »

يا للرجل العظيم !

انه لم يخش شيئاً في سبيل الحق

لقد نعته رؤساء اليهود بالحماقة فقد سلك كأحمق ينطح صخراً

والجمهور بالرغم من انه كان يحبه قال انه تطرف وانه أساء إلى نفسه بدون فائدة

وهيرودس لم يسترح إلى كلامه

أما هيروديا فثارت كنمرة ثكول واصرت على قتله. ولم يمتنع هيرودس عن تنفيذ رغبتها إلا بسبب الخوف من الشعب الذي كان يعتبر المعمدان نبياً

ولكنه ارضاء لهيروديا وضع يوحنا في السجن

و بقي يوحنا في السجن سنتين

ومن السجن أرسل رسالة ليسوع سيكون لنا حديث عنها في ما بعد

وفي نهاية السنتين قطعت رأسه

وقصة قتله قصة مثيرة

حاولت هيروديا ان تقنع هيرودس بقتل المعمدان، حاولت بكل طريقة ولكنها فشلت . كان هيرودس يخاف ان قتل المعمدان، يثير ثورة في البلاد . ونستطيع أن نقول ايضاً ان هيرودس كان يشارك الشعب في ان يوحنا نبي . وقد تركت رسالة يوحنا في ذهنه أثراً باقياً

فهل كفت هيروديا عن جهودها

بل انتهزت فرصة مواتية . كان يوم عيد ميلاد الملك . وأقامت هيروديا وليمة كبيرة دعت اليها عدداً كبيراً من أصدقائها .

وكان طعام كثير

وكان شراب

وكان مجون

ورقصت ابنة هيروديا

قيل ان أمها علمتها رقصة خليعة مثيرة للغرائز الادنى . وفي الوقت الحاضر توجد رقصة يدعوها القوم «رقصة سالومى» ويقولون انها رقصة سالومى ابنة هيروديا.

واعجبت الرقصة هيرودس

اعجبته كثيراً

فأمسك بالصبية وقال لها ان تطلب منه ما تشاء ، وأقسم ليعطينها ما تشاء ولو الى نصف المملكة

كان مخموراً ساعة ان تكلم . انه يعلم ان المملكه ليست له . ان روما هي التي وضعته وانها تستطيع ان تخلعه . وقسمه لم يكن إلا حماقة

على ان الصبية أسرعت وطلبت

كانت المؤامرة مبيتة

كانت هيروديا تنتظر أن هيرودس يكافيء ابنتها على رقصتها فلقنتها ان تطلب وياشؤم ما طلبت

أطلب رأس يوحنا المعمدان على طبق ! ! »

وقد فزع البعض من الطلب

انه لا يتفق مع الوليمة

ولا يتفق مع الصبية، أم هل يتفق ؟؟ الصبية الصغيرة لها ان تطلب الثياب أو

الحلي . اما ان تطلب رأس انسان على طبق فهذا ما لا يطلبه إلا وحش !!

لـكن لماذا نتعجب ؟

كانت سالومي — ان كان هذا اسمها — حيواناً قذراً. كانت ترقص كحيوان وكانت تحاول ان تثير الغرائز الحيوانية . كل ما اكتشفناه في طلبها انها لم تكن حيواناً أليفاً بل حيواناً مفترساً !!!

ما أبشع الخطية !

انها تحول النقاوة والبرارة والجمال الى سم !

أما هيرودس فاضطرب وحاول ان يتملص ولكنه لم يستطع. بل كان يستطيع لو انه فـكر. ان اقسامه لايجوز ان تتعدى حدوده. والجمهور الموجود ما كان يحتقره لو انه رفض . لكنه لأجل الاقسام والمتكئين أرسل سيافاً قطع رأس يوحنا المعمدان ووضعه على طبق فأخذته الصبية وأعطته لأمها

* * *

ظنت هيروديا انها انتهت من المعمدان بقطع رأسه

شدّ ما أخطأت !

لقد خلّدت بجريمتها الثانية فضيحتها الاولى . لقد سجل التاريخ عارها الأول بسبب قتلها ليوحنا . ولا يزال العـالم إلى اليوم ، ولن يكف ، يتحدث عن المرأة التي تركت زوجها لتعيش مع رجل آخر، والتي قتلت النبي الذي وبخها على ذلك . قيل ان هيروديا بصقت على وجه يوحنا وفتحت فمه وقطعت لسانه ثم أخرجت له لسانها . واليوم يبصق التاريخ على وجه هيروديا كل يوم ولسان يوحنا يرسل لها رسالة ذات دوي مروع وجميع الشياطين تخرج لها ألسنتها !!

مسكينة هيروديا !!

٢٥

٤ – رسالة من السجن

« وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر » متى ١١ : ٢

وُضع يوحنا في السجن

الرجل الذي لم يسكن في بيت بل عاش في البرية وُضع في سجن مغلق

وكان تلاميذه يزورونه بين حين وآخر يحدثونه عن النبي الجديد وعن آياته وعظائمه . وكان يوحنا ينتظر أن يتمم النبي رسالته

وقد سبق ليوحنا ان قال عن المسيح قولاً يجدر أن نعود اليه . قال :

أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً ان أحلّ سيور حذائه

هو سيعمدكم بالروح القدس ونار

الذي رفشه في يده

وسينقي بيدره ويجمع القمح الى مخزنه

وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ

وانتظر يوحنا ان يقوم المسيا مصفياً ومنقياً . انتظر أن يرى تطهيراً كاملاً ، في الهيكل وفي بيت هيرودس وفي دار الولاية . انتظر أن يرى المسيا يستل سيفه ويحارب في سبيل دعوته ويقيم عرشه مجيداً . ولكنه لم يرَ شيئاً من ذلك بل رأى عكس ذلك

رأى رؤساء الكهنة والكهنة مع جماعة الكتبة والفريسيين لا يزالون يعيشون في نفاقهم وريائهم وشرهم

ورأى هيرودس كتلة قذرة من الاثم يتمرغ في شهواته كخنزير يتمرغ في الوحل . ولم يكن بيت هيرودس أزيد من زريبة للخنازير . كما شاهد مظالمه ومظالم

بيتــه . رآهم يسلبون حرية الشعب وماله و ينتهكون أعراضه و يلغون في كرامته . وليس ملاذ للشعب المسكين !

ورأى روما العاتية تدوس بأقدام الكبرياء على مقدسات الشعب. يقيم مندوبها أصنام الأمم في طرقات المدينة المقدسة و يسلط جنوده فتفتك بالشعب المسكين اذا ما بدت منه أضعف آهة تذمر !

ورأى الشعب غارقاً في جهله وعماه وتعصبه. رآه يسير في طريق خطر سيودي به

رأى يوحنا كل هذا. وحينما رأى يسوع ينزل عليه الروح و يستقر على رأسه شبه حمامة امتلأ قلبه بالفرح و بالرجاء . وحينما رآه في اليوم التالي قال ، هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم . وحين تحدث اليه الشعب قال لهم عنه :

ان رفشه في يده

وسينقي بيدره

و يجمع القمح الى مخزنه

وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ

وجعل يوحنا يترقب ، فلم يرَ رفشاً ولا تنقية ولا جمعاً لقمح ولا إحراقاً لتبن . انتظر تطهيراً فلم يرَ، فبدأت الوساوس تملأ صدره!

هؤلاء الكهنة ما زالوا يعمهون في ضلالهم و يسدرون في غيهم و يرتكبون من الآثام ما يكفي لأقامة عشرات الجهنمات . ولا يزالون بالرغم من ذلك في مكان الزعامة تقبّل أيديهم وتلمس أطراف ثيابهم و ينظر النـاس اليهم كخلفاء الانبياء و يعتبرونهم القادة الذين تطلب مشورتهم في ظلمة الحوادث ! ! !

وهذا هيرودس و بيت هيرودس من رجال ونساء هذه الكتلة القذرة من الاثم قد زاد في غيّه وفي بغيه وامتدت معاصيه حتى تخطت حدود ولاياته. لقد اضطرب أبوه بالأمس عندما سمع عن المولود الملك. أما هو فانه يسير مطمئناً. بدأ حياته أميراً رئيس ربع ولكنه بعد وقت نال لقب الملك وسلطان الملك !

وروما. روما التي كان يحلم ان مسيا سيضع قدمه على عنقها،والتي كان يظن انها ستأتي خاضعة ذليلة تسجد عند قدميه وتقدم له هي وملوك الارض الجزية والجباية، روما هذه قد زادت طغياناً ، واستغاثت اليهودية من امعانها في المظالم والقسوة. و بعد ان كان اليهود يحسّون بقليل من الحرية في أمور دينهم اشتدت قبضة روما وامتد سلطانها الى ذلك الجانب الصغير واصبح قيصر لا ر باً في روما فقط بل في اورشليم، وفي الهيكل ايضاً ! !

والشعب المسكين الجاهل الأعمى المتعصب لا يزال هو هو . لا يكاد يجد ما يملأ بطنه مما لا يؤكل. وجسده العاري يشكو الأمراض الفتاكة . وذهنه المغلق قد ازداد عمى . . .

ويسوع الذي ظن يوحنا انه مسيا

بل قد آمن انه مسيا

ألم يقل له الله ان الذي ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهو الذي يعمد بالروح

ألم يرَ بعيني رأسه السماء تنفتح وروح الله ينزل عليه مثل حمامة

ألم يسمع الصوت هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت

لقد آمن انه المسيا الآتي

ولكن ، ما له لا يعمل عمل المسيا

أين الرفش ؟

أين الغربال ؟

أين النار؟؟

لقد ألقى يسوع تعاليم لم يسمع العالم مثلها منذ أن وجدت تعاليم . وقد حدثه تلاميذه عن آيات أتاها يسوع لم يأت بمثلها نبي من الانبياء في كل تاريخ اسرائيل الله . نعم فعل يسوع ذلك وتحركت اليهودية بسبب تعاليمه. ولكن ما الى هذا جاء المسيا . قد تكون النبوة بعض أعمال المسيا لكن عمله الاول الملك . ان مسيا هو

مسيح ملك . نعم ملك يقضي على دولة الظلم والطغيان و يجلس على عرش الأمة المختارة ملكاً الى الأبد !

و يسوع ؟

لا يبدو أنه يسير في طريق الملك

ثيابه ، أبعد ما تكون عن ثياب الملك

موكبه ، شتان ما بينه و بين موكب الملك

حاشيته ، لا علاقة بينها و بين حاشية الملك

تعاليمه ومعجزاته ، لا تمتّ بأية صلة للملك

أرادوا مرة أن يختطفوه ملكاً فتركهم ومضى !!

وارتبك يوحنا

وزادت مرارة السجن من ارتباكه

هل يسوع هو المسيا ؟

ان السماء التي فتحت تقول انه مسيا !

ولكن أعماله كلها تنبيء انه ليس مسيا !!

لذلك دعا اثنين من تلاميذه وأرسلهما الى يسوع يسألانه : هل أنت هو الآتي أم ننتظر آخر ؟

ولقد ظن كثيرون أن يوحنا ارتكب في شكه هذا شططاً . ولكن هؤلاء يظلمون يوحنا. ان يوحنا لم يشكّ في نبوة يسوع ولا في معجزات يسوع. انه شك في مسيّة يسوع. لم يشك في صدق يسوع وفي إخلاص يسوع فأرسل يسأله هو .

وجاء رسولا يوحنا وسألا . ولم يجب يسوع في الحال . كان مشغولاً مع الجماهير . كان يعلّم و يشفي وعند ما فرغ من عمله ، أو على الأصح عند ما أتيحت له فرصة راحة قليلة التفت الى التلميذين وقال :

اذهبا وقولا ليوحنا بما رأيتما وسمعتما

العمي يبصرون!

والصمّ يسمعون!

والبُرّص يطهرون !

والموتى يقومون !

والمساكين يبشرون !

اذهبا ايها التلميذان وقولا له بما رأيتما وسمعتما . ألم تريا ذلك . وماذا كان برنامج المسيا كما كتبه النبي اشمياء ألم يقل « روح الرب عليّ لانه أرسلني . . . »

العمي يبصرون ، والصمّ يسمعون ، والبرص يطهرون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون .

وطوبى لمن لا يعثر فيّ

وانطلق التلميذان

, بعـد أن انطلق التلميذان التفت السيد الى الجمهور وأعلن لهم عن يوحنا اعلاناً عجيباً

قال ، ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ، أقصبة تحركها الريح . كلا . لم يكن يوحنا قصبة تحركها الريح . انه رجل العقيدة الثابتة

ثم قال ، بل ماذا خرجتم لتنظروا ، أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة . كلا . ان لابسي الثياب الناعمة هم في قصور الملوك

لم يكن يوحنا إلا رجلا خشن المظهر خشن الثياب خشن الكلام ولكنه كان نبياً . . نعم وأفضل من نبي وقال السيد اعلاناً مجيداً

بين المولودين من النساء لم يقم أعظم من يوحنا المعمدان. لقد رأى فجر الملكوت. وسينطلق . أما أنتم يا من رأيتم ما رآه وسترون في الغد مجد الملكوت فان الأصغر فيكم اعظم من يوحنا المعمدان ! !

٢٦
سبت في الناصرة

« ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ » لوقا ٤ : ١٦

عاد يسوع الى الناصرة . ولا نعلم مقدار المدة التي تغيبها بالضبط . ولكنها كانت قصيرة على كل حال، بحيث لا تسمح ان تنسى تلك القرية نجارها الفقير الصالح . عاد يحمل بعض الشهرة فقد ذاعت معجزات أتاها في كفر ناحوم !

وفي يوم السبت دخل المجمع حسب عادته وقام ليقرأ !

ومن المفيد أن نقف قليلا أمام الكلمتين « حسب عادته ». لقد كوّن يسوع عادة ذهابه الى المجمع ، ولكنه لم يكن يذهب فقط على سبيل العادة . كان المجمع من المنشئات الدينية التي تأسست بعد السبي . ويقال ان اول من انشأه عزرا . وكانت تقام فيه خدمات دينية من قراءة ووعظ وتسبيح !

ودخل يسوع حسب عادته !

غريب ان يدخل يسوع المجمع !!

ماذا يجد فيه ؟

الوعظ ؟

الوعظ الجامد ، العديم الحياة ، الخالي من الروح ، الذي يزيد النفس المريضة مرضاً ، ويؤذي النفس السليمة . كانوا يعظون عن الشريعة بتفصيل. عن شريعة السبت وشريعة البرص وشريعة الذبيحة والبخور والميراث وما شاكل !!!

وكان يدخل المجمع فقراء وعُمي وصُم ومتضايقون كانوا يفتشون في عظات المجمع عن حاجة نفوسهم ، ولكنهم كانوا يخرجون من دون أن يجدوا شيئاً ، وربما ظنوا أن علاجهم بعيد عن المجمع !!!

واليوم يقف كثيرون من الشبان على أبواب كنائسنا يحملون مشاكلهم الكثيرة، و ينتظرون أن يسمعوا من كلمة الله حلاً لعقدها . فلما لا يجدون يتركون الكنائس و يتركون الوعظ و يظنون انهم مبررون. على انه وان يكن الوعاظ ملومين إلى حدّ ما لعدم تقديمهم الحقائق اللازمة لقاصدي الكنائس، فان هذا لا يخلي هاجري الكنائس من لوم أشد. انها الكبرياء التي تدعوهم إلى عدم سماع الوعظ. ان مخلصنا نفسه لم يترك المجمع وكان له كل الحق في أن يتركه. ان الوعظ الذي فيه لا يشبعه، ولكنه واظب على حضور المجمع . ونحن ينبغي أن نسير في مثاله خصوصاً والوعظ - مهما كان - لا يخلو من بركات !

وكان يمكن ليسوع ان يترك المجمع لأن الذين كانوا يحضرون كانوا أشراراً وكانوا يكرهون الحق وكانوا يجلسون في المجمع يتآمرون عليه . لماذا إذن يذهب إلى مكان يحضر فيه إبليس ولا يحضره الله ؟ لماذا يطرح نفسه بين أيدي أعدائه ؟ ولكن يسوع لا يمتنع عن المجمع ولو كان كل الحاضرين أبالسة. انه يرى في الحضور بركات لنفسه و بركات لغيره . ليسمع الذين يمتنعون عن الكنيسة بحجة أن في الكنيسة منافقين . يا للكبرياء ! كأن اللاعين أفضل من غيرهم ! هناك كبرياء شريرة تحب أن تظهر في ثياب التواضع ، ولكنها تبدو جلياً من خلال ذلك الثوب المهلهل ، هي كبرياء الممتنعين عن الصلاة لانهم ليسوا منافقين كالذين يصلّون !!!

* * *

دخل يسوع المجمع إذن حسب عادته يوم السبت . يوجد اليوم من يقاومون هذه العادة و يسألون لماذا لا نربي عادة أفضل . يوجد من يتكلمون جهاراً ضد الكنيسة . ومن العجب ان المتكلمين هم ممن خلقتهم الكنيسة ولولاها ما استطاعوا أن يصلوا إلى مكان القيادة الذي وصلوا اليه !!

ولكن يسوع لم يدخل المجمع كما يدخل الجانب الأكبر إلى الكنائس . جانب كبير من الحاضرين ينام حالما يدخل . وآخرون ينشغلون بالنظر هنا وهناك،

فاذا ما شبعوا من النظر إلى السقف والجدران والأعمدة التفتوا إلى الثياب. وإذا ما شبعوا من الثياب التفتوا إلى الواعظ وانتقدوا كل شيء فيه. أما يسوع فانه يدخل المجمع ليعبد. وإذ يتعبد يشترك في الخدمة فيأخذ السفر ويقرأ !

كانوا يقرأون في المجمع فصلا من موسى وآخر من النبوات وثالث من المزامير. وقرأ السيد فصل النبوات وكان من اشعياء وسرد البشير الكلمات كما يأتي: « روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وارسل المنسحقين في الحرية واكرز بسنة الرب المقبولة » .

كان اليهود يقرأون هذه الكلمات ويتطلعون إلى أنفسهم فاذا هم مساكين وعمي وأسرى ومنكسرو القلوب وعبيد. فيتطلعون إلى الأمام علّهم يجدون ذلك المسوح آتياً يخلّصهم مما هم فيه حسب النبوة ! !

وها هو المعلم الناصري يقرأ هذه الكلمات مرة أخرى. ولكنها تبدو مختلفة هذه المرة عما اعتادوا أن يروها. لقد سمعوها من قبل ولكنها كانت تبدو أملاً بعيد التحقيق بل حلماً مستحيل التحقيق. ومن كثرة ما سمعوها فقدت معناها وأصبحت صوتاً مملاً. أما اليوم فانهم يسمعونها وإذا هي رسالة جديدة. لقد نفخ الناصري فيها روحاً فماشت ونهضت وتحدثت فكان لها دوي ملأ آذانهم وأذهانهم وألهب قلوبهم. وها هم يتطلعون إلى المعلم بكثير من القلق والانتظار يبتغون أن يسمعوا شيئاً يملأ نفوسهم بالاطمئنان والسكون !!

طوى المعلم السفر وسلّمه للخادم وجلس !

كانت العادة أن يقرأ السفر وقوفاً وأن يتم الوعظ جلوساً. فقرأ يسوع الكلمات وجلس وفتح فمه ليعظ وكانت عيون الجميع شاخصة اليه

انطلقت من فمه قذيفة

« انه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم »

كنا ننتظر أن يقفز القوم من أماكنهم جزلين. ها قد تحققت النبوة التي كانوا يتطلعون اليها من بعيد . ها قد جاء مسيا . ولكن القوم بالرغم من ان كلمات الوعظ كانت عظيمة وذات سلطان لم يزيدوا عن ان يتعجبوا. كانوا يشهدون له و يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ! ! !

ولماذا نلومهم ، وا كثرنا يقف في الوعظ عند هـذا الحدّ . كان يسوع يعظ حقائق أما هم فقد اعتادوا أن يسمعوا « تمثيلا » لا حقيقة فيه. ولذلك كانوا يصفقون « للتمثيل » المتقن ، لا أن يتأثروا في حياتهم من الحقائق فيه !!

بل حدث ردّ فعل !

لقد تعجبوا من كلمات النعمة الخارجة من فمه فساقهم هـذا إلى النظر اليه ، من هو ؟

قالوا : أليس هذا ابن يوسف ؟

كانوا يعرفونه

وما كان يخطر ببالهم ان ذلك النجار المسكين يستطيع ان يتكلم بهذه الكلمات!

أما باقي ما تحدثت به قلوبهم فيخبرنا به يسوع . قال لهم : « على كل حال تقولون لي هذا المثل أيها الطبيب أشف نفسك . كم سمعنا انه جرى في كفر ناحوم فافعل ذلك هنا ايضاً في وطنك »

أما المثل فكان قولاً سارياً ومعناه انهم يطالبون انه كما فعل في جهات أخرى يفعل في بلدته . لانها أولى من غيرها إذ هي وطنه . كانت كلماته عجيبة فطلبوا آيات تؤيدها . على أننا من دراسة أحوالهم نعلم انهم لم يكن لهم ايمان فلم يستطع السيد ان يعمل عندهم آية واحدة بسبب عدم ايمانهم !!

وقد وبخ السيد تصرفهم وعدم ايمانهم . قال لهم ، الحق أقول لكم « انه ليس نبي مقبولا في وطنه » وكان هذا مثلا ورد في صيغ مختلفة ومنها «ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه و بين أقربائه وفي بيته » .

ثم ذكر لهم ان المعجزات لا تتم إلا إذا هيأوا لها الجو الصالح بواسطة ايمانهم . وان الحائل الحقيقي لاجراء المعجزات انما هو عدم ايمانهم هم لا عدم مقدرته هو . وانهم بعدم ايمانهم يعيدون تاريخ أسلافهم أيام ايليا حين لم يرسل النبي في تلك الأيام إلا إلى أرملة في صرفة صيدا بالرغم من وجود كثيرين وكثيرات من اليهود المحتاجين إلى الطعام وقتئذ . واليشع شفى نعمان السرياني وتخطى كل المرضى وقتئذ !

وها هي الناصرة تعيد عهد ايليا واليشع فتفقد خدمة المعلم الجديد بسبب عدم الايمان !!

* * *

لم يتمالك السامعون أنفسهم من الغيظ لما علموا انه يعيرهم بالأمم ألد أعدائهم. فغضب الذين في المجمع وقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل وكانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل !

يا للعجب !

قوم يجلسون في معبدهم ويمارسون الخدمات الدينية . وتنتهي الخدمة بشروع في قتل . من حضرة الله ، كما يدعون ، إلى صحبة الشيطان . من السماء إلى جهنم ! !

على أن يسوع ، بكيفية معجزية ، جاز في وسطهم ومضى !

* * *

مضى يسوع من الناصرة

يوم طردت الناصرة ابنها يسوع ظنت انها لم تخسر شيئاً هاماً . ولكن آه لو علمت عظيم خسارتها !

لقد خسرت الناصرة بركة العافية لكل السقماء . كان يمكن أن تنفتح عيون عميان كثيرين وآذان صم . وكان يمكن أن يشفى عرج ويطهر برص . . بل ويقوم موتى !

اجمع كل الدموع التي فاضت من عيون الناصرة في تلك الأوقات ، وأنت ترى في كميتها الهائلة ما ينبيء عن خسارة الناصرة !

خسرت الناصرة تعاليم مخلصنا التي لم يسمع العالم نظيرها ، والتي لا يزال إلى الآن يتأمل في محاسنها

وخسرت الشركة مع الفادي والتمتع بالوجود قريباً منه

ما أكثر ما خسرت الناصرة !!

٢٧

يوم سبت

في كفر ناحوم

« ثم دخلوا كفر ناحوم وللوقت دخل المجمع في السبت وصار يعلّم . فبهتوا من تعليمه لانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » مرقس ١ : ٢١ و ٢٢

ترك يسوع الناصرة وذهب إلى كفر ناحوم التي اتخذها لنفسه وطناً ثانياً . وسنذهب معه هناك ونرافقه يوماً واحداً هو يوم سبت !!

ونحن نندهل إذ نراه يسير نحو المجمع . لقد كنا نظن انه بعد أن رأى ما رأى في الناصرة يمتنع عن الذهاب إلى المجمع . لقد ارتضى ان يذهب إلى المجمع في الناصرة وكانت النتيجة انهم حاولوا أن يقتلوه . ومع ذلك فانه يذهب إلى المجمع في كفر ناحوم . لا يزال المجمع معتبراً عنده بيت الله ولو غرق في أوحال التعصب !

خرج ولد من بيته بالرغم من معارضة أمه وظل يلعب إلى أن صارت ثيابه وحلا ، وعاد إلى البيت فلم يجد أمه بانتظاره حسب العادة فقد قصدت أن تظهر عدم رضائها عنه . وظل الولد يبحث عنها من غرفة إلى غرفة ووجدها أخيراً وصاح ماما ماما فلم تلتفت له . فقال لها بحرقة ، ماما أنا جيمي المغطّى بالطين ـ ما أبلغ عبارته !

أن الطين هو الظاهر للأم ولكن تحت الطين كان الابن. كانت مجامع اليهود مغطاة بالطين ولكن الطين كان يغطي بيت الله. وكان يسوع يذهب باستمرار إلى بيت أبيه

* *

وفي كفر ناحوم أيضاً بهتوا من تعليمه

لماذا ؟

كان معلمو الناموس يتكلمون وكان كلامهم البلاغة نفسها . ولكنه كان كلاماً ميتاً لا أثر للحياة فيه . أما هو فكان يتكلم بسلطان . كان كلامه موبخاً ومعزياً وبالجملة مؤثراً !!

ولم تتبسط قصة الوحي في مظاهر كثيرة لذلك التأثير ولكنها اكتفت بمثال واحد . وهل هناك من داع لأكثر من مثال ؟!

كان في المجمع رجل به روح نجس . ونحس من أسلوب الخبر انه كان في المجمع من زمن طويل !!

يا للعجب !

روح نجس في المجمع بالرغم مما يسمع كل سبت من المزامير والنبوات والمواعظ !!

لم يكن في كل الخدم الروحية ما يوقظ الروح النجس أو يخيفه . ربما كان يبتسم لما يسمعهم يتحدثون عن روح الله. كان لا يخافهم. لم تكن الخدمات الدينية إلا صوتاً آلياً في أفواه تتحرك كالآلات . لم تكن هناك حياة . بل أننا لنتخيل ان ذلك الروح النجس كان ينام مستريحاً وهو يسمع تلك الأصوات !!!

على أن الأمر تغير لما جاء المسيح

حالما بدأ المسيح يتكلم انتبه الروح النجس

فلما استمر السيد يتكلم تململ الرجل في مكانه وأحس بكثير من الضيق . ان صوت المتكلم يلهبه !

فلما امتد الكلام لم يستطع الروح النجس ان يحتمل اكثر فصرخ في الرجل

بصوت عظيم : آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتهلكنا أنا أعرفك من أنت قدوس الله ! فانتهره يسوع قائلا : اخرس واخرج منه، فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئاً !

اندهش الجميع بل بلغت الدهشة أقصاها

ما هذه الكلمة

لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج !!

ما أقوى كلمة الله

ولكن قوتها تتجلى في شخصية قائلها

سمع بعض الأشرار رسول المسيح يقول للشيطان : باسم يسوع المسيح اخرج منه . وظنوا انهم يستطيعون أن يخرجوا الشياطين بهذه الكلمة فقالوا للشيطان فى الرجل المسكين : باسم يسوع المسيح الذي يكرز به بولس اخرج من الرجل . ولكن الشيطان لم يخرج . بل قال : أما بولس فأنا أعرفه وأما المسيح فأنا أفهمه ولكن أنتم من أنتم .وهجم الرجل عليهم فمزق ثيابهم وترك جروحاً عميقة في أجسامهم

كلا . انها ليست مجرد كلام

ان رسالة الله ينبغي ن تقدم في شخصية

رسالة الله في شخصية نقية !

* * *

انتهت الخدمة الدينية في بيت الله . وخرج يسوع من المجمع ولكن الخدمة عنده لم تنتهِ . والخدمة عنده لا تقتصر على المجمع .انها تمتد الى البيت والى الطريق !!

لنذهب معه الى البيت . . بيت بطرس

وكانت حماة بطرس مريضة بحمى شديدة فأخبروه عنها . وذهب يسوع اليها وأقامها ماسكاً بيدها وانتهر الحمى فتركتها وفي الحال قامت وصارت تخدمهم .

ما أعظم ذلك الطبيب

ان النار التي تلهب الحياة في شكل حمى يحوّلها هو إلى نار تلهب الحياة في صورة خدمة . لم يطرد السيد الحرارة بل وجهها وجهة طبية . لقد حوّل الحمى إلى خدمة !

* * *

ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا اليه جميع السقماء وكانوا عدداً كبيراً جداً ملأ الساحة الكبيرة خارج الباب وطلبوا منه أن يشفيهم. لقد سمعوا عن شفاء حماة بطرس . شفاها بلمسة . مدّ يده وأقامها . إذن لماذا لا يحضرون مرضاهم ليلمسهم . وجاء المرضى من جميع انحاء الكورة . ولعلنا نتساءل لماذا لم يأتوا قبل الغروب . لقد مكث يسوع في بيت بطرس طول النهار وكان يمكن للقوم ان يأتوا قبل الغداء و بعده . ولكنهم لم يأتوا إلا لما غربت الشمس ! !

كان اليوم السبت

وكانوا يعتقدون أن كل عمل محرم فيه

لم يكونوا يفهمون روح الشريعة بل حرفها

و يسوع لم يحتقر جهلهم بل عطف عليهم ووضع يديه على كل واحد منهم فشفاهم. وكانت شياطين ايضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول : أنت المسيح ابن الله . فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لانهم عرفوه انه المسيح !!

٢٨
يحمله أربعة

«وجاءوا اليه مقدمين مفلوجاً يحمله اربعة. وإذ لم يقدروا ان يقتربوا اليه من اجل الجمع كشفوا السقف حيث كان وبعد ما نقبوه دلّوا السرير الذي كان المفلوج مضطجعاً عليه فلما رأى يسوع ايمانهم قال للمفلوج : يا بني مغفورة لك خطاياك » مرقس ٢ : ٣ — ٥

ألا أقصّ عليكم قصة من أجمل القصص التي وردت في الاناجيل وقد رواها ثلاثة من البشيرين . وهي قصة كشفت الكثير من المعاني العظيمة . فيها ظهرت الخطية في أبشع صورها والايمان في أمجد قوته والمحبة في أكمل سلطانها . كلا . لن أتمادى في الشرح فسأترك القصة تروي معانيها !

نحن الآن في مدينة كفر ناحوم في اقليم الجليل ، ونحن نرى أمامنا رجلا لم يتعدّ سنّ الشباب ولو أن البعض يقولون انه أكبر من ذلك بكثير . قال له المعلم «يا بني» فهو ان لم يكن أصغر سناً من المعلم فلن يكون اكبر منه. أما الذين يقولون انه شيخ فيستندون الى أن المعلم لايقيس علاقته بالناس بسنّه على الأرض وها نحن نسمعه يتحدث إلى التلاميذ قائلا يا أولادي !!

ورجلنا مفلوج لم نره إلا وهو محمول على فراش المرض. ومع أننا لا نربط بين الخطية والألم بعلاقة مباشرة. إلا انه يبدو أن رجلنا هذا نال أجرة اثمه مرضاً . أننا لا نرى هذا كقاعدة عامة بل بالعكس فان كثيرين من الخطاة يمرحون في تنعماتهم وكثيرون من الصالحين يتألمون. ولكن الأمر في قصتنا خلاف ذلك. أخطأ الرجل وأصيب بالمرض وكان انزعاجه من جراء ذلك عظيما . ان المرض مزعج في حد ذاته

فكم يكون أمره إذا امتزج بالاثم . ولا نعلم هل قصد مريضنا إلى الأطباء وهل استعمل العلاج لا نعلم شيئاً عن ذلك باليقين ولكننا نظن أنه كغيره من المرضى بذل جهوداً كثيرة في هذا السبيل انتهت كلها بالفشل . ونعتقد أنه استسلم أخيراً لمرضه وان كانت قد بقيت له شعاعة ضئيلة هزيلة من الرجاء !

وظهر في الناصرة في ذلك الوقت نبي جديد قالوا انه أجرى عجائب كثيرة . ووصلت أنباء ذلك النبي الى كفر ناحوم وقد ذكروا انه لما دخل المجمع في الناصرة قام ليقرأ فدفع اليه سفر اشعياء النبي. ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه، روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية واكرز بسنة الرب المقبولة . وبعد أن طوى السفر ألقى على الحاضرين حديثاً عجيباً ، انه اليوم قد تم ذلك المكتوب في مسامعهم !

بل قد بلغ القوم ان النبي الجديد قد أقبل الى كفر ناحوم وانه أجرى عجائب أذهلت القوم . ففي المجمع كان رجل به روح نجس وإذ تكلم النبي صاح الانسان الذي به الروح النجس قائلاً : آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله . أما يسوع فانتهره قائلا : اخرس واخرج منه فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه !

وفي كفر ناحوم ايضاً شفى النبي الجديد غلام قائد المئة بكلمة . وحماة بطرس تركتها الحمى بمجرد أن لمسها !

وسمع القوم عن سلطان المعلم على البحر إذ انتهره قائلا ، اسكت ابكم فصار هدوء عظيم وسمعوا عن سلطانه على اللجئون ! !

سمعوا عن هذا وغيره فبدأ الرجاء يلمس قلوبهم.آه لو استطاعوا أن يصلوا اليه!

وفي أحد الأيام سمعوا أن المعلم الجديد في بيت قريب. سمع ذلك المريض وسمع قومه . لقد خبرهم بالأمر أصدقاء وحدث هرج و بدا اضطراب . واجتمع الأهل

حول فراش مريضهم يفكرون عما يمكن أن يعملوه معه ولأجله . انهم يظنون أن المعلم لا يمكن أن يقبل دعوتهم ويجيء اليهم . انه أعظم منهم ولكن لماذا يأتي؟ هل من اللازم أن يأتي . لماذا لا يطلبون منه ان يقول كلمة . نعم انه يستطيع ولكن رؤية المريض ستؤثر في نفسه . لماذا لا يأخذونه اليه ؟ وقام أربعة منهم وأعدّوا له فراشاً على سرير وحملوا المريض . وساروا في الطرقات الضيقة للمدينة المزدحمة. وظلوا يسيرون حتى وصلوا إلى قرب المكان. وقد سقط قلبهم عندما رأوه . كانت ساحة البيت مرصوصة بالناس . وعلى العتبة وخارج الباب جمع لا يستطيع أحد أن يعدّه . مئات ومئات وبالرغم من الزحام الشديد كان صمت كصمت القبور . كان المعلم يتكلم . وكان الحضور خليطاً من طبقات مختلفة . وكان بينهم عدد من الرؤساء !!

وقف أصدقاء المفلوج

انهم لا يستطيعون أن يقتربوا من المكان

لا يوجد مكان لقدم

لا فائدة من محاولة الوصول الى النبي

فهل يرجعون الى البيت

يبدو أن لا حلّ آخر للمعضلة

لكن

هل يستطيعون الرجوع

هل يستطيعون أن يعودوا بمريضهم

هوذا السيد على مسافة قريبة منهم. هم ينظرونه جالساً أمام الجمع. هم يسمعون بعض كلامه . كلا. انهم لا يستطيعون أن يرجعوا. انهناك ناراً ملتهبة في صدورهم ان أمر المريض يهمهم. سيعملون المستحيل ليوصلوه الى السيد. ها هم يدفعون الناس يميناً ويساراً ، ها هم يشقّون لهم طريقاً ، هم يدفعون هذا ويلتمسون من ذاك .

ولـكن كل جهودهم باءت بالفشل،يخيل لنا أن الدنيا كلها اجتمعت في ذلك البيت:
لا تستطيـع قوة ان توصلهم الى النبي
وقفوا في أشد حيرة
ومرة أخرى ساورهم فكر ان يعودوا
ومرة أخرى طردوا ذلك الفكر
وفي ابان حيرتهم أشرق عليهم نور
لئن كانوا لا يستطيعون الوصول الى للعلم من الباب فلماذا لا يستطيعون الوصول اليه من النافذة.ولئن تعذر الوصول من النافذة فلماذا لا يوصلونه للسيد من السقف
وداروا حول البيت الى السلم الخلفي وصعدوا الى السطح ورفعوا الأجرّ فوق المـكان الذي كان السيد جالساً فيه
لم يكن رفع الأجرّ شيئاً سهلاً. لا بد أن كثيرين تذمروا ، صاحب البيت ثار ولو أن الزحام حجزه فلم يستطع أن يصل اليهم . الجالسون حول المسيح تضايقوا كثيراً من قطع الأحجار المتناثرة . وربما صاح بهم البعض وهددهم البعض ولـكن الاربعة لم يبالوا بشيء بل ظلوا يوالون عملهم حتى اوسعوا مكاناً لسرير المفـلوج وربطوه بحبال و بدأوا يدلّـونه . ووجد القوم انسريراً يهبط عليهم فدفعوا بعضهم بعضاً وكان الدفع عنيفاً . واستقر السرير أخيراً أمام يسوع
يا لهم من أبطال
هؤلاء الجبابرة
ترى كم اعطـاهم المفلوج أجراً على ما قاموا به
وهل يمكن أن يأتي الاجرى ما أتاه اولئك الاربعة . هل يمكن
لو أنهم كانوا أجرى لطرحوا المفلوج عند الباب وقالوا انهم اتفقوا على ذلك
ولكنهم لا يفعلون ذلك
بل يدورون حول البيت



فلما رأى يسوع ايمانهم

ويتسلقون السلالم ويثقبون السقف ويدلون المريض لا بد أن هؤلاء قوم الرجل وأهله. ربما كانوا أولاده أو ربما كانوا أخوته أو بني عمومته. انهم على كل حال قوم أحبوه وكانوا مستعدين للبذل من أجله. وها هم يصلون أخيراً الى بغيتهم.

لقد استقر سرير المريض أمام يسوع. هنا انتهت مهمتهم وتطلع السيد الى المريض ثم تطلع اليهم

لقد رآهم يسوع في اللحظة الأولى التي أقبلوا فيها. وسرّ قلبه من قوم يحبون ويأتون بمريضهم اليه. وسرّ قلبه أكثر وهو يراقب حيرتهم وكيف فتقت لهم الحيلة ان يصعدوا الى السطح. وكان سروره عظيما وهو يلاحظ قوة ايمانهم في رفع السقف. وعندما نزل سرير المريض اليه مدلّى بحبال ابصر لا حبالاً بل مزيجا من ايمان ومحبة. عند ذلك نظر الى المريض بعطف وقال ثق يا بني مغفورة لك خطاياك

كانت كلمة المعلم غريبة .

لم تكن هي الكلمة التي ينتظرونها

لقد تلقفها المفلوج كما يتلقف الجدب نقط المطر المتهاطل على غير انتظار . يبدو ان خطيئته كانت تشغله اكثر كثيراً مما يشغله مرضه . ان المعلم يقول له ثق يا بني أو كما يترجمها البعض، اطمئن يا بني ، انزع قلقك عنك، مغفورة لك خطاياك . هل يسمع المفلوج حقا هذه الكلمات ، هل غفرت له خطاياه حقا ؟

لم يستطع المريض ان ينطق كلمة واحدة ، ولكن قلبه وثب في اضلاعه

يا بهجتي يا فرحي

لست أبغي شيئا آخر

ليبق المرض ما شاء له الله

بل ليأت الموت . انه لا يخافه ولا يضطرب لمقدمه !

وضاء وجه الرجل بنور سماوي

لقد نال بركة أذهلته . انه لم يكن ينتظر شيئا من هذا

شكراً للنعمة

شكراً ليسوع

والحاملون الاربعة ، لا شك ان قلوبهم استراحت . ولكنهم كانوا ينتظرون شيئا آخر . ان الشفاء من الفالج كان الامر الذي ينتظرونه ، انهم لأجل هذا حملوا الرجل الى النبي الجديد

أما رؤساء اليهود فثارت قلوبهم ضد هذا الالحاد. من هذا الذي يقول مغفورة لك خطاياك ، من يقدر ان يغفر الخطايا إلا الله، ان المعلم الجديد يجدف ، انه ينطق بكلمات كبيرة لان غفران الخطايا بالرغم من عظمته يسهل النطق به ، ان الرجل ليس من الله!!

وقرأ النبي الجديد ما تحدثت به قلوب القوم ، قرأه كما من سفر مفتوح

وأجابهم

أيما أيسر

أن يقال مغفورة لك خطاياك

أم أن يقال

قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك ؟

ولم ينتظر السيد جوابهم ، انه يعلم الجواب ، انهم يقولون أن النطق بالغفران أيسر من الشفاء ، انهم يطالبون برهـاناً على سلطانه ان يغفر ـ وهو يعطيهم ذلك البرهان ، انه يقول ، ولكن لكي تعلموا ان لابن الانسان سلطاناً على الأرض ان يغفر الخطايا قال للمفلوج

قم واحمل سريرك واذهب الى بيتك

يا للعجب

ان ذلك المفلوج الذي لا يستطيع أن يتحرك ، يثب من مكانه ويحمل فراشه ويخرج قدام الكل ، والجميع ينظرون اليه مبهوتين ، وقد مجدوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا بل امتلأوا خوفاً قائلين ما رأينا مثل هذا قط ، اننـا قد رأينا اليوم عجائب !!

٢٩

العشار الذي تبع يسوع

« فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى . لم آتِ لأدعو ابراراً بل خطاة الى التوبة »
مرقس ٢ : ١٧

كان لاوي بن حلفى من عائلة طيبة متدينة . أو هذا على الاقل ما استنتجه القوم من اسمه . كان من سبط لاوي سبط الكهنة وخدام الهيكل

وكان للاويين مقام ملحوظ . يقدم الناس لهم الاكرام والطاعة . . والمال . كانت حياتهم بالنسبة الى الآخرين حياة لينة. وقد اختار الله من مدنهم ست مدن دُعيت مدن الملجأ يهرب اليها القاتل سهواً . فلا يقتله ولي الدم

وكان يمكن أن يعيش لاوي ويموت كاهناً ابن كاهن. فيتمتع بالاحترام و بالثروة

لكنه لم يسلك السبيل المعتاد

ونحن نراه على حين فجأة عشاراً

كيف صار اللاوي عشاراً ؟

ولئن كنا قد عرفنا أن اللاوي ينتسب الى السبط الذي يخدم في الهيكل . فنحن لا نعرف ماهو العشار إلا أن يكون السبط الذي يخدم الشيطان، لكن لا بأس من إلقاء النور قليلاً على هذه الفئة المكروهة التي ندعوها بالعشارين !

احتلت رومية بلاد اليهودية مع ما احتلته من بلاد أخرى . ورتبت لها نظاماً لجمع الضرائب فقسمت البلاد الى مناطق والمناطق الى مايشبه المديريات والمديريات الى مراكز والمراكز الى مدن صغيرة وقرى . ورتبت الضرائب على البلاد كلها وعينت لها الموظفين الكبار وهؤلاء اختاروا موظفين أقل منهم . وهم رتبوا موظفين أقل وهكذا .

بل قد قيل ان الامبراطورية وضعت البلاد في المزاد من ناحية الضرائب وجاء المزايدون الى أن «رست» على أحدهم وهذا وضع كل منطقة في المزاد كذلك وهكذا نزولاً !

وكانت الضرائب تدعى العشور

وكان محصلوها يدعون عشارين

وكانت فئة العشارين أحطّ فئة في البلاد . وسبب ذلك ان الدين كان يحرم معاونة الاجنبي المحتل. كما كانت الوطنية تنظر الى الاجنبي كغاصب . والعشار وهو واحد من الشعب قد انحدر من دينه ومن وطنيته الى درجة خيانة الدين وخيانة الوطن

وصدر الحرمان على العشارين.

لا يجوز أن تطأ أقدامهم بيت الله

ولا تقبل صلواتهم

وكانوا يلاقون من الاحتقار ومن الهوان ما لا يمكن لانسان له كرامة ان يقبله

ونتج عن معاملة الناس لهم انهم امتلأوا بالقساوة والظلم والسرقة مما جعلهم خليقين بكل ما يلاقونه من معاملة سيئة

كانوا يجمعون الضريبة الواحدة لا مرة واحدة ولا مرتين بل عدة مرات. وكانوا لا يجمعون الضريبة كما هي بل يزيدون عليها كما يشاءون . وكانوا يشغلون جند رومية وسجون رومية في تنفيذ أحكامهم . ما أكثر من ضُربوا وجُلدوا وحُبسوا بأمر العشارين

وكان اليهودي المتدين يعتبر رؤيته لعشار اثماً ولمسته لعشار جريمة . كان إذا رأى عشاراً يتحول الى الجانب الآخر ويبصق

لذلك لم يلتحق بتلك الخدمة إلا أحطّ الطبقات اليهودية، الذين لا عائلة لهم، نقصد لا عائلة ذات اسم .أو الذين ضاقت بهم سبل العيش الى أن هانت عليهم انفسهم

لكن لاوي لم يكن من عائلة صغيرة

فما الذي جعله عشاراً ؟ ؟

لا تكشف لنا القصة الكتابية مأساته . لا بد أنه لاقى مأساة

ولعل قصة الابن الضال تكشف لنا بعض أسرار قصته . فما الذي قذف بابن الأكابر الى الخدمة في زريبة الخنازير النجسة ؟

شيئان ، الخطية والفقر

أو على الأصح شيء واحد هو الخطية !

هل أتى لاوي أمراً شائناً فطردته عائلته ، أو ارتكب جريمة استحق عليها السجن فارتمى في أحضان رومية

من يعلم ماذا عمل لاوي!

لكننا نراه عشاراً

وقد رأى ان يقطع آخر رباط بينه و بين قومه فترك اسمه اليهودي لاوي ، وأطلق على نفسه اسمه الروماني متى.وهكذا فصل نفسه فصلاً تاماً عن عائلته وقومه!

وكان « أميناً » لحرفته الجديدة ، فسرق وظلم وقسا واستغل كل ما أتقنه العشارون من وسائل لامتصاص دماء اخوتهم وجمع ثروة نعلم انها كانت كبيرة عندما نرى الوليمة الكبيرة التي أقامها

وعلى قدر ما نجح كعشار ازداد كره الناس له واحتقارهم اياه ، فازداد تمسكاً بمظالمه وقسوته ، وهكذا كالحلقة المفرغة ، كرهه الناس فازداد كرهاً لهم ، وازداد كرهه للناس فازدادت بغضتهم له !

كان مركزه الجديد في أول الأمر بغيضاً على نفسه وكان الوسط الجديد لا يتناسب بالمرة عما اعتاد أن يكون وسطه ، ولكنه كان مضطراً أن يساير الأمور وشيئاً فشيئاً اصبح واحداً من الوسط فبدأ لسانه يتعود الألفاظ التي كان يعتبرها انحداراً . و بدأت عينه وحاجبه و كل وجهه يتشكل بالوسط الذي انتقل اليه. ولم يمر زمن طويل حتى أصبح عشاراً عريقاً ولم يعد يذكر قومه أو عائلته أو سبطه الكهنوتي،

بل قطع كل علاقة بينه وبين لاوي فصار اسمه «متى» وعُرف بين الناس باسم «متى العشار»

وانشغل بجمع الثروة ووجد لذلك لذة عوّضته في أول الأمر عن وسطه وعائلته. ولكن ذلك لم يدم طويلاً فقد بدأ يحسّ بالفراغ يملأ حياته . كان يحنّ الى الحب والحنان وهو لا يجد شيئاً من ذلك من جميع المحيطين به . لقد فقد الحنان من الجميع لا يجده من أهله فقد نبذوه . ولا يجده من رؤساء الدين فقد أخرجوه خارجاً . ولا يجده في جمهور الشعب فقد أبغضوه !!

على انه سمع في يوم من الايام عن رجل ظهر في الجليل يقول ان الله إله الجميع. وان العشارين والخطاة لهم نصيب عنده . وقد أخبروه انه كان ينظر بعين مليئة بالعطف الى العشار المسكين والى الخاطىء . وسأل عن مكان ذلك الرجل وذهب حيث وجده يتحدث الى الجمهور حديثاً لم يسمع مثله منذ نشأ !!

لقد كان يعلم ان الله سيد جبار طاهر قدوس لا يجسر أن يتقدم منه . وكان يعلم انه يطلب من الناس ان يحفظوا ألوف الوصايا والفرائض . وكان يعلم ان واجب اليهودي الأمين ان يبغض الأمم ويحتقرهم ويصلي الى الله لكي يلاشيهم . وان العشارين جنس منبوذ من الله. ولكن المعلم الجديد ألقى تعاليم مختلفة كل الاختلاف. قال ان الله آب وان جميع الناس أولاد له. اليهودي والأممي أخوان لأن أباهما واحد . وان الآب السماوي يعطف على جميع أولاده ويتحنن عليهم . بل يخص بالعناية المساكين بالروح. وان للعشار مكاناً عند الله فهو أحد أولاده الذين يبحث عنهم !

وان الدين الحقيقي لا يستقر في المظاهر الخارجية ولا في الرسوم والفرائض . ان الدين الحقيقي يقوم بحلول الله في القلب فيمتلىء القلب بالمحبة لله والمحبة للقريب. وان الله روح والسجود له ينبغي ان يكون بالروح والحق !!

ما هذه الجواهر الثمينة !

هذا هو قلب الدين !

بل هذا هو قلب الله !

وجعل متى يواظب على سماع ذلك المعلم الجليلي وهو ينهل من ذلك المعين الفياض. فتغيّرت حياته تغييراً شاملا. وظهر أثر ذلك التغيير في معاملته. فقد كفّ عن الظلم ، ولانت قسمات قلبه ورقت كلماته . وأحسّ الناس ان عنصراً غريباً قد دخل في حياة متى . ليس هذا هو متى الذي عرفوه من قبل . انه متى آخر !!

وظل متى يقسم وقته بين عمله و بين اجتماعات يسوع . وقد امتلأ قلبه بشوق جارف . ليتني أقضي العمر مع يسوع . ولكن أنـّى لي وأنا العشار أن أعيش مع يسوع الطاهر القدوس . وكان يقول لنفسه : آه لو انـّي أتبعه . اذن كنت أقضي حياتي كلها عند قدميه !

وفي أحد الأيام بينما كان متى في مكتبه مرّ به يسوع ووقف بجانبه قليلاً وقال له :« متى ! أنا أطلب منك ان تأتي معي وتلازمني ... اتبعني !»

ربما لم يصدق متى أذنيه في أول الأمر. ولكنه التفت الى يسوع ووجده ينظر اليه بعطف . لقد قرأ السيد قلب متى وفكره كما من كتاب مفتوح وأرسل اليه من عينيه عطفاً دافقاً . فقام متى وسلم سجلاته وحساباته لزميله وترك مكان الجباية وتبع يسوع !!

كانت دعوة متى مجازفة من كلا يسوع ومتى. أما يسوع فكان في بدء رسالته وكان يحتاج الى جوّ ودّي. ولكنه بدأ خدمته بانتخاب عشار ليكون أحد تلاميذه. سينفضّ الفريسيون عنه وجماعة علماء الناموس بل جمهور الشعب !

وكان قبول متى للدعوة مجازفة منه إذ خسر تقريباً كل شيء

على ان فرح متى كان طاغياً. هل هو حقاً تلميذ للمعلم الجديد ؟ انه في شدة فرحه يقيم وليمة كبيرة للمعلم ويدعو اليها اخوته العشارين . وهؤلاء يجلسون مع المعلم كما لو كانوا أشخاصاً محترمين

ورأى الفريسيون ذلك فثار ثائرهم. ان المعلم يجلس مع العشارين ويأكل معهم!!!

أما يسوع فيقول للثائرين: لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى . لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة الى التوبة !

* * *

كان يمكن أن تنتهي قصة متى هنا. فان حياته بعد ذلك اندمجت في حياة سيده. فقد عاش معه وتعلّم منه وأخذ الدعوة بعد قيامته . على أننا نرى لزاماً علينا ان نشير اشارة عابرة الى شيء واحد، ذلك هو الانجيل الذي كتبه، أول أسفار العهد الجديد.

كان متى يحمل قبل ان يعرف المسيح سجلاً بغيضاً هو سجل الضرائب المطلوبة. كان الناس يضطربون حينما يرون متى يمسك كتابه . ولكنه بعد أن عرف المسيح تغيّر كتابه وأصبح يمسك بيده كتاباً آخر هو بشارة متى . وأصبح الناس يتطلعون بابتهاج منقطع النظير الى تلك البشارة الجميلة « بشارة متى »

لم يعد متى الى اسمه القديم لاوي بن حلفى بل أبقى اسمه الروماني متى . على ان اسمه اقترن بكلمة أخرى فانه يدعى الآن « متى البشير » وتضيف بعض الكنائس « معلمنا متى البشير بركاته على جميعنا آمين » !!!

٣٠

لماذا لا يصومون

« ولكن ستأتي ايام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الايام ». مرقس ٢ : ٢٠

كان اليهود يصومون منذ أن بدأت خدمات دينية إذ فرض الناموس عليهم صيام يوم الكفارة وهو اليوم العاشر من الشهر السابع وقد كلم الرب موسى في ذلك قائلا « أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً

يكون لكم تذللون نفوسكم وتقربون وقوداً للرب . عملا ما لا تعملوا في هذا اليوم عينه لانه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب إلهكم . ان كل نفس لا تتذلل في هذا اليوم عينه تقطع من شعبها . وكل نفس تعمل عملاً ما في هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها . عملاً ما لا تعملوا فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم . انه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم في تاسع الشهر عند المساء من المساء الى المساء تسبتون سبتكم »

كان اليوم الوحيد المقرر في الناموس للصيام هو يوم الكفارة هذا . ولكن أياماً أخرى أضيفت. فنحن نقرأ عن صيام «الفوريم» الذي فرضته استير . كما نقرأ عن صيام لارميا ولحزقيال ودانيال. ورتب اليهود بعد ذلك صيام يومين في الاسبوع وهما يوم الاثنين ويوم الخميس

وعند ما جاء المسيح بالجسد كان اليهود يصومون عدداً عديداً من الأيام . ولما جاء يوحنا المعمدان لم يشأ تلاميذه أن يغيروا العادات الجارية فكانوا يصومون كبقية اليهود

غير ان تلاميذ المسيح لم يصوموا . يغلب انه أشار عليهم بعدم الصيام . أو ربما فهموا هم من تلقاء أنفسهم ان العهد الجديد لا يجوز ان يمتزج نظامه بنظام العهد القديم

ولما كان يسوع وتلاميذه موضوع نقد فقد جاء تلاميذ يوحنا يسألون السيد ، يغلب انهم لم يستشيروا معلمهم ، وقالوا لماذا نصوم نحن والفريسيين كثيراً وأما تلاميذك فلا يصومون . ونحن اذ ندقق في كلامهم نبصر أصبع الفريسيين فيه . بل أن بعض البشيرين يأتون بالخبر بما يوحي ان السائلين لم يكونوا تلاميذ يوحنا أو على الأقل لم يكونوا تلاميذ يوحنا وحدهم . فقد جاء الخبر في بشارة مرقس « وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون . فجاءوا وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون » ـ وفي بشارة لوقا ورد الكلام

عاماً اذ قالوا له « لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً و يقدمون طلبات و كذلك تلاميذ الفريسيين أيضاً . وأما تلاميذك فيأكلون و يشربون »

وكان السؤال يحمل مرارة وانتقاداً قاسياً . انه لم يكن مجرد سؤال للاستفهام بل كان سؤالا استنكارياً . ومن المؤسف ان تلاميذ يوحنا انضموا مع تلاميذ الفريسيين . بل يؤسفنا اكثر ان الغيرة بدأت تملأ صدر تلاميذ يوحنا من المسيح. فقد غاظهم ان يسوع الذي شهد له يوحنا ينال مكانة أعلى من مكانة معلمهم . ومع ان يوحنا أخبرهم أزيد من مرة انه ينبغي ان ذاك يزيد وانه هو ينقص . الا انهم ظلوا ينظرون بشيء من الغضب الى النبي الجديد الذي كان ينازع معلمهم في مكانه ومكانته

وكان موضوع الصيام صالحاً لأن يكون موضوع نقد وتلويم ليسوع وتلاميذ يسوع

أما يسوع فانه عند ما سمع السؤال حزن

يا لهم من مساكين

انهم لا يفهمون ما هو الصيام ولا ما هو معناه

ولو فهموا ان الصيام هو تذلل النفس الحزينة أمام الله ماتقدموا بهذا السؤال. هل يفهمون ان الصيام هو نواح النفس التي تطلب التقرب الى الله، فان كان الصيام نوحاً فكيف يستطيع بنو العرس ان ينوحوا والعريس معهم ؟ تأتي أوقات حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون ـ كان للمسيح مع تلاميذه بالجسد وكانت علاقتهم به علاقة شركة. اذن كان تلاميذ المسيح في فرح روحي يتطلب الجلوس على الولائم لا لبس المسوح والجلوس في التراب . فاذا ما قام حاجز بين التلاميذ وسيدهم . اذا ما احزن التلاميذ سيدهم فانقطعت الشركة فترة فحينئذ يتحتم الصيام في تلك الايام

ثم قال لهم ان النظام الذي وضعه نظام جديد بترتيب جديد وروح جديد

وأنه لا يمكن أن يكون هناك ارتباط بين النظام اليهودي والنظام المسيحي . ان « ثوب اليهودية » قديم فلا يحتمل رقعة جديدة مسيحية فليس أحد يخيط رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق والا فالملء الجديد يأخذ من العتيق فيصير الخرق أردأ . وليس أحد يجعل خمراً جديدة في زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فالخمر تنصب والزقاق تتلف . بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة

وهكذا رفض المسيح ان يقدم مسيحية «مرقّعة» تجمع بين اليهودية والوثنية والمبادىء الجديدة . بل قدم مسيحية جديدة في كل شيء

ولم يجد المعارضون جواباً فأحنوا رؤوسهم ومضوا وان كانوا قد مضوا غاضبين!!

٣١

الرجل الذي انتظر الملاك

« هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم ان له زماناً كثيراً فقال له اتريد ان تبرأ . اجابه المريض يا سيد ليس لي انسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء . بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر . قال له يسوع قم احمل سريرك وامش . فحالا برىء الانسان وحمل سريره ومشى »

يوحنا ٥ : ٦ — ٩

هو رجل لم نره إلا بعد أن جاوز الخمسين من عمره على الاغلب ، بل يصح أن نقول أنه جاوز الستين. وحين رأيناه كان مضطجعاً على فراش حقير وقد نحل جسمه لا من المرض فحسب بل من طول مدته . اذ ظل في ضجعته هذه قرابة أربعين سنة أو ثماني وثلاثين على التحديد

وهو غريب في المسكان لا يعرف أحد من شأنه شيئاً باليقين . قيل انه نشأ في بيت فقير وانه أراد أن يشق طريقه الى الثروة فسلك شعابا يضل فيهـــا الفهيم واستعان بالطمع والانانية والمكر والاثم وداس في طريقه على البؤساء ونهب أموال

الايتام والارامل وامتص دماء فرائسه وهم يتلوون من الألم وهو لا تهتز له عضلة

وقيل انه في احدى جولاته الآثمة طرح بشيخ فانٍ الى عرض الطريق وطرح معه حفيده الصبي الصغير وطوح خلفهما ما بقى لهما من أثاث لا يصلح إلا أن يكون طعمة للنار وكان ذلك في قلب الشتاء ولم يأبه لصرخات الصبي ولا لتوسلات الشيخ على أن الشيخ بعد أن لمس قسوة الرجل الابليسية استبد به الغضب فرفع عينيه نحو السماء وصاح اين عدالتك يا سيد الكون ثم استمطر له من السماء لعنـة مروعة مخيفة اهتز الرجل تحتها وسقط في مكانه أقرب الى الموت وظل كذلك الى أن رأيناه

وقيل انه نشأ في بيت غني شاباً تافهاً مغروراً وان الفراغ والشباب والجدة اجتمعت عليه فصيّرت منه حيواناً قذراً جعل يتمرغ في اوحال الشهوات و يتفنن في تنويع «مراغاته» وقد ارتكب في سبيل ذلك ما كان يحمر له وجه ابليس . وقيل انه في احدى مغامراته هجم كذئب ضار على شاة وديعة ممن يعملن في خدمة بيته ولم يرأف بوداعتها ولم يشفق على دموعها ولم تجد توسلاتها الى قلبه سبيلاً فهجم عليها وسلبها أثمن ما تملـكه فتاة . ثم طرحها بعد أيام الى عرض الطريق منبوذة من اشراف الناس وملعونة من أهلها . ورفعت المسكينة رأسها نحو السماء ولم تقل شيئا ولكنها سكبت عصارة قلبها في دمعة ثم طرحت نفسها في النهر الجارف التيار والتقطوها بعد أيام على منحدر الشاطيء وواروها التراب . ولكن الرجل منذ تلك اللحظة مات قلبه في داخله . وخضع جسمه لضعف قلبه فرض مرضه الفتاك وظل فيه الى أن رأيناه

وثمت اقوال أخرى اتجه بعضها نحو ما قيل واختلف البعض الآخر . وتكوّن من الشائعات مزيج غريب من اقوال متضاربة ولـكنها كلها اتفقت في شيء واحد، ان الرجل أتى في صدر شبابه شراً قبيحاً وأنه أصيب بسبب ذلك بمرضه العضال . ومع ان تلك الشائعات لا تزيد عن شائعات، الا اننا نعتقد انها لا تبعد كثيراً عن الحقيقة ! !

وسعى الرجل الى الأطباء أو سعى له أهله وتناول مختلف العقاقير وأجريت عليه مختلف الجراحات ولكن مرضه ازداد سوءاً على سوء . وشح معين ماله وقلت موارده حتى نضبت ومن ثم هجر الأطباء المعترف بهم الى أدعياء الطب وترك العلاجات التي يصفها الاطباء الى العلاجات « البلدية » ولما لم تأت هذه بثمرة لجأ الى الكهان ومشايخ الطرق والعرافين والدجالين وأعطاه اولئك الأحجبة والتمائم وقرأوا له الأدعية والمزامير ورشوا له الماء المقدس هنا وهناك وحاولوا أن يفكوا السحر و يستخرجوا « العمل » الذي أجرى له . وانتهى الأمر بطبيعة الحال الى الفشل . وكلّ الرجل وملّ ذووه ، وظهر الضيق عليهم وعليه !!

وترامت اليهم أخبار عن بركة في الأقاليم الشمالية . بركة يقال لها بركة بيت حسدا . قالوا ان ملاكا ينزل اليها بين حين وحين و يحرك الماء فمن نزل أولا عند تحريك الماء برىء من كل مرض اعتراه. وتحدث القوم عن معجزات تمت. فهناك مفلوج أصيب بالفالج من سنين طويلة ولم يجد فيه علاج أخذه قومه الى البركة وهو اليوم حي يسعى . وهناك الأعمى الذي كان يستعطى بالقرب من المدينة المقدسة ضلت به الطريق يوماً وسار نحو البركة دون أن يدري وسقط في الماء وكان الملاك يحركه ففتحت عيناه وخرج من الماء ينظر . وهناك عشرات وعشرات كانوا مصابين بأمراض مختلفة نالوا البرء بواسطة ماء البركة بعد أن حركه الملاك . صحيح أن أحداً لم يرَ واحداً من الذين برئوا . ولكن هذا لا يمنع أنه صحيح . لقد سمعوا الخبر من أكثر من واحد . بل لنفرض جدلا أن هناك شيئاً من المبالغة فان ذلك لا يطعن في حقيقة الخبر . لنقل أن الذين برئوا الف مريض بدلا من الفين بل لنقل انهم خمسمائة . بل مئة . أو خمسون . الأمر المؤكد أن البعض برئوا . ليس في هذا شك ، ولماذا لا يكون الخبر صحيحا ؟ ألم يرسل الله ملائكة لخدمة الناس . ألم يذكر الكتاب عن الملاك في البرية وعن رئيس جند الرب الذي ظهر ليشوع. وماذا نقول في الملاك الذي ظهر لجدعون والملاك الذي ظهر لمنوح. وماذا نقول في الملائكة

الذين ظهروا ليعقوب والملائكة الذين أبصرهم خادم اليشم . أما قولنا ان الله يرسل ملاكاً يحرك الماء وان كل من نزل الى الماء بعد ذلك يبرأ من أي مرض اعتراه، فانه قول لا غبار عليه برغم عدم تصديق الكثيرين!!

وهكذا حاول الرجل المريض وحاول ذووه أو من التزموا أن يكونوا ذويه ، حاولوا أن يقنعوا أنفسهم ان مريضهم سيجد البرء من بركة بيت حسدا!!!

ولقد أقام بعضهم أروقة حول المكان،قيل انها كانت تؤجر للمرضى وقيل انها كانت تقدم بدون مقابل ، وقيل ان من بناها قصد منها الربح ، ان لم يكن ربح الايجار فهو ربح الاتجار إذ قد قامت سوق بالقرب من المكان فيها الطعام والشراب واللباس ، وقيل ان من بنى الاروقة لم يقصد من بنائها إلا ابتغاء وجه الله !

وليس يهمنا نحن بالطبع إلا ان المكان كان موجوداً ، وان صاحبنا المريض حُمل اليه وان ذويه وضعوا فراشه في أحد أركان المكان وتركوه بعد ان زودوه بقليل من الطعام وقليل من المال. ولماذا يتركون معه شيئاً كثيراً والشفاء مضمون وقريب؟؟

ونام صاحبنا ليلته الاولى وسط ضجيج من تأوهات المرضى . نعم فقد كانت الأروقة تعج بالمرضى من مختلف الجهات وكلهم من ذوى الامراض المستعصية التي طال عليها الزمن . ولعلنا لا نعدو الصواب إذا قلنا ان الآمال الطوال العراض التي ملأت صدره بالأمس وأول من أمس ، الآمال التي عاش عليها بالرغم من دائه العضال قد تزعزعت قليلاً وهو يبصر مرضى لا عديد لهم و بعضهم قد أزمن معه الداء. إلا أننا نبالغ إذا قلنا ان ما ضاع من ايمانه كان شيئاً كثيراً. فقد التمس مختلف الاسباب لتأخر الشفاء عن الكثيرين منهم ربما لم ينتبهوا لصوت حركة الماء وربما لم يبادروا بالقاء انفسهم في الماء ساعة تحركه. ربما ناموا واستغرقوا في النعاس وربما انشغلوا في حديث أو في غير حديث . أما هو فسيجعل قلبه في أذنيه وسيندفع الى الماء حالما يأتي الملاك . نعم سيفعل ذلك . وبات الرجل ليلته وهو يحلم بالملاك وبحركة الماء و بالشفاء !!

على ان الليلة الاولى مرّت وتلتها ليلة ثانية وثالثة . وجاء صباح وثان وثالث ومرّ اسبوع تلته اسابيع والملاك لم يأتِ . أو انه أتى في الليل عند ما كان مستغرقاً في النعاس ! !

وتحرّك الماء يوماً فاندفع من مكانه نحو الماء لكن البعض سبقه. ومع ان جميع الذين اندفعوا إلى الماء عادوا مرضى كما كانوا إلا ان كل واحد منهم نسب الأمر الى انه لم يكن الاول في نزوله الى الماء!!

ومرّت السنة الاولى !

والثانية !!

والثالثة !!!

وابتعد البرء عن جسم الرجل

وابتعد عن قلبه

وعن ذهنه

وضاعت النشوة الاولى

كان الماء يتحرّك وكان الرجل يندفع نحو الماء ولكنه كان يعود خائباً

ما اكثر ما بكى

وصعدت تنهداته الى الله لهيباً محرقاً وقد بدأ اليأس يتسرب الى نفسه . وذلك الايمان في رحمة الله امتدت يد الهزال اليه

ها قد مرّت عشر سنوات !

وتلتها عشر سنوات أخرى !!

وعشر ثالثة!!!

وها هي العشر الرابعة توشك ان تنتهي!!!

مرّت هذه العشرات بطيئة ثقيلة كئيبة . كل عشر منها كانت تحمل أثقالاً من هموم واطناناً من دموع . والعجب ان جسمه المريض لم يفته !

وكان الموت يرعبه

الموت الذي يراه البعض الراحة العظمى كان يخيفه ، لانه كان يخشى ان يقابل الله وهو المذنب . وقد عاش من اثمه بين خوفين ، خوف المرض وخوف الموت

ترى هل وجد من تحدّث عن الملاك ؟

هل قال احدهم ان قصة الملاك خرافة ؟

وان الله لا يمكن أن يعمل عملاً كهذا ؟!؟

انه اذا أراد أن يشفى فلا يمكن أن يأتي هذه الكيفية الخرافية !

ان الله الذي أرسل الشمس والهواء والماء فيضاناً للناس جميعاً لا يمكن أن يكون شحيحاً فيعطي شفاء لواحد ان كان ثمت شفاء!!

وتحدث البعض عن حوادث الشفاء المزعومة

لقد سمعوا عن مرضى برئوا ولكن احداً لم يرَ واحداً من هؤلاء . لقد زعموا أن مفلوجاً قام وان أعرج مشى وان أعمى أبصر ولكن أين ذهب اولئك المحظوظون؟ ان أحداً لم يرَ واحداً منهم !

سمع صاحبنا هذا الكلام وامثاله فترك الكلام وطول الانتظار آثاراً في نفسه وتزعزع ايمانه وهوى !

على انه لم يترك المكان . لعل بقية من رجاء بقيت عنده. أو لعله لم يجد مكاناً آخر يلجأ اليه فقد ذهب قومه جميعاً وهو وحيد في الارض !

هو باق في مكانه !

ولكنه باق لانه لا يجد طريقاً آخر !!!

* * *

وفي أحد الايام أقبل الى المكان شخص غريب . لقد كان يزور المكان أشخاص طيبون يلقون على المرضى بشيء من الطعام أو الكساء أو المال . وكان المرضى يستقبلون اولئك المحسنين كما تستقبل أرض الصحراء نقط الندى

على ان الغريب الذي أقبل كان يختلف عن كل غريب آخر . لقـد جاء بيدين خاويتين . لم يكن يحمل للمرضى شيئاً من الطعام او الكساء او المال. ولكنه كان يحمل شيئاً آخر اعمق واجلّ . وقد رأوا في عينيه كنزاً من ثروة روحية ملأت قلوبهم بالرجاء ونفوسهم بالأمل

أبصر المرضى في عينيه محبة عميقة

محبة من السماء

لقد انحنت نفوس المرضى إلى التراب

وامتلأت نفوسهم بالـكآبة

وملأ التمرد قلوبهم

لماذا يتركهم الله في بؤسهم وتعاستهم

لماذا يسير غيرهم أصحاء

ولماذا يحيا غيرهم كما يحيا الناس

أما هم فيتركون أمواتاً وهم أحياء

لماذا ؟؟

وجعلت النار تغلي في قلوبهم

أين الرحمة التي ينسبونها لله ؟

وأين الحق ؟

وأين العدل؟؟

أين ؟؟؟

والناس ؟

الناس الذين يقال انهم اخوتهم

لماذا يتركونهم مطروحين في ذلك المكان التعس . لا يجدون ما يتبلغون به. ولا يحميهم شيء من زمهرير العاصف ؟

لـكن ذلك الغريب جاءهم يحمل كنزاً من المحبة وذخيرة من الرجاء . فهم يرفعون رؤوسهم و يعيشون مرة أخرى !

يا له من شخص !

لقد أشاع في المـكان نوراً أضاء ظلماته و بهجة ذهبت بكآبته، ورجاء حياً طوح بيأسه . والعجب انه هو كان يحمل وجهاً امتزج الحزن فيه بالألم وتكوّن من الاثنين مزيج كان بلسما لجراح اولئك القوم!!

سار الغريب يلقي نظرته الوضاءة الى كل جزء من أجزاء المكان حتى وصل أخيراً إلى حيث كان مريضنا . وحالما نظر اليه علم ان له زماناً طويلا. ورأى ذلك الايمان الذي ذهبت به السنون .نعم رأى انساناً استسلم لليأس وانطرح على فراشه ينتظر الموت الذي يرهبه

وقد تجلت في عينيه نظرة مرارة وحقد . كان حاقداً على السماء وعلى الارض.

سخط على الله!

وعلى الناس !!

وعلى نفسه !!!

أما يسوع الذي كله حب فنظر الى الرجل بعطف. ثبّت عينيه عليه فخرجت من عينيه أنوار اخترقت قلبه !

وسمع الرجل صوت الغريب !

أتريد أن تبرأ؟؟

استيقظ الرجل قليلا . انه يسمع كلمة طال أمد بعدها عن أذنه وعن ذهنه يبرأ ؟

ان البرء شيء كان في حياته من زمان، منذ ثمان وثلاثين سنة ، ولـكن ذلك الشيء انتهى . انه ما عاد يفكر فيه ، بل انه لم يعد يحلم به

يا للعجب!!

ان الـكلمة أيقظت موات نفسه

ورنت الـكلمة في جوانب نفسه كما يرن الصدى في الاودية الجبلية فسمعها مرات كثيرة، أتريد أن تبرأ ، أتريد أن تبرأ ؟ ؟

وأجاب الرجل نعم يا سيد أريد أن ابرأ . أو على الاصح كنت اريد ان ابرأ إلا اني الآن لا أظن اني سأبرأ لانه ليس لي انسان ليلقيني في البركة متى تحرك الماء ، بل بينما أنا نازل يسبقني آخر

ونظر اليه يسوع نظرة عميقة

انك لا تحتاج الى المـاء أيها الرجل

ان ملاكاً مهما كانت قوته لا يستطيع أن يبرئك ، ولست في حاجة إلى انسان يلقيك في البركة !

لقد جاءك البرء !

ان برءك الآن في يديك !!!

قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك

يا للعجب !!

ان الرجل يحس بالحياة تملأ نفسه

ها هو جسمه يستجيب له

فيقوم !!

انه لا يصدق نفسه

انه يحرك يديه وقدميه

انه يطوي فراشه ويحملها ويخرج متوجهاً الى بيته

انه يخرج وقد ملأ المـكان بالهتاف

وامتلأت الاروقة بالضوضاء

واجتمع الناس

وأبصروا الآية

وبهتوا لها !!

ولكن بعض الفريسيين قالوا له ان اليوم سبت ولا يجوز أن تحمل فراشك وتذهب الى بيتك ؟ ! !

وقال الرجل ان الذي ابرأني هو الذي قال لي احمل فراشك ، ولا شك أن رجلاً يأتي البرء بكلمة هو صاحب سلطان . وسأل اليهود فمن هو ذلك الرجل . وقال المريض انه لا يعرفه . انه لم يسأله من هو لقد انشغل بشفائه فلم يهتم بما عداه!!

* * *

ذهب المريض الى بيته أو الى بيت قريب له ، وقد بدأ اقرباؤه يظهرون

ثم جاء الى الهيكل بعد أيام ، وفي الهيكل رآه يسوع فقال له :

ها أنت قد برئت فلا تخطيء أيضاً لئلا يكون لك أشر !

نعم هذا هو يسوع !

انه لا يحدث المسكين عن خطيئته في الوقت الذي كان يتقلب فيه على فراش مرضه، انه يهتم أولا بشفائه. ولكنه بعد أن ينقذه يعالج نفسه. ويعلم الرجل أن شافيه هو يسوع فيبادر و يخبر اليهود أن الذي شفاه هو يسوع . وأنه هو الذي أمره أن يكسر السبت

ترى هل كان مخلصاً في ذلك

أم كان شريراً آثماً ؟؟ ! !

نعتقد أنه لم يقصد اذية يسوع وانما قصد ان ينجي نفسه . على أن النتيجة كانت ان اليهود ازدادوا مرارة ضد يسوع وطلبوا أن يقتلوه !

يا للمساكين!!

انهم يطلبون أن يقتلوه لأنه ابرأ انساناً ظل مريضاً ثماني وثلاثين سنة في السبت ونسوا أن الله يقول

اني أريد رحمة لا ذبيحة ! !

٣٢
أعمال الضرورة والرحمة
في السبت

«السبت انما جعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت.
اذاً ابن الانسان هو رب السبت ايضاً» مرقس ٢:٢٧،٢٨

كان يسوع يسير بين الزروع في أحد السبوت وكان تلاميذه يسيرون خلفه على مسافة قصيرة . وأحسّ التلاميذ بالجوع فمدّوا أيديهم وقطفوا بعض سنابل القمح وفركوها ثم اكلوها

كانت التقاليد اليهودية تبيح للجائع ان يقطف من الزروع التي لغيره ما يسد غائلة الجوع ولا يعتبر سارقاً إلا اذا حمل معه شيئاً مما قطفه . على ان التقاليد كانت تمنع من عمل شيء يوم السبت . وكان قطف السنابل حصاداً ودراساً وتذرية فهو عمل كبير تحرمه الشرائع التي وضعها الآباء . ولهم مئات القوانين التي تحدد ما يحل وما لا يحل فعله في السبت !!!

وقد بلغ من حرصهم على حفظ السبت ، على ما قيل ان قبطاناً يهودياً ترك قيادة سفينته مساء الجمعة مع ان العاصفة كانت في شدتها وقال ، ان كسر السفينة أيسر من كسر السبت!!!

بل قد قيل ان الاعداء هاجموا مدينة يهودية صباح السبت فلم يردهم أحد لان اليهود يحفظون السبت ! ! !

وكان التلاميذ يعلمون أن السبت يحرم على اليهودي قطف السنابل وغير ذلك من الاعمال ولكنهم، وقد عاشوا مع المعلم الجليلي مدة، أدركوا مالم يدركه اليهود وفهموا حقيقة الدين وان الله لا يريد ذبيحة بل رحمة !!

ولما رأى الفريسيون ما أتاه التلاميذ تقدموا الى يسوع وقالوا له: هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت . ولم يكن جوهر شكواهم نظير ظاهرها . كانوا كأنهم يشكون التلاميذ وهم يعلمون أن المعلم يتفق معهم فكانت شكواهم في الحق ضده هو !

وعلم يسوع فكر قلوبهم

وأجابهم لا بشرح السبت ومقتضياته الحقيقية، فقد كانت أذهانهم أضيق من ان تسع فهم روحية العبادة و بطلان المظاهر الجامدة.وانما اجابهم بما يتفق مع أذهانهم

فسألهم ، أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ؟

نعم . لقد قرأوا القصة ولكنهم لم يدرسوها تماماً . والمعلم هنا لا يوافق داود في كذبه ولكنه يشير الى ما سلم به الكاهن . سلم الكاهن ان داود ومن معه يحل لهم ان يأكلوا خبز الوجوه المخصص للكهنة . ان شرائع الله ليست شرائع جامدة . ان المقصود منها البركة والفائدة !

بل الكهنة في الهيكل ، ألا يشتغلون . ألا يكسرون يوم السبت . من أوله الى آخره يكسرون الوصية التي تقول « لا تعمل عملاً ما » اذن هل يعتبرون آثمين ؟ كلا . ان الكهنة في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء !

بل اكثر من ذلك ان الله عند ما رسم فريضة السبت فرضها بعد ان خلق الانسان . انه لم يخلق الانسان للسبت بل خلق السبت للانسان

ليس السبت إله الانسان !

ولا ربّه !!

السبت خادم الانسان!

رتبه الله ليكون بركة للانسان يساعده على زيادة الشركة مع الله وتقديم التعبد اللازم له. و يساعد على تعمق محبة الله فيه وتأدية الخدمة الواجبة نحو الاخوة!

إذن الانسان هو رب السبت بمعنى من المعاني !!

وابن الانسان ؟

ابن الانسان الذي هو ابن الله ، ألا يحق له ان يرسم ما يجوز وما لا يجوز فعله في السبت ؟ ؟

لم يستطع الفريسيون أن يردّوا على هذه الكلمات القوية . وذهبوا مهزومين ولكنهم ذهبوا حانقين تغلي قلوبهم حقداً وتتمتم أفواههم غضباً وهم يفكرون في قلوبهم ترى كيف يمكنهم قتل المعلم الجديد ؟!!

توجّه المعلم بعد ذلك الحديث الى مجمعهم وكانوا قد سبقوه . لعلهم ذهبوا الى المجمع ليدبروا له مؤامرة . انهم لا يذهبون الى بيت الله للصلاة لكن للتفكير في أذية الآخرين

كان في المجمع انسان يده يابسة

ويقول البشير لوقا انها يده اليمنى

ان منظر اليد اليابسة يحزّ في النفس . ان الرجل بيده اليابسة ميت . انه لا يستطيع ان يعمل إلا أن يستعطى ! !

كنا ننتظر أن القوم يسرون أن يأتي يسوع المسيح الى المجمع ويتقدمون منه يلتمسون أن يشفي يد الرجل، ولكنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك، بل جلسوا يراقبونه هل يشفيه في السبت لكي يجدوا عليه شكاية

يا لشرهم !

ان الرجل المسكين بيده اليابسة لا يحرك قلوبهم !

ألم يفكروا في رجل عنده كل المؤهلات التي تكفي لقيامه بكل مطاليب الرجل ولكنه عاجز عن القيام بها لأن يده يابسة ؟ ؟

ألم يفكروا في نفسيته التي أضعفها العجز والتي صيرت من الرجل كائنا بائساً تعساً يرى أن الطفل أفضل منه ؟؟

ألم يفكروا في أهل الرجل، ان كان له أهل، في زوجته وأولاده وكيف أن الأيام القاسية تمر بهم عابسة مكشرة لأن يد عائلهم يابسة ؟!

ألم يفكروا في شيء من ذلك ؟ !

كلا . لم يفكروا في شيء من ذلك ، لانهم انشغلوا بمراقبة يسوع ليروا ان كان يشفي في السبت لكي يشتكوا عليه !!

ويبدو أن المعلم تأخر قليلا في التقدم بعملية الشفاء. أو ربما خيل لهم انه تأخر بسبب رغبتهم في أن يروه يشفي فتقدموا منه وسألوه قائلين هل يحل الابراء في السبت؟

سألوا السؤال وحاولوا ان تكون نغمتهم بريئة ولكن السم كان يقطر منها والشر يفيض منها ويغطيها . سألوه لكي يجدوا عليه علة ! !

يا له من سؤال !

أما يسوع فأراد أن يكشف لهم عمى قلوبهم. فقال للرجل الذي له اليد اليابسة قم في الوسط . ثم قال لهم : هل يحل في السبت فعل الخير أو الشر ؟!!

تخليص نفس أو قتل ؟ ! !

كانوا يسألون هل يحل الابراء في السبت وكأني بالسيد يقول ان كان الابراء لا يجوز فعله في السبت فهل يجوز الايذاء ؟ أيها الغيورون على حفظ السبت أيها المنافقون الاشرار الذين تتآمرون على القتل. ترتكبون خطية شنيعة هي خطية القتل وتأتونها في يوم السبت فتكسرون وصية السبت. ترتكبون جرماً في يوم السبت ثم تسألون هل يحل الابراء في السبت ؟!!؟

أجيبوا أيها القديسون الاطهار المدققون

هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر

تخليص نفس أو قتل ؟!

لم يستطع القوم أن يتكلموا . وماذا يقولون ؟ لقد كشف لهم انفسهم الآثمة وقلوبهم الشريرة. وسكتوا ولكن سكوت العجز المتمرد. سكتوا حانقين متذمرين

ولكنهم سكتوا. ولو كانوا مخلصين لتقدموا من المعلم معترفين بخطأهم تائبين. ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك.

سكتوا فقط!

ونظر السيد اليهم

وانكشفت له خبيثة قلوبهم

فتجلى على وجهه غضب امتزج بكثير من الالم. نظر اليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم!

لقد جاء يعمل خيراً، خيراً لواحد منهم!!

إذ من هو ذلك الرجل ذو اليد اليابسة؟ أليس أخاهم أو ابن عمهم أو على الاقل ذا صلة برحمهم. انه واحد منهم يريد السيد أن يحسن اليه. فهو بعمله يحسن اليهم. ومع ذلك يراقبونه لكي يشتكوا عليه. ولما يفحمهم بالحجة لا يعترفون بل يدعوهم العجز الممتزج بالشر أن يسكتوا! لقد كنا ننتظر أن المعلم ينظر اليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم ويقول للرجل اذهب أيها الرجل اذهب وابق كما انت عاجزاً. اذهب فأنت واحد منهم!!

كلا. ليس هذا هو يسوع!

ان يسوع يحزن على غلاظة قلوبهم. ولكنه يقول للرجل مد يدك. ويمد الرجل يده فاذا هي صحيحة كالاخرى!

لم نسمع في الجمع هتافا ولا كلمة شكر!!

ولو أعطينا رؤية القلوب والافكار لرأينا مجمع أبالسة في كل قلب من قلوب الفريسيين. خرج الفريسيون مع الهيرودسيين وقد امتلأوا حمقاً وصاروا يتكالمون فيما بينهم ماذا يفعلون لكي يهلكوه.

ومن الغريب انهم عملوا ذلك في السبت

٣٣

الموعظة على الجبل

« ولما رأى الجموع صعد الى الجبل . فلما جلس تقدم اليه تلاميذه ففتح فاه وعلّمهم » متى ٥ : ١ و ٢

أي جبل هذا الذي صعد اليه يسوع
وفي أي يوم كان

وهل ألقى يسوع الموعظة على الجبل كلها مرة واحدة ، ام ألقاها على جملة مرات ، ثم جمعها «متى» وجعل منها عظة واحدة . هذه وكثير غيرها أسئلة لا نملك الرد الحاسم عنها . وماذا يهمنا إن كان الجبل هو جبل الزيتون أو جبل الشيخ . وهل يغير من قيمة العظة إن كانت قد ألقيت على مرة واحدة ام ألقيت على اجزاء ؟

وبما أننا لا ندرس العظة إلا من ناحيتها القصصية فسنسير فيها من هذه الناحية غير مهتمين بالنواحي الأخرى إلا على قدر ما تتصل بالقصة !

ويمكننا أن نستنتج من رواية البشير لوقا أن المعلم ألقى عظته حالاً بعد اختيار الاثني عشر . كان قد قضى الليل كله في الصلاة لله . ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم رسلاً . ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه الآخرين وجمهور غفير من الشعب . ثم رفع عينيه الى تلاميذه ووجه اليهم كلمات العظة الخالدة ـ وقد حوت شيئاً من أثمن جواهر السماء قدمها كالعقد المنظوم اخاذة لماعة غالية الثمن !!

١ ـ وقد بدأها بتطويبات عرفت فيما بعد بالتطويبات السبع . وقد انذهل الناس منها لانها خالفت كل مألوف . فقد طوب المساكين والحزانى والودعاء والجياع

والعطاش إلى البر والرحماء والأنقياء القلب وصانعي السلام والمطرودين من أجل البر . وختم التطويبات بالكلمات .

« طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين . افرحوا وتهللوا لان اجركم عظيم في السموات »

* * *

٢ — وبعد أن ختم التطويبات أعلن للتلاميذ أنهم ملح الأرض ونور العالم ووجه أنظارهم إلى ما في هذا المقام الكبير الممتاز من مسئوليات . أخصها المحافظة على ملوحة الملح وعلى ضوء النور . وختم هذا الجزء بالكلمات «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذي في السموات » .

* * *

٣ — وانتقل المعلم بعد ذلك إلى العلاقة بين رسالته والناموس الذي اعطاه موسى لليهود. فاعلن انه لم يأت لكي ينقض الناموس بل ليكمله. أي يكمله بكشف جوهره وحقيقته الداخلية وقد ضرب لذلك خمسة أمثال توضيحاً لذلك

(١) فذكر مثلاً خطية القتل . قال أن الناموس يقول لا تقتل وقد قصر الآباء في شرح الوصية على قتل الجسد قتلاً حرفياً ولكنه أشار إلى أن هناك قتلاً اعظم من قتل الجسد فالغضب مثلا هو الجرثومة الأولى للقتل. لذلك اعلن أن من يغضب على اخيه باطلا يكون مستوجب الحكم . ومن انفعل على اخيه وشتمه قائلا يا حمق أو ماشابهها فانه يعتبر مرتكباً ما يضارع جريمة القتل. ونصح بوجوب الاهتمام بالسلام بين الاخ والاخ بل قال أن العلاقة الطيبة بين الاخ والاخ ألزم من التعبد بتقديم الذبيحة . وهذه نفس كلماته « فان قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لاخيك شيئاً عليك . فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع اخيك . وحينئذ تعال وقدم قربانك » .

(٢) والمثل الثاني الذي قدمه عن تفسير القدماء للناموس هو مثل الزنا . وقد اعتبر القدماء الزنا خطية تعاقب إذا تمت حرفياً . أما السيد فقال أن الخطية اعمق من العمل . انها تمتد إلى البذرة الأولى، إلى الشهوة. وأن من نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنى بها في قلبه . بل بيّن لليهود أن قوانين الطلاق التي سنّوها ، فيها الخطأ الذي يدفع إلى الزنا . ذلك ان الطلاق لا يجوز إلا لسبب واحد . أما وهم يطلقون لكل سبب فان طلاقهم باطل والزواج من النساء المطلقات هذا الطلاق الباطل هو زنا ! !

(٣) أما المثل الثالث الذي قدمه السيد فكان يتصل بالحلف ولقد كانت الوصية « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا » أي لا تتلفظ باسم الله من دون داع كبير . ولكن الاقدمين وضعوا شرائع ونواميس تتصل بالاقسام فاجازوها احياناً وحرموها احياناً أخرى . وقال المعلم أن الاصل في الوصية تحريم الحلف اطلاقاً وختم اعلانه بالقول « ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير » .

(٤) والمثل الرابع الذي قدمه كان عن شريعة الانتقام التي استمدها الآباء من شريعة القصاص فقد قالوا، عين بعين وسن بسن، أما هو فاعلن أن اعظم انتصار على الشر هو مقابلته بالخير ووضع لذلك الشريعة التي لا تزال الشريعة المثالية «لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر »

(٥) ثم للثل الخامس كان عن العلاقة بين القريب والعدو فقد وضع الاقدمون لذلك شريعة ملخصها « تحب قريبك وتبغض عدوك » وقد كشف المعلم الجديد ما في تلك الشريعة من انحطاط ومن شر ووضع شريعته التي وقف العالم أمامها ذاهلا ، انها شريعة تبدو مستحيلة التنفيذ لولا انه هو نفسه نفذها،وها نحن ننحني أمام هذه الشريعة « احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم ، وصلّوا لاجل الذين يسيئون اليكم و يطردونكم» وختم اعلانه هذا بالكلمات «فكونوا انتم كاملين كما أن اباكم الذي في السموات هو كامل .

* * *

٤ — و بعد أن فرغ من موضوع الناموس القى لهم تعليمه عن الاخلاص في الدين وذكر موضوع الصلاة والصيام والصدقة التي هي ابرز مظاهر التدين وطلب من تلاميذه ان يبتعدوا كل البعد عن رياء المنافقين ، فان البعض كانوا إذا صلّوا انتخبوا لانفسهم مكاناً ظاهراً يصلّون فيه حتى يراهم الناس، وكانوا يطيلون الصلاة و يكررون الكلام ، كانت صلواتهم في الواقع للناس لا لله ـ وطلب المعلم انهم يصلّون لله لا للناس وللآب السماوي و يقللون الكلام في حضرته،واوصى بوجوب الصلاة السرية ، ووضع صلاة نموذجية هي الصلاة الربانية التي يصليها جمهور المسيحيين في العالم :

« ابانا الذي في السموات
ليتقدس اسمك
ليأت ملكوتك
لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض
خبزنا كفافنا اعطنا اليوم
واغفر لنا ذنوبنا
كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين الينا
ولا تدخلنا في تجربة
لكن نجنا من الشرير »

وكان حديثه عن الصيام وعن الصدقة على نفس هذا الاساس أي انه ينبغي أن يكون خالصاً لله بعيداً عن الرغبة في الظهور وطلب المجد من الناس.وانه ينبغي أن يتجه الى الله وحده. وكلما اختفت مظاهر العبادة كلما كان اخلاصها أوكد وأتم !!

* * *

٥ — وثمت موضوع آخر شغل فكر المسيح هو موضوع المال ومكانه من قلب الانسان . فقد ذكر أن الكثيرين جعلوا هدفهم في الحياة اختزان المال وهم يبذلون

في سبيل ذلك من دمهم ومن حياتهم الشيء الكثير . ويضحون اسمى العواطف وانبل الشمائل وينكرون على أنفسهم المتعة بالراحة والمتعة بالاولاد والرجاء. يالخسارهم!!
أما المسيح فيقول «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد السوس والصدأ وحيث لا ينقب السارقون ولا يسرقون » وشدد على ذلك لانه حيث يكون الكنز يكون القلب !!

هذا وقد بيّن أن الذين « يكنزون» المال يقيمون لأنفسهم منه إلهاً وسيداً. ولا يمكن لمن يعبد الله أن يعبد إلهاً آخر هو المال . ثم لماذا نهتم بالمال هذا الاهتمام الكبير . ولماذا ننشغل بمطاليب الحياة انشغالاً يقتل ايماننا ويضعف رجاءنا . لماذا نهتم بالطعام واللباس ولنا آب يهتم بطيور الجو وزنابق الحقل. انه هو يهتم بنا ولاشك أن أمره الحكيم صادق « اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم»

* * *

٦ــ وبعد ذلك ألقى المعلم عدداً من النصائح الذهبية . أما أولها فالتحذير من دينونة الآخرين إذ أن الواجب أن يصلح المرء من شأن نفسه قبل أن ينتقد الآخرين ما اكثر من يرون القذى في عيون الآخرين بينما توجد خشبة كبيرة في عيونهم . هؤلاء مراءون منافقون !!

ونصيحة ثانية، أن نصلي واثقين أننا سنعطى طلباتنا لأننا نصلي الى أبينا الذي يهتم بنا ويرعى مصالحنا ويحبنا !!

وثمت نصيحة ثالثة، أن ندخل من الباب الضيق باب القيود والتجارب والموت لانه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلونه . ما أضيق الباب واكرب الطريق الذي يؤدي الى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه .

وآخر نصائحه الاحتراس من الانبياء الكذبة. وقد أعطى تلاميذه مخباراً يعرفون به حقيقة الأنبياء وهو «من ثمارهم تعرفونهم » وندد بالذين يدعون أنهم للمسيح

ولكن حياتهم تدل على انهم للشيطان وقال أن كثيرين سيقولون له في يوم الدينونة انهم اكلوا وشربوا قدامه ، وانه علّم في شوارعهم وانهم اخرجوا شياطين باسمه . ولكنه سيردهم قائلاً : اذهبوا عني لا اعرفكم، اذهبوا عني ياجميع فاعلي الظلم ـ وما أجمل الكلمات التي بدأ به تلك الكلمات المقدسة «ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل ارادة أبي الذي في السموات» و بذلك كشف المعلم خطأً جسيماً كان الفريسيون يرتكبونه إذ كانوا يستندون على مظاهر العبادة من صلاة وتلاوة أدعية ولكنه أراهم أن الأمر أعمق من ذلك . ان الحياة تتجلى في العمل . كما أن الشجرة تعرف من ثمرها !!

وختم المعلم هذه العظة الخالدة بذلك المثال الرائع عن البيتين ، المثال الذي يميز بين من يسمع و يعمل و بين من يسمع ولايعمل قال أن الأول بيت بني على اساس يثبت دائماً في وقت الهدوء وفي وقت العاصف بخلاف الآخر الذي بني من دون أساس فانه قد يثبت مدة حتى اذا ما جاء العاصف كشفه !!

٣٤
بيتـــان

« رجل عاقل بنى بيته على الصخر » متى ٥:٢٥

« رجل جاهل بنى بيته على الرمل » متى ٥:٢٦

قام البيتان، هذا الى جوار ذاك، جميلين عاليين وقد ازدان كل منهما بما تزدان به البيوت مما يجعلها منظراً يجذب !!

وقد بدا أن أحد البيتين يتميز عن الآخر بأشياء. فهو أجمل منه شكلا ازدانت جدرانه بالصور والنقوش ونوافذه الزجاجية كانت تعكس أنوار الشمس الغاربة وشمس الصباح فتتكسر أشعتها قطعاً من الجوهر متناثر الألوان وقد تحدث الناس عن

ذلك البيت وذكروه كنموذج البيوت التي يصحّ ان تكون في سجل الخالدين

أما البيت الثاني فخلا من الزينة وكان عاطلاً مما يحلي . ومع ان صاحبه كان مستريحاً فيه إلا ان الناس لم يجدوا فيه ما يلفت أنظارهم . بل انهم أباحوا لأنفسهم ان يسخروا منه في معرض المقارنة بينه و بين البيت الآخر !

واستمر البيتان قائمين طول شهور الربيع والصيف والجانب الاكبر من شهور الخريف . وقد حدث ان شتاء العام جاء مبكراً قبل ان ينصرم الخريف . وجاء شتاء عاتياً جباراً حمل كل ما يحمله الشتاء الجبار من رياح وعواصف وأمطار وسيول. وقد هجمت هذه بكل عنف على ذينك البيتين وكان هجومها مروعاً . وقد أشفق الناس على البيت الصغير القائم وظنوا أنه سيتلاشى امام الهجمات الاولى ولكن العجب ان البيت ظل صامداً لم يهتز امام كل قوة العاصف بل ثبت كطود!!

أما ذلك البيت الشامخ المطل بكبرياء على الوادي فانه عندما هبّت عليه الريح اهتز واضطرب وعند ما هجمت العاصفة تمايل أمامها فلما صدمته السيول لم يستطع ان يستمر قائماً فسقط وكان سقوطه عظيما ! !

وقد انذهل الناس وهم يبصرون البيت العظيم يسقط بينما ثبت الآخر وتحدثوا عن البيتين حديث العجب . ولكن عجبهم زال عند ما علموا أن البيت الصغير بُني على أساس من صخر متين.أما الآخر فلم يكن له أساس. وقال الناس حقاً ان عظمة البيت و بقاءه لا يستندان على عامل خارجي مكشوف بل على العامل الخفي الداخلي!!

وقد قدم يسوع هذا المثال لكي يعلّم الناس ان كل ديانة لا تبنى على الاساس الحق لا يمكن أن تثبت أمام هزّات التجارب أو هزّات الايام

والعاقل من بنى وأسّس على الصخر فانه بناء سيبقى و يقوم!!

٣٥

الرجل الذي آمن بالكلمة

« فآمن الرجل بالكلمة التى قالها يسوع وذهب »
يوحنا ٤ : ٥

عاد يسوع من اليهودية الى الجليل . وها نحن نراه في قانا حيث كان قد صنع أولى آياته . وكانت مدينة كفر ناحوم قريبة من قانا إذ كانت الأخيرة إحدى ضواحيها . وكان في كفر ناحوم رجل كبير المقام يتولى الاشراف على كل أعمال الملك هيرودس وكان نفوذه عظيما في الاقليم إذ كان خادم الملك

على أن الرجل لم يكن خالياً من الهموم

كانت له الثروة

وكان له النفوذ والمجد

ولـكن ابنه كان مريضاً

ونحن نعتقد أن المرض لم يكن بسيطاً ولا سهل العلاج. بل كان مرضا عضالا استفحل فعزّ الشفاء . ومثل هذا الرجل لا تنقصه وسائل العلاج . لا بد انه احضر له أمهر الأطباء وانجع العقاقير ولـكن حالة الابن جعلت تسوء حتى بلغت حداً انقطع فيه رجاء الرجل من حياة ابنه !

فلما سمع أن يسوع في قانا انطلق اليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه لانه كان مشرفاً على الموت !

ولا حظ يسوع ان ايمان الرجل لم يكن خالصاً فأراد أن يمتحنه ليقويه . ولذلك قال له بنغمة يتجلى فيها شيء من الرفض « لا تؤمنون ان لم تروا آيات وعجائب » وقد حملت هذه الـكلمات اعلاناً بعدم نضوج ايمان الرجل وتوبيخاً لعدم الايمان هذا . على أن الرجل لم يتعرض للرد على تهمة عدم ايمانه إذ كان مشغولا بحالة ابنه

وكان قلبه ملتهباً . فتقدم من السيد بصراخ يا سيد انزل قبل أن يموت ابني. خلص ابني أولا ثم وبخ عدم إيماني بعد ذلك . وكان صراخ الرجل يحمل معنى الايمان . كان يشبه اعتراف ذلك الذي قال اومن يا رب فأعن عدم ايماني.! !

لقد بدأ الايمان يأتي ثماره

وأراد المعلم أن يزيد ايمان الرجل قوة فقال له اذهب ابنك حي ، و بلغت تلك الكلمات الى قلب الرجل فقبلها بيقين وآمن في الحال بالكلمة وانطلق الى كفر ناحوم

كان في أول الامر يطلب أن يذهب المعلم معه لكي يجري آيته في شفاء المريض . أما الآن فهو يؤمن ان ابنه قد شفي بكلمة النبي الجديد . انطلقت كلمة يسوع رسالة قوة فشفى الغلام !!

ووصل الاب الى كفر ناحوم واستقبله عبيده وهنأوه بسلامة ابنه

شفي ابني شكراً لله مجداً لله

شفي الابن العزيز

وهتف الرجل هتاف السرور والاعتراف بفضل الله . ثم سأل عبيده في أية ساعة أخذ الولد يتعافى . فأجابوا أمس في الساعة السابعة « تركته » الحمى . نعم ففي نفس اللحظة التي خرجت فيها الكلمة من فم يسوع شفى الغلام شفاء تاماً

هذا هو يسوع !

انه لا يشفي شفاء ناقصاً

ان شفاءه كامل وقوي !

فآمن الرجل و بيته كله

وهكذا صارت لنا في قانا ، عائلتان ، على الأقل ، تؤمنان بالمسيح

بل نستطيع أن نؤكد أن مؤمنين آخرين قد انضموا الى الكنيسة

شكراً لله ! !

٣٦
الايمان الذي تعجب منه يسوع

« ولما سمع يسوع هذا تعجب منه والتفت الى الجمع الذي يتبعه وقال ، اقول لكم لم اجد ولا في اسرائيل ايماناً بمقدار هذا » لوقا ٧ : ٩

كان الرجل رومانياً
وكان ضابطاً كبيراً في الجيش
كان قائد مئة
على انه لم يلبس ثوب التعاظم والكبرياء شأن الرومان
ولم يمش على الارض بانتفاخ رجال الجيش
ولم يسلك مع الجمهور مسلك الغطرسة والترفع
كلا. بل قد استطاع ان يكتسب ودّ ذلك الشعب المتعصب باتضاعه وخدماته للأمة وللكنيسة
وكان له قلب رقيق مليء بالعطف
كان انساناً

ونحن نعرف ذلك من حادث في بيته . فقد دخل المرض بيته وأصاب أحد عبيده. ولو أن العبد المريض كان في بيت آخر لأمر سيده أن يطرحوه خارجاً حتى يموت جوعاً أو مرضاً . ليس العبد شيئاً ذا قيمة. انه شيء تافه، حياته وموته سيان.

ولكن القائد الروماني ينشغل بأمر عبده . يتألم لألمه ويحاول بكل جهده ان يخفف عنه . ولا بد انه استعان بالأطباء وبالدواء ولكن العبد ظل يتقلب على فراش المرض مفلوجاً متعذباً

وكان القائد قد سمع عن يسوع

كانت كفر ناحوم الوطن الثاني ليسوع

وكان القائد يقيم في نفس المدينة

وكان يسوع في رحلة بعيداً عن كفر ناحوم فلما عاد وبلغت أخبار عودته الى القائد انتهزها فرصة لكي يطلب من النبي الجليلي ان يأتي ويشفي عبده

وأحس الرجل ان مركزه كروماني لا يسمح له ان يتقدم الى نبي يهودي بطلب دون أن يوسط بينه وبين النبي من يعتقد انهم أهل للشفاعة. ومن أولى بالشفاعة من شيوخ اليهود؟

آه لو علم ان مكانه عند يسوع افضل بما لا يقاس من مكان اولئك الشيوخ المتكبرين المتعصبين اذن لجاء بنفسه بدون وسيط !!

واولئك الشيوخ، على ما كانوا عليه من كبرياء وعمى وتعصب، لم يستطيعوا أن يرفضوا طلب القائد الروماني المحبوب . وهم يلتمسون من يسوع باجتهاد قائلين ان الرجل مستحق ان يفعل له هذا «لانه يحب أمتنا وهو بنى لنا المجمع !»

هل كان الرجل مؤمناً بالله ، وهل ترك أوثانه وآمن باله اليهود ؟ يغلب ان الامر كان كذلك لان كثيرين من الرومانيين الذين جاءوا الى اليهودية أبصروا في نور الوحدانية ظلام الوثنية فنبذوا آلهة رومية وآمنوا بالاله الواحد . ويغلب انهم آمنوا سراً لانهم كانوا مضطرين أن يقيموا الشعائر الدينية لآلهة رومية وللامبراطور وكانوا يقومون بتلك العبادات لا من وجهة نظر دينية فقط بل من وجهة نظر سياسية وادارية!

ونعتقد أن قائد المئة في كفر ناحوم كان أحد الرومان الذين آمنوا بالله وانه أحب اليهود وانه بنى المجمع . فأحبه شيوخ اليهود والتمسوا بالحاح من يسوع ان يذهب اليه ويشفي عبده !!

وقبل يسوع طلب اليهود وذهب معهم

وعلم القائد ان يسوع ذاهب الى بيته

وأحس ان هذا كثير عليه

نعم انه روماني وقائد مئة

ولكنه لا يزيد عن انسان ضعيف

المرض يقعده

والموت يفنيه

أما يسوع فلا يمكن أن يكون انساناً عادياً . وكيف يمكن لانسان عادي ان يأتي بما أتاه؟ ألم تبلغه حادثة شفاء ابن خادم الملك في نفس كفر ناحوم ؟ ألم يحدثوه عن الرجل الذي كان فيه روح نجس في مجمع كفر ناحوم؟ ألم يخبروه انه دخل بيت بطرس في نفس المدينة وأقام حماة بطرس من الحمّى في لحظة من الزمان ؟ ؟

والمرضى الذين اجتمعوا حول الباب في مساء السبت كيف تركتهم أمراضهم وشياطينهم بمجرد أن لمس بيده المباركة أجسامهم ؟ ؟

وفي نفس كفر ناحوم جاءوا اليه بمفلوج يحمله أربعة فشفاه بكلمة بعد أن غفر خطيته

وفي غير كفر ناحوم سمع القائد عن الابرص الذي تقدم من المعلم وقال : ياسيد ان أردت تقدر أن تطهرني وكيف ان المعلم لمسه وقال «أريد فاطهر» وفي الحال طهر !

وفي اورشليم عند باب الضأن اخبروه عن المفلوج الذي استمر مضطجعاً عند بركة بيت حسدا مفلوجاً وهو ينتظر الملاك ليشفيه وكيف ان يسوع شفاه بكلمة !

كلا . لا يمكن أن يكون يسوع انساناً عادياً

بل لا يمكن أن يكون انساناً

لا بد انه الله ظهر في الجسد

وهو لذلك يشعر انه ليس أهلاً لان يأتي الله العظيم الى بيت الانسان الحقير .

فأرسل اليه اصدقاء يقول له يا سيد لا تتعب

اني لست مستحقاً ان تدخل تحت سقفي

بل اني احسّ اني لست اهلا ان آتي اليك بنفسي !

كلا . يا سيد لا تأتِ

أنا اعلم انك ذو سلطان !

أنا أومن انك اكثر من انسان !

أنا اعلم انك سيد الحياة !!

قل كلمة فقط يا سيدي!!

قل كلمة فيبرأ غلامي !!

اني أنا رئيس في عملي ، لي سلطان على جنودي واتباعي

ان لكلمتي سلطاناً

أقول لهذا اذهب فيذهب

ولهذا أيت فيأتي

ولعبدي افعل هذا فيفعل !!

* * *

كانت كلمات القائد كلمات شخص عرف حقيقة يسوع . عرف انه الله ظهر في الجسد . عرف ان له سلطاناً على المرض وعلى الصحة وعلى الحياة ! !

وسمع يسوع تلك الكلمات فتعجب

لقد سبق ليسوع ان تعجب من عدم ايمان بني الملكوت ، اليهود المصلّين

ولكنه اليوم يتعجب من ايمان الاممي

وهو يلتفت الى المحيطين به ويقول : « لم اجد ولا في اسرائيل ايماناً بمقدار هذا . واقول لكم ، ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات

وأما بنو الملكوت فيطرحون الى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان»

ثم ارسل يسوع لقائد المئة يقول ، اذهب وكما آمنت ليكن لك

فبرأ غلامه في تلك الساعة ! !

٣٧
ابن الارملة

« فلما اقترب الى باب المدينة اذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي ارملة » لوقا ٧ : ١٢

في بلاد اليهودية قرية صغيرة تدعى نايين لا يعرف أحد مكانها بالضبط وان كان البعض يحددون لها مكاناً قريباً من كفر ناحوم في بلاد الجليل . على أن القرية الصغيرة كان يمكن أن تعيش وتموت دون أن يدري العالم الخارجي بميلادها أو بموتها . فقد كانت احدى تلـكم القرى التي لا يقطنها إلا جماعـة من فقراء المزارعين يكدحون الى الموت لـكي يحفظوا أنفسهم من الموت . لم يظهر فيها غنى ولم يبرز منها عالم ولم يقم منها قائد أو مصلح . كان جميع سكانها من عامة العامة .

على أن تلك القرية المجهولة الساكنة في غموض التاريخ والتي غطتها ظلمة الاهمال قفزت في أحد الأيام من ظلام غموضها وأحاطت بها أنوار جعلتها أبرز من أبرز البلدان . وتحدث الناس عنها حديثاً عجيباً بل سجل التاريخ اسم تلك القرية في صفحاته الخالدة وأبصر العالم كله «مدينة نايين» محاطة بهالة من النور . وانشدت موسيقى سماوية نشيد المدينة الخالدة

هذا . . . والقرية لم يتغير منظرها

فأكواخها هي هي ، تلك الزرائب الحقيرة التي تضم بشراً أقرب الى السوائم ، يسكنون هم ودواجنهم في مكان واحد

وسكانها هم هم أولئك الرجال الذين أحال الفقر والمرض أجسامهم وثيابهم الى كتلة طينية واحدة رسمت الأيام خطوطاً عميقة على وجوههم . والنساء لا تفرق بينهم و بين الرجال في شيء إلا في ذلك الغطاء الذي يستر رؤوسهم

وطرقاتها هي هي تلك الطرقات الضيقة التي تفصل بين تلك الاكواخ الحقيرة!!

فما الذي نقل تلك القرية من أودية النسيان إلى جبال الاعلان ؟

في أحد الايام دخل غريب إلى تلك القرية، ومع أنه لم يمكث فيها إلا دقائق أو على الأكثر ساعات ، فان تلك الزيارة نقلت القرية المجهولة من مكانها المجهول وصيّرتها علماً في جبين الدهر

وكان ذلك الزائر الغريب، يسوع

دخل يسوع إلى تلك القرية غالباً في طريقه إلى قرى أخرى . وتصادف، أو قل، انها العناية هي التي رتبت مرور جنازة حامية من باب القرية إلى مدافن القرية !

كان كل جمهور القرية خلف النعش

الرجال والنساء، الاولاد والبنات

وكان الجميع يبكون

وخلف النعش مباشرة كانت عجوز مسكينة انحنت تحت ثقل السنين وانحنت اكثر تحت أثقال الاحزان !

كان الميت شاباً

وكانت العجوز أم ذلك الشاب

كان الشاب ابنها الوحيد وكانت أرملة ! !

ولسنا في حاجة الى أن نسأل عن تفاصيل رواية الأم والابن . لسنا في حاجة الى أن نعرف اسم المرأة ولا قصة ابنها الوحيد . فنحن نعرف انها امرأة من سكان القرية . وماذا يهم إن كان اسمها مريم أو راحيل أو سارة ليكن اسمها واحداً من هذه الاسماء!!

وعند ما كانت فتاة تزوجت كما تزوج وكما يتزوج نظيراتها من الفتيات . ولا شك أنها استقبلت عرسها كما يستقبل الزهر قبلات النسيم وأشرق وجهها بفرحة الحب وفرحة الشباب !

نعم، فانه حتى في نايين يوجد الشباب و يوجد الحب. لا فرق في ذلك بين نايين وغيرها . كل الفرق أن هذه الفرحة لا تطول في نايين ، فان مطاليب الحياة تقصّر أيام العرس . وشهر العسل الذي يمتد من شهر إلى ثلاث سنوات يقصر في نايين إلى يوم أو ثلاثة أيام !!

ولا نعلم هل عاشت فتاتنا مع زوجها طويلاً أم انه فارقها قبل أن تضع وليدها الأول؟!

قيل ، وليس للقائلين في هذا الا سند من الخيال، قيل، أنها عاشت مع زوجها وشاركته في الكدح وولدت له أبناء كثيرين ولكنهم كانوا يموتون قبل أن يحول عليهم الحول. فلما ولدت ابنها الأخير صلّت أن يبقيه الله لها ذخراً وامتد الأجل بالطفل وتخطى السنة. وكان فرح أمه طاغياً ولكن فرحها لم يطل لأن زوجها اختطف فجأة

وقيل أن زوجها لم يمكث معها طويلاً بل فارقها قبل أن تضع وليدها. وحزنت الأرملة الشابة على زوجها و بكت عليه كما لم تبك امرأة على حبيب، وأقسمت أنها ستكون وفية لذكراه إلى أن ينقلها الموت اليه !!

وسواء صحّ هذا القول أو ذاك ، فان كل ما يهمنا أن المرأة عاشت لذكرى زوجها مع ابنها الوحيد . وان ذلك الابن كبر وصار شاباً . وان المرأة وابنها كانا موضوع محبة القرية كلها!!

ولكن ذلك الابن الذي كرست المرأة حياتها له يتركها وحيدة !

وها هي الأرملة تسير خلف جثمان ولدها !!

يا له من حادث مرّ قاس

ها هي الخطية تكتب على جبين الارض لعنتها القاسية !

المرأة التي احتملت انطفاء شعلة حبها والتي رفضت أن تضطجع في حضن رجل آخر والتي لازمت الثوب الأسود واجتازت في مسالك الحاجة فجاعت وتعرّت وضاق بها العيش ، المرأة التي قاست كل ما يخطر على فكر الناس من بؤس ، كل ذلك

في سبيل ابنها وحيدها ، هذه المرأة تخرج الآن لـكي تدفن ابنها الشاب ، حياتها وأملها . . . بل سماءها !!

ما هي الحياة بدونه ؟

ما هو النور ؟

بل ما هي الابدية ؟!

يا ليتها تستطيع أن تبكي . لقد جفت دموعها وهي تخرج من عينيها عصيراً أحمر هو دم قلبها !

وذلك الجسم النحيل انحنى تحت ذلك الجبل الناري العظيم !

في النعش يضطجع شاب !

وحيد لأمه !

وهي أرملة ! !

* * *

مرّ الموكب الحزين أمام يسوع ومدّ السيد نظره يبغي ان يبصر

وعينه تستقر على المرأة

كانت عيون الـكل تتجه نحو النعش . . . نحو الشاب المضطجع فيه !

أما السيد فنظر إلى المرأة . . الأرملة

ورأى حزنها الطاغي

رآها كما لم يرها الآخرون!

اخترقت عينه إلى أعماقها فأبصر قلبها الذبيح ، بل قلبها الذي كان يتقلب في أتون !

و بكى السيد !

نعم أن دموعه لم تنزل من عينيه !!

ولـكنه بكى بقلبه !

تحنن !!

وتقدم الغريب يمزج دموع قلبه بدموع قلبها وقال لها لا تبكي !

لا تبكي ايتها المرأة!

ولعل المرأة اندهشت وهي تسمع هذه الكلمات. أن الجميع يقولون لها ابكي.

بل لنفرض ان العالم كله قال لها لا تبكي فهل يمكنها أن لاتبكي. انها ستظل تبكي إلى أن تلفظ انفاسها الاخيرة. انها تجد تخفيف لهيبها في البكاء. انها تجن إذا لم تبك

ما اكرمك يا الله !

ان تلك الدموع النارية هي بلسان للقلب المحترق :

ولكن الغريب يقول لها لا تبكي!!

ومن عجب انها أحست أن عينيها قد اشرقتا وانهما تنتظران حدثاً حديثاً سارا حدثاً تخشى أن جسمها النحيل لن يقوى على احتماله !

ها هو الغريب يلمس النعش .

وها هم الشبان يقفون . لقد احسوا انهم امام قوة قاهرة اعظم من الموت!

وها هو الغريب يتجه الى الشاب المضطجع في النعش و يقول :

ايها الشاب

لك اقول قم !!

* * *

مرت ثانية !

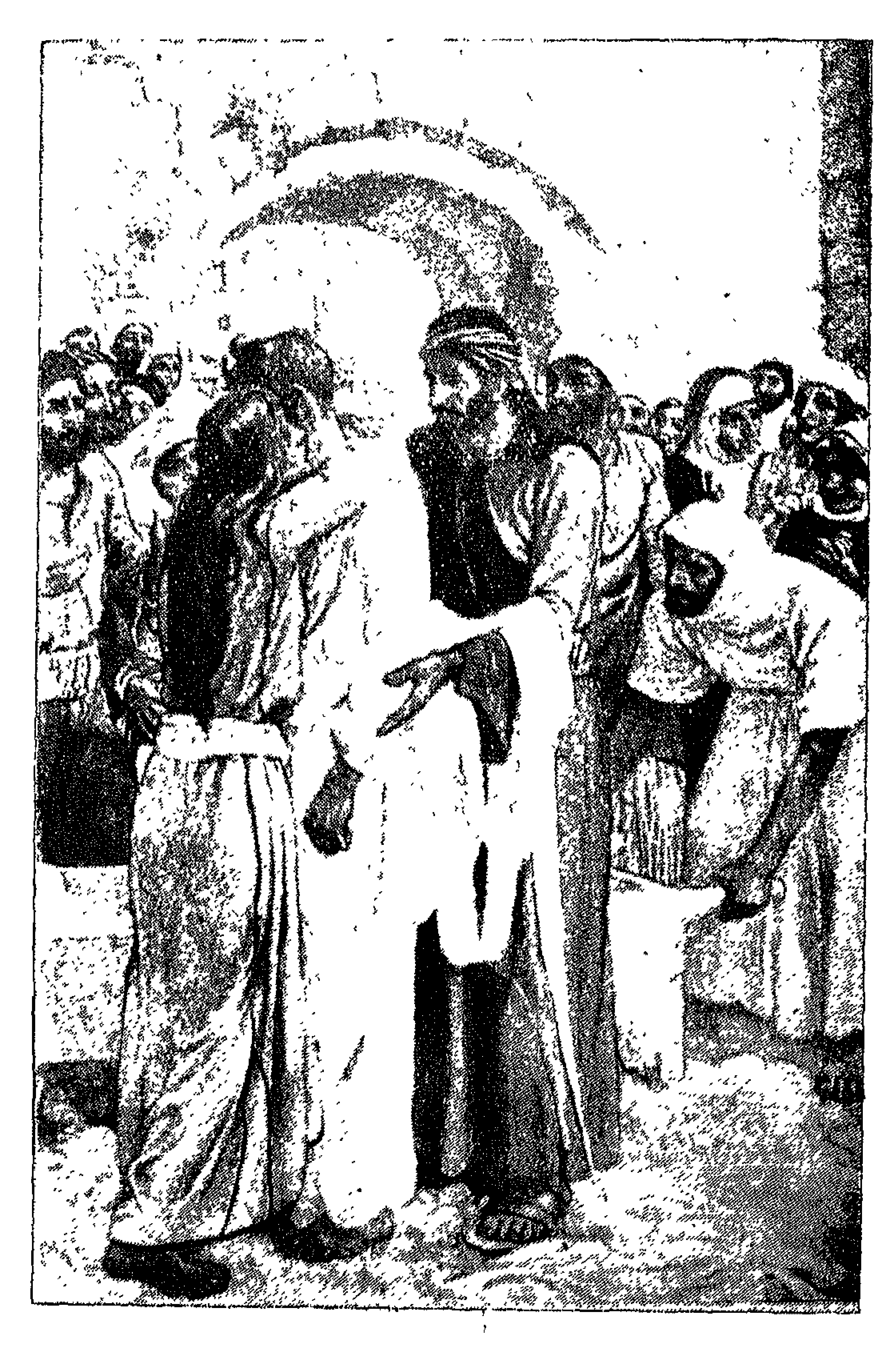
بل اقل من ثانية !

اقل كثيراً !!

ولكنها مرت على القوم كما لو كانت جيلاً !!

نظر الجمهور الى النعش

نظر وقد احس ان الافلاك قد وقفت



اقامة ابن ارملة نايين

وتطلع القوم نحو الجثمان المضطجع وقد خرجت عيونهم من محاجرها !!

يا للدهشة !

هوذا حركة في النعش !

الشاب يتحرك !

ويجلس في مكانه !

ويتكلم !!

ويتقدم منه يسوع ويسنده حتى يقف في مكانه ويسير به نحو أمه !

ولا يمكن أن نصور ذلك المنظر الذي رأته مدينة نايين في ذلك النهار . فقد انطرحت الأرملة على صدر ابنها وجعلت تبكي وتضحك في نفس الوقت . وهي تلمس كل جزء من جسم ولدها وتقبله. ثم تمد يدها الى عينيها وتحرك اجفانها لتتأكد أنها ليست حالمة !

ووقف الجميع ينظرون بخوف

ان امراً كهذا لم يحدث في كل التاريخ . ان احداً منهم لم ير ميتاً يقوم

ويقوم بكلمة !

المجد لله . . . المجد لله في الاعالي

قد قام فينا نبي عظيم . وافتقد الله شعبه

* * *

وتبعثر القوم وذهب كل في طريقه وانتشر الخبر في كل الاقليم وامتد الى الاقاليم المجاورة. وسمع الناس عن النبي الجديد الذي اجتاز بقرية نايين، والذي قال للميت ايها الشاب لك أقول قم . واذ ذاك قام الميت !

وفي كل انحاء العالم اليوم في الشرق والغرب، يتحدث الناس عن قرية نايين وابن ارملة نايين الشاب الذي اقامه يسوع من الموت . المجد لله

٣٨

قديس وخاطئة

« فلما رأى الفريسى الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلاً
لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وماهي .
انها خاطئة »   لوقا ٧ : ٣٩

كان سمعان فريسياً
وكان يحافظ على كل الناموس
يصوم مرتين في الاسبوع
ويعشر كل ما يقتنيه
وهو ليس مثل باقي الناس الخاطفين الزناة
وهو مطمئن إلى مكانه في ملكوت السموات

على انه كان يختلف عن باقي الفريسيين أو على الأصح عن غالبية الفريسيين في انه كان يلبس ثوب التواضع فلا يسير بانتفاخ وعجرفة زملائه . ونعتقد أن في قلبه شيئاً من الصلاح

وقد سمع سمعان عن المعلم الجليلي

واندهش كيف ان شخصاً لم يدرس في مدرسة الكتبة يستطيع ان يقدم التعاليم السامية التي قدمها . كما اندهش ، نظير غيره ، من ان تعليم الناصري كان بسلطان

وتلاقى الفريسي والمعلم الجليلي يوماً . وتصافحا وسأله الفريسي أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ !

وعلى قدر ما نشكر للفريسي سخاءه على ذلك القدر عينه نلومه . اذ يبدو ان الدعوة اتسمت بطابع الكبرياء. هي من كبير إلى صغير . فيها تنازل من الفريسي

— من جهة نظره — وتشريف للمعلم الجليلي ! ! كما يبدو ان الدعوة جاءت وليدة الفضول، فقد أراد الفريسي أن يعرف يسوع عن قرب فدعاه. ولكنه لم يقدم له شيئاً من الواجب نحو الضيف !

وتألم يسوع !

تألم، لا لأنه عومل هذه المعاملة الجافة. ولا لأنه أحس انه نقص شيئاً بسبب هذه المعاملة أو ان كرامته قد جرحت. كلا. فقد كان يسوع كبيراً لا يأبه لهذه التوافه. وكرامته ذاتية فيه لا علاقة لها بمعاملة الناس له

ولكنه تألم

تألم للكبرياء الفارغة عند الفريسي

والذهن الضعيف

وللشخصية الناقصة

وللخطية الجاثمة تحت ثياب البر

تألم ولكنه سكت

* * *

كان الفريسي جالساً على رأس المائدة من هنا ويسوع على رأس المائدة من هناك وقد جلس طارحاً قدميه خلفه على عادة تلك الايام. وجلس عدد آخر على جانبي المائدة من هنا ومن هناك

وبينما كان يسوع يأكل جاءت امرأة ووقفت عند قدميه من ورائه

كانت المرأة من ذوات السيرة الرديئة

وكانت معروفة كامرأة خاطئة

ولا يعلم سمعان كيف دخلت المرأة إلى بيته دون ان ينتبه لها. نعم ان كثيرين يدخلون، من باب الفضول والتطفل إلى صحن البيت. ولكن هذه المرأة ما كان يجب ان تدخل

* * *

ولكنها دخلت

ووقفت عند قدمي يسوع

وكانت تبكي بدموع غزيرة، فاضت من عينيها و بللت بها قدميه. ثم مسحت القدمين بشعر رأسها نهاية في التذلل . صيّرت من شعرها الذي هو مجدها منشفة لقدمي السيد. وكانت تقبّل القدمين وتدهنهما بالطيب

كان عمل المرأة عظيما دلّت به على قلبها المعترف المحب الباذل. ولكن سمعان لم ير ذلك. على ان السيد كان يتمتع بهيبة لم يستطع الفريسي بازائها ان يتكلم. ولكننا نحس انه يتكلم وان كنا لا نسمع صوت كلامه . بل نظن انه حاول ان يخفي كلامه عن خلجات وجهه. ولو أننا وضعنا بوقاً في داخله يسجل كلام نفسه الصامت لسمعناه يقول

«لقد كنت اظن ان الناصري نبي. كلا . أنا لم اظن ذلك . كثيرون يقولون انه نبي . وكثيرون يروون عنه قصصاً وأحاديث ويذكرون آيات وعجائب . ولقد بدأ شكّي في شخصيته يتزعزع . ترى هل يمكن ان يكون نبياً

لكني الآن أرى انه ليس نبياً

لو كان هذا نبيا لما سمح لتلك المرأة ان تلمسه وكيف يحتمل لمسة يدها ويدها مغموسة في ريق الشيطان ... وشعرها ثعابين الجحيم ودموعها سموم من نبع النار وقبلاتها شر من شر الجروح. لو كان هذا نبياً لأحس بلمسات فمها ودموعها ويدها وعلم من هذه المرأة. وماهي. انها خاطئة !!»

كان سمعان يتكلم بهذه الكلمات إلى نفسه وهو يعتقد انهما كلمات مخبوءة في اعماق قلبه . لم يكن يخطر بباله انه يمكن لكائن ما ان يكشف عنها . لم يكن يعلم ان يسوع هو نبي حقاً . وانه يرى قلب سمعان كما لو كان سفراً مفتوحاً، وانه يسمع حديث نفسه كما لو كان حديثاً صارخاً . كان سمعان يسأل هل هو نبي . إذن لماذا لم ينفض عن جسمه تلك المرأة الخاطئة ؟؟

وتكلم يسوع أو على الأصح اجاب

يا سمعان عندي شيء اقوله لك

فقال قل يامعلم :

كان لمداين مديونان على الواحد خمس مئة دينار وعلى الآخر خمسون . واذ لم يكن لهما مايوفيان سامحهما جميعاً . فقل ايهما يكون اكثر حبا له ؟

فاجاب سمعان وقال اظن الذي سامحه بالاكثر فقال له يسوع بالصواب اجبت

كان جواب سمعان طبيعياً . ان الذي سومح بالأقل لا يرى المسامحة تستحق بخلاف الذي سومح بالاكثر

و بينما كان سمعان يسأل نفسه ترى ماذا يقصد المعلم الجليلي أن يقول ، التفت يسوع الى المرأة وقال لسمعان أتنظر هذه المرأة. ونظر سمعان إلى المرأة ولا يُستبعد انه بصق على الارض وانه القى مزموراً يطرد به شياطينها . و بانت في عينيه كل علامات الاحتقار والمقت . ولكنه لم يتكلم

ولكن يسوع تكلم قال :

اني دخلت بيتك وماء لاجل رجلي لم تعط ؟

وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها !

قبلة لم تقبلني!

وأما هي فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي !

بزيت لم تدهن رأسي !

واما هي فقد دهنت بالطيب رجلي !

هل تعلم لماذا فعلت هي مافعلت وأنت قصرت ؟ قد غفرت خطاياها الكثيرة . انها امرأة معروفة في المدينة . انها خاطئة ولكن الله سامحها عن كل ذنوبها لذلك أحبت كثيراً

والذي يغفر له قليل يحب قليلا

ونظر بنظرة عميقة إلى المرأة المضطربة وارسل لها من عينيه ذلك الشعاع النوراني

الذي يفيض بالتعزية والرجاء وكأنه يقول لا تخافي، يا امرأة لا تخافي

مغفورة لك خطاياك !

وتذمر الجالسون مع سمعان، وهم اهله وصحبه، من هذا الذي يغفر الخطايا ايضاً

اما يسوع فلم يهتم بهم

انشغل بالمرأة وقال لها

ايمانك قد خلصك

اذهبي بسلام !!

٣٩

الخطية التي لن تغفر

« لذلك اقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس واما التجديف على الروح فلن يغفر للناس » متى ١٢ : ٣٢

سمع الناس بمعجزات يسوع وبلغت أخبار تلك الآيات أقصى البلاد فكانوا يأتون اليه من كل حدب وصوب يحملون مرضاهم وقد تجلت التعاسة المرة على جميعهم وكان المسيح يتحنن عليهم ويشفيهم . ولكنه لم يشأ ان يستقر في مكان واحد إذ كان يرى انه يلزم ان يكرز في المدن والقرى . لم تكن رسالته ان يشفي أمراض الناس . كانت تلك الأمراض عرضاً للداء الأصلي الذي جاء يحارب به فكان يسير في مدينة وقرية يكرز بملكوت الله!!

وكان يرافقه دائماً تلاميذه الاثنا عشر . وكذلك بعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض. مريم التي تدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين. ويونا امرأة خوزي وكيل هيرودس وسوسنة وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن.

وفي إحدى جولاته دخل بيتاً وتزاحم القوم عليه كالعادة يسمعون له . حينئذ أحضر اليه مجنون أعمى وأخرس . فشفاه حتى ان الاعمى الأخرس تكلم وأبصر . وكانت آية فاقت الآيات التي سمعوا عنها وسرى بين القوم همس ألعل هذا هو الملك الآتي مسيا . ألعل هذا هو ابن داود ؟؟

و بلغ الهمس إلى آذان الفريسيين فاضطرب حبلهم ولما لم يستطيعوا أن ينكروا حدوث الآية قالوا . انه لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين . قالوا هذا في قلوبهم . لم يستطيعوا أن يقولوه بأفواههم !!

يا لضلالهم !

كان اليهود يعتقدون أن ابن داود سيأتي وهو يحمل اسم الله الأعظم وانه بهذا الاسم سيجرى آياته. هؤلاء بالخيل وهؤلاء بالمركبات أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر. هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصرنا . ولما رأى الكثيرون ما أتاه يسوع من آيات ومعجزات قالوا انه يعمل ذلك باسم الله الأعظم !

أما الفريسيون فقالوا في قلوبهم انه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين

وقرأ يسوع أفكار القوم

وحزن !

وتألم !

ونظر اليهم حزيناً وقال :

كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب

وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت

فان كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته !

فكيف تثبت مملكته

كلا . أيها المساكين . انني لا أخرج الشياطين ببعلزبول . انني بروح الله أخرج الشياطين .

إن الشيطان قوي

ولا يمكن أن ينتصر على القوي إلا من هو أقوى منه .

لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي و ينهب أمتعته ان لم ير بط القوي أولاً وحينئذ ينهب بيته !!

انكم أيها المساكين ترتكبون وزراً كبيراً

انكم تجدفون على الروح القدس

يا و يلكم !

إن الروح القدس هو الذي يبكتكم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . فاذا جدفتم عليه وأنكرتموه فقد رفضتم ذاك الذي لا يوجد سواه ليقودكم الى التوبة . لذلك اقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس. وأما التجديف على الروح القدس فلن يغفر للناس !

احترسوا إذن لانكم بكلامكم على الروح القدس تغلقون الباب بينكم و بين عمله فيكم فتحرمون من الخلاص !

هـذا وقد قيل الكثير بصدد المعنى الذي قصده المعلم من قوله «التجديف على الروح القدس» فقال البعض ان المعنى هو الظاهر من الكلمات أي ان أية كلمة تمس الروح القدس بعدم تقدير أوعدم احترام هي الخطية التي لا تغفر. ولكننا لا نستطيع أن نقبل هذا المعنى لأن هذا يجعل الروح القدس في مرتبة أعلى من مرتبة الآب والابن. ولأنه يخالف القاعدة العامة المعروفة عن اتساع باب الغفران أمام كل عاص. وانه لا يمكن أن يُرد خاطىء من رحمة الله !

وقال آخرون أن المعنى ذكر الروح القدس بكلمات نابية غير لائقة و بسب ولعن وحلف. ومع أننا نرى ان خطية كهذه تستحق الطرد من دائرة الله إذ لا يليق أن الانسان الرمة وابن آدم الدود يتجاسر و يتوقح أمام الله الروح القدس، إلا أننا نسأل أيضاً فلماذا لا يكون نفس الجزاء على الذين يفعلون ذلك مع الآب والابن .

أما نحن فنرى أن المعنى هو كما ذكرنا قبلاً . وهو رفض الروح القدس وانكاره وعدم قبول عمله . وبما أن الروح القدس هو الذي يفتح عيوننا لرؤية خطايانا ورؤية شناعتها وهو الذي يدفعنا إلى الندامة عنها وهو الذي يعطينا الرجاء للغفران وهو الذي يقودنا إلى المسيح المخلص . هو الذي يفعل كل ذلك . ولولاه ما أحس خاطيء بخطيته وما ندم على اثم أتاه.لولاه لغرق كل خاطيء في يأسه عندما يصوّر له الشيطان معصيته . ولولاه ما رأى انسان طريقه إلى الخلاص . لولاه ما قدم انسان صلاة وما عرف أن يقدم الصلاة المقبولة . انه هو الذي يفعل كل ذلك . والتجديف على الروح القدس هو رفض الروح القدس وانكاره وعدم السماح له أن يعمل فينا وتقسية القلب واغلاق الباب أمامه . والنتيجة ستكون حتماً عدم غفران لأنه لن يكون إحساس بالخطية وبالتالي لن تكون ندامة ولا مجيء الى المسيح فخطية التجديف على الروح القدس تحمل عقابها في نفس الخطية وعدم الغفران يأتي من الانسان الرافض لا من الله !!!

ولم يبدُ على وجوه الفريسيين والكتبة انهم أدركوا مقدار الشر الذي يعرضون أنفسهم له. بل نظروا اليه مدّعين انهم أبناء الملكوت. وتكلموا بأفواههم حديث الملكوت . فقال لهم: اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً . أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً . لأن من الثمر تعرف الشجرة !!

وتجلى على وجهه غضب مقدس وقال :

يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار . فانه من فضلة القلب يتكلم الفم . الانسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات . والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور !!

ولم يلن قلب الكتبة والفريسيين ، ولم يتأثروا من كلامه . بل أظهروا انهم لا يعبأون بكلامه لأنهم لا يؤمنون أنه مرسل من الله . وتقدموا اليه يطلبون أن يبرهن على صدق رسالته بآية !

يا للأشرار !

ألم يروا آيات هذا عددها . أم انها مجرد مماحكة. لقد أبصروا الأعمى يبصر والأصمّ يسمع والأعرج يمشي وذا اليد اليابسة تعود يده صحيحة والأبرص يطهر والميت يقوم . لقد أبصروا . في كل يوم له آية . ولكن قلبهم الشرير لايؤمن !

أما يسوع فينظر اليهم ويكشف خبث طويتهم ويقول :

جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي . لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال !

نعم سينظرون هذه الآية ولكن هل سيؤمنون . كلا. ان قلبهم قاس وشرير. لقد آمن الوثنيون عند ما سمعوا رسالة الله وهم لا يؤمنون . وهذا تصريح المعلم لهم واضحاً محدداً قوياً !

رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل و يدينونه لانهم تابوا بمناداة يونان

وهوذا أعظم من يونان ههنا !

ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هـذا الجيل وتدينه لانها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان .

وهوذا اعظم من سليمان ههنا ! !

٤٠

إنذار

«فتصير اواخر ذلك الانسان اشر من اوائله» متى ١٢:٤٥

كان المعلم يتحدث إلى الكتبة والفريسيين يوبخ قساوة قلوبهم وبيعهم أنفسهم للشيطان وقال لهم انهم جيل شرير وفاسق . و بعد ان بسط امامهم طريقهم الرديء ارسل لهم إنذاراً مروعاً مخيفاً يكشف لهم عن مصيرهم إذا استمروا

في شر طريقهم. وقد أرسل ذلك الانذار في مَثَل كعادته . ونحن نتأمل ذلك المثل لنجد لنا فيه العبرة التي لم يجدها أولئك القوم

إنسان فتح قلبه يوماً لشيطان صغير . لم يكن شيطاناً مخيفاً في صورته . ولم يكن في ظاهره مؤذياً . بل قد كان مقبولا محبوباً . ودخل الشيطان قلب الرجل واستقر فيه واستراح اليه . وكان في كل يوم يمد يديه وقدميه هنا وهناك إلى أن جاء اليوم الذي احتل فيه كل قلب الرجل . ولم يكن يأتي في أول الامر أذى . او على الاصح لم يكن الرجل يحسّ أن أذاه اكثر مما يستطيع أن يحتمله . ولكن الرجل بدأ يحسّ أن الاذى يزداد يوماً فيوماً . حتى بلغ أذاه حده وتضايق الرجل كثيراً !

ومع أن الشيطان بدأ مع الرجل رقيقاً ظريفاً مهذباً ولكن تلك الرقة جعلت تتكشف يوماً بعد يوم عن حقيقة مخيفة . لقد كانت النعومة التي تخفي أنياب الثعبان . وجعل الشيطان يخلع ثيابه يوماً فيوماً إلى أن أسفر عن حقيقته فاذا هو شيطان ابن شيطان . وجعلت تلك الابتسامة التي بدأ بها تتقلص يوماً بعد يوم حتى صارت أخيراً تكشيرة مرعبة !!

وارتاع الرجل !!

على ان الشيطان لم يكن شيطاناً كبيراً . وكان الرحل لا يزال يحتفظ بشيء من قوته فدبر أن يطرد الشيطان !

ومع أن « الروح » أعلن له أنه يستطيع ان يعتمد عليه وانه مستعد ان يزوده بقوات سماوية تساعده على الخلاص من شيطانه . ومع أنه كشف له أنه يستطيع ان يطرد شيطانه إذا ما فتح قلبه لسكنى الله لأن الظلام لا يمكن أن يستقر حيث يوجد النور . ولكن الرجل رفض مشورة الروح القدس . وآثر أن يشغل قواه الادبية فاستنجد بجنود الخلُق وجنود المبادىء وقوة الارادة واجتمعت هذه كلها وطردت الشيطان. لقد دافع الشيطان دفاعاً هائلا ولكنه لم يستطع أن يثبت

أمام القوات التي حاربته فاضطر الى الانسحاب مدحوراً . وترك البيت الذي أقام فيه مدة طويلة والذي أحبه كوطن مرغوب . وبقى البيت خالياً - وقد قيل أن صاحب القلب علق عليه لافتة مكتوباً عليها « للايجار » . نعم فان الرجل لم يكن يبغي من طرد الشيطان إلا توقي خسارة وقعت عليه . وأنه لا يسمح ان يسكن قلبه إلا من يعود عليه من سكناه ربح !

وتوجه الشيطان في طريقه إلى اماكن ليس فيها ماء فابتدأ يحس بالتعب والمشقة وإذ ذاك صار يفكر بحنين إلى بيته وها هو يعود متلصصاً ويلقي عليه نظرة من بعيد فيجده فارغاً مكنوساً مزيناً !

فيفكر في العودة اليه !

ولكنه يعلم أن الرجل لا يسمح له بالدخول وأنه هو وحده لا يقدر ان ينتصر عليه . فماذا يعمل . ان المكان فسيح يتسع لا لشيطان واحد بل لجمهور من الشياطين . وأن له (للشيطان) قرابة من شياطين أخرى . فلماذا لا يذهب إلى هؤلاء الأقرباء ويأخذهم ليقيموا معه في بيته المحبوب . وهكذا ذهب وأخذ سبعة أرواح أخرى شراً منه وتوجهت هذه الشياطين الثمانية إلى الانسان وهجمت عليه بقوة هائلة وسحقت كل المقاومة التي كان قد أعدها فقد كانت اكثر من قوات دفاعه عدداً وسكنت في ذلك البيت . فصارت أواخر ذلك الانسان شراً من أوائله ! !

* * *

ألقى يسوع هذا المثل . ثم نظر إلى الكتبة والفريسيين وقال

هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير ! !

* * *

وكذلك سأل الكثيرون عن الانسان الذي دخلته الشياطين . هل كان مجرد مثال أم كان انساناً حقيقياً . وعن الشياطين التي دخلته مَن هي وكيف دخلته . والمعروف أن امثال المسيح كانت مستمدة من الحياة الواقعية ونحن نعتقد أن

الانسان الذي دخلته الشياطين وجد حقاً وكان القوم يعرفونه . وأن السيد اتخذ منه مثالاً لشعب اسرائيل

أما الشيطان الذي دخل الرجل أولاً فقد اختلفوا فيه فمن قائل أنه الطمع . وقد قالوا انه الشيطان الأول الذي دخل في مجنون كورة الجرجسيين . ومن قائل انه الشهوة وهو الشيطان الأول الذي دخل في مريم المجدلية . ومن قائل أنه التعصب الأعمى وهو الشيطان الاول الذي دخل في قيافا . وقال بعضهم أن المقصود كان هيرودس الكبير وان شيطانه الاول كان تعظم المعيشة !

وخلاصة القول أن الرجل كان شخصاً موجوداً ومعروفاً وأنه بدأ حياته الشريرة بشيطان واحد . ولكن الشيطان لم يبق وحيداً فان الذي يفتح بابه للشيطان سيتحول قلبه إلى قلعة شياطين وسيصير يوماً ما لجئوناً ! !

فليحترس أبناء هذا الجيل !!

٤١

اخوة يسوع

« لان من يصنع مشيئة ابي الذي في السموات هو اخي واختي وامي » متى ١٢ : ٥٠

كان المعلم يتكلم مع الجمهور الغفير الذي ازدحم حوله . والجمهور يصغي بكل جوارحه لهذا التعليم الجديد . كان الشعب جائعاً و يابساً من العطش . كان المعلمون يحتقرونه فلا ينزلون ليتحدثوا اليه . انهم يجلسون على كراسيهم العالية و يرسلون من كبرياء عروشهم تعليمهم تفضلاً منهم . ثم تسأل عن ذلك التعليم ماهو فتصاب بخيبة. انها بحوث فقهية في ما يجوز وما لا يجوز. ما أباحه هليل وما حرمه غمالائيل. وأحياناً هي بحوث في عدد الكلمات في آية أو عدد الحروف في كلمة . لم يكن هناك شيء يلمس حاجة الشعب الجائع والعطشان. لم يكن هناك رسالة رجاء أو رسالة تعزية!!

فلما جاء المعلم الجديد كان شيئاً غريباً عليهم

فقد جلس على الارض معهم

وتحدث اليهم لا من عليائه بل حديث الأخ للأخ والصديق للصديق .
وأحسّوا انه ليس سيداً أو حاكماً مستبداً بل أحسّوا أنه أخ وصديق . نعم انهم هابوه ولكنهم أحبوه أيضاً !

وكانت تعاليمه أيضاً شيئاً غريباً . لقد انتقى تعاليمه من أعمالهم اليومية . رأى الزارع يوماً يبذر حبوبه فألقى عظته عن مثل الزارع . وأبصر الزوان يوماً يطلع وسط القمح فتحدث عن مثل القمح والزوان . . وهكذا سمعنا أمثاله الكثيرة وتعاليمه المتعددة !

وكذلك أجرى آياته فتحير القوم أمامها . لقد بهتوا من سلطانه . كان يأمر الأرواح النجسة ان تخرج فكانت تخرج . كان يلمس المرضى فتتركهم أمراضهم في الحال . بل كانت لمسته تطهر الأبرص وترد البصر للأعمى والسمع للأصمّ . والموتى لم يستطيعوا أن يستمروا في قبورهم عندما سمعوا كلمته !

وسمع الناس عن تعاليمه وعن آياته فأتوا من كل انحاء اليهودية يحملون قلوبهم الجائعة واجسامهم المريضة وتواقعوا عليه يريدون أن يلمسوه. وهو رأى تلك الجموع ولم يزدرها ولم يحتقرها كما كان الرؤساء يعملون . ولكنه رآهم فتحنن عليهم وترك بيته وأهله وراحته واستقراره وجعل ينتقل من مكان إلى مكان وسط مواكب حافلة من الناس .

وكان يجلس الساعات الطويلة يعلّم أولئك الناس

وكان تعليمه خارجاً على القواعد المعروفة

وأحبه الناس

وأبغضه الفريسيون

وحاولوا أن يلصقوا به مختلف التهم

قالوا أنه ببعلز بول يخرج الشياطين
وردّهم السيد على أعقابهم خائبين
وقالوا أنه سامري و به شيطان
فأخزاهم بكلمات النور التي ألقاها فارتدوا خاسرين

وأخيراً أشاعوا أنه مختل . وأذاعوا ذلك في كل مكان . واقتنع اخوته أنه مختل حقاً وحاولوا أن يقنعوا العذراء المباركة أن ابنهامختل . ولكنهم على ما نعتقد لم يفلحوا فيذلك. ان العذراء المباركة التي كانت «تحفظ جميع هذا في قلبها » لا يمكن أن يخطر ببالها يوماً ان ابنها الحبيب مختل !

ذاك الذي حبلت به وهي عذراء
والذي رنمت لمقدمه ملائكة السماء
والذي جاءه الرعاة والمجوس وسجدوا له
والذي أجرى أمامها آيات قوته . ذاك لا يمكن أن يكون إلا ابن الله
وما المختل إلا أولئك الذين لا يرونه على حقيقته !

على انها برغم ايمانها في شخصه أشفقت عليه من اتساع نطاق المؤامرات ضده، وخشيت أن القوم يسيئون اليه و يقتلونه، فارتضت أن ترافق أخوته ليردوه إلى بيته في الناصرة أو في كفر ناحوم !

واتجهت هذه الجماعة الصغيرة إلى حيث كان واستمرت مدة تنتقل خلفه حتى لحقت به في مكان من الأمكنة. ولكن الزحام كان شديداً جداً. حتى انه استحال عليهم الوصول اليه . ولكنهم نجحوا في ايصال كلمة اليه !

هوذا أمك وأخوتك خارجاً طالبين أن يكلموك
قيل ان الذي أبلغه الخبر أبلغه مجرد خبر

وقيل انه ابلغه سخرية به . ان أمه واخوته يطلبون أن يردوه . وان اخوته على الأقل يعتقدون انه مختل

وقيل ان أمه واخوته كانوا ينوون أن يقنعوه بالعودة إلى البيت ، فاذا لم يقتنع فقد كان في عزمهم ان يأخذوه بالقوة

أما يسوع فأشفق على المتكلم وعلى الجمهور وعلى أمه وعلى اخوته. انهم كلهم يعيشون في رباط الجسد ان يسوع – وهو ابن مريم واخو يوسى ويهوذا والباقين – هو في نفس الوقت ابن الانسان وهو فوق ذلك ابن الله . إن ارتباطه بالناس ليس محدداً بأم وبأخوة. إن جميع الناس أهله فهو ابن الانسان . وجميع الناس رعاياه وشعبه فهو ابن الله . ولذلك يلتفت إلى الجمهور ويقول :

من هي أمي

ومن هم اخوتي

انه لا ينكر أمه ولا ينكر اخوته . لم يوجد من هو أكثر ولاء لأمه ولأخوته من يسوع . انه وهو على الصليب في غمرة آلامه لم ينسها . ولكنه لا يقف عند حدود علاقات القربى الضيقة . ليست لي أمّ واحدة

ولا اخوة قلائل

إن أمهاتي يملأن الأرض

واخوتي هم البشرية بأسرها

فان كان المطلوب تحديد القرابة تحديداً أضيق من ذلك فان الأقرباء هم الذين يرتبطون به برباط التفكير الواحد

أقربائي هم تلاميذي

ها أمي وأخوتي

لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي

ولا يزال يسوع يمد يده إلى المؤمنين قائلاً : ها أمي واخوتي فان أمي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها

إذن نحن أقارب المسيح وأهله ! !

٤٢
الارض الجيدة

« وسقط آخر في الارض الجيدة . فأعطى ثمراً يصعد وينمو » مرقس ٤ : ٨

كان يسوع جالساً على شاطىء البحر وقد اجتمع حوله جموع كثيرة. وتكاثر القوم واندفعوا نحوه فاضطر أن يترك مكانه ويدخل السفينة ويجلس . ووقف الجمهور أمامه على الشاطىء

كانت السفينة منبراً

وكان شاطىء البحر كنيسة

وجعل يسوع يعلمهم

ترى ماذا كانت الآية التي ألقى المعلم عظته عنها ؟

لم تكن آيته من كتاب الوحي المكتوب

لم تكن آية من أسفار موسى ولا من المزامير أو الأنبياء

وانما كانت آيته من السفر الكبير سفر الطبيعة. كانت آيته رجلاً خرج ليزرع . وأرضاً وقعت فيها البذار ! !

أشار يسوع بيده إلى بقعة جانبية وقال ، هوذا الزارع قد خرج ليزرع . والتفت الجمهور إلى الزارع وأبصروه وهو يلقي بذاره. وهم يعلمون من الزرع الشيء الكثير فالأمر ليس غريباً عنهم.وجعل يسوع يحدثهم عن الزرع باللغة التي يفهمونها وهم يتابعونه دون أن يصلوا إلى الهدف الذي يرمي اليه

قال ان بعض البذور سقطت على الطريق . وقد رأوا فعلاً بعضاً تسقط على الطريق العام و بعضاً تسقط على الطريق الذي كانوا يدعونه « المدّق » . وقد كان في الأصل أرضاً زراعية ولكن الناس داسوا عليه في طريقهم إلى حقولهم فيبس

وتصلّب. و بالرغم من أن تربته كانت في الأصل أرضاً جيدة إلا أن استعماله كطريق أضاع هذه الميزة فكان هو والطريق العام شيئاً واحداً . وقال يسوع ، ان البذار التي سقطت على الطريق ظلت منفصلة عن التربة وجاءت طيور السماء واكلتها .. وهذه ضاعت هباء ! !

وأشار يسوع إلى جزء آخر من الزرع . وقال ان بعض البذور سقطت على مكان محجر . لم يكن الحجر ظاهراً إذ كان مغطى بطبقة رقيقة من التربة الخصبة . كان ذلك المكان في ظاهره أرضاً جيدة وقد كان كذلك فعلاً . ولكن جودته لم تكن عميقة . وقد صوّر لهم يسوع ما سبق أن رأوه على مثل هذا المكان فقال ان الزرع نبت حالاً إذ لم يكن له عمق أرض. كانت جذوره قريبة من السطح وعندما حاولت أن تمدها إلى قلب الارض صدمها الصخر . لم يكن هناك مجال لتستمد غذاءها المستمر فابتدأت تجف وتذبل . ولما أشرقت الشمس احترق

أما الجزء الثالث فقد قال يسوع انه سقط في وسط الشوك . هنا ايضاً لم يكن الشوك ظاهراً. كانت إذن في تلك التربة بذور الحنطة و بذور الشوك ونبت الاثنان معاً ولكن الشوك لما طلع خنق الزرع فلم يعط ثمراً

والجزء الاخير سقط على الارض الجيدة وهذا أعطى ثمراً . لكن نسبة لان درجة الجودة تختلف فقد اختلفت درجات الثمر . فأعطى بعض نتيجة فائقة جداً عبّر عنها بالقول مئة . وأعطى آخر نتيجة جيدة وهي ستون . وأعطى آخر نتيجة لا بأس بها وهي ثلاثون

والتفت يسوع إلى الجمع وقال ، من له أذنان للسمع فليسمع

ومضى الجمهور وهو يسأل، ما معنى هذا المثل. من هو الزارع وما هو الزرع وماذا قصد بالطريق والحجر والشوك. هل قلنا مضى الجمهور. كلا. انما قصدنا مضى بعضه فان البعض مضى بدون مشغولية والبعض الآخر هزّ رأسه استهانة أما البعض فمضى يسأل و يستقصي !

فلما مضى الجمع تقدم التلاميذ إلى معلّمهم يسألون ، لماذا تكلمهم بأمثال. لماذا لا تقدم تعليمك واضحاً محدداً. أما يسوع فأعلن لهم أن من الخير أن يحجب الحق عنهم بقناع حتى يفكروا فيه و يبحثوا عمقه و يتفهموه إذا كانوا يطلبون الحق . إذ كانوا أو كانت أغلبيتهم جماعة عمياء القلب عمياء الذهن وفي نفس الوقت كانوا يقولون انهم يبصرون ويفهمون . كانوا غير مستعدين أن يسمعوا أو يفهموا

و بدأ المعلم يشرح لهم المثل

قال ، الزرع هو كلام الله . وكلام الله زرع لان فيه حياة وهو اذ يغرس في القلب و يختفي فيه يعود حياً ومثمراً

وهؤلاء هم الذين على الطريق حيث تزرع الكلمة وهم يسمعون ولكنهم لا يفهمون لذلك يأتي الشيطان للوقت و ينزع الكلمة المزروعة في قلوبهم . وقد لا يفهمون لأن الكلمة تلقى أعلى من فهمهم أو قد لا يفهمون لانهم هم غير مستعدين أن يفهموا . كما أن بعضهم لا يفهمون لأن أذهانهم غير مركزة للسمع . هؤلاء هم المزروع على الطريق

والمزروع على الاماكن المحجرة هم الذين يسمعون الكلمة وحالاً يقبلونها بفرح ولكن ليس لهم أصل في ذواتهم ولذلك يؤمنون إلى حين . فبعد ذلك إذا حدث ضيق أو اضطهاد من اجل الكلمة فللوقت يعثرون و يرتدون

أما الذين زرعوا بين الشوك فهم الذين يسمعون الكلمة. ولكن هموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الاشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر. ونلاحظ ان الشوك تجربة للجميع فللفقراء الشوك هموم وأثقال. وللأغنياء الشوك كبرياء وغرور. وللجميع الشوك شهوات ولذات . ما أكثر ما خنق الشوك كلمة الله فكانت بلا ثمر

وأخيراً المزروع على الارض الجيدة وهم الذين يسمعون الكلمة و يفهمونها و يقبلونها و يحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر . وهؤلاء ايضاً يختلفون في درجة اثمارهم . فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين ! !

٤٣

فلسا الارملة

« ان هـذه الارملة الفقيرة قد القت اكثر من جميع
الذين القوا في الخزانة » مرقس ١٢ : ٤٣

المعلم الآن في آخر أيامه على الارض
وهو يجلس في فناء الهيكل تجاه الخزانة

كانت الخزانة المكان الذي تلقى فيه التقدمات وكان العابدون يضعون فيهـا عطاياهم . كانت مصنوعة من النحاس وكانت العطايا المعدنية اذ توضع فيها ترسل رنيناً عاليـاً يسمعه القريبون والبعيدون . وكان الشعب يتبارى في العطاء فكانوا يجتمعون أمامها و يضع كل واحد عطاياه. كان المفروض أن تعطى العطايا لله ولكنهم كانوا يعطونها للناس. اذ كان كل واحد يلتفت حوله ثم يلقي عطاياه . و يأتي الآخر فيلقي عطايا اكثر و يتلوه ثالث يلقي عطايا اكثر جداً . وهكذا جعلهم التنافس يغالون في العطية . وقد رأى رؤساء اليهود ما في هذه المنافسة من نتائج سيئة فاصدروا قانوناً يمنع القاء قطع ذهبية أو فضية والاكتفاء بالقاء القطع النحاسية

على أن هذا لم يمنع القوم من المباهاة بالعطاء . فكان أحدهم يلقي عطاياه قطعة قطعة ترسل كل قطعة رنينها عالياً معلنة عن نفسها ولا تزال القطع تدوي وعددهـا يصل احياناً إلى العشرين أو الثلاثين بل الخمسين والمئة احياناً

وجلس يسوع يوماً يراقب القوم وهم يلقون النحاس في الخزانة . وأبصر جمهوراً كبيراً يلقون كميات كثيرة . وآخر الكل أقبلت أرملة مسكينة والقت قطعتين صغيرتين من العملة كانتا لا تصلحان الا لشراء خمسة عصافير

وتغامز القوم على عطيتها واستهزأوا منها وربما القوا أقذع الحديث انتقاداً لها . وتساءلوا عما تفيده الخزانة من عطيتها وذهبوا شامخين فقد اعطوا هم عطاياهم الكبيرة

على ان السماء كتبت في حساب العطاء تقدمتها أكبر عطية قدمت في ذلك النهار . وقد أعلن يسوع لتلاميذه هـذه الحقيقة في قوله، الحق اقول لكم ان هذه الأرملة الفقيرة قد القت اكثر من جميع الذين القوا في الخزانة لان الجميع من فضلتهم القوا . وأما هذه فمن أعوازها القت كل ماعندها كل معيشتها !

نعم فقد القت الأرملة اكثر من الجميع لان حساب الله لا يسير على وفق حساب الناس . ان الناس يسألون كم اعطى أما الله فيسأل كم أبقى لنفسه !!

وكذلك كانت عطية الأرملة أثمن العطايا فقد القى الآخرون كبرياء وتفاخراً أماهي فالقت محبة وشكراً. والتقدمة المغموسة بالمحبة لاتساويها كل جواهر العالم مجتمعة

وهكذا خلدت تقدمة الأرملة

لانها كانت عطية التضحية !

وانكار الذات !!

والتواضع !!

والمحبة !!

٤٤

الزوان

« وفي وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزماً ليحرق . واما الحنطة فاجمعوها الى مخزني » متى ١٣ : ٣٠

كان للرجل حقل يعتز به

كان على ربوة

وكانت تربته غنية بالخصب

وكانت الامطار ترويه في الميعاد

وفي إحدى السنين أرسل الرجل عماله يحملون أجود البـذار وزرعوها ، وهم ينتظرون أن يأتي محصولها ممتازاً بين المحاصيل .

غير أنهم في وقت نمو الزرع لاحظوا نباتاً غريباً منتشراً بين نبات الحنطة . وحققوا النظر فاذا النبات نبات الزوان المعروف . وهو حبوب تشبه الحنطة تقريباً في ظاهره ولـكنه لا دقيق له فوق انه يحمل عناصر سامة مؤذية . وكان انذهال العمال عظيماً واضطرابهم اعظم . ان النبات جديد عليهم . انهم يعلمون أن سيدهم لا يزرع في حقله إلا أجود القمح وأجود الحنطة فمن الذي أدخل الزوان الى الحقل ؟

وذهب عبيد الرجل اليه وقالوا في ألم وفي انذهال : يا سيد أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك . فمن أين له زوان ؟

أما السيد فلم يكن الخبر غريباً عليه . أنه يعلم أن هناك من يتربصون لزرعه . وهو يعلم انه مهما اشتدت الحراسة فان أعداءه يسهرون على ايذائه . لذلك لا نراه ينذهل ولـكنه يجيب انه فعلا زرع زرعاً جيداً ولـكن عدوه فعل ذلك.فعل ذلك وهم نيام . لم يوبخهم على نومهم ، ولـكننا نظن أنهم وبخوا أنفسهم .

ان رجال الأذى ساهرون بينما حراس الحقل نائمون . إن رجال الشيطان لا ينعسون أما رجال الله فيستغرقون في النوم . لذلك لا عجب أن وجد الزوان وسط الحنطة !

وكان خجل العبيد عظيما
وكان الهم شديداً

وظنوا انهم يستطيعون أن يعالجوا الأمر فقالوا انهم يذهبون لينقّوا نبات الزوان. نعم انهم مستعدون أن يفعلوا ذلك. ان الـكمية كبيرة ومنتشرة بين شجيرات الحنطة ولـكنهم سيعملون على جمعها !

أما السيد فكان يعلم أن جمع الزوان كله مستحيل. بل كان يعلم أن ضرر اقتلاع أشجار الزوان أعظم من ضرر بقائها . فقال لا تفعلوا ذلك لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان

وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزماً ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها الى مخزني.

* * *

ألقى يسوع هذه القصة على الجمهور المتعطش وألقى بعض القصص الأخرى. ثم صرف الجمع دون أن يشرح لهم معاني تلك الامثال. وانطلق القوم يتحادثون فيما بينهم عن تلك الامثال ويسألون ترى ما هي المعاني الدفينة فيها ؟؟

ولقد حاول التلاميذ بينهم وبين أنفسهم أن يروا المغزى الكامن في مثل الزوان فلم يوفقوا. ولقد نسخر من جهلهم وعدم ادراكهم ونظن أننا لو كنا مكانهم لفهمنا المعنى. وانما نظن ذلك لاننا نقيس مستوى تفكيرهم بالأمس على مستوى تفكيرنا اليوم. كلا. ان الأمر لم يكن سهلا. ولذلك لا يجوز أن نندهش أن نراهم ينتهزون فرصة خلوتهم ليسألوه عن المعاني التي أغلقت عليهم في المثل.

وشرح لهم يسوع المثل
قال الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان
والحقل هو العالم
والزرع الجيد هو بنو الملكوت
والزوان هو بنو الشرير
والعدو الذي زرعه هو إبليس
والحصاد هو انقضاء العالم
والحصادون هم الملائكة

فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم. يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الاثم ويطرحونهم في اتون النار هناك يكون البكاء وصرير الاسنان.

حينئذ يضيء الابرار كالشمس في ملكوت أبيهم ! !

٤٥

يسوع والبحر

« فقام وانتهر الريح وقال للبحر اسكت ابكم . فسكنت الريح وصار هدوء عظيم » مرقس ٤ : ٣٩

« وفي الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشياً على البحر » متى ١٤ : ٢٥

كان الأقدمون يخافون البحر خوفاً جعلهم يتخيلونه شيطاناً مريداً . قالوا ان الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود . وقال شاعرهم :

لا أركب البحر أخشى علىّ منـــه المعاطب

طين أنا وهو ماء والطين في المـاء ذائب

وجاء في سفر الرؤيا ان من مميزات السماء ان البحر لا يوجد فيما بعد . وفي البحر وجدت التنانين المخيفة التي تخيلها الكتّاب والتي روّعوا بها الناس

و بعض القبائل عبدت البحر وجعلت منه إلهاً ترتعب منه القوات . والبحر إذا ثار كان مخيفاً يرهبه الجبابرة

ولـكن السيد وقف أمام البحر وانتصر عليه

انتصر لا مرة بل مرات وسأقص عليك قصتين من نصراته

١ — القصة الاولى :

فرغ السيد من الجمهور الذي اجتمع حوله . وقال لتلاميذه لنجتز إلى العبر فصرفوا الجمع «وأخذوه كما كان» في السفينة . ويرى الشرّاح ان المعنى من القول « أخذوه كما كان » انهم طلبوا أن يتخلى هو عن أي عمل ليستريح. لقد تعب مدة ثلاثة ايام كاملة. كان يعلّم الجمع ولم يكفّ عن الكلام معهم إلا ريثما شفى مرضاهم.

انه لا يهتم بجسمه . انه يقتل نفسه . هم مضطرون أن يهتموا بأمره و يعنوا بشأنه . انهم يحملونه حملاً . انهم يضعونه في مؤخر السفينة و يقولون له استرح أنت . نم . اننا نستطيع ان نهتم بالسفينة. بل ان السفينة في الحق هي عملنا نحن. أنت لا تعرف شيئاً فيها . لقد تربينا في البحر ونحن نعرف أسراره

وتولّى التلاميذ القيادة

و يسوع نام في مؤخر السفينة

* * *

سارت الامور حسنة فترة من الزمن . ولـكن بعد وقت انقلب الحال . ثار بحر الجليل. و بحر الجليل بحر غير مأمون، يضطرب بدون انذار واذا اضطرب كان اضطرابه عنيفاً . وهكذا فعل

زأرت الأمواج وتعالت وعصفت الريح وجعلت تلعب بالقارب كما لو كان ريشة خفيفة. وحاول التلاميذ ان يقبضوا على ناصية السفينة فرفعوا أشرعة وأنزلوا اخرى وسحبوا حبالاً واطلقوا اخرى وحركوا الدفة هنا وحركوها هناك ونادى بطرس يعقوب وهتف يعقوب بيوحنا، وتوما وفيلبس ونثنائيل ، الكل اشتركوا في العمل لتوصيل السفينة إلى البر ولكن البحر غلبهم وأيقنوا بالهلاك

ربما خطر ببال أحدهم في أول الأمر أن يوقظوا المعلم ولـكن الباقين ردوه ، انهم يستطيعون أن يحلّوا المشكلة بغيره. بل ماذا يستطيع هو أن يعمل. انه لا يعرف شيئاً عن البحر ولا يعرف عن أصول تسيير السفينة انهم هم يعرفون كل شيء . ليُترك المعلم نائماً ريثما يصلون هم بالسفينة إلى البر

ولكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا

بل بدأ اليأس يتسرب اليهم

ان البحر يفتح فاه

وسيبتلعهم

لقد هلــكوا

فلما رأوا الهلاك محققاً ذهب بعضهم إلى المعلم وأيقظوه . استيقظ ايها المعلم . ألست تسمع صوت البحر ، ألست ترى اننا نوشك ان ندخل جوف البحر . اننا نهلك . أما يهمك اننا نهلك ؟

قالوا كلماتهم هذه وقد امتلأت بنغمة لوم وعتاب وحزن وتوسّل

فقــام

ان صوت الاستغاثة يجد طريقه سريعاً الى قلبه

قام وكان حرياً به ان يتجه اليهم موبخاً . ألم تطلبوا أنتم مني ان استريح . ألم تقولوا انكم تســتطيعون أن تتــولّوا القيادة . ألم تعلنوا انكم انتم تعرفون البحـــــــر وأسراره وان لا شأن لي بالأمر . فمــا بالكم تعودون اليّ ؟؟ كلا . انه لا يفعل شيئاً من ذلك



انه يقف امام البحر
يقف سلطاناً
وسيداً
انه يرفع يده الى الريح منتهراً
ويقول للبحر
اسكت ابكم
والريح تسكن في الحال
والبحر يهدأ

ثم التفت الى التلاميذ وقال لهم، ما بالكم خائفين هكذا كيف لا ايمان لكم، فخاف التلاميذ خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض من هو هذا فان الريح ايضاً والبحر يطيعانه

٢ — القصة الثانية :

والقصة الثانية حدثت بعد معجزة إطعام الألوف. فقد ألزم تلاميذه ان يدخلوا السفينة ويسبقوا إلى العبر إلى بيت صيدا حتى يكون قد صرف الجمع . وبعد ما ودّعهم مضى الى الجبل ليصلي

وانطلقت السفينة في بحر الجليل وقد اطل الليل عليها بردائه الاسود . وكان التلاميذ يسيّرون السفينة ساكتين فقد ابصروا آية عظيمة وسمعوا كلمات الألوف التي أكلت . قالوا ان هذا هو بالحقيقة النبي . وكانوا على وشك ان يختطفوه ليجعلوه ملكاً . انه هو هو المسيا الذي سيقيم خيمة داود الساقطة ويضرب الأمم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزّاف يكسرهم. وبالطبع فكروا في مكانهم مع الملك الآتي. سيكونون وزراءه والمقربين اليه !!!

وبينما هم في احلامهم اللذيذة ثار البحر إحدى ثوراته المفاجئة فطارت احلامهم واستيقظوا للخطر الكبير المحدق بهم . سيضيعون هم وستضيع احلامهم. وكافحوا مع

البحر كفاحاً مريراً . لقد اشتغلت أذرعهم القوية التي طالما عاركت مع الامواج ولكن البحر كان أقوى من اذرعهم وكانت الامواج ترتفع الى الاعالي ولها زئير مخيف والسفينة ترتفع ثم تنخفض وقد فتح الموت فاه لابتلاعهم وقد قضوا عدة ساعات مرّت كما لو كانت اجيالا وهم يبصرون فم البحر يتسع حتى ليخيل لهم انهم انتهوا ثم اذا به يقذف بهم فوق أمواجه

وقد تحالفت قوات كثيرة ضدهم

فالريح مع الامواج صيّرتا من البحر قوة يخشاها الجبابرة

والظلام امتد على رقعة البحر مما جعل طريقهم صورة حقيقية للموت

والسيد قد تركهم

آه لو كان معهم ، إذن لذهبوا اليه وقالوا له يا سيدنا نجّنا فاننا نغرق



انه يستطيع أن ينجيهم

انه يأمر الريح أن تهدأ فتهدأ

والبحر أن يسكت فيسكت . ولكنه ليس معهم وسيهلكون !!

بل هبه أراد أن ينقذهم ، فانه لن يتمكن من ذلك فأنّى له ان يصل اليهم وهم في وسط البحر ؟

وبغتة لمح بعضهم من بعيد شبحاً يتحرك فوق

الماء. على انهم كذبوا عيونهم. ولو علموا لسرّوا. لقد رآهم السيد من بعيد. رأى السفينة في وسط البحر معذبة من الامواج لأن الريح كانت مضادة ولكنه لم يبادر الى إنقاذهم بل تركهم فترة طويلة. ومرّت عليهم ساعات كثيرة وهم لا يستطيعون أن يلتقطوا أنفاسهم

وفي الهزيع الرابع من الليل أتاهم ماشياً على البحر. فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين انه خيال ومن الخوف صرخوا

يا للعجب

انهم لم يصرخوا أمام البحر الثائر

ولكنهم صرخوا مما ظنوا أنه خيال

بل صرخوا من رسول النجاة وقد اقترب منهم

أما يسوع فناداهم، تشجعوا أنا هو لا تخافوا.

اطمأن التلاميذ بعض الاطمئنان ولكن الخوف لم يفارقهم نهائياً. انهم ليسوا متأكدين انه هو. وقال بطرس، لئن كنت أنت السيد فمرني أن آتي اليك على الماء. وقال السيد تعال. ونزل بطرس الى الماء

يا عجباً فوق عجب

ان البحر ليبدو تحت قدمي بطرس صخرة ثابتة.. وبطرس يسير على الماء نحو المعلم كما لو كان يسير على يبس

على أن سيره كذلك لم يستمر طويلاً

استفاق بطرس الى نفسه وألقى نظرة الى الماء والى الامواج وسأل كيف يمكنه أن يسير فوقها. وبدأ الخوف يتسرب الى قلبه وإذ ذاك بدأت قدماه تغوصان

وقد قيل أنه نظر الى بقية التلاميذ معجباً متفاخراً. ان واحداً منهم لا يستطيع أن يعمل نظيره فيسير على الماء. أين يعقوب ويوحنا اللذان ينافسانه في المكان الاول. ثم ابتعدت عيناه عن المعلم والتفت الى نفسه والى الامواج وإذ ذاك ابتدأت قدماه تغوصان. وها هو يوشك أن يغرق

من ثم صرخ قائلا ، يا رب نجّني . ومدَّ السيد يده ورفعه من الماء وسار به فوق الأمواج حتى وصلا الى السفينة ودخلا

كان التلاميذ يبصرون يسوع يدوس بقدميه على الماء معلناً أنه السيد والسلطان . ان البحر الذي تنحني أمامه رؤوس الجبابرة انكمش وانطوى على نفسه وصغّر من نفسه طريقاً داسته قدما السيد الذي جاء وديعاً ومتواضع القلب!!

٤٦
فرقة شياطين

« أما الرجل الذي خرجت منه الشياطين فطلب اليه ان يكون معه . ولكن يسوع صرفه قائلا ، ارجع الى بيتك وحدّث بكم صنع الله بك . فمضى وهو ينادي في المدينة كلها بكم صنع به يسوع » لوقا ٨ : ٣٨ ، ٣٩

أرسى القارب على شاطىء اقليم جدرة . ونزل منه جماعة في لباس العامة يتقدمهم شاب في لباس المعلمين . كان المعلم يسير ساهماً واتباعه يسيرون خلفه وقد تزامل كل اثنين يتهامسان ولو انك اصغيت إلى حديثهم لسمعت حديثاً متشابهاً

اي انسان هو هذا

لقد أمر الريح ان تسكت فسكنت الريح وطلب من البحر ان يهدأ فهدأ البحر

ألعل هـذا هو المسيح !

كان المعلم يسير امام الرفقة يتأمل بألم في عدم ايمان التلاميذ . لقد سبق أن أبصروا قواته ولـكنهم كانوا يجزعون امام أقل صعوبة في طريقهم

وكانوا يسيرون ، المعلم وتلاميذه

وكان طريقهم يخترق القبور . وكان يقيم في القبور كائن كان في أحد الأيام انساناً ولـكنه فقد انسانيته وأصيب بجنون حاد . وقد امتد أذاه إلى ذويه

كان على وشك ذبح زوجته وأولاده . لولا انهم أنقذوهم من يده في اللحظة الاخيرة . كان اذا ثار هشم كل من وقف في طريقه وكل ما وصلت إلى يده ، وقد ربطوه بالحبال بل قيدوه بالسلاسل ولكنه قطع الحبال وكسر القيود، وانطلق بعيداً عن البيت واقام عاريا في القبور . ولم يسلم الناس منه فكان كثيراً ما يهجم على المارين ويمزق ثيابهم وأجسامهم حتى اصبح رعب الاقليم كله. وكان الناس يدورون في رحلاتهم بعيداً عن المكان لكي يتقوا شره

واقترب يسوع والتلاميذ من المكان فحالما رآه المجنون صرخ بصوت عظيم وركض كما لو كان ينوي أن يهجم على السيد . وذعر التلاميذ ولكن السيد ظل محتفظاً بسكونه. وركض المجنون في صورته المروعة والزبد يخرج من شدقيه، ركض حتى وصل إلى السيد و إذ ذاك اتكفأ على وجهه عند قدميه وصاح: آه مالنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتعذبنا قبل الوقت. أنا اعرفك من أنت قدوس الله!! وقال له السيد اخرس واخرج منه . وحاول الشيطان المقيم في الرجل أن يتمرد على السيد ولكن كلمة السيد كانت بسلطان فانقلب الشيطان من التمرد الى التوسل ! اسألك إذن يا سيد ألا تخرجنا خارج الكورة . اسمح لنا أن ندخل في قطيع الخنازير هنا!

وسأل السيد الرجل ما اسمك . واجاب الروح النجس اسمي لجئون لاننا لسنا شيطاناً واحداً ولكننا كثيرون. كان اللجئون يضم ستة آلاف جندي ومعنى ذلك أن الشيطان كرس فرقة من الشياطين من اجل رجل واحد. وليس المعنى بالطبع انه أفرز ستة آلاف شيطان بحصر اللفظ، بل المعنى انه خصص عدداً كبيراً من الشياطين. ذلك لأن إبليس يعرف قيمة النفس البشرية و يسترخص في سبيل الحصول عليها كل غال.

وقد يسأل احدنا لماذا قال الشيطان ان اسمه لجئون. هل كان ذلك مجرد اعلان انهم كثيرون . أو كان الاسم المرتب له لجئون حقاً . أو انه قصد أن يرى السيد انه قوة لا يستهان بها لعله يخشى محاربته ؟!!

لكن خسيء الشيطان

انه بالرغم من معرفته لشخصية المعلم يبذل آخر محاولاته لمحاربته وهي حرب يائسة لان الشيطان سيدحر فيها!!

اما السيد فقال له اسرع واخرج منه. وطلب الشيطان أن يسمح لهم بالدخول في قطيع خنازير هناك. فسمح لهم فخرجوا من الانسان ودخلوا في القطيع وكان نحو الفين فاندفع القطيع كله من الجرف الى النهر وغرق!!

ولقد كان هذا الجزء من القصة مثار كثير من التعليقات المختلفة. ونحن نذكر لك في ذلك بعض ما قيل!!

قيل أن الشياطين التي كانت في الرجل لم تكن تلك الشياطين المعروفة بل كانت بعض عوامل الشر التي تستقر في النفوس الآثمة. وأن الرجل كان عبداً لهذه الشرور فذهبت بعقله. وانه في إحدى هاتيك النوبات ثار على الخنازير الموجودة وطاردها حتى سقطت في البحر وغرقت. وأن حادث غرقها أعاده إلى يقظة عقله. ونحن بالطبع نرى في هـذا مآخذ كثيرة فهي تنكر القصة إطلاقاً وتنكر وجود الشيطان وتنكر سلطان المسيح!

وقيل أن الرجل كان تاجراً للخنازير فكان تبعاً لذلك يقيم لها حظائر خارج البلدة إذ كانت الخنازير من الحيوانات النجسة وكان اكلها محرماً على اليهود. ولكن الرجل استهواه الربح فاقتنى حظيرة بعد حظيرة. وكان يجلس إلى خنازيره كل اليوم يحسب حساب ربحه وإذا ذاك ملأته الشياطين الخنزيرية وأصيب بالجنون وأخذت منه خنازيره فلما أمر السيد تلك الشياطين أن تخرج لم يمكن ذلك إلا بغرق خنازيره أي انه كان يلزم أن يدفع الرجل خنازيره ثمناً لعقله!! ولكننا نلاحظ أيضاً في هذا التعليق كثيراً من نقط الضعف خصوصاً والظاهر أن الخنازير كانت تخص قوماً آخرين

وقيل أن القصة حدثت كما جاءت بحرفيتها وأن السيد وازن بين عقل انسان واحد وبين ألفي خنزيرة، وانه سمح أن تغرق الخنازير معتبراً أنها أقل قيمة بكثير من عقل الرجل!!

ونحن نرى أن نسمع القصة كما قيلت دون أن نسأل عن هذا أو عن ذاك إذ أن فيها اشياء لا يسهل تفسيرها على الوجه الذي يتفق مع ذهننا العصري .

ومع أننا لا نقول بصحة هذا التعليق أو ذاك إلا أننا نجد أنفسنا في موقف الموازنة بين عقل الرجل و بين قطيع خنازير !

هل تستحق نفس انسان واحدة أن يبذل فيها قطيع خنازير ؟؟

أما الله فرأى انها تستحق أن يبذل فيها لا قطيع خنازير بل اكثر من ذلك بكثير . في سبيل نفس واحدة بذل الله الكثير . الطبيعة والعناية والملائكة والانبياء كل هؤلاء بذلوا في سبيل النفس الانسانية بل لقد بذل الله شيئاً أعظم مما يخطر ببال انسان في سبيل الانسان. لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية ! !

والشيطان كان يعلم قيمة النفس البشرية فهو يبذل كل شيء في سبيل افتتاحها وها قد رأينا فرقة من الشياطين تحتل نفساً واحدة !

أما الانسان فقد جهل قيمة نفسه كما نرى ذلك في مسلك أصحاب الخنازير!

لما غرق القطيع هرب الرعاة إلى المدينة واخبروا من قصة المجنون وعن غرق القطيع

وجاء اصحاب الخنازير وابصروا عجباً

ابصروا الرجل الذي كانت الشياطين فيه لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمي يسوع شدّ ما تغير !!

انه منظر يسيل الدموع من العيون بل يعتصر الدماء من القلب !

ولقد كنا ننتظر انهم ينهالون عليه بالقبلات ويهنئونه على ما نال من بركة ويقولون أن حياته تساوي لا ألفي خنزير بل ملايين من الخنازير !!

وكنا ننتظر أنهم ينحنون أمام السيد يشكرونه لانه ردّ للرجل عقله . وردّ لأسرته عائلها وأشاع في المسكان سعادة لا يدركها إلا من ذاق مرارة الحرمان بل

يشكرونه لأن المكان أصبح آمناً إذ أن الرجل كان يقطع الطريق و يسبب كثيراً من الأذى للرائحين والغادين .

وكنا ننتظر أنهم يطلبون منه أن يمكث في المكان حتى يعالج جميع الذين تسلط عليهم ابليس. يخلصهم ولو هلك في سبيل خلاصهم كل ما عندهم من خنازير

ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك !!

انهم نظروا الرجل الذى كان مجنوناً لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمي يسوع

ولكنهم التفتوا نحو زرائبهم ورأوا أن خنازيرهم قد هلكت !

ووازنوا بين الرجل و بين الخنازير

وهتفوا في قرارة أنفسهم . كلا . ان هذا لا يكون . فلتذهب مئات النفوس البشرية ، بل فلتذهب الألوف على أن تبقى خنازيرهم وتزيد . ان خنزيراً واحداً يملكونه لهو أثمن من مئات النفوس. ولماذا ندفع نحن ثمن النفوس البشرية .

كلا. كلا. اخرج يا يسوع من أرضنا، أننا لا نرى وجودك ربحاً لنا بل خسارة

وهكذا طلب أولئك القوم الحمقى من يسوع أن يخرج من تخومهم !!

ونظر السيد اليهم حزيناً

ولكنه خرج !!

لكن هل خرج حقاً ؟

كلا . انه لم يخرج

لقد بقى في المكان مسيح آخر

طلب الرجل الذي كان مجنوناً أن يذهب مع يسوع . انه مستعد أن يترك بيته ومدينته و يتبع منقذه ، أن حياته ملك للذى انقذها، أما يسوع فطلب منه أن يذهب الى بيته و يحدث قومه كم صنع به الرب

وعاد الرجل الى بيته والى قومه وحدثهم بكلامه و بشخصه كم صنع به الرب ورحمه ، و بذلك كان صورة مجسمة لرحمة المسيح ولقوته ! ! !

٤٧
ايمان مذعور

«وبينما هو يتكلم جاء واحد من دار رئيس المجمع قائلا له قد ماتت ابنتك لا تتعب المعلم . فسمع يسوع وأجابه قائلا لا تخف . آمن فقط فهي تشفى » لوقا ٨: ٤٩ ، ٥٠

كان رجل اسمه يايرس في مدينة كفرناحوم

كان غنياً وعالماً ومتفقهاً في أصول الدين اذ كان رئيساً للمجمع

وكان يبدو سعيداً في حياة عائلية يحب زوجته وتحبه . وكانت لهما ابنة وحيدة عبدها كلاهما

هل كانت الابنة الوحيدة التي أعطيت لهما ؟

ام كانت الابنة الوحيدة التي بقيت لهما ؟

على انها في كلتا الحالتين كانت موضوع حبهما ولهفتهما

كانت الدنيا كلها لا تسوي تلك الابنة

اذا ابتسمت ابتسمت العوالم بأسرها

واذا شكت فقد اضطرب العالم بأسره

وفي أحد الأيام دخل المرض بيت يايرس وأصاب أعزّ جزء فيه

بدأ المرض خفيفاً ولكن قلبي الوالدين خفقا و بانت علائم القلق واضحة على وجهيهما . وأقبل الأطباء من كل ناحية يجربون كل ما أوتوا من مهارة في معالجة الطفلة العزيزة . على أن المرض أخذ يشتد . وأخذ الاطباء يهتمون اكثر و يستحضرون علاجات أقوى ولكن المرض استفحل و بدا القلق على وجوه الاطباء. ولكنهم ظلوا يهونون الامر على الوالدين المسكينين لكن جاءت الساعة التي أعلنوا فيها ان الطب قال كلمته الأخيرة

وزاغت عين يايرس واضطرب قلبه

ماذا عساه أن يعمل

لقد جاء بأقدر الاطباء

واستحضر أحدث العلاجات

بل قد لجأ إلى كل علاج معترف به أو غير معترف ولكن كل جهد للابقاء على الفتاة العزيزة باء بالفشل

وتحدث بعض خاصته عن المعلم الناصري

لقد سبق ان سمع عنه

حدثه بشأنه قائد المئة الذي شفى غلامه بكلمة القاها السيد عن بُعد

وحدثه بشأنه كثيرون ممن اختبروا آياته في أنفسهم أو في من لهم

كما حدثه بشأنه كثيرون ممن سمعوا عنه

وشاع الأمل في نفس يايرس وحل شيء من الايمان في قلبه. فقام لفوره واتجه صوب يسوع يحمل حفنة الايمان هذه

كانت كمية الايمان قليلة جداً . لقد شفى السيد كثيرين من المرضى ، ولكنه غالباً لم يشف فتاة على آخر نسمة ، بل فتاة قال انها ماتت فعلاً ومن يعلم ان كان يقبل ان يجرب آياته ، ومن يعلم ان كان يملك قوة الشفاء

على انه وقد ترك ابنته على آخر نسمة لم يكن أمامه باب للرجاء إلا باب المعلم الناصري . فهو يرجو أن ينال منه ماسمع ان كثيرين نالوه . كان عنده ايمان ولو انه كان ايماناً ضعيفاً

واشتد ساعد ذلك الايمان عندما قبل المعلم أن يذهب وان يقيم الفتاة المريضة على ان ذلك الايمان بدأ بعد ذلك يضعف شيئاً فشيئاً. فقد كان المعلم بسبب زحام الجماهير يتحرك بمنتهى البطء . وكانت عينا يايرس تنتقلان من وجه الناصري إلى ناحية بيته . فقد كان يخشى أن يأتيه من بيته من ينبيء بأن ابنته قد ماتت

ويغلب ان يايرس طلب من بطرس ومن معه ان يعجلوا يسوع ولكنهم لم يستطيعوا شيئاً بسبب ازدحام الجماهير

كم سخط يايرس على الجماهير الفضولية كم لعنهم . لماذا يأتون ليعطلوا المعلم . انهم فضوليون تافهون !

على ان ايمانه ظل محتفظاً بشيء من القوة إلى ان جاءت اللحظة التي أحس فيها أن قد دنت نهايته . فقد وقف يسوع وتلفت حوله يسأل عمن لمسه

ولعل بطرس بدفعة من يايرس قال ليسوع، يامعلم أنت ترى الجميع يزحمونك وتقول من لمسني . ان الوف الايدي تلمسك. سر أيها المعلم فان أمامك أمراً أخطر بكثير من هذا . ولكن المعلم وقف يسأل وهو يلتفت هنا وهناك : قال ان قوة قد خرجت منه . لقد لمسته الوف الايدي ولكن يداً واحدة لمسته لمسة مقتدرة وهو يسأل عن صاحب اللمسة

ووقف المعلم ريثما انتهى موضوع اللمسة وبدأ الموكب يتحرك وعاد ايمان يايرس يسترد أنفاسه ولكن ذلك الايمان لم يستطع ان يستمر طويلا اذ انهار انهياراً تاماً فقد جاءه رسل من بيته يقولون « ابنتك ماتت »

ماتت الابنة ولا داعي لان يتعب المعلم . لقد كان هناك أمل في الشفاء وقد فات أوانه فقد انتهت الفتاة

على ان المعلم انحنى إلى ذلك الايمان المنهار وأمسكه وقدمه ليايرس مرة اخرى وقال ، لا تخف آمن فقط

وعملت الكلمة فيه عمل السحر

ان في كلمة المعلم قوة

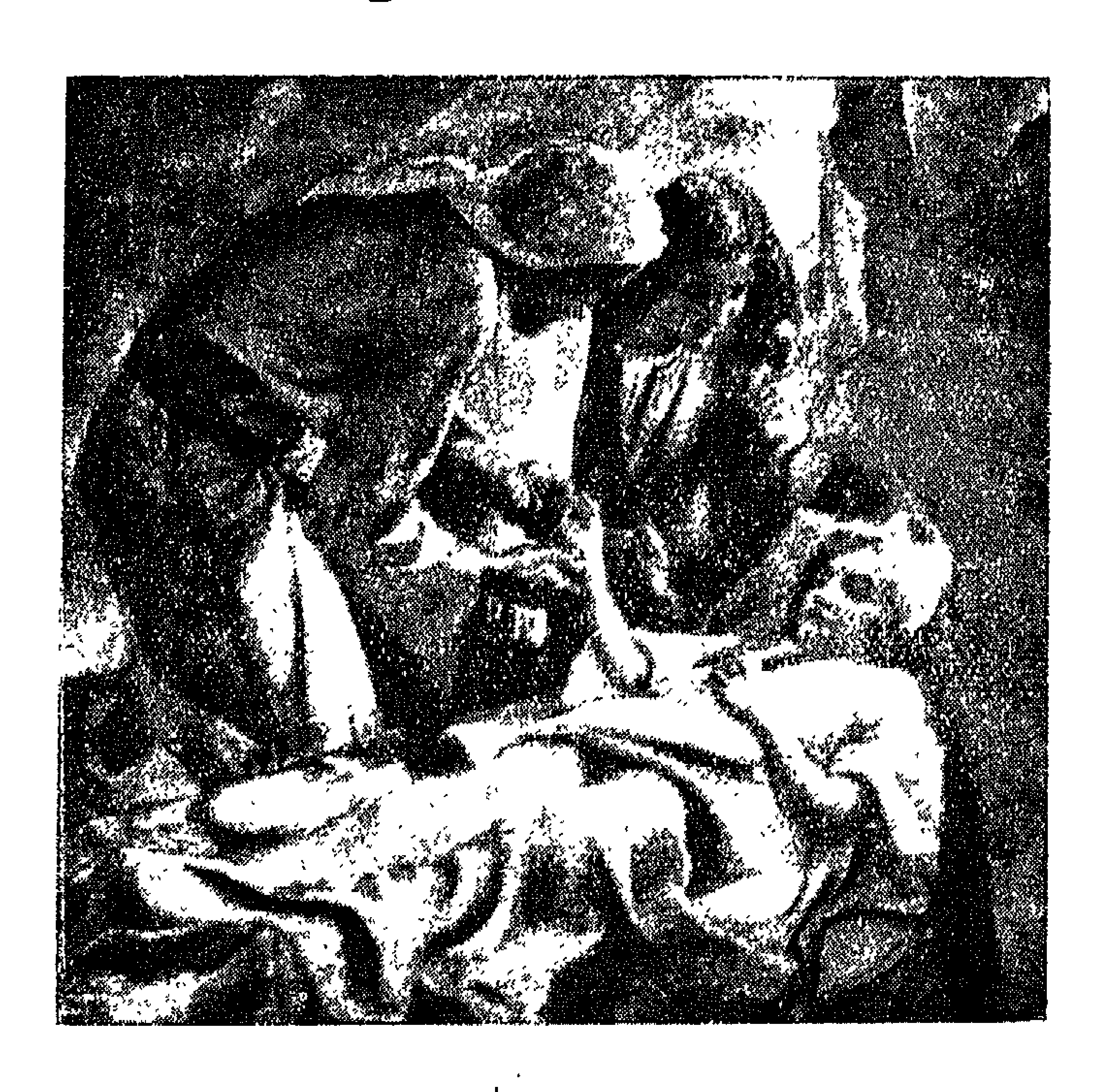
ولقد سبق له ان رأى بعينيه أثر تلك القوة . ألم تشف المرأة بلمسة امرأة ظلت مريضة اثنتى عشرة سنة أي منذ ولدت ابنة يايرس

امرأة ذهبت الى أطباء كثيرين

ولم تنتفع شيئاً

بل صارت إلى حال أردأ

شفيت تلك المرأة عندما لمست طرف ثوب يسوع



اقامة ابنة يايرس

عاد ايمان الرجل اليه قوياً

وسار مع يسوع حتى ذهب الى بيته وأقام ابنته

٤٨

اللمسة المقتدرة

كان السيد في كفر ناحوم

وقد اتخذها موطنه الثاني

ولو انه لم يفكر في الاستقرار فقد كانت كل اليهودية ميدان عمله

كانت جماهير الشعب تتكدس حوله فقد وجدوا فيه رجاءهم

كان عطفه يجتذبهم

وآياته تسحرهم

وكانت تعاليمه شيئاً لم يألفوه

فكانوا يلتهمونها التهاماً

وفي أحد الأيام أقبل اليه رئيس كبير من رؤساء اليهود وجثا عند قدميه وقال

سيدي أن ابنتي على آخر نسمة

وكانت ابنته الوحيدة

وكان عمرها اثنتى عشر سنة .

وكان مرضها عضالا فشل أمامه كل الاطباء

ونظر السيد بعطف الى الوالد المسكين

وقام معه ليقيم الفتاة المريضة

* * *

وسمعت الجماهير عن ابنة يايرس فهرعت من كل مكان لترى المعجزة الجديدة

ولو أننا اقتربنا من ذلك الجمهور لسمعنا كثيراً مما كانوا يهمسون به، بعضهم

لبعض . واستخلصنا من ذلك فضول القوم وتناقضهم وثقتهم وعدم ايمانهم وهاك بعض ما يمكن أن يكون قد قيل :

«من العجيب ان يأتي رئيس المجمع لرجل الناصرة»

«أن فتاته توشك أن تلفظ أنفاسها الاخيرة»

«لقد قال الاطباء أن لا فائدة من أي علاج»

«ان اباها يكاد يقتل نفسه»

«مسكينة أمها فقد أوشكت على الجنون»

«هل تظن أن المعلم الناصري سيشفيها»

«من يعلم ، فقد قيل انه شفى كثيرين»

«لقد فتح أعين العميان وآذان الصمّ»

«لقد طهر البرّص»

«سمعنا انه أقام الميت»

«لا تصدق كل ما تسمع»

«ان الجمهور ينساق دائماً وراء الاشاعات»

«كلا لقد رأيت بعيني الكثير من آياته»

«انه هو النبي الذي افتقد الله به شعبه»

وهكذا دارت احاديث القوم وهم يدفعون بعضهم بعضاً و يزحمون السيد. وهو يسير وسط تلك الكتل البشرية نحو بيت يايرس. على انه بغتة وقف !

لم تعلم الجماهير في أول الأمر لماذا وقف !

لكننا نحن نعرف

فقد جاءت امرأة من ورائه ومسّت ثيابه .

عجباً . . وهل تكفي لمسة لهدب الثوب ليقف يسوع . وقد اندهش القوم وهم يسمعونه يقول من لمسني. وأجابه بطرس أنت ترى الجموع تزحمك وتقول من لمسني؟!

لـكن يسوع يقول أن شخصاً لمسه

ان الجماهير التي تحيط به لم تلمسه تلك اللمسة المقتدرة. انه يعلم ان الجميع يلمسونه. ولكنه يسأل عن لمسة خاصة لانه يحس أن قوة خرجت منه. ان هناك شخصاً لمسته لمسة مقتدرة!

ونحن نقف مع الجمهور لنبصر الشخص الذي لمسه ونسمع قصته !

كان ذلك الشخص امرأة

وقد أصابها المرض من اثنتى عشر سنة

وقد أنفقت مالها على اطباء كثيرين ولم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال اردأ!!!

ولما استبد بها اليأس سمعت عن يسوع

سمعت عن شخصيته

ومعجزاته .

وقالت في نفسها ليتني اصل إلى ذلك الشافي !!

إنني متيقنة انه يقدر أن يشفيني اذا أراد

بل اني اذا لمست طرف ثيابه شفيت

وها هو المسيح يمرّ بمدينتها

وها هي تشق طريقها اليه

وتلمس هدب ثوبه

وتشفى !

* * *

ونحن نقف مع الجمهور منذهلين من قوة تلك اللمسة ومن اقتدارها .

لقد كانت لمسة ضعيفة في مظهرها فهي لمسة امرأة

والمرأة فوق ضعفها العادي اكثر ضعفاً بسبب مرضها . وهو مرض طال حتى امتص كل اسباب القوة فيها . فقد كان نزيفاً سرطانياً على الاغلب . وقد سلبها الاطباء كل مالها فهي فقيرة . وفقرها قد نال منها اكثر مما نال مرضها !

لـكن هذه المرأة الضعيفة لمست يسوع لمسة جبارة انتزعت منه القوة وأوقفته

يا لها من لمسة !

ظن الناس انها لمسة ضعيفة وقد اخطأوا فقد كانت لمسة هي القوة بعينها

اليست هي لمسة الحاجة؟ هوذا امرأة مريضة « نجسة » فقيرة تحمل حاجتها الى ذلك الغني . وتلك الحاجة أقوى سلاح يفتح قلب يسوع. أن السيد لا يستطيع أن يقسو على الجائع أو العاري أو المريض أو الباكي . ان الدموع تذيب قلبه .

وقد فشلت تلك المرأة من الناس

لقد فشلت في مقدرتهم

وفشلت في انسانيتهم

يوم أحست بالمرض ذهبت إلى الطبيب وأعطاها الطبيب كلاماً طيباً نظير مالها. وجعلت تزور طبيبها مرات وفي كل مرة كان يعطيها تذكرة جديدة و يأخذ منها ثمن ذلك. حتى اذا ما أعياها التراداد قصدت إلى طبيب آخر وهذا بدأ معها القصة من الاول وانتهت معه كما انتهت مع سابقه . وذهبت الى طبيب ثالث ورابع وهكذا . وكانت في كل زيارة لطبيب يخف كيس نقودها و يزداد مرضها سوءاً إلى أن جاء اليوم الذي فيه نضب معين مالها و إذ ذاك ظهر لها أطباؤها في صورة جديدة لم تعهدها فيهم فقد تجهموا لها وعبسوا في وجهها وأخبروها أن لا علاج لدائها. ولما ألحفت على بعضهم طردوها طرداً قبيحاً ــ كلا . لقد ضاع ايمانها بالناس . فلما جاءت الى يسوع لمسته تلك اللمسة التي جمعت مع قوة الحاجة قوة الايمان ــ وهل الايمان شيء ضعيف . انه يذكرني بذلك المقص الكهربائي الصغير الذي إذ تنظر اليه يخيل لك انه اعجز من أن يقص ورقة وإذا هو يقص الحديد . . ذلك لانه متصل بتيار كهربائي قوي. كانت تلك اللمسة متصلة بالله نفسه . كان الله خلفها فاستطاعت

كان يمكن لتلك اللمسة أن تزحزح الأرض

بل السماء .

لانه ان كان لكم ايمان مثل حبة خردل فانكم تقولون لهذا الجبل انتقل فيطيعكم!!

٤٩

المسيح المشبع

« فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف وأخذ يسوع الارغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ أعطوا المتكئين . وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا »

يوحنا ٦ : ١٠ ، ١١

وهنا ايضاً منظر آخر للحاجة البشرية

رأينا في بيت حسدا جانباً من هذه « الحاجة » وعلى جبل طبرية نرى جانباً آخر . ان الحاجة البشرية متعددة الجوانب . آناً نراها مرضاً وآناً نراها جوعاً. رفع يسوع عينيه ونظر أن جمعاً كثيراً مقبل اليه. لقد تبعوه ثلاثة أيام . كانوا كغنم مشتتة لا راعي لها. كانت جماعة في شدة الجوع نفساً وجسداً . والسيد الذي جاء ليخلص النفوس لم يزدر بحاجة الاجساد . كان يتأثر لجوع الجائعين وعري العرايا! كان يتحنن و يبكي !

وماذا يعمل العالم للجمع الجائع ؟

اما الاغنياء فلم يستطيعوا أن يروا من عروش ثرواتهم ذلك الجمع الجائع . وان رأوا فانهم ينظرون اليهم بعين الاشمئزاز التي تتقزز من أشكالهم البشعة وتتضايق من أجسامهم المريضة وثيابهم الرثة !

ورؤساء الدين سمّنوا أنفسهم على حساب الرعية !

بل نفس التلاميذ ، وهم أفضل من غيرهم قالوا للسيد اصرفهم ليبتاعوا طعاماً وفيلبس قال « لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً ». واندراوس قال، «هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء ؟!»

هذا هو مسلك الناس مع الشعب الجائع !

* * *

أما المسيح فلا يحتقر الجمع ولا يزدريه ، ولايقبل أن يصرفهم لئلا يخوروا في الطريق . بل يقول ، اجعلوا الناس يتكئون . انه يشبع الجياع خيرات !

لنأت اليه بكل جوعنا ونحن نجد كل كفايتنا فيه !

كان في الجمع غلام لا نعلم اسمه . وكان معه خمسة أرغفة وسمكتان. كان ذلك طعامه على الأغلب . كانت الارغفة صغيرة وكانت تكفي طعاماً لفرد . وقدم ذلك الغلام طعامه هذا ليسوع. فتحوّل ذلك الطعام الى خبز جزيل كفى لأطعام خمسة آلاف ماعدا النساء والاولاد!

وقد اختلفت الاقوال بالنسبة لهذه المعجزة كما اختلفت بالنسبة لكثير من معجزات يسوع .

أما البعض فانكروها اطلاقاً وقالوا انها من نسج الخيال . وقد نقلها أناس غير مسئولين وكتبوها كما لو كانت حقيقة . وقد بنى هؤلاء القوم انكارهم على ان هذا العمل مخالف لكل نواميس الطبيعة المعروفة

والبعض الآخر ينكرها أو على الأقل يستبعد حدوثها . انه لا يتحمس في الانكار نظير الآخرين. انه يقول ان الله قادر على كل شيء وان يسوع يستطيع ان يجري آياته . لكن ذلك البعض يسأل عن سبب قيامه بمعجزة . ان يسوع الذي رفض أن ينقذ نفسه من الجوع بتحويل الحجارة إلى خبز لايعمل آية لاطعام الآخرين وهو يعلم انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان!

وغيرهم يرى ان الكاتب لم يقصد اطعام الشعب بالخبز المادي بل قصد المعنى الرمزي. فان يسوع — في رأي هؤلاء — واجه جوع الشعب الروحي وحاجة «معدهم» الروحية فاعطاهم غذاء الروح بالحقائق البسيطة . وهذه أشبعتهم وأشبعت غيرهم

والبعض الآخر يرى ان اطعام الجماهير تم لكن من غير عمل معجزي. فانه عند ما أخذ يسوع أرغفة الغلام وكسرها ، أخرج كثيرون أرغفتهم وقدموها ليسوع . لم يكن من المعقول ان يأتي ذلك الجمهور كله من مسافات بعيدة بدون

طعام . فلما خرجت الارغفة ووزعت كفى الطعام وزاد

أما البعض — ونحن منهم — فيؤمن ان المعجزة تمت بكل حرف فيها

ولسنا في معرض الرد على المنكرين إطلاقاً وهؤلاء يغمضون عيونهم عن آيات الله الكثيرة التي تحيط بنا ليلا ونهاراً . ما اكثر المعجزات التي نراها نحن . أننا نرى الله القادر على كل شيء. الله الذي لا تزال يداه تعطيان خيراً بوفرة للجميع. بل ما هي الشمس وما هي النجوم ما هو السحاب والمطر وما هي الجبال والتلال.ما هي الطبيعة نفسها . أليست هي آيات رب الآيات ؟ فان صنع رب الآيات آية تخالف في شكلها فقط صور الآيات التي نراها كل يوم انكروها ؟!!

كم يجرّ ضيق الفكر على المنكرين من جهل ومن شر ! !

ان الله الذي نراه في آياته اليومية اعظم جداً مما يشاء منكرو الآيات الكتابية أن يصوروه!

أما الذين ينكرون الآية لعدم لزومها. فانهم لا يقلون كبرياء عن الأولين.وهل نقول ولا يقلون عمى وجهلا ؟؟ أن يسوع لا يحوّل الحجارة الى خبز لاجل نفسه ، ولكن الجمهور الجائع يتطلب الآية لإشباعه،ان قواته لاجل الآخرين لا لأجل نفسه

والذين قالوا أن القصة هي قصة تعليمية قصد الوحي منها الى تعليم الناس عن الخبز الحي اخطأوا ضد الكتاب ، ان في القصة المعنى الرمزي ونحن مستعدون أن نؤمن بهذا المعنى وحده لو أن القصة جاءت كذلك ولكنها لم تأت كذلك

أما القول بأن الاطعام تم بغير معجزة فهو محاولة للتوفيق بين الملحدين والمؤمنين ولكنها محاولة على حساب الحقائق المدونة في الكتاب وعلى حساب الايمان بالله و بقدرته ، نعم أن الله كثيراً ما يشبع الناس بالخبز الذي يقدمه الناس ، ولكن هذا لا يمنع انه يجري آياته وعجائبه ليطعمهم ، انه يرسل الطعام للجياع عن طريق الغربان رمزياً و يرسله عن طريق الغربان حرفياً

انه الله القادر على كل شيء ! !

٥٠

دين قشرة

« يقترب اليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً » متى ١٥ :٨

عاد تلاميذ يسوع من الخارج بعد رحلة طويلة شاقة أنهكهم تعب السير وهدّ من قواهم الحر الشديد . ولم يكونوا قد تناولوا طعاماً طول النهار . لذلك جلسوا إلى الطعام الذي أحضره أحدهم من السوق وبدأوا يأكلون بكثير من العجلة !

وابصرهم وهم يأكلون بعض الكتبة والفريسيين الذين جاءوا من أورشليم ليحضروا بعض جلسات المعلم يسمعون تعاليمه ويناقشونه فيها بالنسبة إلى أمور الناموس وظهر الذعر على وجوه الكتبة والفريسيين . كيف يأكل تلاميذ يسوع بأيد غير مغسولة وكيف يأكلون طعاماً غير مغسول!؟

ولعل من اللائق أن نعرف أن اليهود كانوا يتبعون قوانين صارمة في كل نواحي حياتهم الدينية التي كانت تشمل في نفس الوقت العلاقات الاجتماعية والشرعية والصحية. ولقد يظن بعضنا أن قوانينهم الدينية كانت في الكتاب المقدس وانهم كانوا يرعون الكتاب ويدققون في حفظه ، وهو ظن بعيد عن الصواب

نعم كان كتابهم ، التوراة وهو ناموس موسى وللزامير والأنبياء ، كان ذلك الكتاب أو على الأصح تلك الكتب ، هي كتبهم المقدسة التي أمرهم الله أن يحافظوا عليها وقد حافظوا عليها خصوصاً بعد السبي وسلموها للاجيال المتعاقبة كاملة سليمة. حافظوا على ورقها أو «جلودها» وكلماتها وحروفها وحركاتها ولكنهم لم يهتموا كثيراً بتنفيذ ما جاء بها ، لانهم كانوا يحافظون على وصايا اخرى وجدت في تلمودهم وهو كتاب أو كتب تقليدهم المعروفة بالمشنا وهى كتب وضعها الآباء ورتبوها أبواباً

وضمنوها جميع الوصايا المتعلقة بكل نواحي الحياة . وعلّموا الشعب ان هذه الوصايا أهم بما لايقاس من وصايا موسى والانبياء. وانالله قد يتسامح في من يهمل الكتاب المقدس ولكنه لا يمكن أن يتسامح في من يزل في وصية واحدة في «المشنا »

وكان من بين الوصايا ، أوامر تتعلق بكيفية العبادة والصلاة والصيام والصدقة ومعاملة الجار ومعاملة الغريب . وكان عددها ألوف وألوف . وكان الكاتب الماهر هو من يلمّ بهذه الأوامر و يعرف أسرارها وتفصيلاتها

وكان من بين هذه الاوامر وصايا خاصة بالغسل. غسل الايدي وغسل الطعام وجميع الاشياء التي تأتي من الخارج . وقد رتبت التقاليد أن يغسل اليهودي يديه بكيفية خاصة ر بما صحبها شيء منالصلوات أو الأدعية . أما الاشياء التي تشترى من السوق فكانت تغسل بكيفيات خاصة والا اعتبر أكلها ذنباً كبيراً يتطلب ان تقدم الذبائح والاستغفارات تكفيراً عنها وربما كان الاصل في وضع تلك الاوامر صحياً ولكنه تحول على مرور الايام إلىالناحية الدينية واعتبر من لاينفذها خارجاً على الله وعلى شرائعه واستحق اللعنة والنزول إلى الهاوية بدون بر

من أجل هذا ارتاع الفريسيون والكتبة وهم يبصرون تلاميذ يسوع يأكلون بأيد غير مغسولة . وتقدموا اليه قائلين لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ فانهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً

أما يسوع فنظر إلى أولئك المشتكين نظرة حزينة ولكنها كانت في نفس الوقت نظرة صارمة

انه لا يعارض ان يغسل تلاميذه أيديهم. انه يهتم أن تكون أيديهم نظيفة . ولكنه يهتم بنظافة اخرى أعظم وألزم . كان الفريسيون يهتمون بنظافة الايدي و يهملون نظافة القلب .ان اليد المغسولة أو غير المغسولة لاعلاقة لها بالصلاة أو بالتعبد. ان الله روح وعبادته تتصل بروح الانسان

ثم أولئك المشتكون !

أولئك الغيورون على الدين !

أولئك الذين كرّسوا حياتهم لابراز أغلاط الغير واشهارها والاعلان عن بر أنفسهم !

هل هم متدينون حقاً . وهل يمكن ان تكون النفوس الممتلئة باظهار عيوب الناس نفوساً متدينة . وهل يمكن ان تكون القلوب الخالية من المحبة والعطف قلوباً تعرف الله ؟

وتلك التقاليد ! ؟ ؟

يا لها من تقاليد غريبة !

وقال يسوع لأولئك المشتكين

أنتم تأخذون على تلاميذي انهم يتعدون تقليد الشيوخ فانهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً

وأنتم ؟؟؟

وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ؟

ونظر الكتبة والفريسيين اليه متسائلين كيف نتعدى وصية الله ونحن نحفظها وندقق كل التدقيق في حفظها

وتكلم يسوع

ألم يوص الله في كتابه المقدس قائلاً اكرم أباك وأمك . ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً ؟

ألم يذكر الكتاب في الاحكام التي أوردها موسى ان الابن الذي يسلك سلوكاً ينافي هذه الوصية لا يستحق أن يعيش . وقد أوصى جميع الأنبياء بلزوم اكرام الوالدين أي احترامهم وتوقيرهم وطاعتهم ومساعدتهم عند ما يكبرون ويعجزون عن التكسب.!!!

نعم هذه هي وصية الله!

فماذا قال التقليد

قال في بعض ما قال

« ان قال انسان لأبيه أو أمه قربان أي هدية هو الذي تنتفع به مني فلا تدعونه في مابعد يفعل شيئاً لأبيه أو أمه »

ومعنى ذلك ان الابن الذي يقدم لأبيه أو أمه مساعدة ما سواء كانت مالاً أو طعاماً أو ثياباً ، اذا ماحدث لسبب من الاسباب ان قال بفمه لأبيه أو أمه ، لقد خرج مني الوعد ان يكون ما تنتفع به مني قرباناً ، فانه ولو ندم في ما بعد على ما قاله لايستطيع أن يساعد والديه . ولقد حدث ان أحدهم غضب يوماً على أبيه فنطق بتلك الكلمات ولكنه عاد وندم عليها وحاول أن يتحايل على تغييرها واعطى اخته مالاً لتعطيه لوالديه . ولكن الكتبة لما سمعوا قرروا انه خالف وصايا الآباء فلما مات دفنوه وقد وضعوا حجراً على صدره حتى ينزل إلى قرار الهاوية

وقال يسوع بألم

حسناً تنبأ اشعياء عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب « يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً . وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس » ! لانكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس . غسل الأباريق والكؤوس وأموراً أخر كثيرة مثل هذه تفعلون !

وصمت الكتبة والفريسيون

صمتوا عجزاً وخجلا !

ودعا يسوع كل الجمع وقال لهم اسمعوا مني كلكم وافهموا . ليس شيء من خارج الانسان اذا دخل فيه يقدر أن ينجسه. لكن الاشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الانسان . ان كان لأحد أذنان للسمع فليسمع

أما الفريسيون فمضوا غاضبين. انهم لا يستطيعون أن يردوا عليه . انه يتكلم كلامه مسنوداً بالكتاب. ولكنهم برغم عجزهم لايقبلون كلامه و ينطلقون متذمرين. كيف يتجاسر ذلك الجليلي ان يطعن في تقاليد الآباء التقاليد التي وقف أساطين الأمة على حمايتها وتفسيرها

وتقدم التلاميذ إلى معلمهم وقالوا له اتعلم ان الفريسيين لما سمعوا القول نفروا . قالوا ذلك في شيء غير قليل من الانتقاد . انهم بالرغم من تلمذتهم ليسوع يعتبرون الفريسيين جانبا ينبغي مراعاته. أما يسوع فيقول « كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يقلع . اتركوهم . هم عميان قادة عميان . وان كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة »

وهنا أتيحت الفرصة للتلاميذ ليسألوا تفسير ما سبق أن قاله له عن الخارج الذي لا ينجس والداخل الذي ينجس الانسان . وتقدم بطرس جسوراً كعادته فقال « فسر لنا هذا المثل »

لم يكن المثل مغلقاً في الحق

كان واضحاً كل الوضوح. ولكن التلاميذ لم يفهموه . وقال السيد عاتباً هل أنتم أيضا حتى الآن غير فاهمين . ألا تفهمون بعد أن كل مايدخل الفم لايمضي إلى القلب بل يمضي إلى الجوف و يندفع إلى المخرج؟؟

واما مايخرج من الفم فمن القلب يصدر وذاك ينجس الانسان. لان من القلب تخرج أفكار شريرة. قتل . زنى . فسق . سرقة . شهادة زور . تجديف . جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الانسان وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الانسان !

٥١

ايمان أم

« حينئذ اجاب وقال لها يا امرأة عظيم ايمانك . ليكن لك كما تريدين. فشفيت ابنتها من تلك الساعة» متى ١٥:٢٨

نحن الآن عند حدود صور وصيدا . فقد ترك المعلم أرض اليهودية وسار إلى أرض الامم . لقد ضاقت نفسه بعدم ايمان « الشعب المختار » . فانهم بالرغم من البراهين الكثيرة التي شهدت بها حياة يسوع استمروا يقاومونه و يضطهدونه. ور بما يجد عند الوثنيين الايمان الذي لم يجده عند ابناء الله ! ! وقبل أن يتوغل في أرض الامم أقبلت نحوه امرأة ارملة عرفنا فيما بعد أن لها ابنة وحيدة . وان المرأة كانت كنعانية فينيقية ، وقد أقبلت صارخة :

ارحمني يا سيد يا ابن داود
ابنتي مجنونة جداً ! !

كانت المرأة قد سمعت عن النبي اليهودي وعن آياته وقواته، فلما جاء الى المكان الذي تقيم فيه أحست أن العناية هي التي ارسلته ، ومع ان المرأة لم تكن تعلم شيئاً تفصيلياً عن المسيا وعن انه ابن داود الا أنهم اخبروها انه ابن داود ولذلك ركضت خلفه وهي تصرخ ارحمني يا ابن داود !

مالك ايتها المرأة وابن داود
لقد اخطأت الاتجاه

ان يسوع هو ابن داود لليهود الذين كانوا ينتظرون ملك لليهود ، اما لك ايتها الوثنية فان يسوع هو ابن الله !

وقد سمع السيد صلاتها ولا شك بالرغم من انها وجهتها الى ابن داود ، على انه عمل معها كما يعمل معنا ومع غيرنا في كثير من الاحايين ـ صمت ولم يجب الطلبة! وظلت المرأة تصرخ خلفه، ارحمني يا سيد يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً !!

وكان صراخها لهيب نار خارج من قلب ام . وظل السيد على صمته مدة طويلة !

لم تفشل المرأة

بل استمرت تصرخ طول الطريق

وكان صوتها داوياً حتى ان التلاميذ تضايقوا من صراخها والتمسوا منه ان يستجيب لصراخها ويشفي ابنتها . قالوا ذلك ليس لانهم رأفوا بحالتها واشفقوا عليها واشتركوا في ألمها . كلا . بل كانت وساطتهم بدافع اناني فقد ضاقت نفوسهم من صراخها وانزعجوا من اتباعها اياهم وارادوا ان يستريحوا منها وهم يقولون اصرفها لأنها تصيح وراءنا !

ولم يسمع المعلم لصوت تلاميذه واعلن ان رسالته الاولى ليست للامم وأنما لاسرائيل وهو لم يفرغ بعد من رسالته لهم. ولو انه وسع دائرة خدمته لما كفاه الزمن القليل الذي سيقضيه على الارض . وهو لذلك قد نظم زيارته بحيث تناولت الشعب المختار !

و بالرغم من ان المرأة سمعت الكلام الواضح انه لم يرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضال فانها ظلت تتبعه صارخة ارحمني يا ابن داود . ابنتي مجنونة جداً!

يا لحب الام ! !

انه لا يقف عند حد . انه يخترق المسالك غير المطروقة و يصعد الجبال الشامخة و يحتمل المقاومة والصد ويظل محتفظاً بقوة ايمانه

ان المرأة لا تعود الى البيت

ولا تسلم بالهزيمة

وها نحن نرى المرأة تتبع يسوع وهي لا تكف عن الصراخ خلفه حتى دخل بيتاً. وظن التلاميذ ان المرأة ستعود ولكنهم اخطأوا . . لا شيء يمنعها من اتباعه ولا دخوله بيتاً غريباً . فهي تدخل خلفه وتجثو عند قدميه وتسكب دموعها فياضة تبلّ الارض تحته وتقول بنغمة باكية يا سيد أعنّي !

ونظر السيد الى المرأة . كانت كلماته قاسية ولـكن يا للعجب ان وجهه لين وعينيه يفيض منهما عطف وحب . كان وجهه يشجعها ولـكن كلماته تصدها

ليس جيداً ان يؤخذ خبز البنين
ويطرح للـكلاب !

وكانت الـكلمات مثلا معروفاً لا يحمل قوة الخشونة التي نراها نحن . ولـكنه على اللين صوره — تعبير قاس خشن . وسواء كان المقصود بالـكلاب، الـكلاب الضالة المؤذية أو الـكلاب المدللة في البيت ، فان المعنى ان مكان المرأة بالنسبة لخدمة يسوع مكان من لا يجوز ان تعطى حق الغير

فهل فرغ صبر المرأة

وهل صاحت فيه محتجة، ولعنت ذلك الشعب اليهودي البغيض . هل قامت ووجهها نحو بيتها. هل فعلت شيئاً من ذلك؟ كلا. بل انحنت أمام كلماته واجابت نعم

نعم ياسيد
ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين
ويطرح للـكلاب
ولكني لا أطلب خبز البنين
انني أطلب الفتات الساقط من مائدتهم
فالـكلاب أيضاً تأكل من الفتات الساقط من مائدة اربابها !!

وهنا تعجب يسوع
وكان تعجبه عظيماً جداً
«يا امرأة عظيم ايمانك
ليكن لك كما تريدين»

وهكذا انتصر ايمانها وشفيت ابنتها من تلك الساعة .

٥٢

المسيح ابن الله

« فأجاب سمعان بطرس وقال انت هو المسيح ابن الله الحي » متى ١٦ : ١٦

كان المعلم الناصري يسير صامتاً وهو يلقي نظرات متأملة على الجبل الذي يطل على مدينة قيصرية فيلبس. وكان التلاميذ الاثنا عشر يسيرون خلفه صامتين أيضاً. لقد اعتادوا ذلك الصمت

كانت المرحلة الاخيرة على وشك المجيء

وها هو الصليب يطل من بُعد على ذلك الركب الصامت ان صح ان ندعو جماعة سائرة على الاقدام ركباً !

و بغتة التفت المعلم إلى التلاميذ وقال :

من يقول الناس اني أنا ابن الانسان ؟

والتفت التلاميذ بعضهم إلى بعض . لقد سمعوا الناس يتحدثون عن معلمهم كثيراً . بل لقد سمع هو بعض ما قالوه.. لكن هل من اللائق أن يخبروه بكل شيء . لقد قال البعض عنه أقوالاً رديئة شريرة

قالوا انه مختل مجنون

وقالوا انه سامري و به شيطان

وقالوا انه مضلّ

وقالوا انه ليس من الله

نعم قالوا كل هذا وأكثر منه . ولكن الذين قالوا ذلك وان يكونوا من ذوى المقامات ، فهم قلّة أعماهم الحسد والتعصب والجهل فلم يروا النور وقد تبلج والحق وقد تكشف !!

أما جمهور الشعب فانه يتحدث عن يسوع كثيراً . ويذكره بكل محمدة . ويهرع اليه أينما كان ، يستمع لجواهر السماء التي يلقيها من فمه ويتناول بركات الشفاء من يديه الكريمتين ويذكر فضله ذكر الشاكر الممتن. هذا الشعب تضاربت أقواله في يسوع . وقال توما ، يا معلم ان البعض يقولون انك نبي عظيم قد افتقد الله به شعبه . وقال فيلبس ، نعم انهم يقولون انك ارميا النبي العظيم !

وقال متى ، ويقول آخرون انك اشعياء!!

أما اندراوس فقال انهم يقولون انك ايليا

واختلطت أقوال التلاميذ وسمع المعلم من خلالها

يوحنا المعمدان قام من الاموات

نبي من الاقدمين

النبي الذي ذكر عنه موسى في القديم

وكان حقاً على يسوع أن يسرّ فقد وضعه الجمهور في أعلى مكان.فهو في نظرهم نبي كبير بل مجموعة من الانبياء . وقد جمع في شخصه شتّى الكمالات في كل نبي ، فيه قلب اشعياء العطوف وعين ارميا الباكية

مجد الانبياء القدامى

وجسارة ايليا الخارقة

وصراحة المعمدان العجيبة

لقد كان لكل نبي خاصيته . أما هذا النبي الجديد فقد جمع في شخصه فضائل الانبياء المتنوعة ! !

سمع المعلم حديث التلاميذ دون أن يتجلى على وجهه ما يعبّر عن سروره . ثم التفت اليهم وقال ، وأنتم من تقولون اني أنا ابن الانسان . نعم ماذا تقولون أنتم ؟

وصمت التلاميذ لحظة قصيرة

قصيرة جداً !

ولكن أذهانهم طافت في تلك اللمحة الخاطفة بكل الزمن الذي قضوه مع معلمهم فذكروا كلمته لنثنائيل « قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك »
وذكروا جواب نثنائيل « يا معلم أنت ابن الله أنت ملك اسرائيل » وذكروا وجه يسوع الرزين وكلماته العميقة « هل آمنت لاني قلت لك ذلك . سوف ترون أعظم من هذا » .. وقد رأوا !

رأوه يلمس العمي فيبصرون

والصم فيسمعون

والبُرّص فيطهرون

رأوه يأمر الشياطين فتخضع

والرياح العاصفة فتسكن

رأوه يدوس على الماء بقدميه

ويتحدى الموت فيقيم الموتى

لقد رأوا كل ذلك

وسمعوه يتحدث حديثاً لا يمكن ان يكون حديث بشر . انه اكثر من انسان بل اكثر من ملاك . انه ذاك الذي بشرت به الكتب في القديم انه ابن الله !!

على انهم ترددوا قبل ان يعلنوا عقيدتهم

انه اعلان رهيب !

مخيف !!

انهم لا يجسرون ان ينطقوا به بسهولة !

فصمتوا !!

ولكن ذلك الصمت قطع بصوت انطلق كقذيفة من فم تلميذ

انت المسيح ابن الله الحي!

ولم يكن ذلك التلميذ غير صديقنا بطرس!!

ونظر المعلم الى بطرس وقال، طوبى لك يا سمعان بن يونا. ان لحماً ودماً لم يعلن لك . ولكن ابي الذي في السموات !

ثم أعلن انه بمقتضى إقراره اصبح أساساً ، صخراً تبنى عليه كنيسة المسيح . أي ان الصخرة الحقيقية الأساس الأصلي للكنيسة هو المسيح نفسه وعلى ذلك الاساس توجد أسس أخرى ، احجار حية . وبطرس ، على هذا القياس ، بطرس الذي آمن بالمسيح ابن الله هو صخرة يبنى المعلم عليها كنيسته !!

بالطبع لم يقصد المعلم أن بطرس هو « الاساس » وإلا كان استقرار الكنيسة غير مضمون . فان بطرس هو صخرة في يوم وهو شيطان في يوم آخر . ولكن إقراره العظيم هذا جعله موضع تعظيم وتقدير !!

ولسنا هنا في معرض بحث عن معنى الصخرة وبناء الكنيسة ومفاتيح ملكوت السموات . لأننا لسنا في صدد درس بل في الاصغاء إلى قصة

وقال السيد لبطرس ان أبواب الجحيم لن تقوى على كنيسة المسيح وان السيد سيمنح التلاميذ مفاتيح ملكوت السموات فما يحلونه على الارض يكون محلولاً في السموات وما يربطونه على الارض يكون مربوطاً في السموات !

* * *

سمع التلاميذ هذه الكلمات الكبيرة!

يسوع هو المسيح ابن الله الحي !

على هذه الصخرة سيبني كنيسته !!

ابواب الجحيم لن تقوى عليها !!!

سيعطون مفاتيح ملكوت السموات!!

ما يربطونه على الارض يكون مربوطاً في السموات !!

وما يحلونه يكون محلولا !!!

ونظروا الى معلمهم وسألوا أنفسهم متى يعلن ملكه . ومتى يجلس على كرسيه.

ومتى يجلسون معه على كراسي و يدينون أسباط اسرائيل؟! ولا بد أن الخيال حملهم إلى تلك المملكة المنتظرة فساروا فيها يتأملون قصورها وامجادها . وظلوا في خيالهم حتى ردتهم كلمات يسوع الى اليقظة . نعم فقد تكلم المعلم كلاماً غريباً !!

« ان ابن الانسان ينبغي أن يذهب إلى أورشليم !

و يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة !!

و يقتل !!!

وفي اليوم الثالث يقوم ! »

يا لها من كلمات!

أما ان ابن الانسان يذهب إلى أورشليم فاعلان معقول . هناك كرسي الملك . ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ليجلس على عرش داود أبيه

ولكن أن يذهب ليتألم كثيراً و يرفض من الشيوخ و يقتل ، فهذا ما لا قبل لفهمه !!

سمع التلاميذ هذه الكلمات وارتاعوا !

انها لا تتفق مع اعلانه السابق ، ولا مع انتظار الشعب . وليس من الحكمة أن تنتشر بين الشعب كلمات عن رفض وقتل . من اللائق أن يفهم الشعب أن يسوع هو الملك وأن يسيّر يسوع سياسته نحو هذه الوجهة !

انه خطأ كبير أن تقال مثل هذه الكلمات وخطأ اكبر أن تقال علانية

هكذا كان التلاميذ يهمسون في داخلهم ولكن احداً منهم لم يجرؤ ان يجابه يسوع بهذه الافكار ما عدا بطرس . فانه اخذ يسوع إلى جانب وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يارب لا يكون لك هذا !

كانت كلمات بطرس في نغمة منتفخة ، تُصور يسوع أقل حكمة مما يجب بل اقل حكمة من بطرس . بل ان الكلمات تحمل طابع الرآسة والقيادة . ان بطرس يرى أن من الخطأ ان يقول يسوع هذا الكلام إطلاقاً و بالتالي أمام الجمهور !!

ان مثل هذا الاعلان يضعف من قوة الدعوة لملكه و يقلل من حماس القائمين بالدعاية له و يشيع الاضطراب في صفوف تلاميذه والعاملين من اجله ! !

على ان الكلمات تحمل ايضاً طابع الغيرة على المعلم . حاشاك يا رب !

أنت ترفض من الشيوخ ؟

انت تهان ؟

أنت تقتل ؟

كلا . يا سيد . لا يكون لك هذا ! !

ان مكانك في أورشليم على عرش !

وفي مجـد ! !

وفي كرامة ! !

القى بطرس كلماته امام التلاميذ . ويبدو أن التلاميذ هزّوا رؤسهم موافقين.

ورأى السيد خلف تلك الكلمات ، الجسدانية والانانية فانتهر بطرس قائلا :

« اذهب عني يا شيطان !

انت معثرة لي !

لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس!!»

* * *

كانت كلمات بطرس امتداداً لتجربة الشيطان ـ الشيطان الذي حاول أن يغري المعلم ان يسترد ملكه عن غير الصليب !

كلا يا بطرس !

ان ابن الانسان ينبغي أن يتألم و يرفض من الشيوخ و يقتل !

ان ابن الانسان لا يمكن ان يصل إلى هدفه إلا عن طريق الصليب !

* * *

ودعا يسوع الجمع اليه

والتفت الى الجمع والتلاميذ معاً
والقى اعلاناً أعجب :
« ان اراد احد ان يأتي ورائي !
فلينكر نفسه ! !
ويحمل صليبه ! ! !
و يتبعني !
فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها!!!
ومن يهلك نفسه من اجلي يجدها !!! »

* * *

وقد قدم في تلك الكلمات اعلاناً لم يسمع العالم بمثله . ان الموت في سبيل المسيح حياة خالدة. اما الهروب من الموت فانه موت وشرّ موت. «وماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه ! »

سمع بطرس هذه الكلمات
وسمعها التلاميذ

ومع انهم لم يفهموها تماماً في ذلك الوقت إلا انهم وعوها قلوبهم . وعندما جاء الوقت نفذوها فقدموا حياتهم ذبائح من اجل رسالة سيدهم . فمات يعقوب و بطرس وغيرهما . واحتمل القديسون اقسى الاضطهادات وتلاشت اجسامهم تحت السيف وفي النار !

وقال الناس انهم ماتوا !
ولكنهم لم يموتوا !
بل عاشوا ! !
ولا زالوا يعيشون !!

٥٣

على جبل التجلي

« واذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وايليا . اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم » لوقا ٩: ٣٠و٣١

« لانه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً اذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلا من السماء اذا كنا معه في الجبل المقدس » ٢بط ١: ١٧و١٨

مرّت ستة أيام منذ أن تحدث « الملك » عن ذهابه إلى أورشليم ورفضه من الشيوخ وموته وقيامته. ولكن الايام الستة لم تستطع أن تثلم شيئاً من حدة الخبر في أذهان التلاميذ

معلمهم هو المسيح

مسيا المنتظر

نعم هو المسيح ابن الله الحي

الملك الذي ترقبه الشعب المختار منذ عشرات المئات من السنين

لكن !!

لكن الملك لن يذهب إلى أورشليم ليملك

سيذهب فعلاً إلى أورشليم

ولكنه سيذهب ليتألم ويرفض ويقتل !!!

واضطربت أذهان التلاميذ وارتبكت أفكارهم . انهم يعلمون ان الملك يجلس على عرش ويحكم ويأمر وينهي . ويخلص الأمة من مظالمها وظالميها . يعلمون ان

الملك يلبس ثياب المجد و يتمتع بحياة مجد وسلطان . انهم لا يستطيعون أن يجمعوا بين ملك وصليب !!

ملك وصليب ! ! ؟ ؟

ان هذا هو العجب بعينه !

لا يمكن أن يجتمع ملك وصليب

ولئن اجتمعا فانهما يجتمعان على أن يكون الصليب أداة قصاص في يد الملك. ملك يحكم على أعدائه بالصلب

اما ان يكون ملك على صليب فهذا ما لم تستطع أذهانهم أن تقبله !

لم يكن الصليب يوماً من الايام عرشاً

وليس في الصليب شيء من المجد

ولئن كان في الموت احيانا شيء من المجد فان موت الصليب كله عار

هكذا كان ذهن التلاميذ مسرحا لاضطراب وارتباك طيلة الايام الستة الماضية. و بطرس كان اكثر التلاميذ اضطراباً وشاركه في اضطرابه يعقوب و يوحنا . كانت كلمة واحدة تدور في رؤسهم كيف يمكن ان يكون ملك على صليب . المسيح ابن الله الحي يقتل ! ؟ !

عندما قال المسيح لبطرس اذهب عني ياشيطان أنت معثرة لي لانك لا تهتم بما لله بل بما للناس لم يفهم أين أخطأ ولكنه خفض رأسه وصمت . وامتلأ قلب التلاميذ باليأس وسقطت رؤوسهم . ور بما خطرت ببالهم أفكار ، هل يسوع هو المسيا ؟ هل هو الملك الذي سيقيم خيمة داود الساقطة ؟ لقد كنا نظن انه هو المزمع أن يفدي اسرائيل ولكنه لن يكون ذلك الفادي لانه سيقتل؟! لقد نسوا في ارتباكهم ان المسيح سيقوم بعد ثلاثة أيام . ان خبر موته ألهاهم عن كل كلام آخر !

كانت هذه حالة التلاميذ . فرتب الله أن يرفع قلوبهم ونفوسهم . رتب انهم يرون شيئاً من مجد سيدهم . وهكذا صعدوا معه على جبل التجلي !

بل ألم يكن المعلم نفسه في حاجة إلى ذلك التنشيط؟ لقد رأيناه في ما بعد يصارع في جثسيماني ثم رأينا ملاكاً جاءه من السماء ليقويه !!

ونحن نحسّ اننا في حاجة ايضاً إلى ان نرتفع من أودية الألم والرفض والموت فلنصعد مع المعلم ومع تلاميذه إلى جبل التجلي. فقط لنحترس ألا ننام كما نام التلاميذ!!

نحن الآن قريبون من جبل الشيخ

تطل علينا قمته العالية

والمعلم وتلاميذه يسيرون في القرى القريبة . وفي سفحه جلست الجماعة المتعبة لتستريح وأشار يسوع إلى خاصة تلاميذه وسار بهم صامتاً يتسلق الجانب المنحدر من الجبل

أما التلاميذ التسعة فآثروا ان يجلسوا في مكانهم ليستريحوا. وقد قصدوا أحد البيوت التي بنيت في سفح الجبل ليقضوا الليل هناك . ووصل المعلم إلى قمة الجبل عند الغروب وانفرد عن التلاميذ وجعل يصلي

ونحن لا نستطيع أن نقترب من المعلم وهو يصلي . اننا نشعر بالمكان رهيباً . عندما جئنا امتلأ المكان بجو روحي مهيب . اتصلت السماء بالأرض . وكان الابن يتكلم مع أبيه والملائكة جثوا من بعيد وقد غطوا وجوههم وأرجلهم بأجنحتهم

لقد انتقلت السماء إلى الجبل

ونحن نرغب أن نداوم النظر ولكن المجد الذي أحاط بالسيد كان بهياً حتى اننا لا نستطيع أن نفتح أعيننا . فنحن نغمض عيوننا . ومن عجب ان التلاميذ انفسهم قد أغمضوا عيونهم ! !

وهكذا وجدنا أنفسنا نائمين مع التلاميذ

نام التلاميذ ويسوع يصلي

كم ناموا يا ترى ؟

يبدو انهم ناموا الليل كله . كانوا نائمين ويسوع جالس إلى الآب يتحدث

السيد ومعه موسى وايليا



على جبل التجلي

اليه و يسمع منه . ياترى ماذا كان الحديث الذي دار بينهما ؟ هل تحدث الآب مع ابنه عن الذبيحة وعن لزومها ؟ وهل جاء ذكر الناموس والنبوات وان ابن الله جاء إلى الارض ليكمل الناموس والنبوة ؟ وهل استدعى الله موسى وايليا، ممثلي الناموس والنبوة ليتحدثا مع يسوع عن اتمام الناموس والنبوة على الصليب ؟؟

نعم. يظهر ان الامر كذلك . فنحن اذ نفتح أعيننا مع التلاميذ بسبب صوت الحديث نبصر المنظر الرائع. الجبل كله يضيء كما من عشر شموس. نور بهي خاطف سناه

و يسوع ضاء وجهه كالشمس في قوتها

وثيابه بيضاء كالثلج لا يقدر قصار أن يبيض مثلها

وهوذا اثنان معه

انهما يتجليان في مجد لكن ليس نظيره

ونحن نعرف انهما موسى وايليا

هل عرف التلاميذ اسميهما كما سيعرف المؤمنون بعضهم بعضاً في السماء . أم عرفوا ذلك لان يسوع ذكر اسميهما . ربما كان هذا أو ذاك. لا يهمنا كيف عرفوا !!

وسمع التلاميذ الحديث . كان عن صلب المسيح الذي كان عتيداً ان يكون في أورشليم. يا للعجب وهل يمكن أن يكون للصليب مكان على جبل التجلي. لقد رأى التلاميذ على جبل التجلي توضيحاً لما سبق المعلم ان اعلنه قبل ذلك بستة أيام. المسيح ابن الله الحي ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم و يرفض من الشيوخ و يقتل . هاهم يرون المسيح ابن الله الحي في ثيابه البهية وفي مجده النوراني يسمع حديث موسى وايليا معه عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكون في أورشليم

كان موسى و إيليا ساجدين أمام يسوع على الأرجح وهما يعلنان له أن رسالتهما انتهت فهو مكمل الناموس ومتمم النبوة ولكنه لن يكمل الناموس أو يتمم النبوة إلا على الصليب . ليست آياته ومعجزاته ولا تعاليمه ولا مجده الحاضر ولا مجده المستقبل هي أهم مواضيع انشغال السماء عن يسوع ، بل موته ! !

كانت ذبائح الشريعة كلها تشير إلى ذلك الموت. وأنبأ الأنبياء كلهم به باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والامجاد التي بعدها !

لم يسمع التلاميذ إلاّ جانباً من الحديث أو على الأصح لم يسمعوا إلا الجانب الأخير . وفيما كان موسى و إيليا يتهيّآن للذهاب ، تكلم بطرس !

كان المنظر بهياً مجيداً رهيباً ولكنه كان أيضاً يملأ النفس غبطة.لماذا يتركون ذلك المكان البهي و ينزلون إلى أرض التراب . هنا السماء ببهجتها وتحت الجبل الشقاء والتعب والألم . وقال التلاميذ في أنفسهم ليتنا نستمر هنا . ولكن يعقوب و يوحنا لا يجسران أن يعبرا عن شهوة قلبيهما . انهما يصمتان ولو انهما يصمتان متألمين . أما بطرس الجسور فلا يستطيع أن يصمت . انه يشتهي أن يقضي العمر كله هنا . لا داعي للنزول. لا داعي للذهاب إلى أورشليم حيث يتألم المعلم و يرفض من الشيوخ و يقتل . لماذا ينزلون من الجبل إلى ذلك المصير المؤلم ، واندفع يقول

«جيد يارب أن نكون ههنا» وصمت قليلاً ثم قال:

«فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة»

كان لا يعلم ما يقول. انه كان يهتم بما للناس لا بما لله. كان يريد ان يهرب من الصليب. كان يطلب عرشاً بلا ألم وخلاصاً بلا ذبيحة..وشركة روحية بلا خدمة!!

فوق الجبل كان النور والبهاء والمجد والسماء وتحت الجبل كان الصليب والألم والمقاومة . . والخدمة . تحت الجبل كان المرضى والعمي والعرج والبرص . . وكانت التعاسة الصارخة . وكان بطرس يرغب أن يستمر فوق الجبل !

وعند ما تحدث عن المظال ساوى سيده بموسى وإيليا . لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة . ونسى نفسه وزميليه

كلا . يا بطرس . أنت تتكلم بدون روّية

هوذا سحابة تغطي الكل

وصوت من السحابة: « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت . له اسمعوا »

وسقط التلاميذ على وجوههم وراحوا في شبه ذهول ، اقترنت فيه البهجة بالرهبة. ولا نعلم كم قضوا في ذلك الذهول. ولكنهم أحسوا بلمسة إلهية على اجسامهم وهم يستيقظون من ذهولهم • لقد لمسهم يسوع نفسه . فتحوا عيونهم واكتشفوا أن موسى و إيليا قد ذهبا ولكن يسوع بقي لهم. نعم قد ذهب منه ذلك اللمعان الذي ابصروه قبلاً ولكنه ظل يحتفظ بذلك الفيض الروحي من مجد. قاموا وهم ينتفضون رعباً فقال لهم كعادته لا تخافوا واذ ذاك ذهب منهم كل خوف . ولكن اسئلة كثيرة أطلت من عيونهم قرأها سيدهم

ترى هل كنا نحلم ام كنا نرى شيئاً حقيقياً ؟

واين ذهب موسى وايليا ؟

وهكذا من مختلف الأسئلة !!

أما المعلم فسار أمامهم صامتاً و بدأ ينحدر من الجبل وهم يتبعونه . على انهم ما عتموا أن سمعوه يطلب منهم ألا يخبروا أحداً بما رأوا وما سمعوا في الوقت الحاضر. لقد اكرمهم الله بأن كشف عن عيونهم فأبصروا ابن الانسان. نعم فان ما ابصروه لم يكن حلماً ولا رؤيا وانما كشف الله عن عيونهم فرأوا « المسيح »

وطلب السيد من تلاميذه أن يؤخروا الاخبار بهذا الأمر الى ما بعد القيامة من الأموات

وتساءل التلاميذ في داخلهم ما عسى أن تكون القيامة من الأموات ، على أن الرهبة منعتهم من السؤال ، ونفس بطرس لم يجسر أن يسأل . يظهر أن المنظر أثر فيه تأثيراً عميقاً . نعم كان عميقاً جداً بدليل انه بقي معه سنين عديدة . فانه بعد أزيد من ثلاثين سنة ذكره في رسالته لجمهور الشعب المسيحي . كان ذلك قبل « خروجه » هو . ذكر نفس الكلمة التي سمعها من موسى وايليا عن موت المسيح وهي « خروجه » الذي كان عتيداً أن يكون في أورشليم !!

وسكت التلاميذ الثلاثة فترة

ولكن أحدهم سأل ، فما بال الكتبة يقولون أن مجيء ايليا ينبغي أن يسبق مجيء مسيا ؟ — هل يأتي ايليا أيضاً ام أن مجيئه على الجبل قد تمم المكتوب ؟ !

وقال يسوع

لقد جاء ايليا، جاء قبل اليوم

جاء ولم يعرفوه

بل عملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه!!

وفهم التلاميذ من هو ايليا هذا

انه يوحنا المعمدان الذي جاء وأعدّ الطريق لمسيا .. وقطعت رأسه

وصمتت الجماعة المنحدرة قليلا

صمتت في تأمل مهيب

و بعد وقت تكلم يسوع

كذلك ابن الانسان أيضاً سوف يتألم منهم !!

لا بد أن التلاميذ تململوا وهم يسمعون هذا الاعلان عن موت سيدهم مرة أخرى. في غمرة بهجتهم بمجد سيدهم ينغّص عليهم بالاعلان عن ألمه ورفضه وموته ، لم يستطيعوا ان يروا ارتباطاً بين الملك والموت

لم يستطيعوا أن يروا ذلك إلا بعد موت سيدهم و بعد قيامته، حينئذ قال بطرس

« يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله

بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم ايضاً تعلمون

هذا اخذتموه مسلّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق

و بأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه

الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت

اذ لم يكن ممكناً ان يمسك منه »

٥٤

تحت الجبل

شيطان ولد

« لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم . واما هـذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم » متى ١٧ : ٢٠ ، ٢١

كان يسوع يسير منحدراً من الجبل الى السفح الذي ترك عنـده تلاميذه التسعة . وكان يتبعه على مسافة قصيرة التلاميذ الثلاثة الذين كانوا معه فوق الجبل . كانوا يسيرون صامتين ولكنهم كانوا يتهامسون بين حين وآخر . لقد كان المنظر الذي رأوه على الجبل مجيداً. آه لو عاشوا هناك الى الابد ! لكن ليس كل ما يُرغب يُنال . ها هم يتركون المجد ليخوضوا في التراب والأوحال. ها هم يتركون رفقة موسى وايليا ليقابلوا الكتبة والفريسيين والعشارين. ها هم يتركون السعادة الكاملة ليعيشوا وسط الفقر والمرض والشقاء والبؤس !

ها هم يتركون السماء !

وينزلون الى الارض ! !

شدّ ما تألموا !

فهل فكّروا في سيدهم يا ترى ؟ لقد عاشوا لحظة واحدة في السماء ، لم يكادوا يتذوقون حلاوتها . ومع ذلك فهم يحسّون أن تركها تضحية لا تعدلها تضحية . فماذا يقولون في ذاك الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله . ماذا يقولون فيه وهو قد أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس !!

لا نظن انهم فكروا في ذلك !

ســار الاربعة نحو البيت الذي تركوا فيه رفقاءهم . كان الوقت صيفاً بكل تأكيد. وقد اضطجع التلاميذ التسعة على المرج خارج الدار. واستيقظوا في الصباح على ضوضاء !

فتحوا عيونهم فاذا عدد كبير من الناس يقتربون منهم. كانوا جماعة من عامة الشعب ولكن كان بينهم أيضاً بعض رؤساء اليهود. وكان وسط الجماعة رجل يمسك بابن صغير له والولد يأتي بحركات عصبية ويحاول أن يتملص من يد أبيه !

ووصل الجمهور الى حيث المكان وسأل بعضهم

هل المعلم الناصري هنا ؟

وأجاب صاحب المنزل . كلا ولكن بعضاً من تلاميذه هنا !

وصدرت عن الرجل أنة هي أقرب الى الحشرجة. لقد سار أميالاً كثيرة يبغي أن يرى المعلم الناصري وبعد طول المشقة مع ابنه المريض إذا به يكتشف أن المعلم غير موجود !

وسأل ، ولـكن ألا تعرفون أين هو ؟

وكان الجواب انه خرج بالأمس وانطلق مع ثلاثة من أتباعه ولا يعلم أحد أين ذهب.وصمت المتكلم قليلاً ثم قال لكن لماذا لا تتحدث في شأنك مع بقية التلاميذ

ورأى الرجل أمامه جماعة مختلفة الزي مختلفة للظهر. وسأل ، هل هم تلاميذ الناصري وهل يستطيع أن ينفض لهم حاجة نفسه . وأجابه واحد منهم لعله يهوذا الاسخريوطي،نعم نحن تلاميذه وقد عشنا معه أزيد من عامين وقد سـلمنا السلطان أن نشفي المرضى ونخرج الشياطين . فاخبرنا بقصتك مطمئناً الى انك ســتلاقي لها حلاً !!

وقال الرجل،أنا من قرية بعيدة وقد عشت حياة وادعة مع قومي. وقد رزقني الله بعد طول انتظار طفلاً كان لنا قرة عين سعدنا به سعادة لست أظن أن أحداً في العالم سعد نظيرنا . على أن حالنا ما لبث أن انقلب من سعادة شاملة الى شقاء

شامل. فانه مذ تخطى ابننا دور الطفولة الى دور الصبوة بدأت متاعبنا. و بدأ الأمر مفاجئاً . فقد انقطعت ابتسامات الولد ولم يعد يضحك وامتنع عن الكلام و بدا كأنه لا يسمع . ثم ظهرت على وجهه أعراض آلام مبرحة وكان يصر على أسنانه ويخرج الزبد من فيه و ينطرح على الارض كما لو كان قطعة خشب يابسة . وفي بعض الأوقات كان ينطلق من البيت الى البراري وهو يصيح بأصوات غير مفهومة و يمزق ثيابه ووجهه بأظافره وكان كثيراً ما يلقي نفسه في الماء وفي النار . وهكذا استحالت جنتنا جحيماً !

وقد قصدنا الاطباء وغير الاطباء واستعملنا العقاقير السائلة والاقراص . وطلبنا من رجال الدين رفع الصلوات .. وامتدّ بنا الأمر أن طلبنا من الدجالين أن يكتبوا لنا التعاويذ والتمائم . وقد اتفق رأي الجميع على أن بالغلام شيطاناً أو على الأصح جملة شياطين واستعملنا كل ما أشار به علينا الاطباء وغير الاطباء ولكننا لم نصل الى نتيجة طيبة بل على العكس ازدادت حالة الغلام سوءاً . حتى أصبحت صلواتنا إلى الله أن يعطيه إحدى الراحتين فاما راحة الشفاء أو راحة الموت !

ولقد ترامى الينا أن معلماً جليلياً قام في اليهودية ينادي بملكوت السموات وان ذلك المعلم استطاع أن يجري آيات باهرة وانه بسط سلطانه على الهواء والماء وانه تسلط على الشياطين وأمرها أن تترك الناس. وكان آخر ما بلغنا انه أخرج اللجئون من مجنون كورة الجرجسيين فجئنا بقضنا وقضيضنا نلتمس منــه أن يتحنن علينا و يرحمنا . وفي طريقنا لقينا قوماً من أقربائنا وهم من رؤساء الكتبة فأخبرناهم بأمرنا وبالرغم من انهم لا يؤمنون بالناصري فقد جاءوا معنا . هذه هي قصتنا وهذه هي حاجتنا فان كنتم تستطيعون شيئاً فأعينونا !!

وتحدث التلاميذ التسعة :

اطمئن بالاً أيها الصديق وقرّ عينا فقد انتهت احزانك وآلامك. فلقد اعطانا معلمنا سلطاناً على الأرواح النجسة وقد خرجنا رفقة اثنين اثنين وزرنا بلاد اليهودية

والجليل وأتينا آيات ومعجزات وعدنا إلى المعلم ونحن نقول «حتى الشياطين تخضع لنا باسمك». نعم خضعت لنا الشياطين. ولن يكون شيطان ابنك أصعب مراساً من الشياطين التي أخرجناها !!

ولانت قسمات وجه الرجل وأحس بشيء من الراحة ولكنها لم تكن راحة كاملة. كان الشك يحتل جانباً كبيراً من قلبه. ولكنه أمسك بابنه وتقدم نحو التلاميذ التسعة!!

أما التلاميذ فحدث بينهم شيء من الاضطراب. كل واحد منهم يريد أن يكون هو المقدم، وكل منهم يبغي أن يكون الرئيس. وحدث بينهم دفع وحركة وبدأ أحدهم، ونظن انه يهوذا، قبل أن ينتبه الآخرون

«باسم يسوع الناصري اخرج منه أيها الشيطان» قال الكلمة في شيء من التردد والضعف والعجلة. وتطلع نحو الغلام فلم يرَ عليه أي تغيير فألقى الكلمة مرة ثانية بصوت أعلى ثم رفع صوته اكثر من ذلك. ولكن الغلام ظل كما هو في وجهه العابس وحركاته العصبية!!

وتقدم تلميذ آخر نظنه فيلبس وتكلم بصوت قوي

«ايها الروح النجس أنا آمرك باسم يسوع الناصري أن تخرج منه»

ولكن الغلام ظل كما كان وكأنه لا يرى شخصاً أو يسمع صوتاً

وتكرر الدفع وتكررت الحركة وتكرر الأمر، ولكن الولد ظل كما كان لا يلتفت إلى التلاميذ ولا يأبه لحركاتهم ولا يتحرك لأصواتهم!!

وسقط وجه أبيه و بدا حزنه شديداً. وجعل القوم حوله يسخرون من التلاميذ و يستهزئون بكلامهم، و يهزون رؤوسهم احتقاراً لشأنهم وتكذيباً لسلطانهم المزعوم ولما طال بهم الأمر دون نتيجة بدأ رؤساء الكتبة يحاورونهم بنغمة حملت كل معاني التحقير. وغرق التلاميذ في عرق الخجل وقد ذلت كبرياؤهم وتزعزع يقينهم وتخلخل أساس ايمانهم وانخفضت رؤوسهم إلى الارض وكان فشلهم محقراً لهم !!

وفي أثناء ضيقة نفوسهم أقبل يسوع. ورآه الجمع فركضوا نحوه. وتقدم من المكان وأبصر الورطة التي وقع فيها تلاميذه. فسأل الكتبة بماذا تحاورونهم ؟ فأجاب أبو الولد وقال:

يا معلم قد قدمت اليك ابني به روح أخرس وحيثما أدركه يمزقه فيزبد ويصر بأسنانه وييبس. فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا!

ونظر المعلم ورأى!

رأى التلاميذ وقد نكسوا رؤوسهم خجلاً!!

ورأى الكتبة وقد رفعوا رؤوسهم تحدياً!!

ورأى أبا الولد وقد احنى رأسه قلقاً!!

رأى هذا فرأى عدم الايمان يسود المكان. رأى عدم الايمان يضعف من قوة التلاميذ فلا يستطيعون أن يؤدوا خدمتهم. ورأى عدم الايمان في الكتبة يدفعهم إلى قساوة القلب والعناد. ورأى عدم الايمان في والد الغلام يملأه بالقلق والحزن والشك!

آه من عدم الايمان!!

وتألم المسيح وقال للجميع:

«أيها الجيل غير المؤمن». والتفت إلى تلاميذه وقال «إلى متى اكون معكم؟» ثم التفت إلى الكتبة وقال «إلى متى أحتملكم». ونظر إلى والد الغلام وأهله وقال «قدموه إليّ». فقدموه اليه. ونظر يسوع إلى الغلام وإذا بالروح النجس يصرع الغلام فيقع على الارض يتمرغ ويزبد!!

كان أبو الولد ينظر بكثير من الشك إلى ما يمكن أن يجريه يسوع. وأراد المعلم أن يوقظ ايمانه فجعل يتكلم معه، كم من الزمان منذ أصابه هذا، فقال الرجل منذ صباه. وكثيراً ما ألقاه في النار وفي الماء ليهلكه. وبان التأثر العميق على وجه يسوع. فقال أبو الغلام في شدة ألمه أن مرضه قديم مستعص لم يستطع احد أن

يعمل فيه شيئاً لـكن ان كنت تستطيع شيئاً فتحنن علينا وأعنا . ونظر يسوع اليه وقد امتلأ وجهه بالعطف وقال أن الأمر بيدك أنت لا بيدي أنا فان كنت تستطيع أن تؤمن فكل شيء مستطاع للمؤمن. فصرخ ابو الولد بدموع وقال «أومن يارب أومن يارب ولو أن ايماني ضعيف، ضعيف جداً، هو اقرب إلى عدم الايمان. أومن يارب فاعن عدم ايماني ! »

وتجمع القوم حول الولد وراقبوا ما عسى أن يفعل يسوع . والتفت المعلم الى الغلام وانتهر الروح النجس قائلاً له «ايها الروح الاخرس الاصم أنا آمرك. اخرج منه ولا تدخله أيضاً»

أما الشيطان فقد أصابته كلمة السيد بطعنة قاتلة ولـكنه ، شانه دائماً ، لم يشأ أن يخرج بسهولة فصرخ وصرع الغلام شديداً وخرج !!

واستمر الغلام مضطجعاً في مكانه على الأرض بدون حركة حتى ظن القوم انه مات . ولـكن يسوع أمسكه بيده وأقامه فقام !!

كانت آية عظيمة!

بهت الجميع من عظمة الله!!

ولسنا هنا في مقام رواية ما حدث بعد المعجزة من هتاف للنبي الجديد الذي ظهر الذي افتقد الله به شعبه. ولا في كيفية عودة الرجل مع ابنه السليم وحديثه عما عمله المعلم الجديد من الرحمة العظيمة

ولـكننا نسير مع المعلم وقد تبعه التلاميذ وندخل معه بيتاً هناك. لا نعلم بيت من هو !

وفي ذلك البيت تقدم التسعة من المعلم على انفراد وسألوه لماذا لم نقدر نحن أن نخرج الشيطان؟؟ فقال يسوع السبب واضح هو عدم الايمان. فالحق اقول لكم لو كان لـكم ايمان مثل حبة خردل لـكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم.وهذا الجنس يتطلب الايمان، الايمان

المدعم بالصلاة والصوم . ولا شك أن التلاميذ كان عندهم ايمان ولكنه ايمان فقد حيويته اذ لم يكن مسنوداً بالصلاة والصوم .

ويرى البعض ان المعلم أعلن للتلاميذ ان شيطان الولد كان شيطاناً خاصاً يتطلب ايماناً غير عادي ، ايماناً مصحوباً بالصلاة والصوم ، ولا تزال شياطين الأولاد تتعب الوالدين الى الآن وهي تتطلب من الوالدين ومن الخدام ايماناً مصحوباً بالصلاة والصوم !!

٥٥

محاضرة

« فدعا يسوع اليه ولداً وأقامه في وسطهم . وقال الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » متى ١٨ : ٢ و٣

لماذا لا نرافق التلاميذ ونحضر حلقة الدرس عند قدمي المعلم يسوع . وقد كان المعلم الأول في التاريخ . ولماذا لا نستمع إلى محاضرته التي القاها قرب انتهاء أيامه على الارض — وقد جمعت محاضرته دروساً في التواضع والاتساع والمسامحة — بالرغم مما اتسمت به من البساطة فقد جمعت أعمق المعاني في أبلغ المباني !!

لاحظ المعلم روح المنافسة المتكبرة بين تلاميذه . كانوا ينتظرون انه يملك في أورشليم وانهم سيكونون وزراءه الذين سيجلسون عن يمينه ويساره في مجده . لم يكن شك في هذا ولكنهم تنازعوا المكان الاول عن اليمين وعن اليسار . ويخيل الينا ان التلاميذ انقسموا شيعاً ومذاهب فهناك بطرس وقد قيل انه اكبر التلاميذ سناً ، كان يطلب المكان الاول بحكم سنه وبحكم تقدمه في الكلام . ويبدو أن بقية

التلاميذ لم يستطيعوا أن يقفوا ضده في هذا فارتضوا زعامته ... كارهين . هل قلنا بقية التلاميذ .. كلا . فان يعقوب و يوحنا لم يبايعاه بالزعامة بل اتفق الاثنان ضده وطلبا لنفسيهما المقام الاول . من هو الاعظم

وقد حدث انهم دخلوا البيت في كفرناحوم غالبا البيت الذي اقام فيه منذ أن جعل كفرناحوم وطنه الثاني — وسألهم بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم في الطريق فسكتوا. لكنه شدد عليهم فاخبروه انهم كانوا يتساءلون من هو أعظم في ملكوت السموات ؟ !!

وتألم يسوع !!

انهم لا يفكرون إلا في المظاهر الكاذبة للملكوت ؟!

ولا يهتمون إلا بما ينالونه هم من الملكوت !!

ولايفهمون حقيقة العظمة في الملكوت !

ولذلك فهو يقدم لهم درسه الأول!

دعا اليه ولداً !!!

وأقامه فيوسطهم!

وقال . «الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوتالسموات . فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوتالسموات واذا اراد أحد ان يكون أولا فيكون آخر الكل وخادماً للكل . لان الاصغر فيكم هو يكون عظيما»

سمع التلاميذ هذا الدرس وهزّوا رؤوسهم كما لو كانوا قد فهموه . ولكنهم حقاً لم يفهموه . بل لا يزال تلاميذ يسوع أبعد عن فهمه إلى الآن وان كانوا قد بدأوا يدركون بعضه الآن !!

* * *

أما الجزء الثاني من المحاضرة فكان متصلاً بالجزء الاول فقط في دائرة أوسع

فقد قال يوحنا للمعلم انهم رأوا بالأمس رجلا يخرج الشياطين باسم المسيح فمنعوه لانه ليس يتبع معهم. من الذي اعطاه الحق في اخراج الشياطين؟ من الذي اعطاه السلطان؟ انهم لم يقفوا ليسألوا انفسهم بأي حق يمنعونه وهو يأتي عملا مباركاً. ألا يخرج الشياطين من أناس مساكين؟ ألا يريحهم من متاعب جمة؟ ولكن لا. خير للعالم أن يظل الناس معذبين من الشياطين من أن يخرجها رجل لم يتسلم السلطان تسلماً قانونياً !!!

ليمنع مثل هذا الرجل!!

وكان يوحنا يظن أن المعلم سيوافق على ما عملوه. لكن السيد اعطاهم تعليما سامياً في هذا الموضوع إذ قال لا تمنعوه. لان من ليس علينا فهو معنا. ان دائرة المسيحية أوسع من الدائرة الضيقة التي رسمها التعصب وضيق الفكر. انها تهتم بالجوهر اكثر مما تهتم بالعرض. انها تتبع النظام ولكنها لا تتعبد له!!

ومن أسف ان الكنيسة لا تزال إلى الآن تجهل هذا الدرس العظيم ان المسيح للجميع لا لطائفة من الناس فقط

* * *

أما الموضوع الثالث في محاضرة المعلم فهو من ألزم الموضوعات ان لم يكن أهمها على الاطلاق. بدأ المعلم حديثه بالكلام عن كيفية معالجة خطأ الأخ. قال ان أخطأ اليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك و بينه وحدكما. وقد نصح أن يكون الاثنان منفردين وقت العتاب حتى لا يتأثر المخطىء بوجود آخرين فيصعب الاعتراف عليه. فاذا رأى الأخ خطأه واعترف بخطأه كان من الواجب على المساء اليه أن يصفح. أما اذا لم يعترف فمن الواجب محاولة كشف الخطأ له بالذهاب اليه مع آخرين، واحد أو اثنين. وهذان يمكن أن يوجهاه بكل لياقة إلى خطأه. فاذا لم يصلح هذا فقد قال المسيح ان يوضع الأمر امام الكنيسة. ولا شك أننا نرى الحكمة الكاملة في كلمات

السيد. ان الواجب الاول على المسيحي أن يسامح بل ان يسلك سبيل المسامحة وان يدفع الآخرين إلى طريق الاعتراف حتى يسامحهم !

وهنا تقدم بطرس

كم مرة يخطىء إليّ أخي وأنا اغفر له ؟

هل إلى سبع مرات ؟

كان اليهود يعلمون بجواز المسامحة إلى ثلاث مرات وقد ظن بطرس انه قد بلغ الذروة عندما قال سبع مرات. أما المعلم فيقول ان المسامحة لا عدد لها، لا إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات أي ان المسامحة تستمر وتستمر إلى ان ينسى المساء اليه العدد و يصبح الغفران فيه طبيعة أصلية واذ ذاك يكون المسامح نظير أبيه الذي في السموات !!

٥٦
المديونان

« أفما كان ينبغي انك انت ايضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا » متى ١٨ : ٣٣

كان الملك غنياً امتدت أملاكه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . وقد قام رجاله بزراعة القمح والشعير كما غرس بستانيوه الكروم والتين والزيتون!

وقد أقام عبيده وكلاء على أعمالهم وسلمهم كل شيء كما كانت عادة السادة في تلك الايام. بل كان البعض يتركون بلادهم لمدد طويلة معتمدين على وكلائهم هناك

وكان الوكلاء كثيراً ماينسون انهم وكلاء فيتصرفون تصرف المالكين. وكان بعضهم كثيراً ما يخون وكالته . وتغيب الملك عدة سنوات قضى معظمها غالباً في عاصمة الامبراطورية الرومانية . ثم عاد الى بلاده وبعد أن نفض غبار السفر دعى عبيده وحاسبهم !

فلما ابتدأ المحاسبة قدم اليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة أو بنحو نصف

مليون جنيه مصري . لا بد أنه لم يدفع شيئاً من المحاصيل طول مدة غياب سيده . فلما طولب بالوفاء اتضح انه لا يملك شيئاً ولذلك أمر الملك أن يباع العبد هو وامرأته وأولاده وكل ماله و يوفي الدين. وكان القانون في تلك الايام يحكم بالسجن على من لا يدفع الدين . وكان قرار الملك قراراً عادلا بالنسبة لقوانين تلك الايام !!

وعلم العبد أن معنى ذلك أنه وجميع أهله سيودعون السجون ولا يتركونها الى منتهى حياتهم لان الدين كان كبيراً جداً . ولم تكن السجون شيئاً محتملا في تلك الايام. بل ان سجون العصر الحاضر بالرغم مما فيها من مروّعات تعتبر بالنسبة لسجون ذلك الوقت جنّـات !!

وكان فزع العبد بسبب ذلك عظيما ولذلك خرّ عند قدمي مولاه ساجداً وقال ، يا سيد تمـهّل عليّ فأوفيك الجميع !

كان العبد يقول تلك الكلمات وهو يعلم انه لا يمكنه أن يوفي جزءاً من الدين مهما تمـهّل سيده عليه . وانما قال الكلمات استعطافاً والتماساً ان يترفق الملك به ! !

وكان الملك يعلم أن العبد لا يستطيع أن يوفي شيئاً من الدين مهما تمـهل عليه ولكنه عند ما نظر الى وجهه وأبصر تعاسته ومرارة نفسه تحنن عليه وترفق به . ولم يجبه الى ملتمسه فقط ، بل أطلقه وترك له الدين !!

وانطلق العبد والدنيا لا تسعه من فرط الابتهاج . لقد تحرر من الدين الذي كان على وشك القضاء عليه !!

وفيما العبد يسير في طريقه وبهجة الحرية لا تزال ظاهرة على وجهه وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديناً له بمئة دينار أي نحو أربعة جنيهات . فأمسكه وأخذ بعنقه وقال أوفني ما لي عليك . وكان المسكين لا يملك في ذلك الوقت ما يوفي به دينه ولذلك خرّ العبد رفيقه على قدميه وطلب اليه قائلا، تمـهّل عليّ فأوفيك الجميع. وهي نفس الكلمات التي ألقاها هو الملك. وكنا ننتظر أنه يتمهل عليه خصوصاً وهو يعلم انه، بشيء من الصبر ، سيأخذ حقه كاملا . كما كنا ننتظر أنه يتحنن على رفيقه

و يشفق عليه وهو قد ذاق مرارة الضيق وتعاسة الاحتياج. ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك بل زاد تجهم وجهه وتصلبت عضلاته وتحجر قلبه وقست عيناه ومضى وألقى المسكين في سجن حتى يوفي الدين !

ونستطيع أن نجزم أن العبيد رفقاءه توسطوا في الأمر والتمسوا منه أن يمهل زميله وربما وعده أحدهم أن يكون ضامناً الدين . ولكنه كان عنيفاً فلم يقبل وساطتهم وردهم بخشونة قائلا أنه يطالب حقه !

وتأثر الرفقاء كثيراً وتألموا من قساوة قلب العبد وحزنوا لا على العبد الذي وضع في السجن فقط بل على العبد الخالي من الشفقة ايضاً وهم قد أبصروه يلتمس من الملك ان يتمهل عليه وأبصروا الملك يترك له الدين!

وكان تأثرهم عظيما فلم يستطيعوا إلا ان يقصوا الخبر لسيدهم. وكان غضبه لذلك عظيما جداً. لقد دلّ العبد بمسلكه على شر قلبه وفساد داخله وانحطاط أخلاقه. وانه ليس أهلا لصفح . ودعاه اليه وقال له :

« أيها العبد الشرير
كل ذلك الدين تركته لك
لانك طلبت إليّ
أفما كان ينبغي ايضاً انك انت ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا»
ثم سلّمه الى المعذبين
حتى يوفي كل ما كان عليه

لم يجد العبد كلمة واحدة يرد بها على مولاه . لقد كان ذنبه واضحاً . وقد أمسكته خطيته !!

* * *

ألقى يسوع هذه القصة وصمت قليلا . ثم قال، فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا منقلوبكم كل واحد لأخيه زلاته !!

٥٧
يا سيد اتبعك

« وفيما هم سائرون في الطريق قال له واحد يا سيد اتبعك أينما تمضي » لوقا ٩ : ٥٧

نحن الآن في سنة المقاومة للمعلم

وقد انصرف عن يسوع عدد كبير

و بدأ الفريسيون يحيكون المؤامرات لقتله

على ان ذلك لم يمنع جمهور الشعب من التزاحم حوله . وكان الازدحام الكثير يمنعه من القيام بالرسالة التي جاء من أجلها !

ففيما هو سائر يوماً وقد تزاحم القوم حوله تقدم منه واحد وقال يا سيد أتبعك أينما تمضي . و يقول البشير متى انه واحد من الكتبة !

ولا شك ان الخبر يقع غريباً على اسماعنا . هل يأتي «الكاتب» المتعلم ليتتلمذ عند ذاك الذي قيل عنه من أين لهذا هذه الحكمة والقوات . كان الكتبة جماعة متكبرة تسير شامخة بين الناس. أليسوا هم أنوار المعرفة في اليهودية. أليسوا حملة الكتاب وشارحيه ومستخرجي فتاواه . ألم يدرسوه سنوات عدة ! لقد عرفوا كم عدد أسفاره واصحاحاته وألموا بعدد كلماته وحروفه . . بل وحركاته ايضاً . و بعد جهاد طويل نالوا «مفتاح» الشريعة. لا يجوز للشعب ان يفتح الكتاب أو يشرح ما أغلق عليه منه . الكتبة وحدهم هم أصحاب الحق في ذلك !!

أما يسوع فلم يدرس في مدرسة الكتبة!

ولم يجلس عند قدمي معلم كبيرا

ولم يأخذ مفتاح الشريعة !

لا يجوز أن يقال له يا معلم!!

ولا يجوز أن يجلس مع الربيين!!

انه دعيّ بين المعلمين !!!

ومتطفل بين العلماء !!!

يا للمساكين !

ما اكثر ما يعمي التعصب !

لقد أغمضوا عيونهم أمام نوره الباهر ، وعاشوا في ظلامهم يتحدثون عن معرفتهم. لكن البعض منهم أبصر. هذا نيقوديموس يأتي اليه وهو يقول، نعلم انك قد أتيت من الله معلماً . وهذا يوسف الرامي . . وغيرهما

واليوم يأتي كاتب ويقول :

يا سيد !

أتبعك أينما تمضي !!

يا للبهجة !

يا للنصرة !!

كاتب يتبع يسوع أينما يمضي؟!!

ولكن يسوع لم يرحب به . بل ردّه رداً خشناً على غير عادته . وقال له ، للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار . واما ابن الانسان فليس له اين يسند رأسه !

ظن البعض ان الكاتب كان يبغي من اتباع يسوع ان يحيا حياة لينة . لن يحتاج الى تعب من اجل الطعام لأن المعلم يستطيع ان يطعم خمسة آلاف من خمسة ارغفة. ولكننا لا نعتقد ذلك . لم يكن الرجل من العامة الفقراء بل كان كاتباً وكان بمكنه ان يعيش عيشة لينة بجهد قليل . ولم يكن يقصد ان ينال مجداً بأتباع يسوع إذ كان المجد في سلك الكتبة لا مع المعلم الجليلي. نعتقد ان الرجل أخذ بعظمة تعاليم

يسوع وتأثر من قواته كثيراً وكان قلبه متسعاً فأحب ان يعيش مع يسوع وقال له برغبة مخلصة انه يرغب ان يتبعه أينما يمضي!

أما يسوع فأجابه الجواب الذي رأى فيه البعض رفضاً وقالوا انه عرف ان الرجل غير مخلص في طلبه ولذلك ردّه السيد ردّه القاسي

ولكننا لا نرى ما يراه اولئك وان السيد - على ما نعتقد - كشف للرجل طريق المسيح وانها ليست طريقاً لينة وان على من يتبع المسيح ان يكون مستعداً ان يعيش بلا بيت و بلا وطن. على من يرغب في التلمذة ليسوع ان يعمل حساب النفقة قبل ان يبدأ . قد يكون أن السيد علم عدم تقديره للخطوة التي اعتزم ان يخطوها وانه قصد ان يردّه عن اتباعه بكشف طريقه . وقد يكون أن السيد قصد مجرد إنارة ذهنه ليكون مستعداً . ولا نعلم هل استمر الكاتب على عزمه أم رجع عنه . ونرجو انه استمر !

وكان آخر من التلاميذ معه وهذا فكر أن يعود الى بيته ليدفن أباه . قيل ان أباه مات وانه يستأذن السيد في تشييعه . وقيل، وهو الأرجح، ان أباه كان شيخاً كبيراً مريضاً وان الرجل فكر في أن يظل في بيته مع أبيه حتى يموت. وقيل ان الأب لم يكن موافقاً على تلمذة ابنه ليسوع!!

أما يسوع فأعلن للرجل ان واجب الاحياء ان يعملوا عمل الاحياء. أما الموتى فليتركوا للموتى. ولذلك قال له اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم. وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله ! !

وقال آخر ايضاً اتبعك يا سيد ولكن ائذن لي اولاً ان اودع الذين في بيتي . كان الرجل يحسب ان التلمذة ليسوع غربة وتشريد وبُعد عن الوطن والأهل . وهو من اجل ذلك يريد أن يمكث في البيت مع أهله « يتودع » منهم مدة و بعد ان « يشبع » منهم يقوم و يكرز. انه يحسّ ان التلمذة ليسوع حرمان ثقيل وهو يحاول

ان يؤجله بقدر الامكان . ورأى السيد روح الرجل التي تنظر الى الخلف ولذلك أعلن له ذلك الاعلان الصريح الذي اصبح من ذلك الوقت قولا مضيئاً !

«ليس أحد يضع يده على المحراث
وينظر الى الوراء
يصلح لملكوت الله !!!»

٥٨

ماذا كتب ؟!!

بكّر السيد الى الهيكل !
جاء وهو يحمل على قلبه كل أثقال اليهودية!!
بل كل أثقال العالم!!
كان قلبه يدمي !
عند ما أبصر الجوع والعري والفاقة!
وعند ما شاهد المظالم والسحق !
وعند ما لمست نفسه الطاهرة ثمرات الاثم ، بل عند ما ذاق مرارة سموم الخطية ، انحنت نفسه الى الارض !
يا لهم من مساكين !!
تعساء !!
بائسين !!
ولقد جعل يبذل نفسه قطرة قطرة!
في سبيل شفائهم!

وكان كلما امتدت به الايام !
رأى اكثر، مما ولدته الخطية في الارض!
وقد قضى طيلة الأمس وهو يناضل مع الناس!
وطيلة الليل وهو يصارع مع الله!
وها هو يأتي في الصباح باكراً الى الهيكل!
وجلس!!
وجلست جماهير غفيرة من عامة الشعب حوله!
وجعل يعلّمهم!
ترى ماذا كان يعلّمهم ؟؟
لم يذكر الكاتب ما قاله في ذلك النهار!
لكن!!
هل من اللازم ان يذكر ؟
ألا يمكن ان نعرف ماذا قال من دون أن يخبرنا أحد ؟
وهل يمكن أن يكون تعليمه إلا رسالته المتكررة عن محبة الله للناس ؟
وأثر تلك المحبة في رفع نفوسهم من الوحل!
وتطهيرهم من الاثم!
وغسلهم من الخطية!
واعدادهم لأن يكونوا أهلاً للوقوف امام الله ؟!!
هل يمكن أن يخرج تعليمه عن تذكيرهم ان الله آب محب شفيق، وانهم ابناء، وهو لذلك يقول لهم، لا تهتموا بما تأكلون وما تشربون وما تلبسون!!
أبوكم السماوي يعطيكم كل شيء!
انه يهتم بالطيور!
بل يهتم بالغربان!

انه يهتم بزنابق الحقل !

فبالأولى أنتم !!

* * *

كان الجمهور يصغي الى ذلك التعليم الجديد !

لقد تحول كل ما فيهم الى آذان !

كانت آذانهم تنهل ذلك الفيض النوراني!

فيتلقفه القلب !!

حقاً لم يتكلم انسان قط مثل هذا الانسان !

وكان صمت !!

وكان خشوع !!

* * *

على انه بغتة حدثت ضوضاء !

ضوضاء عنيفة !

وحدث ارتباك في صفوف الجالسين !

وقد تكشفت الضوضاء عن بعض الرجال !

بل ، بالحق ، بعض الوحوش!

يجرّون امرأة بكل عنف!!

وكانوا يسحبونها على الارض!!

وها هم يطرحونها بقسوة عند قدمي السيد!

وتبع المرأة عدد غفير من الكتبة والفريسيين ، وتقدم بعضهم وقالوا ، وهم يحاولون أن يظهروا بمظهر الصالحين

«يا معلم !

هذه المرأة

أُمسكت

وهي تزني

في ذات الفعل »

وقد بان على وجوههم ، برغم محاولاتهم ، الكثير من الشر والكراهة والكبرياء والادعاء والخبث . كانوا مجموعة من الشياطين الكريهة ، يفيضون من كل جزء من أجسامهم شراً و يقطرون سماً !

* * *

والمرأة ؟!

قبعت المرأة عند قدمي السيد

وأخفت وجهها بين يديها

ولكنها لم تستطع ان تخفي عارها!!؟

كانت ثيابها ممزقة وقد لوثتها الأوحال و برزت جروح دامية من خلال فتحات ثيابها ، وكان صدرها يرتفع وينخفض ولكنها لم تنطق بكلمة واحدة . وهل كان لها أن تتكلم وقد لبست عارها كثوب !!

على انه يبدو انها كانت سقطتها الاولى ، يبدو ذلك من خجلها الشديد . فلو أنها كانت زانية لظهر منها توقح ومقاومة — وكان للقبض عليها في ذات الفعل أثر كبير في مرارة نفسها . يا لها من مسكينة . لقد خفضت رأسها للتهمة !

انها تتفق مع الشاكين !

بل تتفق مع القضاة . اذ كانوا قد فرغوا من محاكمتها والقضاء عليها !

انها امرأة شريرة !

ان القوم لا يظلمونها !

انها تستحق !!

كل ما ترجوه ان يسرعوا فيقتلوها ، عسى أن تغطي الاحجار عارها !!

وكان حكامها ينظرون اليها كما سبق ان قلنا بعيون تجلى فيها الشر والكراهة والكبرياء والادعاء والخبث وقالوا للسيد :

يا معلم !

هذه المرأة !!

أمسكت وهي تزني !!

في ذات الفعل ! ! !

وموسى في الناموس اوصانا ان مثل هذه ترجم ! !

فماذا تقول أنت ؟

* * *

يا للتعسة !

لقد تحالفت عليها كل القوى !!

الجمهور ضدها!!

الكتبة والفريسيون ضدها !

موسى ضدها !

الناموس ضدها!

ضميرها ضدها !

الارض ضدها !

والسماء كما كانت تظن ضدها!!

ولا شك ان النبي الجديد !

النبي الطاهر القدوس !!

لا شك انه سيكون ضدها !!

ربما خطر ببالها انه يترفق بها !

ألم يترفق بالمرأة الخاطئة ؟

ألم يقبل انها تجثو عند قدميه ؟
وتسكب عليهما الطيب ؟
وتبللهما بالدموع ؟
وتمسحهما بشعر رأسها ؟؟
ألم يقل للفريسي انها أفضل منه ؟
وان خطاياها الكثيرة قد غفرت !؟

وقد أشاع هذا في نفسها شيئاً من الرجاء ولكنه لم يلبث إلا قليلاً حتى ارتد مذعوراً امام النظرات الوحشية التي كانت تطل من اولئك المشتكين !

يا للمسكينة !
ليتهم يقتلونها فتستريح !!
سكنت الجلبة وهدأت الضوضاء فجأة
عجباً !
ماذا حدث ؟

لم ترَ المرأة شيئاً لان عينيها كانتا مختبئتين بين يديها،وهي على ذلك تتجه بهما نحو الارض . لكننا نحن نعرف ماذا حدث . لقد ألقى السيد نظرة الى المرأة ، ولكنها لم تكن نظرة غضب بل نظرة حزن. ولم تقف عند المرأة بل تعدتها تبحث عن شريكها في الاثم . أين هو ولماذا لم يقبضوا عليه عندما ضبطوهما متلبسين بالجريمة. أين ذلك الجبان الذي هرب تاركاً المرأة تحمل عبء ذنبها وذنبه ؟؟

على أن السيد لم يطل النظر هناك، بل ألقى نظرة أخرى نحو الجمهور. وكذلك كانت نظرته نحوهم حزينة ولو أن الحزن امتزج فيها بالألم والمرارة. أولئك القوم الذين لم تستطع « طهارتهم » ان تحتمل رؤية الخطية ، والذين يعرف هو حقيقة حياتهم وحقيقة تلك « القداسة » التي يدّعونها ـ أولئك القوم الذين امتلأت قلوبهم بكل أنواع المآثم حتى فاضت من عيونهم !!

يا لشرّهم !

لكن !!

هل جاءوا حقاً يشكون المرأة ؟

أم انهم جاءوا يحاولون أن يصطادوا يسوع ؟

لقد حكموا على المرأة فمالهم يأتون بالقضية الى يسوع، ومالهم يسألونه وهم يعلمون أن السلطة هي في يد روما لا في يدهم ـ لقد قرر ناموسهم انها ترجم فهل يملكون أن يرجموها . إذن لماذا يجرّونها الى حيث يسوع ، ولماذا يذكرون قصتها ولماذا يسألونه عن حكمه في الأمر ؟

لقد كانوا أشراراً !

وحبكوا مصيدتهم بخبث !!

لقد عُرف يسوع بالرحمة !

فهل يغلّب الرحمة على العدل ؟

ائن قال لاترجموها فقد كسر الناموس الذي يقول هو انه ماجاء ليبطله بل ليقيمه!

واذا قال ارجموها فقد خسر شهرته بين الناس كرسول الرحمة ، وظهر ثائراً على روما ، وأوقع نفسه في مشكلة يتعذر عليه الخروج منها !

ونظر يسوع اليهم حزيناً ثم انحنى الى الارض !

وجعل يكتب !

راقبه القوم بشيء من القلق !

ترى هل كتب على الارض انهم مراءون ؟

ترى هل كتب انهم خبثاء ؟

أم انه كتب ان الله محبة ؟

لا نعلم ماذا كتب وان كان البعض يظن انه لما رفع رأسه وتكلم ، تكلم بما كتبه على الارض!!

«من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر» .

ثم انحنى مرة أخرى وجعل يكتب.

يا للعجب!

ما هذا الصمت الممتزج بالقلق والخوف لم يستطع اكبرهم سناً ان يبقى ولكنه هرول هارباً ، لعله أبصر السيد يكتب خطيته ، وتبعه ثان فثالث ورابع . . وهكذا، جعلوا يتسللون



من كان منكم بلا خطية فليرمها اولا بحجر

في هدوء وسرعة . كانت ضمائرهم سياطاً تلهبهم . أولئك «القديسون» انكشفوا لأنفسهم . انهم ليسوا خيراً من المرأة بل شراً منها . لقد كانت تلبس عارها أما هم فكانوا يلبسون ثوب الرياء !!

خرجوا كلهم مبتدئين من الشيوخ الى الآخرين !!

* * *

وبعد وقت رفع السيد رأسه وتلفّت حوله يبحث عن المشتكين فلم يجد. ونظر نحو المرأة فرآها لا تزال في مكانها وقد ملأت الدموع عينيها. وتكلم معها بعطف، يا امرأة اين هم أولئك المشتكون عليك . أما دانك احد ؟؟ وتكلمت المرأة للمرة

الاولى، لا احد يا سيد. وعندئذ قال لها ، ولا أنا أدينك. على انه لم يقف عند هذا الحد بل قال ، اذهبي ولا تخطئي ايضاً ! انه يبغض الخطية و يحاربها .ولكنه يحب الخاطىء و يتحنن عليه . انهم في محاربتهم للخطية يقتلون الخاطىء . أما هو فيسفك دمه لكي يخلص الخاطىء !

* * *

ذهبت المرأة !

ولكنها لم تكن المرأة التي جاءوا بها !

تلك كانت امرأة شريرة !

اما هذه فبررة !!

تلك كانت تخطو الخطوة الاولى نحو قساوة القلب ، وقد جربتها قساوتهم ان تبغض وتثور . اما هذه فقد ذهبت غارقة في دموع عينيها ودموع قلبها !!

تلك كانت امرأة قد فقدت ايمانها بالله و بالناس و بالفضيلة و بنفسها . لقد افترسها رجل ولكنهم يأخذونها هي و يفضحونها و يذلّونها و يحاولون أن يقتلوها ، وهي تعلم انها تستحق، غير انها تعلم ايضاً انهم شركاؤها في اثمها . ولكن عالم النفاق الذي تعيش فيه يجعل من المجرمين قضاة ولن يسمع لها أحد . وهي تستقبل قضاءها بصمت ولكنه صمت يخفي ثورة متمردة في نفسها . أما الآن فهي تذهب وقد قامت ثورة في نفسها ثورة أخرى أشد وأقسى ، ولكنها كانت ثورة ضد نفسها وهي تستلهم ذاك الذي قال لها اذهبي ولا تخطئي ايضاً

إذن يوجد للزانية رجاء !

نعم يوجد في المسيح !!

٥٩

السامري الصالح

« ولـكن سامرياً مسافراً جاء اليه . ولما رآه تحنن .
فتقدم وضمد جراحاته » لوقا ١٠ : ٣٣ ، ٣٤

أنهى الرجل أعماله في المدينة المقدسة وأخذ طريقه الى بلدته وكان عليه ان يمرّ بمدينة اريحا . فانحدر الى المدينة قرب الضحى وكان يسير مطمئناً أو لعله كان يسير غير منتبه لما يحيط به اذ كان منشغلا بشئون هامة

على انه فوجيء بجماعة من اللصوص خرجوا عليه من الادغال المجاورة وقامت بينهم وبينه منازعة أبلى فيها بلاء حسناً، ولـكن الكثرة تغلبت أخيراً فسقط على الارض صريعاً وقد تمزقت ثيابه وتمزق جسده وفتحت فيه ثقوب واسعة فاضت دماً أغرق الارض وخرجت من صدره انّات وتأوهات !

وقد تألم الرجل فوق آلامه بسبب جراحه وفقد ماله، ان القوم لم يكونوا غرباء عنه فهم اخوته وبنو عمومته. ولكن المادة صيّرت منهم وحوشاً بل شراً من الوحوش

وفي ذلك المكان الموحش ترك الجريح وحيداً ليس من يمدّ له يد اسعاف . وكان من رحمة الله انه فقد وعيه فلم يعد يحس بالألم ولم يعد يستشعر الخوف

وفي الظهيرة مرّ بالمكان أحد الكهنة . يغلب ان خدمته انتهت في الهيكل وهو يعود الى مسكنه في اريحا . وفيما هو ينحدر في الوادي لمح على جانب الطريق الآخر شبحاً ظنه في أول الامر جثة . ولـكن عندما اقترب من المكان سمع صوت الحشرجة في صدره وأبصر جروحه التي لا تزال ترسل دماً !!

اضطرب الكاهن وقال في نفسه، اذن عاد اللصوص الى هذه البقعة. لماذا جئت وحدي. ليتني صبرت الى ان جئت مع القافلة. ثم وضع يده على جيبه والتفت بعيداً عن الرجل وألهب بعصاه ظهر أتانه فانطلقت بأقصى سرعة. ولم يهدأ حتى ترك منطقة الخطر

لا نعلم باليقين ما اذا كان الجريح قد انتبه لحركة الكاهن. نظن انه انتبه وأنه أرسل اليه نظرة باكية متوسلة اذ لم يكن يستطيع ان يتكلم. أو لعل جروحه تحدثت الى الكاهن، تحدثت الى قلبه. ولكن الرجل كان قد أغلق أبواب قلبه وأبواب عينيه وانطلق في سبيله، انطلق وهو يحاول ان يهدىء من ثورة ضميره ويسكّن من هيجانه بالتماس شتى المعاذير. ولم يكن من العسير ان يجد عذراً. انه منطلق الى بيته وأهله ينتظرونه وتأخيره يشغل أفكارهم. وهو يحمل في جيبه قدراً من المال سيتعرض للضياع اذا طلع عليه اللصوص الذين سلبوا الجريح. والجريح نفسه يبدو انه قد بلغ حافة الحياة فلا فائدة ترجى من الاقتراب منه وقد يموت بين يديه أو هو قد فارق الحياة من قبل فسيتنجس بلمسه. ولئن كنا لم نسمع عن الكاهن بعد انطلاقه فلسنا نشك في انه مضى مثقلا نوعاً ما. أو على الاقل هذا ما نرجوه!

و بعد وقت لا نعلم أكان عدداً من الدقائق أم عدداً من الساعات.. ولكننا نعلم انه كان عند الجريح قروناً عديدة.. بعد وقت سُمع في جوانب الوادي صوت مشي رجل. كان يمشي ويرنم. ونحن نحدق في وجهه فنعرفه. لقد كان يخدم مع الكاهن على مذبح النحاس. وقد سبقه الكاهن وهو يحاول اللحاق به. وبغتة يصل الى اذنيه انين الجريح فيرسل بصره الى قدام ويبصر شبح انسان ممدد على الجانب الآخر من الطريق. واذ ذاك قطع الوادي حتى وقف بجانب الرجل وقد اقشعر بدنه وهو يبصر الجروح المفتوحة التي لا زالت ترسل شيئاً من دم الرجل. اهتز اللاوي وهو يرى المسكين وتألم لألمه بل ندّت من صدره انّة وفاضت عينه دموعاً!

يا للمسكين!!

لقد قتله الوحوش!!

لهفي عليك أيها التعس!!

ترى من تكون وهل لك زوجة أو أم أو أخت أو أبناء؟؟

ثم نظر اليه نظرة أخرى حزينة وانطلق في سبيله وهو يمسح دموعه و يتمتم يا للوحوش !!

ومع ان جروح الرجل كانت تستغيث برحمة اللاوي الا انه لم يمنح الجريح سوى شيء من التأثر وشيء من الدموع هبّت عليها بعد ذلك نسائم الشمال فجففتها أو لفحتها حرارة الشمس فضاعت . وانطلق اللاوي في سبيله ولم يبق في ذهنه من تأثيرات ذلك المنظر الا تذكارات باهتة أبلت جدتها الأيام!!

ظل الجريح في مكانه صورة حية للبؤس والتعاسة ، صورة للخطية التي تحول الأخ الى وحش يفتك بأخيه . صورة للقسوة التي تنتزع من قلب الأخ كل رحمة فيمر بأخيه دون ان يمدّ يده لانقاذه!!

يا للعار !

هل هوت الانسانية الى هذا الحد؟

هل ضاع الدين ؟

اذن اين قوة تلك الوصية «تحب قريبك كنفسك» . أم هي مجرد كلمة جاءت لا لتطبق تطبيقاً عملياً بل لترسم صورة لحلم روحي لا يمكن ان يتحقق؟؟

لقد جرحت البغضة ذلك المسكين !

وتركته الأنانية !

وظل مدة طويلة في مكانه ينعى الدين والخلق والانسانية !!

ومالت الشمس نحو المغيب !

وجعلت أشعتها تنسحب رويداً من ذلك الوادي الذي شاهدت فيه الجريمة الوحشية !!

على أن حصباء الوادي أعلنت عن خطوات لمسافر آخر . ونحن نحقق فيه النظر فنراه من جنس غريب مكروه . كان المسافر سامرياً. وكان اليهود لايعاملون السامريين وكان السامريون يكرهون اليهود. سينظر السامري الى الجريح اليهودي.



السامري الصالح

وسترتسم ابتسامة عريضة على فمه . «ها قد سقط واحد من ذلك الجنس المتكبر » سيشمت فيه . وسيتمتم ، « ليته كان ربوة لا واحداً » يا طالما قاسى من اليهود ، من كبريائهم واحتقارهم له ولجنسه والاساءة اليه . يا طالما أحس ّ انهم لا يمتّون الى الانسانية بصلة، والآن ها هو واحد منهم يتمدد على جانب الطريق وقد أطلت روحه من جروحه تحدث عن منتهى الضعف الانساني !!

وسينظر اليه السامري و يضحك !

أو على الأقل سينظر اليه بدون اكتراث ! !

هل هو أفضل من الكاهن ؟

هل هو أفضل من اللاوي ؟

على أن ذلك الوادي شاهد من خلال خيوط النور القليلة التي كانت تتهيأ للانسحاب أعجب منظر رآه في تاريخه الطويل!!

لقد شاهد الوادي الأخوة يجرحون أخاهم و يسلبونه وتعجب وتحسر !!

وشاهد بعد ذلك الاخوة يتركون اخاهم و يمرون به وتعجب وتأثر !!

وتهيأ ذلك الوادي ليتحدث للّيل عن عجائب البشر الذين يتمسحون بالانسانية والانسانية منهم بريئة !!

على انه قبل ان يلتف في احضان الليل ابصر اعجب ما رأى فطرب وتهلل!!

أبصر السامري الغريب ينظر الى اليهودي الجريح ويتأثر و يشفق و يبكي . رآه وتحنن !!

ولم يكتف بذلك بل نزل من دابته واقترب منه ومدّ يده يمسح دماءه. ولكنه يكتشف ان جروح الرجل أعمق من أن يمسحها بيده فحل ّحقيبته وأحضر زجاجة الدواء وغسل جروح الرجل وأراد أن يعصبها فلم يجد إلا أن يمزق عمامته و بعض ثيابه!!

وتنبه الرجل قليلا وفتح عينين شاكرتين لمنقذه . ولكنه كان ضعيفاً جداً .

فحمله الرجل حملا وأجلسه على دابته وسار بجانبه يسنده لئلا يسقط !

في ذلك المساء أبصر الوادي السماء على الأرض !!

كان اثنان يسيران أحدهما يهودي والآخر سامري !

ولكن الوادي لم يرَ يهودياً وسامرياً !!

لم يرَ جنساً وجنساً آخر !!

بل رأى انساناً وانساناً !!

اخاً وأخاً !!

ام انه رأى على الأصحّ نور المحبة النابعة من قلب الله ينبثق فيغطي الناس ويحولهم الى ملائكة بل اكثر من ملائكة .. الى آلهة ؟؟

وكانت الرحلة طويلة وشاقة . ولكنهما وصلا أخيراً ، وسهر السامري الليل بطوله يرعى مريضه . وفي الصباح رآه احسن كثيراً فتركه في عناية الفندقي ودفع له اجره مقدماً بل وعد ان يدفع له اكثر !!

افترق الرجلان ولكن الرباط الذي بينهما ظل مكيناً !!

قال اليهودي . كلا ليس قريبي هو اليهودي الذي جرحني وتركني انما هو السامري الذي تحنن عليّ وعالجني واعتنى بي !!

وقال السامري . كلا . ليس قريبي هو السامري وانما هو اليهودي الجريح الذي نادتني جروحه !!

وفي تلك الليلة ادرك الاثنان أن القرابة شيء اكثر من رباط الدم او الجنس . انها رباط المحبة التي يضعها الله في قلوب الناس جميعاً . وحيث توجد الحاجة توجد الرحمة وحيث توجد الرحمة توجد الخدمة .. فتعلن القرابة !

يا سيد من هو قريبي ؟

هو كل من يحتاج الى معونتك !!

قريبك هو المسيحي !

والمسلم!!
واليهودي !!
والوثني !!
قريبك هو كل انسان على الأرض!!

* * *

تحب الرب الهك من كل قلبك
وتحب قريبك كنفسك

٦٠

العائلة التي أحبت يسوع

« وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر » يوحنا ١١:٥

هي عائلة تقيم في قرية بيت عنيا التي تقع على مسافة فرسخين من مدينة أورشليم . ولا نعرف شيئاً كثيراً عن أصلها وعدد أفرادها ومركزها الاجتماعي والاقتصادي كما أننا لا نعرف باليقين شيئاً عن مستقبلها . كل ما نعرفه هو القليل الذي دوّنه كتبة البشائر وما نستنتجه من خلال ما كتبوه . ونعرف ايضاً ما كتبه المحدثون منسوباً الى آباء الكنيسة . وهذا لا نتلقاه إلا بكثير من الحذر !!

قيل ان العائلة تنتسب الى عزرا الكاتب وانها فرع من فروعه . وقيل ان نسبتها الى عزرا لا تعدو علاقة أحد أفرادها بوظيفة كتابة الاسفار المقدسة وتفسيرها والتعليق على ما ورد بها ـ ونحن نذكر ماجاء في الاسفار المقدسة عن عزرا الكاتب الذي صار أول سلسلة الكتبة . ونذكر أنه قرأ الكتاب المقدس ببيان وانه شرحه لليهود باللغة التي يفهمونها إذ كانوا قد نسوا في أرض سبيهم لغة اسرائيل . ونذكر انه أول من أقام منبراً للوعظ . ومن ذلك الوقت حلّ المنبر الخشبي مكان المذبح .

ومع اننا نقرأ عن شرور الكتبة ايام المسيح ، إلا اننا لا نملك إلا ان نعجب بتلك الطائفة التي أجرت انقلاباً عظيماً وجليلاً في خدمة الشعب المقدس

لذلك عندما نقرأ ان احد أفراد الأسرة التي نتحدث عنها كان من نسل عزرا أو كان يعمل في خدمة عزرا ، ننظر بتقدير خاص الى تلك الأسرة . ومع ان كل ما قيل من هـذا القبيل لا يستند إلا الى مسموعات لا ترتقي الى درجة الحقائق اليقينية إلا اننا نحاول ان نقنع أنفسنا ان الأمر هو كما تقول المسموعات !

واعضاء الأسرة الذين نعرفهم ثلاثة وان كان البشير يكتب اسماً رابعاً !!

فهناك مرثا و يظن انها اكبر أفراد الأسرة، أو على الأقل اكبر الثلاثة الذين نعرفهم . قيل انها كانت لا تزال عذراء ، وقيل انها كانت أرملة وان زوجها كان سمعان الابرص الذي ذكره أحد البشيرين ـ وقيل، بل ان سمعان الابرص كان عائشاً ولكنه كان في حكم الميت إذ كان أبرص . ولكن يسوع شفاه من برصه مع من شفاهم من البرص !!

والشخص الثاني الذي يطالعنا في الاسفار المقدسة هو مريم . وهذه ايضاً قيل فيها الكثير بخلاف ما ورد عنها في الكتاب . قيل انها كانت صغرى أفراد الأسرة وانها كانت فتاة جميلة تقية تميل الى الخلوة مع الله وانها كانت تقضي ساعات طويلة في تأملات روحية . و يصورها البعض في صورة العذراء المباركة جاثية تصلي!!

وقيل انها هي مريم المجدلية التي أخرج منها السيد سبعة شياطين . وقال البعض ان شياطينها كانت شروراً ملكت حياتها . وصورها بعض الروائيين فتاة خليعة ماجنة وقالوا انها كانت تحيا مع يهوذا الاسخريوطي حياة نجسة. وان المسيح قابلها في احد هاتيك الايام وانه أخرج شياطينها وغسلها من أدرانها ، وصيّر منها أنقى فتاة عرفتها اليهودية بعد العذراء مريم !!

وقيـل انها المرأة الخاطئة التي جاءت الى يسوع عند ما كان في بيت سمعان

الفريسي وانها هي المرأة التي قال عنها السيد قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً

وقيل بل انها كانت فتاة عذراء طاهرة وانها عندما بلغت سن الزواج تزوجها يوحنا الحبيب أحد تلاميذ المسيح - وانك لتقرأ بين سطور الرواية الاخيرة ان زواجها من يوحنا كان زواجاً صورياً لانها مذ تزوجت عاشت مع العذراء مريم التي أقامت عند يوحنا ، وظلت معها ، تنام معها وتقوم معها وتجلس معها . وعند ما ماتت مريم العذراء لم تترك مريم مكانها وظلت فيه الى ان لحقت بسميتها العظيمة!!

اما الشخص الثالث الذي نلقاه في ذلك البيت المبارك فهو أخو المرأتين وهو شاب قال البعض انه اصغر من مرثا واكبر من مريم. وقال آخرون انه اصغر افراد الأسرة . وانه لذلك كان موضوع الاعزاز والتدليل - وقال البعض انه كان أحد أفراد الكتبة ولكنه اختلف عن جميع الكتبة في امانته لله واخلاص حياته . وانه اصيب بالمرض بسبب جهده في كتابة الاسفار المقدسة . وان العلة اشتدت عليه ولم يستطع ان يقاومها بسبب ضعفه الناشيء من كثرة العمل

هذا بعض ما كتبه الآباء وما قال به الأقدمون والمحدثون . ونحن لا ننظر الى ما كتب على أنه حقائق يقينية ولكننا نذكره على انه شيء قد يكون كله باطلاً وقد يكون كله حقاً وقد يكون بعضه باطلا و بعضه حقاً. ونحن لا نبني على ما قيل من هذا بناء نطلب ان ننظر اليه كشيء ذي قيمة . ولكننا نذكره اشباعاً لرغبتنا في الاطلاع!!

أما الحقائق التي نهتم بها فهي تلك التي سطرتها يد الوحي في البشائر المقدسة

١ — الحاجة الى واحد

فهلم بنا الى بيت عنيا

دعنا نرافق الموكب المبارك الذي يضم يسوع وتلاميذه الى تلك القرية الصغيرة . وهلم بنا ندخل معه بيت مرثا ومريم ولعازر


في بيت عنيا

ونحن إذ نسير مع يسوع نرى ان كثيراً من البيوت لا تفتح أبوابها له، بل نرى انها تغلق بعنف في وجهه ولكن امرأة اسمها مرثا قبلته في بيتها . ونحن لا نقصد هنا ان نلوم الذين اغلقوا أبوابهم فلعل البعض أحسوا ان بيوتهم الصغيرة لا تتسع لذلك الجمهور الكبير الذي يسير مع يسوع . ولعل غيرهم خشى ثقل النفقة في تقديم الطعام لهذا العدد الغفير. ولو علم أولئك القوم حقيقة الضيف لماوقف عائق امامهم بل سارعوا وفتحوا ابوابهم ورحبوا كل الترحيب بمقدم يسوع وصحبه . نعم فقد كان ذلك الضيف يحمل معه الحياة والشفاء والفرح والنور والبركات كلها !!

ولكنهم لم يعرفوا !

فأغلقوا أبوابهم !!

« فقبلته امرأة اسمها مرثا في بيتها »

* * *

وقد توزع الضيوف في جوانب البيت . وجلس كل جماعة يتحدثون معاً في موضوعات مختلفة . ونحن نرى يسوع منتحياً أحد الأركان وقد جلس على أريكة ومدّ قدميه مسترخياً على مقعد آخر . وعند قدميه جلست مريم وقد ضاء وجهها بنور سماوي . وكان قلبها جائعاً الى النور فكانت تتلقف كلام السيد كنقط من الندى تحيي يبس زهورها أو كأشعة من النور تجلو ظلام نفسها !

لم يذكر البشير ذلك الحديث !

ولكن . ألا يمكن أن نعرف شيئاً عنه؟

لا بد انه حدثها عن الله !

الله الآب !!

أب جمع البشر . . بل أب جميع الكائنات !!

الله الذي أحبّ ، بل كان قلبه محبة !!

بل الله الذي جمعت كمالاته كلها في كلمة واحدة هي« محبة » !!

الله محبة ! !

ولا بد أنه حدثها عن محبة الله في الازهار والاشجار ، في الانهار والبحار ، في التلال والجبال . . المحبة التي تجلت في العناية بالعصافير والغربان وزنابق الحقل . المحبة التي تنظر الى الخاطىء كدرهم مفقود وكخروف ضال وكابن شارد !!

وجلست مريم تسمع ذلك الحديث العجيب !

لقد حدثوها عن الله الذي يمسك سياطه ويجلد الناس عندما يكسرون وصاياه. لقد حدثوها عن القدوس العادل الطاهر ولكنهم لم يحدثوها عن الله المحب .

ولئن صح ما قالوه أنها مريم المجدلية وان شياطينها كانت شروراً . لئن صح ماقالوه في ذلك فان حديث السيد احيا ولاشك موات نفسها. ألم ينظر الناس اليها كشيطان بل كمجموعة شياطين ؟

ألم يحتقروها ككائن منحط ؟؟

ألم يقذفوا بها بعيداً عن كل مجتمع محترم ؟
ألم يصموها بكل وصمة شنعاء ؟
ألم يعتبروها قاذورة لاتستطيع كل مياه الاردن ان تغسلها ولا كل نيران جهنم ان تطهرها ؟
لكن هوذا المعلم الجديد يقول لها :
الله محبة !
الله محبة ؟؟
هل يمكن أن يكون هذا ؟
هل يمكن ؟
ابتُـلعت مريم في جو من تأمل خاشع !
لم تعد ترى شيئاً غير ذلك الاله العجيب الذي هو محبة !
اختفى من أمام عينيها كل شيء!
اختفى البيت !!
واختفى سكانه !!
واختفى العبيد !!
نسيت مرثا !
ونسيت سمعان الابرص !!
ونسيت لعازر !
بل نسيت نفسها !!
لم تعد ترى إلا ذلك الوجه الصبوح الذي أشرق بالنور وضاء بالمحبة !
لم تعد ترى إلا يسوع !!
ولدهشتها لم تعد تراه ذلك الناصري الفقير !!
المعلم المتعـَب !!

انها تبصر فيه تلك المحبة العظيمة!
المحبة التي هي أعظم من كل شيء!!
وأطهر من كل شيء!!
وأكمل من كل شيء!!
المحبة التي سمت فوق التاريخ!!
والتي سارت من الازل!
والى الأبد!!

* * *

وبينما روح مريم منطلقة في سماء تأملاتها
بينما هي تنظر أمامها ولا تنظر
عيناها مفتوحتان ولكنهما لا تبصران ما يحيط بها
بينما هي تسمع موسيقى سماوية
وقد صمت أذناها عن كل أصوات الأرض
بينما هي كذلك صدمت اذنها كلمات جاءت كأنها من وادٍ سحيق:
يا معلم أما تبالي أن اختي قد تركتني أخدم وحدي؟؟!
فقل لها أن تعينني!!

* * *

كانت مرثا منهمكة في اعداد وليمة كبرى لذلك الضيف العظيم. وقد شغلت كل الايدي الموجودة في البيت. واحتاج الامر إلى اقتراض ايدي أخرى من بيوت الجيران. وتكاثر العمل عليها وأحست بكثير من الارتباك وكان اضطرابها يتجلى في قسمات وجهها وحركات عينيها واشارات يديها وتعثر قدميها وارتفاع صوتها. وكانت ترسل نحو أختها نظرات داعية فيها كثير من الغضب. وهي تراها تجلس هادئة ساكنة كما لو لم يكن هناك شيء يشغل فكرها، بل تراها تتجاهل نظراتها الغاضبة. ولم تستطع مرثا أن تحتمل هذا الاغفال من مريم، كما أنها لم تستطع أن

تحتمل تجاهل المعلم لارتباكها واحتجازه لمريم فتقدمت اليه عاتبة لائمة وقالت :

يا معلم أما تبالي

ان أختي قد تركتني أخدم وحدي

فقل لها ان تعينني !

* * *

وفاضت عينا السيد حناناً

ونظر الى مرثا نظرة مملوءة محبة ورقة . . . ولوماً !

وقال:

مرثا مرثا !!

أنت تهتمين

وتضطربين

لأجل أمور كثيرة !

ولكن !!

الحاجة إلى واحد!!!

ثم صمت المعلم قليلا . . . وقال

فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها !

* * *

وتلقّت مرثا كلمات السيد بخضوع

وكان لها فيها درس أي درس ! !

* * *

فلنترك بيت عنيا الآن ونسير مع السيد فترة من الزمان الى ان نعود معه الى ذلك البيت قبل انطلاقه بقليل !!

٦١

الشاب الذي كان يعلم شيئاً واحداً

« فاجاب ذاك وقال أخاطىء هو. لست اعلم. انما اعلم شيئاً واحداً اني كنت أعمى والآن أبصر » يوحنا ٩ : ٢٥

رفع اليهود حجارة ليرجموا يسوع

ولكنه اختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم

ومع اننا لا نتحدث عن هذه القصة الآن فاننا نحس ان بنا رغبة ان نعرف لماذا قصدوا أن يرجموه . لقد ارادوا أن يرجموه لانهم رأوا فيه «دعياً» مضلا ، يكسر السبت و يقول انه والآب واحد . ثم يقول ان الذي يحفظ كلامه لن يرى الموت الى الابد . فلما يذكرون له ان ابرهيم والانبياء ماتوا و يسألونه « ألعلك أعظم من أبينا ابرهيم الذي مات والانبياء ماتوا من تجعل نفسك» يقول « ابوكم ابرهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح » فلما يبدون اندهاشهم بالقول «ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت ابرهيم » يقول لهم « الحق الحق اقول لكم قبل ان يكون ابرهيم أنا كائن»

وهنا لم يستطيعوا أن يحتملوا !

انه يدّعي انه اكثر من انسان!!

من اجل هذا رفعوا حجارة ليرجموه . ولكنه اختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا !

وفيا هو مجتاز رأى انساناً أعمى منذ ولادته !!

لقد ترك شعباً اعمى وها هو يقابل انساناً أعمى!!!

ومع ان عمى الشعب كان يثير عند غيره الغضب، فقد أثار عنده الألم والحزن والعطف !!

ان ما كان الشعب ينوي أن يعمله من اساءة اليه لم يقلل شيئاً من عطفه عليه. وكانت صلاته الدائمة يا أبتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون !!



يسوع يفتح عين الأعمى

ولما رأى الاعمى تألم وحزن ورقّ قلبه !

هوذا رجل حرمته الطبيعة من رؤية النور فحرمته من اكبر تعزية للناس. كان محروماً من تلك النافذة التي تطل منها النفس إلى العالم الخارجي . والتي يحس إذ يطل منها ان سجنه في جسده ليس سجناً ضيقاً. انه يخرج من نفسه عن طريق عينه ويسرّي عن نفسه برؤية الشمس والقمر والنجوم... والتملي برؤية الجبال والأودية والانهار وما يحيط بهذه من ازهار واشجار !!

ولقد يصاب المرء منا بما يغلق باب عينه موقتاً فيحسّ انه أسير ولا يزال يشكو الى ان يحل اساره عندما يفتح عينيه !!

ومع ان الاذن تحمل إلى النفس شيئاً من العالم الخارجي وكذلك اليد إلا ان ما تحمله العين لا يمكن تعويضه اذا ضاع !

لذلك لا نندهش ونحن نرى يسوع صاحب القلب الكبير يتألم ويحزن ويعطف وهو يرى الرجل الذي وُلد أعمى. ولا نستبعد انه ذرف شيئاً من دموعه الغالية وان التلاميذ لاحظوا قلبه الملتهب وعينه الباكية، فسألوا سؤالهم يا معلم من أخطأ هذا ام ابواه حتى وُلد أعمى ؟

ترى هل كان سؤالهم وليد مشاركة السيد في عطفه فحاولوا بسبب تأثرهم لحالته ان يعرفوا من الملوم عن عمى الرجل ؟

ام كان سؤالهم مجرد كلام فضولي لا يبتغون منه إلا مجرد الكلام لملء الوقت؟

ام كان سؤالهم سؤال الكبرياء ، كبرياء البر الذاتي . فهم يعتقدون ان كل تجربة هي عقاب لخطية وهم يسألون من الذي اخطأ هذا ام ابواه حتى وُلد أعمى؟

ام كان سؤالهم عتباً على الله . فقد وُلد الرجل أعمى . إذن لا يمكن أن يكون العمى عقاب خطية لانه وُلد أعمى — كما ان خطايا والديه لا يجوز أن يحاسب هو عنها ؟!!

وسواء كان سؤالهم لهذا السبب أو لذاك فقد شغلوا مصيبة الرجل موضوعاً لبحث علمي فني . وكانوا قساة في سؤالهم . لم يبد انهم تأثروا لحالة الرجل ولم يبد انهم سألوا من أجله . ان الرجل لا يهمهم إلا من حيث هو موضوع للبحث . كالمريض لبعض الاطباء لا ينظرون اليه على انه انسان له قيمته وله اسرة وله قلب ولكنه لهم موضوع تجارب علمية فقط!!

كلا . ليست هذه هي المسيحية وليس هذا هو المسيح. ان المسيح لا يمكن أن ينظر إلى الأعمى بقلب قاس ولا يمكن ان يعتبره موضوعاً صالحاً للبحث . انه ينظر اليه على انه شخص مسكين بائس يستحق ان تبذل في سبيله جهود . وهو لذلك يجيب عن سؤال التلاميذ بجواب عجيب !!

لا هذا اخطأ ولا أبواه !!!

لكن لتظهر اعمال الله فيه !

ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني ما دام نهار !!

يا لها من كلمات !

ان حاجة المحتاج ليست مأخذاً يضع لوماً على المحتاج !

وليست تأديباً يضعه الله عليه بسبب اثم أتاه هو او أتاه بعض من له!
وليست شيئاً تافهاً يمرّ به دون ان يعيره أي اهتمام !
وليست موضوعاً للبحث الفلسفي أو الحديث الفضولي!
كلا . ان حاجة المحتاج نداء صارخ لقلبه يدعوه الى الرفق به والتحنن عليه والمبادرة نحوه بالاسعاف والخدمة المنتجة !!
هكذا فعل دائماً !!

٦٢
ابن الله

« فالذى قدّسه الآب وارسله الى العالم اتقولون له انك تجدّف لاني قلت اني ابن الله » يوحنا ١٠ : ٣٦

كان منظراً غريباً جمع عدداً غفيراً من طبقات متفاوتة . وكان المكان في بقعة ما من أورشليم
كان في الوسط شخص مهيب أرسلت عيناه أشعة من نور وارتسمت على وجهه صورة عميقة للمحبة الباكية
وعند قدميه جثا شاب وهو يقول أؤمن يا ابن الله !!
وتجمع على الجانبين جمهور من العامة يسألون عن الخبر ويعلمون أن الشاب هو الشحاذ الأعمى الذي كان يجلس يستعطى وقد وقف الى جانب منقذه وشهد له فطرده الفريسيون . . وهو قد اكتشف أن منقذه هو المسيا ابن الله وهو يسجد له سجود العبادة!!
وإلى جانب آخر وقف عدد من الفريسيين يستمعون بغضب إلى كلمات يسوع التي حسبوها كلمات تجديف !!

وهنا ألقى عليهم حديثاً أقوى وأقسى مما اعتادوا أن يسمعوا . فأعلن انه هو الراعي وأن غيره من القادة اليهود لصوص لا يهتمون إلا بما ينالونه من كسب . فاذا ما تسامحنا معهم فهم أجرى . يهربون إذا الخطر أقبل . أما هو فانه يبذل نفسه عن الخراف !!

وخرج من ذلك الى انه هو الراعي الصالح وانه يعرف خاصته وخاصته تعرفه وانه يضع نفسه عن الخراف . وأن له خرافاً أخر ليست من هذه الحظيرة سيجمعها مع خرافه الحالية لتكون رعية واحدة وراع واحد !

وأعلن أن الآب يحبه لأنه يضع نفسه من أجل الخراف. وهو يضعها من تلقاء نفسه ، يضعها من ذاته. وقد قال في ذلك « لي سلطان أن اضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً »

سمع القوم تلك الكلمات فمنهم من قبلها قبولا حسناً ومنهم من استهزأ بها.قال بعضهم أن به شيطاناً وهو يهذي لماذا تستمعون له . وقال آخرون ليس هذا كلام من به شيطان . ألعل شيطاناً يقدر أن يفتح أعين العميان ؟

وهكذا انصرف القوم!

ومضى شهران على ما يرجح!

كان عيد التجديد!!

كان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان !

واقبل عدد من اليهود وقالوا له ، إلى متى تعلق أنفسنا. ان كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً !

يا للمنافقين !!

ألم يسمعوا عشرات الاعلانات انه هو ؟؟

ألم يروا عشرات العلامات انه هو ؟؟

ولكنهم أشرار !!

قســاة !

قلوبهم غليظة !

عميان ! !

واجابهم يسوع اني قلت لـكم ولستم تؤمنون . الاعمال التي أنا أعملها باسم ابي هي تشهد لي ولـكنكم لستم تؤمنون ! !

ولا عجب انهم لا يؤمنون!

لو كانوا من قطيعه لعرفوا صوته !!

وتبعوه !

« خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني وأنا اعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الابد ولا يخطفها أحد من يدي »

وكشف للقوم الضمان لأمان خرافه قال « ان ابي الذي اعطاني اياها هو اعظم من الـكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي »

وختم يسوع كلماته باعلان عظيم جليل

« انا والآب واحد »

وقد روعهم ذلك الاعلان. لقد سمعوا مثل هذا الاعلان فيا بعد فمزقوا ثيابهم وقالوا قد جدف !

انهم عبيد لله !

وولاؤهم فوق الشبهات !!

انهم لا يحتملون أن يجسر انسان فيقلل من عظمة وجلال الله !

اذن ينبغي أن يقتل يسوع !!

وتناول اليهود حجارة ليرجموه!

أما يسوع فلم يضطرب من حجارتهم ولم يفزع من هجومهم . بل اجابهم

بهدوء ، أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي بسبب أي عمل منها ترجموني ؟
وقد أراهم حقاً أعمالا كثيرة حسنة !!

ألم يشف المرضى ؟

ألم يفتح عيون العميان ؟

ألم يأمر البحر ان يسكت؟

ألم يقم الموتى من القبر؟

وهل يليق أن يعامل هذا المحسن الكبير إلا بالشكر والثناء ؟

فالعجب انهم يرفعون حجارة ليرجموه !

اما هم فيقولون ، لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل لاجل تجديف . فانك وأنت انسان تجعل نفسك إلهاً ! !

ويسوع يندهش من ذهنهم المغلق . ان في كتابهم ما يرد عليهم ! «أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت انكم آلهة» . نعم . فقد جاء في الكتاب « الله قائم في مجمع الله . في وسط الآلهة يقضي » . « انا قلت انكم آلهة وبنو العلي كلكم » قال الله أن القضاة آلهة . ولم ير اليهود في ذلك ما يثير ثائرتهم فلماذا يضطرب حبلهم عند ما يسمعون يسوع يقول انه ابن الله وهو اعظم من القضاة واجل خطراً؟« ان قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله ولا يمكن ان ينقض المكتوب فالذي قدسه الآب وأرسله الى العالم أتقولون له انك تجدف لأني قلت اني ابن الله» وهل بنوته للآب مكان شك. ولقد تحداهم بالقول « إن كنت لست أعمل اعمال أبي فلا تؤمنوا بي فآمنوا بالاعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا ان الآب فيّ وانا فيه »

لكنهم لا يريدون أن يسمعوا !

أنهم لايؤمنون ولا يريدون أن يؤمنوا!

فطلبوا ايضا ان يمسكوه !!

ولكن ساعته لم تكن قد جاءت بعد ! !

لم يؤمن اليهود لكننا نؤمن . على انه لا فضل لنا في الايمان فانه هو الذي اعطانا اياه . بالنعمة نحن مخلصون بالايمان وذلك ليس منا !

هو عطية الله ! !

* * *

رأى مخلصنا البائس فتحنن

وتقدم وأسعف !!

ففتح عين الأعمى وأذن الأصم وشفى الأعرج وطهر الأبرص وأقام المفلوج وأحيا بالأمل الصحيح قلوب البائسين وتمم حقاً رسالة المسيا التي جاءت عنه «روح الرب عليّ لانه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية واكرز بسنة الرب المقبولة » !!

وهكذا فعل مع الأعمى !

فتقدم منه ووضع طيناً على عينيه وقال له ، اذهب اغتسل في بركة سلوام!

وأطاع الأعمى وذهب الى بركة سلوام واغتسل وأتى بصيراً!!

أبصر الرجل أو لعلنا نقول الشاب !

ولا شك انه أقام الدنيا وأقعدها وهو يهتف بصوت وصل الى أطراف المكان. لقد خرج من سجن عماه الى حرية النور . ان العالم شيء يختلف تمام الاختلاف عما كان يتخيله. انه ينادي كل واحد و يتحدث مع كل واحد عن عينيه اللتين أبصرتا

ورآه الجيران والمعارف الذين عرفوه قبلاً ، رأوه ولكنهم لم يعودوا يرون ذلك الغلام الذي يسير منحنياً و يطل الى العالم المحيط بعينين خاويتين ، وقد انطبع ذل العمى على وجهه ، بل رأوا انساناً مشرق الوجه يشع نور من كل جزء فيه ، لا من عينيه فقط ولكن من جبهته ومن فمه رأوه فرأوا انساناً آخر يختلف كل الاختلاف

عن ذلك الاعمى التعس الذي اعتادوا أن يروه ولو انه كان يحمل بعض سمات الغلام الذي كان أعمى فقالوا :

أليس هذا هو الذي كان يجلس و يستعطي؟

وقال قائلهم انه هو !!

والبعض الآخر انه يشبهه!!

أما هو فقال اني أنا هو!!

أنت هو؟ لكنك كنت أعمى؟!؟

نعم كنت أعمى ولكني الآن ابصر!

كيف ابصرت . كيف حدثت الآية ؟

انسان يقال له يسوع صنع طيناً!

وطلى عيني !!

وقال لي اذهب واغتسل !

فمضيت واغتسلت فأبصرت !!

وارتبكت أذهان القوم وأرادوا أن يستجلوا غوامض الآية فسألوه، لكن أين يسوع هذا؟ واجاب الغلام انه لا يعرف!!

يبدو انها كانت أول مرة يسمع القوم فيها عن يسوع. كانت المرة الاولى التي يزور فيها يسوع تلك المنطقة . حتى ان الغلام يقول « انسان يقال له يسوع » والقوم يسألون « اين ذاك »

وقد قيل ان علة اضطراب القوم ان الآية تمت في يوم سبت . ان يوم السبت مقدس . واجراء أي عمل فيه لا يتفق مع قدسيته على ما يعلمون. لكن هل ينطبق على هذه القاعدة ما عمله يسوع من تفتيح عيني الرجل . وهلاّ يعتبر إعطاء النور للأعمى من المسموحات ؟؟ ان القوم من عامة الشعب وهم لا يعرفون هذه القوانين تماماً . و بدلاً من ان يدلوا بآراء قد لا تتفق مع الدين يرون أن يحملوا الأمر إلى

علمائهم ولذلك يأخذون الاعمى معهم و يذهبون إلى رؤساء الفريسيين في ذلك الاقليم وهناك رووا قصة الغلام باختصار !!

اما الفريسيون فبدأوا يحققون معه كيف أبصر. وهو يجيب اجابة مختصرة « وضع طيناً على عيني واغتسلت فأنا ابصر »

وانقسمت آراء الفريسيين

قال البعض لقد ارتكب الرجل اثماً إذ كيف يصنع طيناً ثم كيف يطلي بالطين عين الاعمى في يوم السبت. ان العمل محرم في يوم السبت. ليس في كتاب «المشنا» ما يبيح صنع الطين ولا طلي العين به . ان الرجل لا يمكن أن يكون صالحاً وعمله لا يمكن أن يكون عملاً يتفق مع وصايا الله . لا يمكن أن يكون الشفاء الذي تم من الله . كلا . هذا الرجل خاطىء وهو ليس من الله !!!

غير أن فريسيين آخرين قالوا، لكن كيف يقدر انسان خاطىء ان يعمل مثل هذه الآيات. كلا. لا يمكن أن يكون هذا الانسان خاطئاً!!

واحتدت المناقشة بينهم وكل منهم يحاول ان يسند رأيه بأقوال الشرّاح من قدامى ومحدثين . وارتفع صوتهم وحدث بينهم انشقاق!!

والتفت القوم إلى الذي كان اعمى وسألوه ، ماذا تقول انت عنه من حيث انه فتح عينيك ؟؟ فقال، أنا اقول انه نبي !

ولكن اليهود نظروا اليه في غضب و بغضاء وشك . وقالوا لا شك انك أحد جواسيس ذاك . من يدرينا انك كنت اعمى . كلا . انك لم تكن اعمى وقصتك لا بد وان تكون مختلقة من أصولها . فلا عمى ولا طين ولا اغتسال ولا بصر . لا يمكن أن تكون قصتك كما تقول !

وزيادة في التأكيد ارسلوا واستدعوا والدي الأعمى وسألوهما قائلين ، أهذا ابنكما الذي تقولان انه وُلد أعمى. فكيف يبصر الآن؟؟

ورأى الوالدان الخطر المحدق بهما

ليس السؤال بسيطاً كما يظهر

انهما يعلمان أن الرؤساء قد تعاهدوا أن كل من يقول أن يسوع هو المسيح المنتظر يطرد من حظيرة الشعب المختار و يعامل كالأممي !!

ولذلك هما يجيبان اجابة فيها كثير من التحفظ بل التهرب

انهما لا ينكران أن الابن ابنهما

وانه وُلد أعمى

وانه الآن يبصر

انهما لا يستطيعان أن ينكرا ذلك

ولكنهما لا يريدان أن يتدخلا في تفاصيل توقعهما في مشاكل هما في غنى عنها انهما لا يعرفان من فتح عينيه ولا كيف فتح عينيه . انهما لم يكونا معه ولم يريا شخص الشافي ولم يسمعا الكلمات التي قالها. ومع ذلك فلماذا يسألها الرؤساء . لماذا لا يسألون الغلام . انه كامل السن فليسألوه ! !

وهكذا تملص الوالدان من الاجابة

ولكنهما كانا جبانين !!

خلصا نفسيهما دون أن يفكرا في الخطر الذي سيقع على ولدهما!!

وعند ذلك دعا الرؤساء الغلام مرة أخرى وقالوا له أعط مجداً لله . نحن نعلم ان هذا الانسان صديق الشياطين وهو ببعلزبول يجري آياته. هو ولاشك انسان خاطىء !!

وانذهل الغلام وقال مأخوذاً :

هذا الانسان خاطىء . لا يمكن أن يكون خاطئاً . ومع ذلك فاني لا اهتم ان كان خاطئاً أم لم يكن . انني لا أعلم ان كان خاطئاً أم لا ولكنني أعلم شيئاً واحداً انني كنت أعمى والآن أبصر !

كانت كلمات الغلام قوية

انها أعظم من كل حجة

كنت أعمى والآن أبصر !

ماذا يستطيعون أن يقولوا في ذلك. لقد كان عند الغلام برهان لا تستطيع كل حججهم ان تقف أمامه . ولذلك عادوا يسألونه مرة أخرى يقولون ماذا صنع بك ؟

وتضايق الغلام من كثرة الاسئلة التي لا هدف لها فأجاب ، قد قلت لكم ولم تسمعوا . لماذا تريدون أن تسمعوا ايضاً . ثم قال لهم بنغمة مليئة بالتهكم ، ألعلكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ؟

وثار ثائر اليهود !!

ان غلاماً يسخر منهم !!

غلاماً حقيراً شحاذاً قذراً !!

وانهالت شتائمهم عليه !!

أنت تلميذ ذاك !

نحن تلاميذ موسى !!

نحن نعلم ان موسى كلّمه الله !!

وأما هذا فما نعلم من أين هو؟ !!

وامتلأ الرجل انذهالاً . يا للتعصب والعمى انهم لا يعلمون من أين هو !!!

وقال لهم عاتباً :

ان في هذا عجباً انكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عيني !

ونعلم ان الله لا يسمع للخطاة!

ولكن ان كان أحد يتقي الله و يعمل مشيئته فلهذا يسمع!

منذ الدهر لم يسمع ان احداً فتح عيني مولود أعمى !

لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً !!

وهالت هذه الكلمات الجريئة اولئك الرؤساء. لم يسبق ان واحداً من الشعب تجاسر ونطق بمثلها في حضرتهم . هل بلغت المهانة ان واحداً من ذلك الشعب

الجاهل الشرير يقف في وجه الرؤساء. يا ضيعة الدين! يا ضيعة الاخلاق

ثم التفتوا نحو الغلام وقالوا :

في الخطايا وُلدت أنت بجملتك!

وأنت تعلّمنا ؟؟!!

وقرروا طرده من المجمع . لن يكون أحد أفراد الشعب . وابرهيم لن يشفع له عندما تحمل الملائكة الاشرار الى جهنم. سيقذف الملائكة به مع الامم الى الهاوية !

وخرج الشاب مطروداً !

لكن يبدو انه لم يحزن كثيراً على طرده !!

لم يكن يفكر أن الحظيرة اليهودية تساوى ايمانه بشافيه وشهادته عنه!

ليطردوه كما يريدون!!

انه يفضل ان يعتبر كالوثني والعشار من ان يقول كلمة ضد مخلصه وشافيه !

* * *

كان الرجل يسير في الطريق حين لاقاه يسوع ـ لما سمع يسوع انهم اخرجوه خارجاً وجده هو . واندفع الشاب نحو يسوع يريد أن يعيد شكره له ولكن يسوع فاجأه بالسؤال :

أتؤمن بابن الله ؟

اجاب ذاك وقال من هو يا سيد لأؤمن به؟؟

فقال يسوع !

قد رأيته !

والذي يتكلم معك هو هو !!

وهل كان للرجل إلا ان يؤمن . لقد كان يؤمن به من غير أن يسمع هذه الكلمات . وهل يمكن أن يكون يسوع إلا ابن الله ؟؟!!

الشخص الذي رآه في الوقت الذي عميت عيون الكل عن رؤيته !!

الشخص الذي عطف عليه وترفق به !
الشخص الذي استجاب لنداء حاجته وتقدم لأسعافه!!
الشخص الذي صنع طيناً وطلى بالطين عينيه وأرسله الى بركة سلوام ليغتسل!
الشخص الذي فتح عينيه فأبصر !
هل يمكن أن يكون هذا الشخص إلا ابن الله ؟؟!!
و إذ ذاك جثا الشاب أمامه وسجد وهو يقول ، أؤمن يا سيد أؤمن يا سيد ! !
ونظر السيد حوله حزيناً !
هوذا الأعمى يبصر ويؤمن ! ؟ !
بينما الذين يقولون انهم يبصرون لا يزالون في عماهم يعمهون !!
وقال الفريسيون، ألعلّنا نحن ايضاً عميان؟
فقال يسوع :
لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية !
ولكن الآن تقولون أننا نبصر
فخطيتكم باقية !!

٦٣
على مائدة فريسى

« فقال له الرب انتم الآن ايها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة وامّا باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً »
لوقا ١١ : ٣٩

وهذا فريسي آخر يدعو يسوع الى مائدته ولا نعلم باليقين سرّ هذه الدعوة ، هل دعاه احتراماً له وتقديراً لشخصه ، أم دعاه استطلاعاً لأمره ورغبة في سماع تعاليمه ، أم كانت دعوة الكرم الشرقي الذي يهتم بالغريب ويطلب ثواب تقديم

الضيافة له،أم كان السبب الرغبة في اكتشاف اخطاء وخطايا تصلح أساساً لمحاكمته!؟؟

ومع انه لايظهر أن الرجل كان سيّيء النية في دعوته إلا انه كان على كل حال واحداً من الفريسيين . لم يخرج عن دائرتهم في سطحية تدينه وخبث طويته !!

واتكأ يسوع على المائدة دون أن يقوم باجراء «الغسلات» التي رسمها التقليد . والكلمة في الأصل تعني المعمودية. أي أن يسوع اتكأ على المائدة دون أن «يتعمد» وكان الفريسيون يغسلون أيديهم بصورة خاصة ويتلون أثناء ذلك مزامير وأدعية حتى تتطهر أجسامهم من نجاسات العالم الخارجي !!!

واندهش الفريسي ان يسوع لم « يتعمد » !!

لم يظهر اندهاشه على فمه ولـكنه تحدث به الى قلبه . ولا بد أن حديثه الى نفسه كان فياضاً بالنقد المر الشرير. وكان يحتوي اتهام يسوع بكل نقيصة وينسب له كل شائبة !!

وقرأ يسوع حديث قلب الرجل كما من كتاب مفتوح ، وأبصر ما فيه من مرارة وغلّ . وقال للفريسي :

أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة

وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً

يا أغبياء أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضاً !؟!

وكانت كلمات المعلم تصور حقيقة برّ الفريسيين . انهم يهتمون بمظهر البرّ دون مخبره . يغسلون أيديهم بينما قلوبهم ملوثة . يقيمون كل فرائض العبادة الخارجية كالآلات تتحرك بدون روح !!

ولعل الفريسي أراد أن يعترض على ما قاله المعلم أو لعله سأل عن الخطأ الذي يأتيه الفريسيون.أو ربما رآها المعلم فرصة مواتية لاظهار حقيقة الفريسيين لهم وللعالم وللتاريخ ، فأعلن عن الويلات تحيق بهم لآثامهم ومعاصيهم

لقد اهتموا بالخارج وأهملوا الداخل !

هل ينكرون هذه التهمة ؟

انهم يعشرون النعنع والسذاب وكل بقل ويظنون أنهم قد أتموا كل وصايا الناموس . كلا . ويل لهم . لأنهم يفعلون ذلك في الوقت الذي يتجاوزون عن الحق ومحبة الله !!

يراهم الناس فيظنونهم أبراراً . هم كالقبور المختفية في البرية تبدو كبقية الارض ولكنها تخفي عظام أموات !

وبينما كان يسوع يذكر ويلات الفريسيين ، قاطعه أحد الناموسيين ، وهم فقهاء الشريعة ، بالقول: يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً . وكان يظن أن المعلم سيجامله ويداجيه ، ولم يعلم أن يسوع رجل الصراحة والحق ولو كانت صراحة مكروهة أو حقاً جارحاً . فنظر اليه وقال ، وكذلك أنتم أيها الناموسيون ويل لكم لانكم تحمّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تمسّون الأحمال باحدى أصابعكم!! انهم يجلسون على كرسي موسى ، ويأمرون الناس أن يتمموا مئات الوصايا الخاصة بمختلف نواحي الحياة الدينية . وبعض هذه الوصايا مما لا يمكن اتمامه . أما هم فلا يتممون شيئاً من هذه الوصايا . انهم يعظون الناس ولا يعظون أنفسهم !!

وظل المعلم يذكر للناموسيين خطاياهم منذراً اياهم بسوء المصير خصوصاً وهم عرفاء الشعب ، أخذوا مفتاح المعرفة ولم يدخلوا والداخلون منعوهم !

كان كلام يسوع غريباً على أذهان القوم . انهم لم يتعودوا أن يسمعوا إلا كلمات الثناء والتحيات . الناس لا يذكرون لهم إلا فضلهم وبرّهم . هم رجال الدين ، حملة النور ، الابرار الكملة ، لم يكشف لهم انسان حقيقة أشخاصهم !!

أما يسوع فكشفهم لأنفسهم !!!

وكشفهم للناس !!

يا ليتهم سمعوا له وساروا في نور هدايته . يا ليتهم ، ولكنهم لم يفعلوا !!

٦٤

الجليليون

« كلا . اقول لكم . بل ان لم تؤمنوا فجميعكم كذلك تهلـكون » لوقا ١٣ : ٣

كان المعلم جالساً صامتاً يحاول أن يسترد شيئاً من قواه بعد أن بذل جهداً كبيراً في الوعظ والتعليم و بعد أن بذل من ذات حياته ما صار حياة وشفاء للمرضى الذين جاءوا يلتمسون منه الشفاء !

وأقبل قوم ، يبدو انهم لم يجلسوا إلى السيد من قبل . أقبلوا يحملون في تأثر رسالة عن حادثة فظيعة . ولـكن تأثرهم كان ممتزجاً بكثير من الشماتة والـكبرياء !!

وكانت رسالتهم عن جماعة الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم . كان الجليليون قوماً أشراراً كثر بينهم اللصوص والقتلة وقد سببوا بحوادث قتلهم الرعب لـكلا اليهود والرومان ! !

وقيل انهم أتوا في « الايام الاخيرة » أعمالاً أثارت الدولة المحتلة ، فأرسـل الوالي الروماني فرقة من الجيش الى قرية الجليليين ووجدوهم يقدمون ذبائحهم لله فلم يمهلوهم حتى يفرغوا من تقديمهم لذبائحهم بل قتـلوهم عن آخرهم ومزجوا دماءهم بدماء ذبائحهم !

ولا نعلم بالضبط ما علّق به أولئك المخبرون على ذلك العمل الفظيع ، ولـكننا نستنتج من رد المعلم عليهم ومما نعرفه عن الفلسفة اليهودية ، انهم كانوا يؤمنون أن القوم يستحقون ذلك العقاب الذي وقع عليهم. فالجليليون أشرار ولا بد للأشرار أن

يحصدوا شر أفعالهم . ان الله لا يوقع عقاباً على انسان بريء . ولا بد أن شعورهم (شعور المحدّثين) ببرهم وكمالهم كان ظاهراً في حديثهم !!

ونظر المعلم إلى أولئك المساكين . انهم لا يفهمون شيئاً من أسرار العناية وفي نفس الوقت يدّعون انهم يعرفون. انهم نظير أصدقاء أيوب يقولون أن الله لا يعاقب البريء و بما انهم هم يتمتعون بالحياة والبركة فهم أبرار وصالحون !

يا للمساكين !!

انهم لا يعلمون انهم أشرار!!

وان جميع الناس لا يمكن أن يتبرروا قدام الله. وان انساناً ما لا يقدر أن يقف أمام الله ! ان أولئك الجليليين لم يكونوا خطاة اكثر من غيرهم لانهم كابدوا مثل هذا ! وانما يترك الله البعض ليقدم لهم فرصة للتوبة . واذا ما انتهت فرصة التوبة فان جميع الاشرار سيهلكون . ان التجارب التي تقع على الناس أثناء الحياة ليست بالضرورة أجرة لأثم أتوه . ان العقاب سيأتي أخيراً لجميع الخطاة الذين لا يتوبون .

وذكر المسيح قوماً آخرين سقط عليهم برج سلوام وسحقهم . وقال البعض انهم نالوا أجرتهم . كلا . يقول السيد ، ان التجارب التي تقع على الناس ترسمها يد الله بحكمة مخفية عن الناس . بل قد يكون بين من يهلكون هنا أبرار !

وكرر السيد ما أنذر به ، ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون . ان أجرة الخطية موت ، ولو أن الله حاسب الناس جميعاً لأهلكهم . ولكنه يتركهم علّهم ينتهزون فرصة رحمته ويتوبون فاذا لم يتوبوا حق عليهم الهلاك!!

وصمت يسوع قليلاً ثم قصّ لهم حكاية شجرة التين :

كان لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه . وقد طلب فيها ثمراً سنة وسنتين وثلاث سنوات ولم يجد فقال للكرام ، هوذا ثلاث سنين آتي وأطلب ثمراً في هذه التينة ولم أجد . اقطعها . لماذا تبطل الارض أيضاً !!؟

ولكن الكرام التمس من صاحب الكرم أن يطيل أناته سنة أخرى . قال ، اتركها يا سيد هـذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع ذبلاً فان صنعت ثمراً و إلا ففيما بعد تقطعها !!

* * *

قال للسيد هذه القصة والتفت إلى الجمع . لم يكن في حاجة لان يشرح لهم المغزى الكامن خلف القصة . لقـد فهموا المعنى . وكان المعنى هو نفس الكلمات التي سبق ان قالها :

« إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلـكون »

٦٥

المرأة التى ربطها الشيطان

« وهذه وهي ابنة ابرهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة اما كان ينبغي ان تحلّ من هذا الرباط في يوم السبت»

لوقا ١٣ : ١٥

نحن الآن في أحد المجامع في مدينة اورشليم على ما يُظن . و بعد أن تمّت الخدمات المعتادة من قراءة وصلاة وتسبيح وتهيأ القوم للانصراف رؤيت امرأة منحنية تحاول أن تشق طريقها في الزحام !

كان انحناء المرأة ظاهراً جداً . كانت كأنها قد ربطت رأسها برجليها . كانت حالتها تدعو إلى الرثاء والشفقة !

وكان يسوع بين الجمع

وأبصر يسوع المرأة !

كان انحناء المرأة علامة لها ومع ذلك فيظهر أن الكثيرين لم ينظروها . أغلب

الظن أن الغالبية لم تنظرها . ان القوم مشغولون بأنفسهم . ان أنانيتهم تحجب عن عيونهم رؤية الآخرين . وهم من كثرة ما يشفقون على أنفسهم لا يجدون فرصة للشفقة على الغير ! !

أما يسوع فأبصر المرأة !

وأشفق عليها !

ودعاها اليه !

وقال لها،ياامرأة انك محلولة من ضعفك !

ووضع عليها يديه !

ففي الحال استقامت !

ومجدت الله !!

ولا شك أن الكثيرين شاركوها في تمجيد الله . كما أن عيون الكثيرين اتجهت نحو يسوع . وسأل الناس بعضهم بعضاً من هو . لا بد أنه نبي عظيم افتقد الله به شعبه !

وأثار هذا روح الغيرة الدينية في رئيس المجمع

وملأه بالسخط لأن السبت قد كسر !!

وتقاليد الآباء لم تعد لها حرمة !

فاغتاظ لأن يسوع أبرأ في السبت !

ولعلّنا إذا كشفنا الغطاء عما كان يجول حقاً في سريرة رئيس المجمع، رأينا شيئاً آخر لا يمتّ الى الدين بصلة. انه الحسد من اتجاه الأنظار نحو يسوع. والكبرياء بالتراث القومي الذي يحسب رئيس المجمع نفسه أحد حراسه. لولا انه كان رئيساً للمجمع ما اغتاظ كما اغتاظ. انه يطلب احترام بيت الله وهو في الحقيقة يطلب احترام شخصه والابقاء على كرامة نفسه . انه يحسب أي مخالفة للقواعد الدينية اهانة متجهة الى شخصه .

أليس هو رئيس المجمع ؟

ثم انه ضيّق التفكير !

وأعمى القلب !

انه يرى الدين في حفظ القشور !

الجوهر ليس له شأن كبير عنده !!

ولكنه أيضاً جبان !

انه لا يجسر أن يواجه يسوع بانتقاده . فهو يتجه بهذا الانتقاد إلى المرأة وإلى الجمهور ويقول ، هي ستة أيام ينبغي فيها العمل ففي هذه ائتوا واستشفوا وليس في يوم السبت !!

يا للمرائي المنافق !!

يخفي حسده وخبث طويّته خلف ستار الدين ويظن أن لا أحد يراه . ولكن يسوع يكشفه لنفسه ويكشفه للجمع . ويقول له :

يا مرائي !!

ألا يحلّ كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويسقيه . وهذه وهي ابنة ابرهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي ان تحلّ من هذا الرباط في يوم السبت ؟!!

كان رئيس المجمع يعرف الناموس ويعرف انه يبيح بعض الاعمال في يوم السبت ، ويعرف ان الرفق بالحيوان والعطف عليه من الامور المباحة . يعرف هذا، ومع ذلك فان قلبه يقسو على الانسان . يا للعجب ! هل يصح إنقاذ خروف ساقط في هوة ولا يحل إنقاذ انسان ساقط في هوة ؟؟ إغاثة الحيوان واجب مباح يوم السبت ولكن إغاثة الانسان ذنب وجريمة !!!

وهذه امرأة مسكينة !

امرأة من البشر !!

هي أخته في الانسانية !!

بل هي أخته في الجنس والدين . هي ابنة ابرهيم. وقد ربطها الشيطان بكيفية من الكيفيات ليس لنا الآن أن ندخل في تفصيلاتها . هل يجوز أن نتركها في يد الشيطان لأن اليوم سبت ؟!!!

لم يجد رئيس المجمع ما يجيب به على يسوع وكذلك صمت الذين وازروا رئيس المجمع فيمنطقه وأخجل جميع الذين كانوا يعاندون يسوع !

وفرح كل الجمع بجميع الاعمال الجيدة الكائنة منه !

٦٦
سؤال

« فقال له واحد يا سيد أقليل هم الذين يخلصون »
لوقا ١٣ : ٢٣

كان المعلم لايستقر في مكان. كان يجتاز فيمدن وقرى يعلم ويسافر نحو اورشليم وكان تعليمه على الأغلب عن الايمان والخلاص. وبينما هو منهمك في توضيح طريق الخلاص قاطعه أحد المستمعين بالقول « يا سيد أقليل هم الذين يخلصون » ؟ وكانت مقاطعة في غير محلها بل لم يكن من داع لها بالمرة . إذ ماذا يفيد السائل إذا عرف ان المخلصين هم ألوف أو انهم ملايين . ماذا تهمه كثرتهم أو قلتهم ؟ وكان يمكن ان يجيبه يسوع جواباً خشناً يوبخه فيه على مقاطعته ويعطيه درساً في حسن الأدب. ولكن السيد كان رقيق القلب رقيق الكلام كما كان يستخدم كل شيء أداة لخدمة مباركة . انتقدوه مرة لانه كان يقترب كثيراً من العشارين والخطاة فدفعه ذلك الانتقاد إلى إلقاء أمثاله الثلاثة الخالدة، مثل الخروف الضال والدرهم المفقود والابن الذي عاد . وقال له أحدهم مرة ، يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث فاستخدم السؤال

سبباً في إلقاء مثل الغني الغبي. وسأله أحدهم « من هو قريبي » وكان مثل السامري الصالح جواب هذا السؤال. وها هو واحد يسأل، أقليل هم الذين يخلصون. فيكون الجواب اعلاناً من أمجد اعلاناته. وقد حوى ذلك الاعلان أموراً ذات قيمة فقد وجّه النظر إلى لزوم الاهتمام بالدخول إلى باب الخلاص. بدل ان تنشغل بالسؤال عن العدد اجتهد أن تدخل من الباب. وباب الخلاص باب ضيق سيطلب الكثيرون أن يدخلوا منه ولكنهم لا يقدرون. انه باب لا يستطيع ان يدخله إلا المتواضعون المنحنون المتذللون. انه باب ضيق. ومن الواجب أن يهتموا أن يدخلوا الآن قبل ان تضيع الفرصة!

وكان في اعلان السيد شيء غريب!

سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في أحضان ابرهيم واسحق ويعقوب. وأما بنو الملكوت فلن يدخلوا. العشارون والخطاة والامم سيكونون بين الداخلين بينما « الابرار » الذين يستطيعون أن يقولوا انهم ليسوا مثل باقي الناس لن يدخلوا. وسيقف الكثيرون على الباب يقولون يارب يارب افتح لنا ولكنه لا يفتح بل يقول انه لا يعرفهم. سيقولون انهم سمعوا السيد يعلّم وسيقولون انهم أكلوا وشربوا قدامه بل سيقولون أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. ولكنه برغم كل ذلك يقول لهم تباعدوا عني ياجميع فاعلي الظلم!!

حقاً هوذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين!!

٦٧

على مائدة رئيس

« اذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع العرج العمي
فيكون لك الطوبى »   لوقا ١٤ : ١٣ ، ١٤

تلقّى يسوع لدعوة لتناول الطعام على مائدة أحد رؤساء الفريسيين في يوم سبت . وقبل يسوع الدعوة ودخل واتكأ . ولم تكن الدعوة عن نية خالصة وانما كانت مؤامرة محبوكة الأطراف . فقد جمع الفريسي نفراً من الفريسيين أحاطوا بالضيف وكانوا يراقبونه . كان يسوع وحده وهم فرقة شياطين !

ومن الغريب انهم كانوا يظنون انهم هم أنصار الدين وحماته . وان يسوع خارج عن الدين ومارق . وهم يراقبونه وهو يكسر الشرائع التي وضعها الآباء وينقض التقاليد التي رسموها !

وكان انسان مستسق في البيت. هل كان أحد أفراد البيت أم كان من الخارج؟ وما لذي جاء به. هل جاء متطفلاً. أم انهم أحضروه شركاً ليسوع ؟ انهم يعلمون أن يسوع لا يستطيع ان يرى « الحاجة » ويغمض عينيه . ولا يستطيع ان يسمع استغاثتها ويصمّ أذنيه !!

انهم يعلمون ذلك !

ولذلك فهم « مطمئنون » إلى ان يسوع « سيقع » !!

أما يسوع فكان يرى الدين غير ما يرونه هم. انه يرى الدين محبة ورحمة وخدمة. ويشفق على اولئك العميان الذين لا يفهمون من الدين إلا قشوره . وهو يتقدم اليهم بسؤال :

هل يحل الابراء في السبت ؟ ؟

وهم يسمعون السؤال ويصمتون . انهم يعلمون أن الابراء جائز في السبت . ولكنهم لا يمكن أن يعترفوا بذلك . ويسوع لا يعطل بركته في انتظار جوابهم بل هو لا يعطل البركة ولو حاولوا أن يعطلوها. ان شرهم أضعف من ان يعطل خيره. وهو يكشف لنا بذلك قوة الخير انه أقوى من كل ما في جعبة الشياطين من خطية. ان خيره فيض محبته وهل وجد في الارض أو في السماء شيء أقوى من محبة الله ؟؟ وها نحن نراه يمسك المريض ويشفيه ويطلقه. ولابد أن الرجل انطلق يهتف هتاف الحمد لله وينظر إلى منقذه كما إلى رسول رحمة أرسله الله !

ولكن يسوع لا يترك الفريسيين بدون أن يحاول محاولة أخرى نحو فتح أذهانهم وقلوبهم. فهو يلتفت اليهم ويجيب أسئلتهم التي تحدثت بها قلوبهم وعيونهم دون أن تنطق بها أفواههم . وقال من منكم يسقط حماره أو ثوره في بئر ولا ينشله حالاً في يوم سبت ؟ سألهم هذا السؤال فسكتوا ولم يقدروا أن يجيبوه عن ذلك. ان الناموس يبيح لهم ان ينقذوا الثور والحمار . ولكن الناموس لا يذكر الانسان . وهم يحفظون الناموس ويتممون كل حرف فيه . يا للحماقة !! ان الله إذ يحتم إنقاذ الحمار أو الثور انما يدفعهم نحو اعمال الرحمة الجائزة . وهل هناك رحمة ألزم من الرحمة للانسان ؟ ولئن وجبت العناية بالحيوان ، فالانسان كم هو اكرم من الحيوان ! لم يضع الله الناموس ليكون قيوداً وحدوداً بل ليكون وسيلة ضابطة للخدمة . ولم يقصد أن يكون الناموس إلهاً للانسان والانسان عبداً له ولكنه قصد أن يكون الانسان مستفيداً من الناموس !!

تكلم يسوع كلماته العميقة للفريسيين ونرجو أنهم فهموا الدرس ونرجو انهم قبلوه !!

* * *

وألقى يسوع درساً آخر وهو على المائدة . لقد ظنوا ساعة أن دعوه أنه

سيكون وحيداً ضعيفاً أمام كثرتهم وأنهم سيضيقون عليه الخناق بحيث لن يتمكن من الافلات من اشراكهم . ولكن الأمر انقلب عليهم فاذا هم ينكمشون أمام قوته. ولا يزالون ينكمشون حتى ليبدو أنهم فأر صغير أمام أسد كبير. وقد سمعوا للدرس الأول صامتين عاجزين !!

ولكن ذلك المعلم لا يسكت . أنه يلقي عليهم درساً ثانياً وهو يوجّه الدرس الى المدعوين من الفريسيين وهو يلاحظ كيف اختاروا المتكآت الأولى . انها خطيّتهم الكبيرة. أنهم يحبون المتكآت الأولى في الولائم والتحيات في الاسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي. هكذا فعلوا هنا كانوا يظنون أن مقام الانسان يقاس بالمتكأ الذي يجلس فيه . وإلى اليوم يرى بعض الناس أن المقعد الأول ، أو التحية الأولى أو اللقب الأول ، أن هذه الأشياء هي علامات ومظاهر العظمة والكرامة . وقد اراد يسوع أن يعلّمهم حقيقة العظمة وحقيقة الكرامة. واراد أن يعلّمهم الدرس بأسلوب يسهل عليهم فهمه . انهم لا يفهمون مثله العليا. لا يمكن أن يصل إدراكهم اليها . هل يمكن أن يقبلوا أن العظمة في التواضع وأن العظيم هو الخادم. هل يمكن أن يدركوا أن المقام الأول لا يقوم بالجلوس على المتكأ الأول ولا على نيل التحية الأولى ؟ ان افهامهم تقصر عن إدراك هذه الحقائق السامية . لذلك يقدم لهم تعليمه سهلاً بسيطاً. فهو يشير على المدعو ألا يجلس في المتكأ الأول لعل اكرم منه يكون قد دعي . فيأتي صاحب الدعوة ويطلب من الجالس أن يخلي المتكأ للضيف الأكرم. ويقوم الجالس من مكانه ولا يجد في المتكآت الأولى كلها مكاناً خالياً فيبتدي بخجل يأخذ الموضع الأخير . « بل متى دعيت فاذهب واتكىء في الموضع الاخير حتى إذا جاء الذي دعاك يقول لك ياصديق ارتفع إلى فوق . حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك » — هذا درس في آداب الاجتماع وهو درس نافع ولازم . ولكن يسوع يقصد أن يعلم شيئاً أعمق من ذلك . انه يصل

إلى القلب والروح . ولذلك يختم كلامه هنا بالقول « لان كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » .

ولا بد أن الفريسيين الذين جلسوا بتشامخ وعجرفة على المقاعد الأولى انكمشوا أمام ذلك التعليم الذي يكشف عن رفعة التواضع ووضاعة الكبرياء . أو لعلهم غضبوا غضباً عظيما لأن المعلم لمس الوتر الحساس في قلوبهم . يا ليتهم سمعوا ويا ليتهم قبلوا ! !

* * *

وثمت درس ثالث ألقاه المعلم العظيم . ألقاه إلى صاحب الدعوة. نعم فان جلوس المعلم على مائدته لا يجوز أن يقف حائلاً بينه و بين إعلان حقه. كان صاحب الدعوة فريسياً وكان رئيساً بين الفريسيين . ولا بد أنه كان غنياً إذ كان الرؤساء لا يُختارون إلا من بين عظماء القوم علماً ومالاً وجاهاً . وكان المدعوون من طبقته هو ، طبقة العظماء والعلماء والاغنياء. كان كل مدعو يجد في بيته طعاما نظير الطعام الذي يتناوله عند الرجل . لم تكن الوليمة لازمة له . بل ان بعضهم كان يتأذى من طعام الولائم فان كثرة تناول الأطعمة الناعمة احال بطونهم بيوتا للداء . و بعضهم كان يذهب إلى الوليمة كارهاً . وكان الطعام الكثير الذي يُعدّ يعود تقريباً كله . إن القوم لا يأكلون كثيراً . وكان جانب كبير من الطعام يتلف . وانما كان القوم يقيمون هذه الولائم لأصدقائهم حتى يكون تبادل فيها. ومن باب التفاخر والتعاظم بمادة الوليمة و بشخصيات المدعوين !!

وهنا قال المعلم لصاحب الوليمة :

« إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدعُ اصدقاءك ولا اخوتك ولا اقرباءك ولا الجيران الاغنياء لئلا يدعوك هم ايضا فتكون لك مكافأة » وما اتفهها مكافأة لا تسمن ولا تغني من جوع — ثم قال « بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع

العرج العمي فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك . لانك تكافى في قيامة الابرار » .

يا لها من مشورة !

المساكين الجدع ، العرج والعمي ! !

يا لهم من ضيوف !

انهم أولى بالدعوة لأنهم في حاجة إلى الطعام . سيأكلون بشهية مفتوحة . « سيكنسون » كل الشيء على المائدة . ولا شك أن صاحب الدعوة ، إذا كان له قلب مفتوح ، سيبتهج وهو يرى أولئك الجياع يتلذذون بالطعام ويشبعون . وسيمتلىء بالشكر وهو يرى ضيوف الله يشكرون ، ومع أن الله سيكافئه أخيراً إلا أنه لن يطلب هذه المكافأة فقد نال مكافأة عظيمة ، إذ أن روحه ستشبع وقلبه سيمتلىء ! ! ان عطية الرجل تفيض من قلب محب لا من قلب أناني متكبر ! !

ترى هل تعلم القوم هذه الدروس ؟ ؟

٦٨

ويوجد ايضاً مكان

«فقال العبد ياسيد قد صار كما امرت ويوجد ايضا مكان»

لوقا ١٤ : ٢٢

كان يسوع متكئاً على مائدة احد رؤساء الفريسيين . وقد تحدث الى المتكئين حديثاً لمس نواحي دقيقة في حياتهم فتململ العدد الاكبر منهم . وأراد أحدهم ان يدير دفة الحديث لينجو هو ورفاقه من تلك الكلمات الكاشفة فقال ، طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله ! كان اليهود يعتقدون ان السماء ستقيم وليمة كبيرة في مدينة اورشليم ، تقف الملائكة فيها لخدمة الآكلين . ويقدم خبز سماوي نظير المنّ

الذي اكله اليهود في البرية . ويجلس على هذه المائدة السماوية كل يهودي أصيل ويطرد منها كل دخيل متطفل !!

قال الفريسي كلمته في شيء من الاعتداد والتفاخر . فانه سيكون ولا شك أحد الجالسين على تلك المائدة السماوية . أما يسوع فكان يعلم انه لن يكون للرجل أي نصيب في مائدة سماوية. كان يعلم ان المائدة التي يتحدث عنها اليهود ليس لها أصل حقيقي الا في مخيلتهم. فلن تكون مائدة في اورشليم ولن يكون «من ّ» سماوي ولن يقف الملائكة للخدمة !!

على ان ذلك لا يعني انه لن تكون مائدة سماوية بالمعنى الروحي . بل ستكون مائدة دعا اليها الله نفسه وهاهو يتحدث عنها في مثل العشاء المرفوض قال :

انسان صنع عشاء عظيما ودعا كثيرين . وعظمة العشاء ودعوة الكثيرين من علامات عظمة الداعي . وقد قيل في مكان آخر انه ملك كبير وان العشاء كان بمناسبة عرس ابنه!!

وأرسل الرجل في ساعة العشاء عبيده يعلنهم ان موعد العشاء قد أزف . ولم يكن هذا أمراً غريباً اذ ان العادات الشرقية لا تزال الى اليوم تتبع هذا النظام

وذهب العبيد الى المدعوين يخبرونهم ان العشاء قد أعد ويطلبون منهم المجيء ولكن المدعوين استهانوا بالدعوة واستهانوا بطبيعة الحال بالداعي . والأمر المدهش أن الجميع اتحدت كلمتهم على رفض الدعوة !

قال أحدهم اني اشتريت حقلاً وأنا مضطر أن أخرج وأنظره . وقال آخر اني اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماض لأمتحنها . وقال ثالث اني تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن اجيء . . وهكذا كانت إجابة بقية المدعوين !

ونحن إذا حللنا أسباب استعفاء المدعوين ذهلنا لما حوته من مغالطات . فمنذ متى كان مشتري الحقل يمضي لينظره في الليل؟؟ وكيف يتأتى لمشتري البقر ان يمتحنها وقت العشاء ؟؟ أما عذر العريس فعذر مضحك لان فترة العرس هي في العادة فترة

الولائم للعريس . كلا . لم يكن اولئك الرافضون مخلصين في رفضهم . كان رفضهم وليد احتقارهم لشأن الداعي واستهانتهم بدعوته !

ولما علم السيد بأجابة المدعوين غضب غضباً عظيماً واقسم ألا يسمح لواحد من اولئك المدعوين أن يذوق عشاءه. وأمر عبيده ان يخرجوا بعجلة الى شوارع المدينة وأزقتها وان يُدخلوا الى الوليمة المساكين والجدع والعرج والعمي. أي أن «المؤهلات» للمدعوين هي الفقر والمرض والعجز. وهي مؤهلات عجيبة حقاً لانها في نظر الناس « مؤهلات » للطرد من الوليمة !

وعاد العبد يقول لسيده قد صار كما أمرت ويوجد ايضاً مكان . فقال السيد للعبد، اخرج الى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلىء بيتي. ومعنى ذلك انه يدعو الشحاذين واللصوص لكي يجلسوا على مائدة الغني !

ويطيب لي ان أذهب بالخيال الى تلك الوليمة الغريبة وأرى تلك المجموعة العجيبة من الضيوف. أين الطبقة الغنية الصحيحة الانيقة من الضيوف؟؟ لقد اختفت. وجلس مكان هؤلاء جماعة من الفقراء المساكين البائسين الذين لم يكونوا يحلمون انهم يجلسون يوماً من الايام على مائدة مثل هذه !!!

* * *

والتفت يسوع الى الفريسيين المتكئين ولم يتكلم . ولكننا لا نشك انهم فهموا المعنى !

لقد رفضوا الدعوة السماوية !

رفضوها كبرياء وأنانية واستهانة !!

أما العشارون والخطاة الذين لم يكن لهم في الاصل نصيب فيها فقد سمعوا الدعوة واستجابوا لها .

عن هؤلاء يصح القول :

طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله !!

٦٩

حساب النفقة

« يجلس اولا ويحسب النفقة » لوقا ١٤ : ٢٨

كانت الجماهير الغفيرة تتزاحم خلف المعلم الجديد حتى لم يوجد موضع لقدم . وكان كل واحد من التابعين يحاول ان يقترب من المعلم بقدر ما يستطيع . وقد نتج تبعاً لذلك جذب ووقع واحتكاك وصدام . ولا بد ان صوت الكثيرين ارتفع وخرجت كثير من الكلمات الحادة !

والتفت يسوع الى الجمع وكان ينتظر انه يمتلىء ابتهاجاً فقد عرف الناس الحقيقة وتركوا المعلمين الفريسيين والناموسيين وتبعوا المعلم الجليلي وها هم يتزاحمون حوله يطلبون المكان الاول بجانبه . يصغون بشغف الى كل كلمة من كلماته . وقد مكثوا معه مرة ثلاثة أيام متوالية !

شكراً لله فقد نجح يسوع !

أليس من علامات النجاح الاولى كثرة عدد الحاضرين. وها هم الالوف تذخر بهم طرقات المدينة. وفي الحقل ملأوا مساحات واسعة. وقد اضطر المعلم لشدة الضغط عليه ان يدخل السفينة ويبعد عن البر والجمع كله واقف على الشاطىء يسمع !!

نعم . نعم . فقد نجح يسوع ونجحت رسالته !!!

ولكن يسوع لا يرى في هذا نجاحاً . انه لا يعبأ بالأرقام . انه يقيس النجاح بمقاييس أخرى. وهو ينظر الى ذلك الجمهور بعين فاحصة و يعلم ان في وسطه « كمية » كبيرة لا تتبعه في الحق إلا بالجسم فقط . وهو يطلب ان ينسحب هؤلاء لأنهم لا يستطيعون أن يتبعوه !

كذلك نلاحظ انه لا يشجع تابعيه كما يشجع القادة أتباعهم . انه لا يعدهم بحياة لينة ولا بمصير مبهج،بل بالعكس يبدو كأنه يصدهم عن اتباعه ونحن نندهل إذ نسمعه يقول « ان كان أحد يأتي اليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه ايضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً. ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً » . هذا هو طريق المسيح . طريق خشن قاس فيه أحجار حادة وفيه شوك وفيه عار وفيه موت . طريق يتطلب البذل ، بذل كل شيء في سبيل المسيح . يترك تلميذه بيته وأهله وماله وراحته.. بل يترك نفس حياته. وفيسبيله يحتمل الألم والعار والهوان والموت !!

يا له من طريق !

طريق مملوء بالعرق والدم . . بلا مجد . ان ساسة القوم يتكلمون عن العرق والدم الممتزجين بالمجد . أما هو فيتكلم عن موت مهين !!

ولا بد أن التابعين اهتزوا وهم يسمعون كلماته المدهشة . انهم يتبعونه لكي يجلس واحد عن يمينه وآخر عن يساره في مجده . وهم يتبعونه لكي يجلسوا معه على كراسي ويدينون أسباط اسرائيل. انهم لم يفكروا مطلقاً في اتباع كهذا الذي يشير اليه!

وإذ تبدو عليهم علامات التردد يكمل كلامه معهم طالباً منهم ان يقرروا أمرهم باتّزان وبهدوء لا بعجلة وبعدم درس . ويذكر لهم مثل الرجل الذي قصد أن يبني برجاً وكيف انه جلس أولاً وحسب حساب التكاليف ورتب أمرها ومن ثم شرع في البناء. هذا رجل عاقل. أما الجاهل فيبدأ في البناء قبل ان يحسب حساب النفقة. ولكنه بعد قليل يكتشف ان ما معه من المال نفد فيكفّ عن البناء. ويمرّ الناس على « برجه الناقص » ويتحدثون عن « أبراج ناقصة » في رأسه. ويبتدىء جميع الناظرين يهزأون به قائلين هذا الانسان ابتدأ يبني ولم يقدر أن يكمل !!

وكذلك ذكر لهم مثلاً آخر يؤكد فيه لزوم حساب النفقة . ملك تعرّض لاشعال نار الحرب ضد ملك آخر. يجلس أولاً ويتشاور هل يملك الجند والسلاح

الذي يمكنه من محاربة عدوه فاذا لم يكن ذلك ميسوراً فانه يرسل سفارة و يسأل ما هو للصلح !

وقال السيد وان يكن بغير كلام انه إذا كان الناس يحسبون حساب النفقة في أمورهم الهامة فيتقدمون أو يتأخرون تبعاً لاستعدادهم أو عدم استعدادهم، فأولى بهم في أمر خطير، أخطر من كل ما في حياتهم وهو اتباعهم للمسيح، أولى بهم ان يجلسوا أولا و يحسبوا النفقة ، هل يقدرون أن يتركوا الأب والأم والأخ و يحملوا الصليب هل يقدرون أن يفعلوا ذلك ؟ ؟

وهو يقولها لهم كلمة صريحة

«فكذلك كل واحد منكم لايترك جميع أمواله لايقدر أن يكون لي تلميذاً» !!

٧٠
أخوك

«فقال له يا بني أنت معي في كل حين و كل مالي فهو لك. ولكن كان ينبغي ان نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد» لوقا ١٥ : ٣١ ، ٣٢

كان رجلاً كبيراً بين قومه وقد أعطاه الله بسطة في عيشه . ولا نعلم لماذا نتخيله رجلاً شيخاً اللهم إلا ان يكن في أبوته لشاب ما يصير منه شيخاً . وكان من سراة القرى على الأغلب وقد جمع ثروته من الزراعة والتجارة. وكان بيته يضم عدداً كبيراً من الأجرى !

أما أسرته نفسها فلا نرى منها الاه وولدين، شاب صغير وشاب أكبر منه . ربما كان في البيت آخرون ولكننا لا نراهم . وزوجة الرجل كسائر نساء القرية محجبة لا نراها ولا نسمع شيئاً عنها ، ولكننا ولا شك سنحس أثرها إذا ما دققنا في التمعن بين سطور القصة !!

وتبدأ قصتنا بمنظر مفاجيء لم يكتب له الكاتب مقدمات. الابن الأصغر يقول

لأبيه ، يا أبي أعطني ما يصيبني من المال . وأجاب الأب طلبة الابن فقسم معيشته بين ابنيه!!

على ان رغبتنا في التقصّي لانسمح لنا بالاكتفاء بما جاء في القصة فنحن نسأل لماذا جاء الابن ولماذا طلب . وهل كان في طلبه ذا نية حسنة أم نية سيئة . وماذا كانت علاقة الابن بأفراد أسرته . وهكذا !؟؟

وليس من الصعب ان نجيب عن هـذه الأسئلة وان كنا لا نجزم بصحة الجواب. لكننا نجزم بأن افتراضاتنا ستكون أقرب الى الحقيقة !!

ولقد ظن الكثيرون أن الشاب الأصغر لم يسلك في طلبه مسلكاً غريباً فقد سبقه شـباب كثيرون لم يشاءوا أن يعيشوا في القرية يعملون في زراعة والديهم فآثروا أن يأخذوا نصيبهم من مال أبيهم ويتاجروا به في البلاد المجاورة . وكان كثيرون من هؤلاء ينجحون و يثرون . غير أننا نظن أن شابنا لم يكن من هؤلاء ، في نتيجته بالطبع ، وفي قصده الذي ظهر في مسلكه حالما ترك بيت أبيه !

نعتقد انه ضاق ذرعاً بالحياة في بيت أبيه وانه طلب ان يتحرر من قيود البيت وانه لم يجد بين أفراد أسرته من يرشده إلى الصواب . ونحن لا نعجب انه يضيق ذرعاً بالحياة في البيت . فللبيت قوانين يحسبها بعض الشباب صارمة . ينبغي ان يذهب الابن إلى الحقل و يعمل فيه اكبر كمية من الوقت . وليس هناك وقت للجلسات الفضولية أو السهرات الماجنة . كما ان البيت يحرم على الابناء ما يطلبونه من المحرمات كالتدخين ان كان هناك تدخين وقتذاك أو الشرب.وكان من الواجب ان يعود الابن إلى البيت في وقت مبكر و يذهب إلى فراشه في وقت مبكر لـكي يتمكن من الاستيقاظ في وقت مبكر !

والمرجح ان شابنا كان معجباً بشبابه و بمال أبيه وانه كان له صحب ورفاق من الشباب العاطل في القرية وانهم كوّنوا له حاشية تعيش في ركابه وتتملقه وانه كان يختلس بعض الأوقات و بعض المال الذي يساعده على بعض السهرات الماجنة!!

ولم يعلم الأب بما كان ابنـه يعمل فقد كان الآباء يعيشون في شبه عزلة عن أسراتهم . كانوا يظنون أن عزلتهم توليهم كثيراً من الوقار !!

أما الأم فلعلها كانت العامل الأكبر في تلف الابن. يغلب انها هي التي كانت تعطيه المال سراً . ويغلب انها لم تكتف بأن تعطيه ما يتوفر معها من المال ولكنها كذبت على رجلها في كشوف الحساب . ويغلب انها باعت شيئاً من حليها بل لعلها انتهى الأمر بها ان باعت كل حليها وأعطت الابن ثمنه شيئاً فشيئاً. ويغلب انها « سترت » على ابنها وهي تراه يدخن وأخفت أمر تأخره في الليل . كانت تظل ساهرة بعد نوم زوجها حتى إذا أحست باقترابه نزلت الى الباب حافية القدمين وفتحت له دون أن يسمع أحد حساً!!

وكان الأب إذا ما أراد أن يأخذ على الابن شيئاً تصدت له ودافعت عن ابنها. وربما توترت علاقاتها مع زوجها بسببه !!

أما الشخص الرابع في العائلة وهو الابن الأكبر فقد أصيب بعقدة نفسية وهو يرى أخاه ينال عطف أمه . وربما لاحظ عطاياها السابقة له ، ولاحظ تميزها له في الطعام والشراب والثياب ، ولاحظ انه يملك مالاً في حين انه هو لا يملك شيئاً . ولم ينظر الشاب إلى أخيه على انه أخ بل جعل ينظر اليه كمنافس وغريم . وجعل يضيق عليه وينقل أقاصيص اهماله وعبثه إلى أبيه . وكانت تقوم مشادات بينهما بحيث أصبح ما بينهما لا يشبه بالمرة ما ينبغي ان يكون بين الأخ والأخ . وضاق الشاب ذرعاً بأخيه وبمسلك أخيه . فذهب إلى أبيه وطلب منه ان يعطيه ما يصيبه من المال !!

ولا شك ان الأب لم يجب الطلب بالسهولة التي نقرأها . فقد استمرت مدة الطلب على الأغلب سنة وربما اكثر من ذلك . وحاول الأب ان « يعقّل » ابنه ويضرب له الأمثال ويلقي له الحكم . وربما طلب من فلان أو فلان ممن هم ذوو

تأثير ان يتحدثوا اليه فلعله ان يعود الى صوابه ولكن الشاب ركب رأسه وأصرّ أن يأخذ نصيبه و يذهب !!

والأم ، ليس من شك انها حاولت هي الأخرى محاولات مستقتلة ان تؤثر على ابنها. لقد بكت كما لم تبك أم على موت وحيد وكان قلبها ينزف دماً وهي تتضرع اليه الا يأتي هذه الفعلة الشنعاء التي ستذهب بها وتنهي حياتها . ولكن الشاب لم يعبأ بتوسلات أمه بل أصرّ على ان يبتعد عن ذلك الجو البغيض الى حيث يحسّ بكيانه و باستقلاله وحيث يتنسم ريح الحرية و يستريح من أب قاس وأخ كريه !!

وخضع الأب أخيراً !

وأعطى الابن نصيبه من المال !

وجمع الشاب ماله !

وانطلق الى بلاد بعيدة !

وهل كان يمكنه ان يبقى حيث كان ؟؟

اذن لماذا طلب نصيبه من المال؟؟

سيذهب الى بلاد بعيدة ، حيث لا يعرفه أحد ولا يحاسبه أحد، وهناك يكوّن بينه تكويناً جديداً . وما الذي يخشاه في البلاد الجديدة . ان معه المال والمال عضد للرجل يشتري له كل شيء. يشتري له البيت والأثاث والطعام والشراب.. والخدم.. والأصحاب . نعم والاصحاب أيضاً . وسيكون سيداً بين قومه الجدد !

وهكذا كان !!

فقد أقام في قصر !!

وحفلت مائدته بأطيب الطعام وأفخر الشراب !!

وخدمه وعبيده كانوا جيشاً !

أما أصحابه فكانوا بلا عدد !!!

يا لأولئك الأصدقاء الأعزاء !

انهم من الاخلاص بحيث لايتركونه لحظة واحدة. اذا ما تأخر يوماً في نومه، أو أحسّ وعكة خفيفة في جسمه جاءوا واللهفة تملأ وجوههم والاضطراب يبدو خفقات على قلوبهم .. !!

وهم من الكمال بحيث لا يأخذون عليه شيئاً . لقد كان من التهور بحيث كان كثيراً ما يسيء اليهم ولكنهم لم يشيروا أقل اشارة الى اساءاته !!

كم كانوا يكرمونه !

اذا تحرك تحركوا !!

اذا تكلم انصتوا !!

اذا همّ وقفوا !!

اذا وقف انحنوا!! .

اذا قال ملحة تافهة اغرقوا في الضحك !!!

اذا كذب صدقوا وأكّدوا !!

وكانوا من الكرم بحيث لم يجرحوا احساسه في نفقات لياليهم العابثة. لم يجسر أحدهم ان يدفع شيئاً، وهل يليق ان يخدشوا كرامته وهو الرئيس وهو الأمير ؟!؟

وكانوا جميعهم من الشباب المرح الضاحك ..!!

وحدث ان صديقاً قديماً لأبيه رآه وطلب ان يتحدث اليه على انفراد فقبل كارهاً. وحاول ذلك الرجل الكريه ان يبين له ان أصحابه هم عصابة لصوص وأن حياته حياة حماقة . فلم يستمع له اكثر من ذلك بل ثار في وجهه وقذفه بكل كلمة نابية واتهمه بقلة اللياقة وقلة الأدب، اذ كيف يسيء الى اخلص الأصدقاء وأكرمهم . ثم اتهمه بالرجعية والتأخر اذ كيف يطلب منه ان يعيش حياة اخرى وهو شاب . وأعطاه درساً جديداً في ما ينبغي ان يعامل به الشباب !!

وعاد الى اصحابه وقد بان الغضب على وجهه . فلما استوضحوه الامر قصّ

عليهم ما حدث بينه و بين ذلك الرجل البغيض فأغرقوا في الضحك وهم يسمعون الشاب يحدثهم عما اساء به اليه وانطلقوا يتحدثون كلهم في وقت واحد :

لا شك انه حفظ الامثولة جيداً !

يا للأحمق لقد ظن انك مأكل لـيّن !!

وهل يظن الاحمق ان الشباب ينبغي ان يعيش كالشيوخ ؟

اعله طلب اليك ان تبكر في النوم ؟!

ترى هل طلب منك ان تقرأ الكتاب المقدس ؟!!!

لا بد انه حضك على الذهاب الى الكنيسة !!!

وكانوا يتكلمون بهذه العبارات و ينطلقون في ضحكات طويلة ساخرة. وكانت زيارة الرجل حديث سخريتهم وسمر لياليهم !!

* * *

واستمرت حياة صاحبنا على هذا المنوال عبث ومجون . وليالي مستهترة وخمر وقمار ونساء بين شباب عاطل احمق !!

وقد جاءه عدد من الناصحين أرسلهم ابوه مراً. ولكن الشاب رفض نصيحتهم وأساء مقابلتهم وحدثهم بجفاء . بل بلغ من وقاحته انه طردهم فهو يعتقد أنهم خصومه وهو يبغضهم . انهم يذكرونه باخطائه وعيوبه ويحاولون ان يبعدوه عن اصحابه !

وبدأت أحواله المالية تسوء . وجد في اول الامر من يقرضه ولكنه عجز عن الوفاء فكفّ أصحاب المال عن أقراضه واضطر الى ان يبيع ما عنده شيئاً فشيئاً الى ان باع كل شيء . وأصبح يوماً فاذا هو لا يملك شيئاً بالمرة!!

وتصادف لشدة نحسه ان امتنع المطر في ذلك الاقليم فحدث جوع واشتدت الازمة المالية فكان ذلك ضغثاً على ابّالة !!

وطرق الشاب أبواب أصدقائه فتنكروا له وتهربوا منه . وكلّم بعضهم بشدة

وو بخوه من أجل إسرافه وسخر بعضهم منه ومن حماقته . وربما أشار عليه بعضهم ان يعود الى بيت أبيه !!!

وضاق به الامر فبذل ماء وجهه وتلمس ان يعيش فقط . والتصق بأحد أغنياء تلك المدينة فأرسله الى حقوله ليرعى خنازيره. وقبل الشاب فكان راعياً للخنازير!

يا للعـار !

الشاب ابن الأمـير !

ابن البيوتات !!

ابن النعيم !!

ابن العز !!

الشاب الذي يبدو خدام أبيه سادة !!

ينحدر !!

و ينحدر!!

حتى يصبح راعياً للخنازير !؟!!

وقد بلغ به الجوع حده فكان يشتهي ان يملأ بطنه من طعام الخنازير !

ولنا ان نتصوّر ذلك الشاب وقد انقلب خنزيراً . ثوبه قطعة قماش مهلهلة ممزقة كان لها لون في أحد الايام ولكن الدهن والاقذار قد أحالتها وأحالته معها الى قطعة قذرة من شيء لا نعرف ماذا ندعوه !!

كان الشاب في أتعس حالة ولكنه لم يكن يدري . كان كأنه يحلم . بل اكثر من ذلك كان بعيداً عن أي وعي !!

هل كان يدري ؟ لا يمكن أن يكون الجواب نعم وإلا فانه ما كان يمكث حيث هو لحظة واحدة !

هل كان يحلم .. كلا . كلا . وإلا استيقظ كما من كابوس مروع !!

ترى كم بقي في حالته هذه ؟ لا نعلم . ولكننا نعلم انه في أحد الايام عاد الى

نفسه . انتبه لنفسه وأبصر بؤسه وتعاسته . لم يصدق انه وصل إلى هـذا الحد من الجوع والعري والمهانة . لا شك انه نظر إلى نفسه ولمس جسمه واسماله وفرك عينيه فلما تأكد انه مستيقظ قال في نفسه : كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعاً !

أقوم وأذهب الى أبي !

وأقول له :

«يا أبي أخطأت

الى السماء وقدامك

ولست مستحقاً

ان ادعى ابنك

اجعلني واحداً من أجراك !! »

* * *

قال لنفسه تلك الكلمات ولكن عقبات وقفت امامه تمنعه من تنفيذها

كيف يعود الى أبيه بعد أن عمل ما عمل؟؟

وهل يعود بثيابه القذرة هذه ؟؟

هل يعود ببؤسه وتعاسته ؟؟

ألا يجدر أن ينتظر قليلاً حتى يحسّن حاله شيئاً؟؟

ألا يجدر أن يبحث عن صديق لأبيه ينفض اليه حالته ويرجوه ان يتوسط له؟؟

ألا يستحسن أن يرسل من يجسّ امامه الطريق ؟؟

ولنفرض ان أباه طرده ؟

وان أخاه أغلق دونه الباب ؟؟!!

على ان الشاب تغلب على كل العقبات

وقام !!

وجاء الى أبيه !!



الابن الضال

ورآه أبوه من بعيد !

هل كان ينتظره؟؟

هل كان يعلم بمجيئه ؟؟

نعم كان أبوه ينتظره وكان يعلم بمجيئه . ونعتقد انه لم يكف عن إرسال الرسل الى ابنه يؤكدون له ترحيب أبيه به. ربما لم يخبروه ان أباه أرسلهم ولكنهم نصحوه. وكان لأبيه رجال يرقبون حالة الابن فأرسلوا للأب ان ابنه قرر أن يعود . ومن ذلك الوقت جعل الأب يرقب الطريق . وفي صباح أحد الايام رآه من بعيد!

رقص ذلك الرجل الشيخ!

هذا هو !

انه ابني !!

وركض يستقبله !!

أبصر الابن أباه فغاص قلبه فيه ولكنه لم ينكص الى الوراء بل طرح نفسه عند قدمي أبيه يحاول ان يبعد جسده القذر عنه . ولكن الأب تلقاه بين ذراعيه ووقع على عنقه وقبّله !

لم يصدق الابن عينيه !

هل يقبله أبوه هل يقبله حقاً . ونطقت شفتاه :

« يا أبي !

أخطأت الى السماء وقدامك

ولست مستحقاً ان ادعى لك ابناً »

على انه قبل ان يكمل حديثه صاح الأب بخدامه :

« اخرجوا الحلة الاولى

وألبسوه

واجعلوا خاتماً في يده وحذاء في رجليه

وهاتوا العجل المسمن

واذبحوه

فنأكل!

ونفرح!

لان ابني هذا

كان ميتاً!!

فعاش!!

وكان ضالاً!

فوجد!!

وانقلب البيت. وفي لحظات تغيّرت تلك الكتلة المفنة من القذارة الى شاب جميل أنيق، وذلك الوجه الشاحب سرت فيه الدماء. وذلك الكائن الحقير أحسّ انه ابن له كل حقوق البنوة. وتغيّر جو البيت. لقد استمر البيت منقبضاً حزيناً سنين هذا عددها. لم يعرف أحد فيه طعم ابتسامة. أما اليوم فان كل شخص وكل شيء يطرب ويضحك. وكان الفرح حقيقياً

فرح الأب!

وفرحت الأم!

وفرح الخدام!

كان فرح شامل!!

على ان الابن الاكبر كان في الحقل ولم يدر بما حدث. فلما عاد سمع صوت آلات طرب ورقصاً فسأل واحداً من الغلمان فأخبره ان أخاه رجع وأن أباه قد قبله سالماً

كنا ننتظر ان الأخ يركض ليستقبل أخاه ويقبله بعد الغيبة الطويلة. وانه يسّر انه عاد الى عقله ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك بل غضب ولم يرد ان يدخل!!

وعلم الأب بغضب ابنه فخرج اليه يسأله عن سبب غضبه، فانفجر فيه يقول ها أنا أخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك وجدياً لم تعطني قط لأفرح

مع أصدقائي ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن؟!!!

حزن الأب كثيراً . لقد كان يظن ان ابنه أسمى مما هو . انه يتحدث مع أبيه كاشفاً نفسه . كان يخدم كعبد ينتظر أجرة ، وكان أنانياً بل قد أغرق في الانانية فلم يرَ أن ذلك الابن العائد هو أخوه . وقد تقسّى في حكمه عليه. وكان جامد العاطفة فهو ينتظر ان أباه يطرد الضال ولا يقبله . هذا والابن لم يسيء الى اخيه اذ كانت الاساءة ضد الاب . والاب يعفو ولكن الاخ لا يريد ان يعفو !!

شكراً لله ان الامر ليس في يد الاخ!

حزن الاب وتكلم مع ابنه كلمات عميقة:

«يا بني
أنت معي في كل حين
وكل مالي فهو لك
لكن كان ينبغي ان نفرح ونسرّ
لأن « أخاك » هذا
كان ميتاً
فعاش
وكان ضالاً
فوجد !! »

* * *

لقد ظن الكثيرون ان الابن الضال كان الابن الاصغر والحقيقة غير ذلك . نعم كان الابن الاصغر ضالا ولكنه كان ضالا فوجد . أما الابن الاكبر فكان ضالا ولم يوجد !!

٧١

وكيل الظلم

« أعط حساب وكالتك لانك لا تقدر ان تكون وكيلا بعد » لوقا ١٦ : ٢

كان انسان غني وكان له وكيل !

كان الغني يترك أمواله يديرها وكيله وكان هو يقيم في المدينة تاركاً حقوله اطلاقاً تحت إشراف الوكيل . بل كان في كثير من الاوقات يترك البلاد ويقيم الجانب الاكبر من السنة في مدينة رومية عاصمة الامبراطورية !

وكان الوكيل — في العادة — يتصرف في مال سيده تصرف المالك . يستولي على الجانب الاكبر من المال ويرسل للسيد ما يفيض عنه . وكان يمكن أن يستمر الحال هكذا لولا ان عيون الناس مفتوحة وان كثيرين منهم يحسدون الوكيل وكثيرين تقع بينهم وبينه خصومة . وبعض العمال الذين يضع الوكيل عليهم عقاباً ينتهزون الفرصة ويبلغون سيد المال عن سرقات الوكيل . وقد وصلت بالفعل شكاوى لا عدد لها ضد الوكيل ووصلت مع الشكاوي أسانيد كافية تحكم بصدق ما اتهموه به !!

انه لا يتناول إلا عشرة جنيهات شهرياً مرتباً عن عمله ولكنه ينفق على بيته مالا يقل عن خمسين شهرياً . وهو يسافر الى المصيف سنوياً وينفق مئات الجنيهات . وقد زوج ابنه وابنته وأقام ولائم يعجز كبار الاغنياء عن إقامة مثلها . وله سهرات خمر وقمار . ما اكثر ما ترك المائدة بخسارة عشرات المئات من الجنيهات فمن أين جاء بكل هذا ؟؟

وتأثر صاحب المال بكل هذا فأرسل الى الوكيل يعزله من الوكالة ويطلب منه ان يعطي حساب وكالته قائلاً له انه لا يقدر أن يكون وكيلاً بعد !!

ووقع الخبر على الوكيل وقوع الصاعقة. انه لم يستعد لذلك اليوم، و إلا لادّخر جانباً من سرقاته. ولـكنه كان يعيش عيشة التبذير مطمئناً الى انه سيظل سيد المال فعلاً. لكنه اخطأ الحساب فها هو يتعرض لترك الوكالة ... فماذا يفعل ؟

وها نحن نسمع همسات صدره وهو يحدث نفسه، ماذا أفعل لان سيدي يأخذ مني الوكالة . لست استطيع ان أنقب وأستحي ان أستعطي !

قيل انه قصد بقوله لست أستطيع ان أنقب انه لا يستطيع ان يسرق . وقيل بل قصد انه لايستطيع ان يفـلّح الارض. وسواء كان قصده هذا أو ذاك فان معنى قوله انه لا يجد باباً يستطيع ان يلجه لـكي يعيش العيشة اللينة التي تعوّد ان يحياها !

واستمر الرجل يتحدث الى نفسه وهو يقلب الامور على مختلف وجوهها ، و يدرسها دراسة مستفيضة. وقد كان رجلا جم الذكاء فلم تفته نقط الضعف في كثير من الآراء التي عرضت له . ولـكنّـه أخيراً أشرق وجهه بابتسامة رضاء وقال ، قد علمت ماذا أفعل حتى إذا ما تركت العمل أجد مكاناً في بيوت الناس . ذلك انه راجع حسابات الديون التي لسيده على كثيرين من سكان الاقليم فـكانت مبلغاً جسيماً. لماذا لا يستولى إذن على جزء من هذه الديون . انه يستطيع ذلك إذا اتفق مع اولئك المدينين وهم سيقبلون ذلك لانه ربح لهم على كل حال « وبارك الله في من نفع واستنفع » كما يقولون ! !

و إذ ذاك دعا المدينين واحداً واحداً . فسأل أولهم كم عليك لسيدي واجاب الرجل مئة بت زيت فقال خذ صكك ومزّقه واكتب بدلاً من المئة خمسين . وبالطبع تُقسم الخمسون بين المدين والوكيل . وجاء الثاني وكان مديناً بمئة كرّ قمح وتغير الصك الى ثمانين. وظل الوكيل يغير في صكوك الدين حتى اجتمع له من ذلك التغيير الشيء الـكثير . بالطبع فعل ما فعل بعد أن اتخذ الحيطة الـكاملة حتى لا يقع تحت طائلة القانون

و بلغ الأمر الى السيد ولم يرقه بالطبع ما عمله وكيله من سرقة. ولـكنه لم يستطع

ان يخفي إعجابه بمهارته وحكمته. فقد استطاع الوكيل ان يشغل مال الظلم لنيل مكان في بيوت المدينين وفي مالهم. وعندما يسلم حسابه سيجد له مكاناً في بيوت الكثيرين!

* * *

ألقى السيد هذه القصة ثم علّق عليها بالقول ، ان أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم . انهم يعملون على ضمان مستقبلهم بخلاف أبناء النور الذين لا يفكرون في غدهم كثيراً !!

وقال السيد « وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية » . و«مال الظلم» تعبير يهودي عن المال اطلاقاً. وقد جاء مرافقاً لكلمة « الظلم » لأنه لا يصل الى الناس إلا في طريق من عرق المظالم ومن دم المظالم. ولقد نكون نحن أبرياء من مظالمه ولكنه يظل بالرغم من ذلك مال الظلم !

وأوصى السيد أن نحوّل مال الظلم هذا إلى ما يساعدنا على الدخول إلى المظال الأبدية . فاذا ما خزنّا المال هنا فانه سيستمر مالاً جامداً نضطر أن نتركه هنا عندما يدعونا السيد اليه. أما إذا شغلناه في إطعام الفقير وكساء العريان واغاثة الملهوف، فانه يتحول الى رحمة والى محبة والى خدمة، وهذه تستطيع الدخول الى السماء وتكوّن لنا بيوتاً خالدة هناك . ألم يقل السيد للذين عن اليمين ، تعالوا إليّ يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لاني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ، كنت غريباً فآويتموني ، عرياناً فكسوتموني ، مريضاً فزرتموني ، محبوساً فأتيتم إليّ . . ثم يقول ، بما انكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم ! !

٧٢
رسالة من جهنم

« فقال ابرهيم يا ابني اذكر أنك استوفيت خيراتك في
حياتك وكذلك لعازر (استوفى) البلايا . والآن هو
يتعزي وأنت تتعذب » لوقا ١٦ : ٢٥

١ - الرجل السعيد

جلس سيد القرية في شرفة قصره الكبير يلقي نظرة متعالية على الحقول الممتدة أمامه، و يجري - في سكون - حسبة قصيرة عما يمكن ان يناله منها في نهاية المحصول . وأضاف الى ذلك ربحه الكبير من متاجره الواسعة منذ ان ارتبط بكبار تجار روما ..

وابتسم ابتسامة الرضاء !

انه يملك مالا كثيراً !!

و يعيش عيشة راضية !!

وهو على ذلك ليس مثقلا بضمير مجروح!!!

انه لم ينهب حقوله من اصحابها الفقراء . لقد ورث بعضها واشترى بعضها الآخر . لا يستطيع «فلاح» ان يقول انه طرده من حقوله !

والعمال الذين يشتغلون في حقوله راضون عن الخدمة معه . انهم لا يتناولون أجراً كبيراً، ولكن الأجر الذي ينالونه ، ان لم يكن اكبر من الاجر المعتاد ، فهو ليس أقل . نعم انه أجر لا يكفي، والعمال بعد طول الكدح لا ينالون إلا كسرة الخبز الاسود ، لكن ماله هو وهذا ؟ انه لا يظلمهم وفوق ذلك فانه لا يؤخر أجرهم!

وهو ليس بخيلا !

انه لا يجمع الدرهم فوق الدرهم !

والدينار فوق الدينار !

كلا . انه ينفق كثيراً !!

انه يلبس الارجوان والبز!!

و يتنعم كل يوم مترفهاً !!

مائدته حافلة في كل يوم !!

ووكلاؤه في مختلف الاقطار يعملون جاهدين على تزويده بأحدث الازياء وأحدث ألوان الطعام!!

هو ليس بخيلا مقتراً!!

انه يعيش !!

و يفهم الحياة على حقيقتها !!

وهو متدين !!!

انه يذهب الى الكنيس كل يوم !

و يقدم عطاياه في مواعيدها !

نعم انه لا يسلك في متعاته بالصورة التي يرسمها بعض المتحزلقين في الدين . انه يشرب أحياناً أزيد مما يلزم . انه يقيم حفلات رقص تختلط فيها الصـدور بالصدور. ولكن هذه الحفلات نادرة لا تقام إلا في المناسبات. ثم هو يقدم للكنيس بعد الحفلة أو قبلها تقدمة كبيرة !!!

وعند ما يزوره الكاهن أو الحاخام يستقبله اكرم استقبال و يطلب منه ان يذكره في دعواته لله !!!

انه شخص مبارك !

وقصره قبلة الانظار !!

* * *

٢ — انسان تعس

والى جانب القصر يوجد ركن صغير اعتاد الخدم ان يطرحوا فيه النفاية . وكانت خليطاً من بقايا الطعام من عظم وادام ، وأتربة وغبار وأشياء بالية . وكانت الـكلاب تجتمع في ذلك الركن تبحث عن طعام ، الـكلاب الضـالة لا كلاب الرجل الغني !!

ولـكنك إذ تحقق النظر تجد بين الـكلاب، كائناً، لا يختلف عن الـكلاب في شيء إلا بأنه اسوأ حالاً منها !

هو انسان !؟!

ولـكنه انسان ممسوخ !

أحاله الجوع هيكلا من عظام

وأحاله المرض كتلة من القروح . ملأت القروح كل جسمه وكان العري واختلاف الطقس والحشرات تزيد عدد قروحه وتمنع من برءها . وكان ألم الرجل منها لا يُطاق !

انسـان !؟!

ولـكن الحيوانات كانت أحسن حالا منه !

كانت كلاب الغني وقططه تجد من العناية مالا يحلم ان ينال جزءاً منها. كانت الحيوانات تحس ان لها أسرة وهو بلا أسرة . لا أب ولا أخ ولا صديق ولا بيت!

كانت الحيوانات تجد الطعام والدفء وهو لا يجد شيئاً من ذلك !!

انسـان !؟!

ولـكن الناس تبرأوا منه !

لم يعطف عليه انسان من اخوته !

تحجرت قلوبهم ضده !

وصاحب القصر كان ينفر ولا شك من شكله ويتقزز من قروحه ويسد أنفه من خبيث رائحته . وربما طلب ان يكنسوه بعيداً عن قصره !!

وخدام القصر عاملوه شراً من الكلاب!

لم يجد صديقاً واحداً بين الناس!!

فجاءت الكلاب وصادقته !

ولحست قروحه !!



الغني ولعازر

يا للهول !

الكلاب أرق قلباً من الانسان !؟!

وهل يرى ذلك الغني نفسه حقيقاً بأن يعتبر انساناً وهو يسلك شراً من الوحوش؟ اعجب كيف كان يستطيع أن يستطيب طعامه «واخوه» يتلوى من شدة الجوع . أو كيف كان يتلذذ بشرابه « واخوه » يلتهب من «الحمى» المحرقة. أو كيف يرون النوم أجفانه وتنهدات «أخيه» تصعد الى السماء زفيراً . كيف استطاع ان يمنع عينه من البكاء وقلبه من الذوبان وهو يرى التعاسة المتجسمة في ذلك الكائن البائس المطروح عند بابه ؟؟

لقد بلغت قسوة الرجل حداً لم تجد اللغة على بلاغتها تعبيراً عنها إلا في تلك

الكلمات « يشتهي ان يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني . بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه »

* * *

٣ — الموت الجبار

ودارت الأيام دورتها العادية نهار وليل و برد وحر وزرع وحصاد. كان كل يوم يحمل للغني لوناً جديداً من المتعة، وفي نفس الوقت يحمل للفقير لوناً جديداً من الشقاء. كان كل يوم يحمل للغني ابتساماته وضحكاته وأغانيه وأهازيجه وأمجاده ، وفي نفس الوقت يحمل للفقير جوعاً وعرياً وألماً وتنهداً وهواناً بحيث كانت الشمس له نذيراً ببؤس والظلمة لا تنطوي بالنسبة له إلا على تعاسة. في الليل يسأل متى ينقضي الليل وفي النهار يقول متى يأتي الليل ؟؟

ترى هل صرخ يوماً « لم يعطى لشقي نور وحياة لمرّي النفس. الذين ينتظرون الموت وليس هو ويحفرون عليه اكثر من الكنوز المسرورين الى ان يبتهجوا الفرحين عندما يجدون قبراً ؟؟ »

وهل شارك ذلك المريض القديم في قوله « يا ليت طلبتي تأتي و يعطيني الله رجائي . ان يرضى الله بأن يسحقني و يطلق يده فيقطعني »

ربما !

ربما سكت .. واستسلم !

وربما شكا وتألم !

ولكنه وصل اخيراً الى نهاية المرحلة !

مات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابرهيم !

ومات الغني ايضاً ودفن !!

ولقد تستهوينا العبارة «حملته الملائكة الى حضن ابرهيم» وهي عبارة تستهوي

حقاً ولكننا نلمح خلفها أمراً قد لا يبدو واضحاً لولا ان العبارة التي التصقت بالغني تلقي عليه ضوءاً « مات الغني ايضاً ودفن »

هنا تشابه وتناقض!

مات المسكين ومات الغني!

لم يميز الموت بين هذا وذاك. بل ساوى بينهما!!

أيها الموت العظيم!

أيها الموت الكريم!!

كم أنت حلو!!

انني أعشقك وأحترمك!!

ما أرحمك بالناس!!

انك تمد يدك للجميع بدون تمييز. بل اني ليخيّل اليّ ان يدك تمتد هينة لينة الى المسكين. أو لعلّها خشونة حياته هي التي جعلت يد الموت رقيقة لينة. ويخيّل اليّ ان يدك تمتد قاسية عنيفة الى الغني أو لعلّها ليونة حياته هي التي جعلت يد الموت قاسية عنيفة!!

ولقد سمعت بين ما سمعت ذلك الصوت الرقيق يستقبل الموت بالاشراق والقبلات. كما سمعت تلك الصرخات المروعة من تلك الوجوه التي انقلبت كوجوه الأبالسة وهي تستقبل الموت!

ولا شك ان لعازر بسط ذراعيه واستقبل الموت كما يُستقبل الحبيب الذي طال بعاده!!

كما ان الغني انكمش في فراشه ومدّ يديه في رعب وهو يقول، كلا. ليس الآن. لا أريد أن أموت!!

مات المسكين!

ومات الغني!

على ان المسكين حملته الملائكة الى حضن ابرهيم !

والغني دفن !!؟

ألسنا نرى في ذلك ان المسكين لم يدفن ، أو بأدق عبارة لم يدفن « دفنة » معتبرة . أما الغني فكانت له جنازة تحدث الناس عنها !

لم يشرح الكتاب ذلك الموضوع ولم يذكر تفصيلاته . وهل من اللازم ان يفعل ذلك . ألسنا نرى كل يوم مسكيناً يموت وغنياً يموت ويدفن. لماذا نعود الى الغني الذي رآه يسوع وأمامنا عدد كبير من هذا الغنى. ولماذا نفكر في لعازر القديم ومئات الألوف منه تقف في طريقنا كل يوم ؟؟

ها هو غني يقيم في هذا القصر الكبير أمامنا !

ها هي الطرقات تعبّد حول بيته والأشجار تغرس والمصابيح تقام . ولكن في الجانب الخلفي توجد بقعة كريهة فيها عشش حقيرة . كل عشة تضم عدداً من الكائنات التعسة التي تحسد الكلاب والقطط التي في بيت الغني . . في كل عشة من هذه العشش يقيم لعازر!

ها هو الغني الذي حدثنا عنه يسوع!

وها هو لعازر !!

مرض الغني فاهتزت المدينة بل الأمة بل العالم المحيط . ان للغني ارتباطاته المالية والسياسية والاجتماعية والدينية . واذا مرض فان اسعار البورصة تهتز والأحزاب تتطلع بذعر الى ما عسى ان يكون . وألف مسألة ومسألة اجتماعية ودينيـة تتساءل ما يمكن أن يتأتى من مرض الغني ؟ !

والقصر يموج بالأطباء و بالزائرين كخلية نحل. والاهتمام يتجلى في صور مختلفة وقد اكتست الوجوه بعبوس حقيقي أو مصطنع!!

والنشرة الطبية تفيد أن المرض خطير وانه قد استعصى على الأطبـاء . وان طبيباً من مصر قد أقبل وطبيباً من فارس وآخر من اليونان وان رومة قد

أرسلت بعثة طبية . وان آخر مستحدثات الطب ترسل بمختلف الوسائل !!

كانت قوتان عظيمتان تتصارعان المال والموت . المال الجبار الذي انتصر على كل شيء . المال الذي بنى مع القصر عمد المجد . المال الذي جعل دمامة الغني جمالاً وسخافاته حكمة وشروره ومباذله مُثلاً عليا وسماجته وثقل دمه خفة روح وبخله تقديراً وتبذيره سخاء وكرماً . المال هو القوة السحرية التي أجرت كل ذلك !!

نعم. المال الذي جعل رجال الحكم يخضعون القوانين لصالحه ورجال الأحزاب يتملقونه.. بل دولة الاحتلال، على طغيانها وجبروتها، مالأته وسايرته وخضعت لمطالبه

نعم . المال الذي أقام طريقاً في الارض وفي الماء وشق انفاقاً في الجبال وتحكم في الهواء كما بلُجُم . المال الذي سخر كل القوات لخدمته . هذا المال العظيم وقف عاجزاً أمام الموت !!

واستعان المال بالأطباء و بالدواء فهم يقاومونه بكل ما استطاع العلم ان يكتشفه و يخترعه. كما استعان برجال الدين يقيمون الصلوات و يرفعون الأدعية . وهل نقول انه استعان بالدجالين والسحرة فهم يكتبون التمائم والتعاويذ و يستخدمون مردة الجان في محاربة الموت. نعم استعان المال بكل ذلك !!

ولكن الموت وقف يسخر من كل هذا. وقد حلاله ان يداعب هؤلاء فهو يبدو كأنه ينهزم أمام الدواء أو أمام الأدعية أو أمام السحر . وهذا الطبيب يسير شامخ الأنف فقد استطاعت وصفته ان تنزل درجة الحرارة قليلا. وهذا القسيس يصطنع حياء وتواضعاً كاذباً فقد استطاعت صلاته ان تطرد شبح الموت الى غير رجعة ان شاء الله. وهذا الدجال يؤكد أن الشفاء آت لا ريب فيه كما اخبرته مردة الجان. كل ذلك والموت واقف في مكانه يبتسم . الى ان جاءت الساعة عند ما مدّ الموت أصابعه الباردة وقبض على تلك الروح التي طالت الحرب بسببها !

ومات الغني !!

اضطربت المدينة اضطراباً عظيما عند ما حملت أسلاك البرق خبر نعي الغني

الكبير . وانتقل الخبر بسرعة عجيبة من مكان إلى مكان . وتحدث الناس أحاديث متباينة وكان حديثهم تشوبه نغمة قلق فقد كانوا يظنون أن المال أقوى من الموت لكن الموت انتصر . ألعلهم انزعجوا ؟؟

وتستقبلنا كلمة دفن فترسم معنى نفهمه نحن أبناء الشرق. ذلك ان عدداً كبيراً ممن يتصل عملهم بالموت أحاطوا بالقصر . هؤلاء يقيمون العمد يحيطونها بالخيام يقصدون أن يقيموا سرادقاً كبيراً يضم الألوف من المشيعين وآخرون يأتون بالسجاجيد والكراسي المذهبة والثريات.. وتوافد المعزون من مختلف الجهات وأرسلت كورونات الزهور شيئاً لا عدد لها وأرسلت الجهات الرسمية مندوبيها الرسميين. وفرق الموسيقى ملأت المكان فهذه فرقة مدرسة البوليس وهذه فرقة الكلية الحربية ، والاخرى فرقة البلدية والرابعة فرقة ملجأ الماسون وهكذا !!

وأنت تحسّ برهبة في المكان، لاتكاد تسمع صوتاً، الكلام كله همس . لقد سطا الموت على المكان . مات الغني ! ويخيل لك كأن الموت لم يفتقد العالم إلا في ذلك اليوم وان انساناً آخر لم يمت . هل تقول ان الموت لم يكف عن السطو على البيوت ولم يكف عن اختطاف الشباب والشيب الكبار والصغار . هل تقول ذلك فأنت مخطىء . هل اولئك في مقام الغني وهل تحسب ان اولئك بشر؟؟ آه لقد اذكرتني ذلك الكائن الحقير الذي عاش مع الكلاب . أين هو . اننا لا نراه لقد كُنس المكان الذي كان يقيم فيه . أما هو فلا نعلم من أمره شيئاً. وهل هو كائن له خطره حتى نهتم أين هو أو ماذا حدث له . لقد أخبر الخدم ان مائدة الغني قد امتنعت ان تزوده ببقايا الطعام منذ يوم مرض. وان مرضاً جديداً افتقده وان أنينه لم ينقطع منذ ذلك اليوم . بل ان البعض يقول ان أنينه وصل الى أذني سيد القصر حين ران النوم أجفانه أثر دواء مهدىء فاستيقظ مفزوعاً وفزع جميع المحيطين به وثار الطبيب ثورة عاصفة فخرج بعض الخدم وجرّوا المسكين الى مسافة بعيدة وطرحوه بكل عنف على الارض كما طرحوا تلك « الملاهيل » التي كان يلتف فيها

وجعلوا يضربونه بالسياط حتى انقطع صوته . وقطع ليلة قارسة البرد بدون فراش و بدون غطاء. ولم يسمع لهأحد حساً منذ تلك الليلة. على انهم اكتشفوا انه قد انتهى بعد أن فاحت رائحته. فحمله رجال مصلحة التنظيم كارهين وطرحوه في حفرة هالوا عليها التراب بأقدامهم . وتنفسوا الصعداء بعد ذلك فقد ارتاحوا وارتاح العالم منه . ولن يعود يزعج صاحب القصر بصوته الكريه !!

على ان حالة صاحب القصر لم تتحسن بل مات كما علمنا وكان موته بسبب ذلك الكائن الحقير كما يقول البعض . ولو أن البعض الآخر يقول انه مات بسبب اسرافه في الحياة الماجنة !

٤ — الموكب

لم يدر أحد بموت لعازر !

ولكن كل العالم اهتز لموت صاحب القصر !!

وسار موكب الجنازة رائعاً ، موكب كبير فخم. اهتم له قلم المرور اهتماماً خاصاً. وقد حضرته الهيئات المختلفة حاملة اعلامها منكسة ، من مصالح ونقابات ونواد ومدارس ورجال التمثيل السياسي . وقد امتد الموكب حتى لم يرَ المتقدمون آخره . وجاء مندوب القيصر ومندوب الملك هيرودس. وجاء بيلاطس نفسه وسارت علية القوم حتى وصلت الى الكنيسة الكبرى !!

ولنتحدث عن الخدمة الدينية بلغة هذه الايام . لنستعمل كلمة كنيسة بدل كلمة مجمع ولنتحدث عن المذاهب المسيحية بدلا من المذاهب اليهودية . فالصورة هي هي فقط بتغيير الأسماء !!

ارتفعت الانغام الموسيقية الحزينة . ورنمت الفرقة الخاصة ترنيمة مؤثرة . وقرئت الفصول الكتابية . واشترك خدام كثيرون من خدام الكنيسة كما اشترك خدام من طوائف مختلفة. وقد حاول كل خادم ان يثبت في كلمته ان الرجل مسيحي

كامل. فقال الكاثوليكي ان الرجل ابن للكنيسة فقد أوقف جده رحمه الله ارضاً أقامت عليها مستوصفها الخيري وترفع الصلوات كل يوم ليبارك المولى هذا الغرس المبارك وسيقام قداس خاص على روح المرحوم في هذا اليوم بالذات !! أما خادم الروم الارثوذكس فقد أعلن في غير ما مواربة ان الفقيد الكريم وان لم ينتسب رسمياً للكنيسة التي يرعاها الا انه كان ابرّ عليها من ابنائها. ما اكثر ما استقبل خدام الكنيسة في بيته بترحاب وما اكثر ما طلب منا الدعوات التي قال انه يتبرّك بها!!

أما الكاهن القبطي الارثوذكسي فلم يشر الى عضوية أو غير عضوية لأن جميع المسيحيين هم أبناء الكنيسة الأم. وسيد القصر من أقطاب الطائفة وهو رئيس شرف الجمعية الخيرية ورئيس شرف عدد من جمعيات الطائفة!!

وجاء دور الطائفة الانجيلية وكان الخدام المعينون للكلام عدداً غفيراً فهذا رئيس السنودس وهذا رئيس مجمع الوجه البحري وهذا رئيس مجلس الوكلاء وهذا أمين صندوق السنودس ومن الشيوخ والعلمانيين جاء وكيل الطائفة ورئيس الجمعية الخيرية ورئيس الاتحاد الانجيلي وتحدث الجميع عن المسيحي القديس المتعبد، المحسن المتواضع ونعتوه بشتى الاوصاف التي لا يمكن ان تكون للملائكة أو لأعظم من الملائكة . وقال كبير القسوس بنغمة باكية ان أعظم عامود في الكنيسة قد سقط . لقد خسرناه ولكن السماء ربحته. انه الآن ينعم في احضان ابرهيم واسحق ويعقوب - يا للسخرية ! لقد قال « الكاهن » هذه الكلمات في الوقت الذي كان الرجل يتلظى في نار الجحيم !!!

والتفت الخادم الى أهل الفقيد ورجا ان يسيروا سيرة « المرحوم » وان يملأوا الفراغ الذي خلفه . . وهكذا وهكذا

وهكذا تعاقب الخدام خادماً بعد خادم وكلهم يرددون حسنات اتاها الرجل أو على الأصح نسبوها للرجل . ووقف بعد خدام الكنيسة عدد من الخطباء رثاه بعض شعراً ورثاه آخرون نثراً . وظلوا يتحدثون حتى فرغوا

وسار الموكب من جديد موكباً طويلا راثماً حتى وصل الى القبور وهناك أودعوا « الجثمان الطاهر » أحدها وهالوا التراب عليه وهم يترحمون على روحه . . ثم عادوا وتركوه !!

وفي تلك البقعة الموحشة تلاقى جثمان سيد القصر وجثمان لعازر !!!

تلاقيا وكأنهما على ميعاد !

أين القصور؟

وأين الأمجاد ؟؟

وأين المظاهر البرّاقة ؟؟

لقد تلاشت كلها . لقد اختفت كفقاقيع الهواء. وهوذا التراب يعود الى التراب لا فرق بين الجسم المتنعم والجسم الخشن !

سلاماً أيها القبر !!

ان كثيرين يضطربون لرؤياك ويقشعرون عند لقياك. أما أنا فأحييك طروباً. كم أنت حلو وكم أنت جليل . انك تضم جسم لعازر بنفس الحنان الذي تضم به جسم الغني . . بل أنك لأرفق به مما أنت للغني . لقد عاش لعازر وكل الناس وكل الاشياء تتجهم له. أما أنت فتبسم له وتحسن الترحيب به وتعامله معاملة كريمة!

يا لك من نبيل كريم أيها القبر !!

* * *

٥ — دورة الدولاب

لكننا لن نمكث طويلا عند القبر. لقد أدت الارض رسالتها مع أبناء الارض وفعل التراب فعله مع التراب. لقد ظن الناس أن الانسان هو ذلك التراب فأكرموه وعبدوه كما أهانوا لعازر وازدروه . كان التراب يتزين بالذهب فانحنوا أمامه ورفسوا التراب الذي لا ذهب له !!

لـكن هوذا التراب يعود الى التراب !!!

أما النفس فتعود الى الله الذي أعطاها!!

ونحن نرفع عيوننا فنبصر لعازر والغني ، ولكننا نبصرهما في وضع غريب لم نألفه من قبل !!

فهذا لعازر المسكين المضروب بالقروح يبدو لنا من خلال سحابة مضيئة انساناً بهياً يلبس النور ويجلس في مجد وقد أسند رأسه على صدر ابرهيم وقد شعّت أنوار من وجهه !!

أما الغني فقد ظهر في جسم مخيف وقد أحاطت به شياطينه تلهبه بسياط من نار وهو يتلوى في الهاوية !!

ورفع الغني عينيه وهو في الهاوية وأبصر لعازر وهو متكىء في حضن ابرهيم . ولعله لم يصدق عينيه في أول الامر. هل يمكن أن يكون هذا لعازر هل يمكن. لعازر البائس التعس المضروب بالقروح . لعازر الذي كان تجسداً للشقاء ، هل يمكن أن يكون هو من يراه ؟؟ نعم نعم انه هو !!

والتفت الغني حول نفسه وأحسّ بنيران الجحيم تلذعه وسأل نفسه ، وأنا هل أحلم . انه حلم كريه . . ولكنه وآسفاه ليس حلماً. انه يتعذب . ويتعذب بحق . ألم يترك لعازر يجوع ويتعرى ويتألم عند بابه. ألم يتحجّر قلبه فلا يتحرك له . نعم ان النار التي تلسعه هي من صنع يديه انه يستحق. وفي آلامه المرّة ينادي، يا أبي ابرهيم يا أبي ابرهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرّد لساني لأني معذب في هذا اللهيب !

اسمعوا يا سادة القصور. اسمعوا يا ذوى الأموال. اسمعوا يامن كانت لكم الفرصة ان تمسحوا الدموع ، وتعصبوا الجروح ، وتطعموا الجياع ، وتكسوا العرايا . اسمعوا يا من كانت لكم قلوب ولكنها كانت من حجر ، وكانت لكم عيون ولكنها كانت بلا مطر . اسمعوا يا من أمنتم للأيام وعشتم في الأحلام !!

اسمعوا الغني يقول :

ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء و يبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب!!

وابرهيم يجيبه من بعيد ، كلا يا ولدي . لا مكان للرحمة . اذكر !

وذكر الغني !!

« اذكر انك استوفيت خيراتك

واذكر أن لعازر قد استوفى البلايا »

واستيقظ ضمير الغني. وجعل يذكر . القصر والأثاث والسرر العاجية والفراش الحريرية وكئوس الخمر وموائد الطعام وأعواد الموسيقى والمغنين والمغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات . نعم ذكر كل هـذا . وذكر الليالي المظلمة الباردة التي ارتفعت فيها صرخات لعازر من الجوع والبرد والمرض والألم .

استيقظ ضميره وذكر !!

وكانت الذكريات ناراً اشد لهيباً من نار الجحيم . ألعلها هي نفس الجحيم . لم يكن في حاجة الى جحيم من الخارج . لقد أقام جحيمه بيده . وكان الوقود لناره من صنعة يديه !!

ذكر الغني وسكت . لم يعد يطلب الرحمة . انه يعلم انه هو قد أغلق على نفسه باب الرحمة. يا طالما نادته ولكنه لم يصغ. وها هو يسمع صوتاً يدوي كالرعد « لأني دعوت فأبيت ومددت يدي وليس من يبالي . بل رفضت كل مشورتي ولم ترضَ توبيخي. فأنا ايضاً أضحك عند بليتك. اشمت عند مجيء خوفك. اذا جاء خوفك كعاصفة وأتت بليتك كالزوبعة اذا جاءت عليك شدة وضيق ، حينئذ تدعونني فلا أستجيب تبكر إليَّ فلا تجدني »

وفوق ذلك فان هوة عظيمة قد اثبتت بين حضن ابرهيم والهاوية حتى ان الذين يريدون العبور من هنا أو هناك الى المكان الآخر لا يقدرون !!

ترى ماذا كانت تلك الهوة ؟

ومن الذي حفرها ؟

نعتقد أننا لا نعدو الصواب اذا قلنا ان الله لم يقم تلك الهوة فانه يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون !!

ونعتقد ان الملائكة لم يكن لهم ضلع في اقامة تلك الحفرة لأن ملائكة الله يفرحون بخاطىء واحد يتوب !!

بل ان الشياطين التي يستعيذ بها الناس بريئة كل البراءة من حفر الهوة

اذن من الذي حفر الهوة ومن الذي أثبتها ؟

ان اليد التي حفرتها لم تكن يداً غريبة ولم تكن هناك حاجة الى يد غريبة . ان يد الرجل هي التي حفرتها. ألم يعش حياة الحيوان؟ ألم يسلك مسلك الشيطان؟ كان الرجل في كل يوم يهدم الجسر الذي يربطه بالسماء ويحفره حتى صار هوة لا يمكن المرور منها . ولما أحسّ الرجل بالندم لم يجد للتوبة مكاناً !!

وكان عذاب الرجل شديداً وقاسياً . وإذ رأى انه هو لن يستطيع ان يخفف شيئاً من لهيبه اتجه فكره الى اخوته الخمسة . انهم لا يعرفون . انهم يظنون أن الحياة شراب ومجون . من يخبرهم يا ترى عن الهاوية وعن اللهيب ؟ .من ينذرهم بالمصير التعس الذي يتعرضون له إذا ساروا في طريق أخيهم ؟؟ يا أبي ابرهيم لئن لم يمكن أن يأتي لعازر إليّ لان هوة قامت بينه و بيني، فأرسله الى اخوتي الخمسة لكي لا يأتوا هم الى مكان العذاب هذا . ان الطريق اليهم لا يزال مفتوحاً. ارسله يا أبي ابرهيم لكي يحدثهم عن أخيهم الذي يتعذب في هذا اللهيب !! أما ابرهيم فيقول ، ان عندهم رسالة الله. عندهم الكتاب، موسى والانبياء . ان الله لم يتركهم بلا شاهد . وصاح الرجل . كلا . يا أبي ابرهيم ان الكتاب لا يستطيع ان يوقظهم من سباتهم. انهم يحتاجون الى آية. الى رجل يقوم من الاموات ويحدثهم عن العالم بعد الموت. فاذا مضى اليهم واحد من الاموات فانهم يتوبون . ولـكن ابرهيم كان يعلم . كان

يعلم انه إذا لم تستطع « الكلمة » أن تسحق القلب وتدفع النفس الى التوبة فلن ينفع قيام واحد من الاموات. كلا. أيها المسكين . ان كانوا لا يسمعون من موسى والانبياء ولا ان قام واحد من الاموات يصدقون !

أيها النيـام

أيها الحالمون

أيها السائرون في طريق الغواية

اسمعوا !!

اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم !!

٧٣
الغنى الغبى

«وقال لهم انظروا وتحفظوا من الطمع. فانه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله » لوقا ١٢ : ١٥

كان الناس ينظرون اليه باحترام وتوقير . فقد كان يملك كورة خصبة. والناس يزنون الناس بميزان المال. كانوا إذا تحدثوا عنه تحدثوا عن صاحب القصر أو صاحب الضيعة، السّري الأمثل. وكانوا يتحدثون عن عينه التي تشبه عين النسر ورأسه الكبير الذي يساوي رؤوس جميع المحيطين به مجتمعة كانوا يتحدثون عن حكمته ومهارته ومقدرته . لقد بدأ بلا شيء ولكنه استطاع في سنوات قليلة أن يستولى على جميع الأراضي التي كانت تحيط بحقله الصغير. وكان سلاحه لذلك بُعد نظره وقوة عزيمته وحُسن تدبيره وبالجملة كمال حكمته !!

كان الرجل حكيما !!

وكان الناس كلهم ينعتونه بالحكمة !!

ولو أن جامعة أمريكية كانت بالقرب منه لطلبت منه أن يتفضل ويقبل منها درجة الفلسفة في الحكمة !!!

على أنه وجد من قال له يا غبي . لكن ذلك الواحد لم يكن انساناً !

كان الله نفسه !!

وإذا قال الله فقد بطل كل مقال آخر !

كان الرجل غبياً !!

نعم غبياً بالرغم من كل ألقاب الحكمة التي خلعها عليه الناس !

ونحن نسير معه ندرسه لنكتشف غباوته فلعل أن يكون لنا درس يقينا مصيره!

* * *

أخصبت كورة الرجل !

يغلب أن المطر كان كافياً !

وأن العمال والمساكين قد والوا الأرض بالعناية !

ووقف الرجل أمام الحقل ورأى ثماره الكثيرة !

ولو أن فيه ذرة من عقل لابتسم وأشرق وجهه !

ورفع عينين دامعتين الى الله مسبحاً وممجداً !!

مبارك الله الذي يخرج النبات بقوته من الارض !!

وبعد أن تموت البذار يعطيها حياة !!

يا لها من معجزة !!

بل لو أن فيه ذرة من عقل لانكفأ على وجهه ساجداً معظماً وشاكراً !!

أن كل ما يراه هو عطية الله!!

يعطي الطعام للناس والبهائم

يبسط يديه فيشبع كل حي من غناه !

ولكنه لم يفعل شيء من ذلك



انه يمد إلى الامام عينين
مضطر بتين حائرتين ماذا أعمل؟
ولو أنك رأيته في حيرته
لظننت أن الرجل بلغت به
الحاجة أقصاها
ولظننت أن أهله يبيتون
على الطوى
أو أن كارثة مدلهمة
توشك أن تحل به
وأن الابواب كلها قد
أغلقت في وجهه
ماذا أعمل ؟

الغني الغبي

وإذ تتحدث إلى الرجل
تكشف حيرته .أن محاصيله أكثر من أن تسعها مخازنه
أين يضعها ؟
أن بطنه لا تسع إلا أقل القليل منها!!
ومخازنه لا تسع إلا نصف أو ربع المحصول!!
وهو في حيرة أين يضع الباقي !؟!
وتقطبت أسارير الرجل وتفصد جبينه بالعرق وغامت الدنيا قدامه
وجعل يجهد ذهنه في حل" هذه المعضلة حلا مواتياً !!
يا له من غبي !!
لماذا يتعب نفسه في البحث عن مخازن وهوذا مخازن لا حد لاتساعها أمامه !؟

هوذا عماله الذين يقيمون في أكواخ ضيقة عديمة النوافذ وهم يتكدسون فيها بجانب ماشيتهم ، استغفر الله ، بل ماشية الرجل التي يحفظونها له، يتنفسون طول الليل رائحة الروث !

وقد غطت أجسامهم الهزيلة خرق مهلهلة لا لون لها فقد أصبحت هي وأجسامهم في لون الروث الذين ينامون عليه !!

وقد شحبت وجوههم من الجوع إذ أن غلة الأرض التي يتعبون في جمعها تخرج من بين أيديهم إلى سيد الأرض . وهم لا ينالون الكفاف من الشعير !!

هوذا عماله يستطيعون أن « يحفظوا » له في أجسامهم العارية والجائعة جانباً من غلاته ويبقى له بعد ذلك الكثير !!

بل هوذا أهل الرجل وذووه ممن لم يعطهم الله بسطة في الرزق ، وهم يتطلعون إلى عميدهم وينتظرون أن يتعطف ويرسل اليهم بما يفيض عن مخازنه !

نعم . هوذا الف باب وباب كان يمكن ان تكون حلا مباركاً لتلك العقدة التي حيّرته واذ ذاك سأل نفسه ماذا أعمل !!!

ولكنه لم يفكر في شي من هذا !

وبعد تفكير أشرق وجهه !!

ووثبت الى فمه كما وثبت الى فم فيلسوف قديم الكلمة :

وجدتها!

نعم وجدتها !

أهدم مخازني ! وابني أعظم ! واجمع غلاتي في مخازني !

وأقول لنفسي يا نفسي كلي واشربي وافرحي ! فان لك خيرات كثيرة لسنين كثيرة !!!

ولقد كان في تفكيره هذا بالغاً أقصى درجات الحماقة . اذ فكر في أن يكتنز

كنوزه حيث يفسد السوس وحيث ينقب السارقون و يسرقون . واذ ظن أن النفس تشبع وتفرح من مادة الارض وأن السنين مضمونة !!

وجاءه الصوت من فوق :

يا غبي

هذه الليلة تطلب نفسك منك

فهذه التي أعددتها

لمن تكون ! ! ؟

٧٤
لعازر هلم خارجاً

« فأرسلت الأختان اليه قائلتين يا سيد هوذا الذي تحبه مريض » يوحنا ١١ : ٣

هلم بنا الى بيت عنيا لنرتوي من رحيق المحبة في تلك العائلة المحبوبة !

هناك نجلس تحت شجرة التين الكبيرة في مدخل الدار نستظل بورقها الاخضر الكبير من وهج الشمس ، ونرطب حلوقنا الملتهبة بحلاوة ذلك الثمر الشهي الذي يتساقط علينا من تلك الشجرة المحملة بالثمار !

هلم بنا الى بيت مرثا !

ستستقبلنا عاصفة من الهتاف ونحن داخلون . . . الخدم يخبّرون بقدومنا . . . ومرثا ترسل في المكان صوتها الضاحك الطروب ، وستحسّ ان الجو مليء ببروق ورعود .

نعم هلم بنا الى بيت عنيا !!

هلم بنا الى بيت مرثا !!

هناك نرى الحسناء الفاتنة مريم !

وهناك نجلس مع الكاتب لعازر!!

* * *

لكن ما للمكان ساكت ؟

ما لنا ندخل فلا يخرج أحد لاستقبالنا؟؟

ما للخادم يتلقانا بوجه جامد ؟؟

واذ نسأل عن سادته ينحني أمامنا و يقول هم في المخدع يا سيدي!

واذ ندقق في السؤال نعلم أن لعازر مريض!

* * *

كان لعاز مضطجعاً على سريره ولكنه لم يكن لعازر الذي نعرفه !

نعم انه لم يكن في يوم من الايام ذا جسم قوي!!

ولكنه كان على الدوام مشرق الوجه!

يرسل من عينيه نوراً!

وعلى فمه ابتسامة وضاءة !

وكانت هناك وردة امتزج فيها بياض اللبن باحمرار الدم على كل خد من خديه!

أما اليوم فوجهه شاحب يكاد يقطر اصفراراً !!

وعيناه مغلقتان لا يستطيع أن يفتحهما !

وقد انكمشت عضلات وجهه فكان صورة للكآبة والانقباض!

وقد بدا أنه تنبه قليلاً عند سماع صوتنا ولكنه عاد الى ذهوله!!

كانت حمى خبيثة تفترسه!!

وجلست تحت السرير شقيقتاه وقد تجسمت فيهما مجموعة من العواطف... المحبة والألم والحزن والرجاء !

وكانت عيونهما تفيض دموعاً لا ينقطع سيلها !!

يا إله ابرهيم !

يا إله اسحق !

يا إله يعقوب!

أشفق على النساء التعيسات !

وأبق لهن رجل البيت !!

ارحم شبابه !!

ليس يعلم إلا الله عدد الليالي التي قضتها المرأتان ساهرتين مسهدتين باكيتين مصليتين !!

ليس يعلم إلا الله النيران التي اشتعلت في صدريهما وأرسلت لهيباً في انفاسهما!!

ليس يعلم إلا الله ما اعتمل في قلبيهما من آلام ومن آمال امتزجت معاً في صلوات كانتا تؤمنان أنها ستهز عمد السماء !!

وهمست مريم في اذن مرثا — ان الاطباء قد عجزوا الى الآن عن معالجة الداء!

أطباء اسرائيليون ومصريون وعرب ، أطباء من الاسكندرية ومن أثينا ومن فارس !!

وعقاقير مرة

وحامضة !!

لقد آذوه يا شقيقتي . لقد استنزفوا دمه !!

وليس بعد طبيب لم يأت !!

وقالت مرثا بحماس :

سنبحث عن أطباء آخرين

سنرسل الى مدينة أورشليم

سنحضر أقدر طبيب وسندفع اكبر الأجر !!

عندنا المال !

فاذا فرغ فسنبيع الحقل !

وسنبيع الذهب !

وسنبيع البيت!

بل سنبيع الثياب!

لن يعزّ شيء على لعازر!!

وترددت مريم وقالت وكأنها تخشى أن يرتفع صوتها ، ولكن الاطباء يا أختاه قد عجزوا ، وقد قال أحدهم أن العلّة قد استحكمت . وان مزيداً من الاطباء لا يغيّر الواقع!!

وقالت مرثا بانفعال فهل نجلس هكذا ساكتتين والمرض يهزّ كيان شقيقنا...

ثم أشرقت دموعها وخرجت من صدرها أنّة موجعة وقالت :

والموت !

والموت يمدّ مخالبه ويستلب تلك الحياة العزيزة علينا ؟

هل نمتنع عن دعوة الاطباء لأنه لا داعي لنفقات اكثر ؟؟

وأجابت مريم لا تقولي ذلك يا أختاه

انني لم أقصد شيئاً مما تقولين

انني اقول

لماذا لا نرسل الى المعلم ؟؟

ولانت أسارير مرثا وضاء وجهها وارتسمت شبه ابتسامة على شفتيها وقالت نعم . . . لماذا لا نرسل . بل العجب لماذا لم نرسل من الاول ؟!!

وخرجت من المكان ودعت اليها الخادم الموكّل على البيت وطلبت منه أن يتتبع طريق المعلم حتى اذا ما وجده قال له :

« يا معلم هوذا الذي تحبه مريض !! »

وانطلق الخادم ودموع المرأتين تعجلانه!

وجلست مرثا ومريم تنتظران!!

كان المرض شديد الوطأة وقد ظهر على وجوه الاهل والزائرين أن لعازر قد انتهى

ولكن مرثا ومريم لم تفقدا الرجاء!!

سيأتي المعلم!

وسيقيمه!

ألم يمسك بيد حماة بطرس وقد كانت فريسة الحمى فتركتها الحمى وقامت في الحال وخدمتهم؟!

ألم يمسك بيد ابنة يايرس وكانت تخرج آخر أنفاسها بل لقد قال البعض أنها كانت قد ماتت فقامت وأكلت؟؟

سيأتي المعلم!!

وسيشفي لعازر!!

* * *

ومضت الساعات ثقيلة بطيئة!

وأقبل الليل بجنوده السود!

وظل جاثماً في تلك الغرفة الحزينة دهراً وكأنه لا يتحرك!!

وجاء الصباح وقد اصطبغ وجهه بلون كالح. وامتلأ الجو بقلق...

وانطلق النهار يجر مركبته بدون ابتهاج!

وفي الظهر أقبل رسول الاختين وقال انه لقي المعلم وأنه أبلغه الرسالة — وان المعلم قال عندما سمع عن المرض وعن شدته، هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد الله فيه!!

هل قال هذا الكلام حقاً؟

هل قال هذا المرض ليس للموت؟

هل سمعت أنت الكلمات من فيه؟

كيف قابل الخبر ؟؟

ماذا ظهر على وجهه ؟؟

ألم يقل شيئاً آخر؟؟

ألم يخبرك انه آتٍ ؟؟

هذه ومئات الأسئلة الأخرى انطلقت من فم المرأتين . ومع انهما قد احسّتا بشيء من الخيبة لان المعلم لم يأت إلا أن الرجاء عاد اليهما . ألم يقل المعلم ان المرض ليس للموت ؟؟

لكن ماذا قصد بالقول «ليتمجد الله فيه» ؟

هل قصد أن الله سيتمجد في نفس المرض؟

وكيف ؟

هل قصد أنه سيتمجّد في الشفاء ؟؟

وهل سيكون الشفاء غريباً يعلن مجد إلهنا ؟؟

وتعبت المرأتان من تقليب الأمور على وجوهها المختلفة ، وجلستا في مكانهما بجانب سرير المريض تراقبان الحالة وكل منهما تأمل أن تراه يسير نحو التحسن ... ولكن الحالة أخذت تزداد سوءاً ساعة بعد أخرى!!

وأقبل الليل ولعازر يخرج أنفاسه حشرجة وقد ظل في ذهول لا يدري بشيء مما يحيط به . وكان صدره يتمزق في كل نوبة من نوبات المرض . على أنه عندما أقبل الصباح ظهر أنه أحسن قليلا فقد هدأ جسمه وقلّت نوبات سعاله ولكنه كان الهدوء الذي يسبق الموت وقبل الغروب أسلم لعازر أنفاسه الاخيرة !!

* * *

يحسن بنا أن نترك بيت الميت، فان أصوات النواح كانت أعلى أصوات سمعت في القرية — أقبل الرجال من كل مكان ومن أورشليم ليشيعوا الجثمان العزيز — وأقبلت النساء متشحات بالسواد وهن يرسلن صيحاتهن الباكية . وامتلأت الدار

بعدد لا يحصى منهن. كانت مرثا تبكي مع النساء. أما مريم فقد طغى عليها الحزن وجمدت عيناها !!

ترى هل فكرتا في المعلم ؟

أم أن الحزن قد أنساهما كل شيء ؟

على أننا لن نقف هنا فسنترك البيت لنعود اليه بعد أربعة أيام

* * *

هناك في المكان الذي كان فيه يسوع

جلس المعلم مع تلاميذه

و بغتة التفت اليهم وقال :

لنذهب الى اليهودية !

وهنا قال التلاميذ ، لنذهب الى اليهودية ؟! يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب ايضاً الى اليهودية ؟

واجاب يسوع جواب الذي يعلم أن ساعات الحياة محددة، أليست ساعات النهار اثنتى عشرة .. ان كان أحد يمشي في النهار لا يعثر لانه ينظر نور هذا العالم ولكن ان كان احد يمشي في الليل يعثر لان النور ليس فيه ! !

و بينما كان التلاميذ يلتفتون بعضهم الى بعض يتساءلون ما هي هذه الساعات الاثنتا عشرة ، وما هو معنى السير في نور النهار ومن هو الذي يمشي في الليل وما علاقة هذا وذاك بالذهاب الى اليهودية ، بينما هم يسألون انفسهم ما معنى كل هذا ، التفت المعلم اليهم وقال :

لعازر حبيبنا قد نام

لكني اذهب لأوقظه!!

ظن التلاميذ ان السيد يتحدث عن رقاد النوم فقالوا يا معلم ان كان قد نام فسيشفى — ونظر السيد اليهم وتألم لبلادة حسهم وقال لهم حينئذ علانية :

لعازر مات
وأنا أفرح لأجلكم اني لم اكن هناك لتؤمنوا
ولكن لنذهب اليه !!!
واندهل التلاميذ مرة أخرى من هذه الكلمات الغريبة التي لايفهمون لها معنى.
ولكن حزنهم كان أعمق من اندهالهم. وتهامسوا بحزن عميق، لعازر مات، لعازر مات؟؟!
ولكن قلقهم عاد ورفع رأسه فان السيد ينوي أن يذهب الى اليهودية .
وسيقتله اليهود . وهنا قال توما ، لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه !
لم تتأمل تلك الجماعة الحزينة في قول السيد لعازر نام !!
لعازر مات وأنا أفرح .. لكي تؤمنوا
لم يخطر ببالهم مطلقاً ان لعازر يقوم من الموت
لم يظنوا أن السيد سيذهب لكي يوقظه
وكانوا في ذلك مسيئين
نعم ان قيامة الميت أمر غير عادي
لكن ألم يقم سيدهم موتى؟
ألم يقم ابنة يايرس ؟
ألم يقم ابن أرملة نايين؟
ألم يشهده تلميذا يوحنا يقيم موتى؟
ولكنهم في غمرة حزنهم لم يفكروا في قوة سيدهم بل فكروا في عظم خسارتهم!!

* * *

وقامت تلك الجماعة الحزينة نحو بيت عنيا . ووصلت الى حدود القرية التي طالما دخلوها مبتهجين. وقد لمسوا حالما دخلوا القرية مقدار الخسارة التي ألمت بالمدينة الصغيرة. كان طابع الحزن العميق يكسو المكان . كان الجميع يبكون . وقد سمعت مرثا أن يسوع قد جاء فأسرعت لملاقاته وحالما رأته خرّت عند قدميه وانفجرت

باكية وهي تقول ، يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي . ولقد كانت تلك الكلمات تحوي قاموساً من المعاني. كانت فيض قلب ملىء بالايمان والحزن والعتاب!

لماذا لم تأت أيها المعلم عند ما دعوناك؟؟

لماذا تأخرت في المكان يومين ؟؟

عهدنا بك تبادر لاغاثة المستغيثين فلماذا تأخرت . لماذا؟؟

لو كنت ههنا لم يمت أخي!!

على انها عادت وقالت :

ولكن الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله اياه

فهل كانت تؤمن حقاً بما تقول؟

أم هل قالت تلك الكلمات على سبيل المجاملة ؟

وهل كانت تنتظر أنه سيطلب من الله أن يقوم لعازر؟

أم انها كانت تعتقد أن يسوع في ما يجريه من آيات يتكبد كثيراً من المشقة وان قوة تخرج منه في كل آية؟؟

لا نعلم بالضبط شيئاً عن ذلك ولكننا نظن أن ايمانها لم يكن قوياً ، ونحن نلاحظ ذلك في مناقشتها للسيد !

قال لها يسوع «سيقوم أخوك» فلم تستقبل الكلمة كبشرى تهتف لها وتشكر من أجلها ولم تركض نحو أختها صائحة ، كفى بكاء يا مريم فسيقوم أخونا ، هكذا قال السيد . كلا . لم تفعل شيئاً من ذلك ولكنها أجابته بكل فتور ، أنا أعلم انه سيقوم في اليوم الاخير . وهنا كشف لها السيد واحداً من تلك الاعلانات المجيدة التي يستمسك بها المؤمنون في كل جيل مرساة لهم إذا ما اشتد عليهم العاصف واستبد بهم الخوف ، قال :

أنا هو القيامة والحياة

من آمن بي ولو مات فسيحيا

وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد !!

كانت مرثا تسمع هذه الكلمات المجيدة فيتفتح لها قلبها وان أغلق عليها فهمها. وأحست نوراً يضيء جوانب حياتها، وحياة تملأ جوانب قلبها. وجعلت تهمس لنفسها في خوف وفرح

«أنا هو القيامة والحياة

من آمن بي ولو مات فسيحيا»

وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد !!

وبينما كانت تتذوق حلاوة ذلك الاعلان وقد انطلقت نفسها في أجواء بعيدة.. بينما هي تحلق مع الملائكة في سماوات العلى سمعت السيد يقول:

أتؤمنين بهذا ؟

وأجابت، نعم يا سيد، أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي الى العالم

يا له من اعتراف!!

انها تؤمن انه المسيح!!

وانه ابن الله !!

ولذلك لا نرى داعياً لان نشير الى ايمانها ومدى قوته. لقد سألها السيد ان كانت تؤمن انه هو القيامة والحياة وان كل من آمن به يحيا الى الابد ولكنها لا تفهم شيئاً كثيراً عن هذه التفاصيل. ماذا تهمها هذه الاشياء ؟ ماذا يهمها الموت بل ماذا تهمها الحياة ؟ انها تؤمن به هو. انه هو موضوع ايمانها!

«نعم ياسيد

أنا قد آمنت

انك أنت المسيح

ابن الله

الآتي الى العالم!!»

وركضت مرثا الى البيت ومالت الى اذن مريم تخبرها ان المعلم قد جاء وهو يدعوها. وحالما سمعت مريم بذلك قامت سريعاً وجاءت اليه. كان المعلم لا يزال في المكان الذي لاقته فيه مرثا خارج القرية وكان على مريم ان تقطع الطريق الضيق الذي يخترق القرية الى حيث كان يسوع — وظنت النساء اللواتي كن مع مريم في البيت انها خرجت لتبكي عند القبر فقمن من البيت وتبعنها.

ورأت مريم يسوع وفاض عليها حزنها، فخرّت عند قدمي يسوع وقالت له باكية ياسيد لو كنت ههنا لم يمت أخي. كانت تبكي بحرقة وقد فاضت دموعها بحراً. ولم يستطع الجمهور المحيط بها ان يحتفظ بثباته فبكى. وهنا ذاب قلب يسوع فبكى. نعم بكى يسوع

فهل كان يسوع في بكائه ضعيفاً؟

بل كان في أقوى قوته !!

كان يسوع قوياً. وقد رأينا مظاهر قوته قبلاً. ألم ينتهر المرض. ألم يشف البرص. ألم يفتح عيون العميان. ألم يفتح آذان الصمّ. ألم ينتهر البحر. ألم يسكت العاصف.. نعم كان قوياً ولكن قوته في دموعه كانت أروع قواته !!

لقد تجسم حباً!

لقد صار كله قلباً !!

فبكى !!!

وهل هناك أقوى من المحبة ؟

وهل هناك أبلغ من الدموع في التعبير عن المحبة؟

يا يسوع !

انني ابتهج برؤية آياتك!

وأعجب بمشاهدتي قواتك!

وأخشع وأنا أسمع تعاليمك

ولكني اسجد امام إلهي وأبي وأنا أرى دموعك !!

ان سيدي ليس صنماً بلا عين ولا أذن، فان الصانع الأذن ألا يسمع والخالق العين ألا ينظر ؟ وهو ليس كائناً ينظر ويسمع ولكنه لا يتأثر. فهو إله، نعم ولكنه أب وأخ . قلبه يذوب لآلام شعبه لانه في كل ضيقهم يتضايق !!

وسأل السيد أين وضعتموه فأجابوه يا سيد تعال وانظر . وسار ذلك الموكب العجيب نحو القبر. وقد لاحظ الجمهور دموع يسوع فهتفوا، انظروا كيف كان يحبه وتصايح بعضهم قائلاً بنغمة الانتقاد، ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الاعمى أن يجعل هذا ايضاً لا يموت ؟

على ان الموكب ظل يسير في طريقه الى القبر. كانوا يسيرون وقد امتلأت صدورهم وقلوبهم بمختلف الاحاسيس. السيد في الطليعة وقد انزعجت روحه وامتلا وجهه بدموع الشركة في الآلام . والشقيقتان وقد تحولتا الى كتلتين تعستين من الحزن واليأس. والجمهور وكان بينه الحزين وبينه المجامل وبينه الفضولي . فهل كان بينهم من فكر في ان لعازر سيقوم من الموت ؟ لا نظن !

ووصل الموكب الى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر. وقال يسوع ارفعوا الحجر. القى أمره بسلطان. وتقدم البعض ليرفعوا الحجر. وهنا اعترضت مرثا وقالت في كثير من الالم، يا سيد قد أنتن لان له اربعة ايام. انها لا تريد ان يتكشف أحد على جسد أخيها الحبيب بعد ان أنتن . ولماذا يرفع الحجر ؟ لو أن المعلم جاء قبل ان يموت لعازر أو لو انه جاء حالاً بعد موته لكان هناك أمل في حياته أما اليوم وله اربعة ايام فقد انتهى الأمر . قد أنتن . وهل يمكن ان تعود حياة لجثة انتنت ؟ أما يسوع فنظر اليها عاتباً . أين الايمان الذي اعلنته يا مرثا ألم اقل لك ان آمنت ترين مجد الله ؟

و بعد أن رفعوا الحجر رفع يسوع عينيه نحو السماء . هنا قام صراع عظيم بين

« الحياة » و بين الموت. وكان صراعاً رائعاً ومروعاً.رفع السيد عينه نحو أبيه وقال:

أيها الآب اشكرك لانك سمعت لي

وأنا علمت انك في كل حين تسمع لي

ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني

ثم صرخ بصوت عظيم « لعازر هلم خارجاً ! »

وردّدت جوانب القبر ذلك الصوت الداوي فاهتزت اركان المكان وأحسّ كل فرد أنه في محضر الله وان الله يوشك ان يجرى حدثاً لم يسبق له مثيل- وكان صمت مخيف ... وتحرك شبح من داخل القبر ، تحرك ببطء نحو الباب .

كان الشبح لعازر بعينه وقد خرج ملفوفاً في اكفانه وقد لثم وجهه ووضعت عصابة على عينيه وربطت يداه ورجلاه . وقال يسوع حلّوه!

هل يمكن ان يصف انسان ماحدث بعد ذلك؟ هجمت مرثا ومريم على لعازر واوسعتاه لثماً وتقبيلاً . وتقدم الاهل واحتضنوه وارتفعت اصوات التهليل والهتاف واندفع الجمهور كله نحو لعازر، كل انسان يريد أن يراه و يلمسه و يتحدث اليه

وانتحى يسوع ركناً هادئاً ونظر الى الجمهور المندفع نحو لعازر

نظر بأسى و بحزن نحو أبناء الموت

وابتسم لانه استطاع ان يمسح دمعة من عيونهم وان يكن قد مسحها بدموعه. ولانه استطاع ان يختلس الحياة من الموت،وان يكن قد حصل على ذلك ببذل حياته

وعادت الاسرة إلى بيت عنيا

وتلفت افرادها يبحثون عن السيد، ولكنه كان قد مضى

وهتفت مرثا في اذن لعازر

حقاً هو القيامة وهو الحياة

هو المسيح ابن الله الآتي إلى العالم !!

٧٥

قصة الصلاة

« واذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علّمنا ان نصلي كما علّم يوحنا ايضاً تلاميذه »

لوقا ١١ : ١

لم تكن الصلاة أمراً غريباً على اليهودي

كان رؤساء اليهود يصلّون صلواتهم المكتوبة و يكررونها و يكررون الكلام فيها إذ كانوا يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم !

كان عامة اليهود يصلّون صلواتهم البسيطة القصيرة التي لا تخرج عن تقديم الولاء لله وطلب الحاجات اليومية

وكان تلاميذ يسوع يعلمون الكثير عن صلوات عامة اليهود وصلوات الفريسيين. وكانوا لا يرون فيها ما يشجعهم على اتباعها. على أنهم علموا أن يوحنا المعمدان علّم تلاميذه نوعاً جديداً من الصلاة . وابصروا معلمهم يصرف ساعات طويلة مع الله. وتساءلوا ترى ما هي الصلاة التي يتقدم بها معلمهم إلى الله ؟ وكان فضولهم يتزايد يوماً بعد يوم حتى جاء اليوم الذي لم يستطيعوا فيه أن يسكتوا . كان معلمهم يصلي فلما فرغ من الصلاة قال له واحد منهم يا رب علّمنا أن نصلي كما علّم يوحنا أيضاً تلاميذه !!

وكانوا يريدون بالطبع أنه يلقنهم الكلمات نفسها التي ينبغي أن يتقدموا بها إلى الله !!

ولم يشأ السيد أن يواجههم باعلان خطأهم في فهم حقيقة الصلاة. وانها ليست كلاماً يلقى أو حركات تؤدّى . وانما هي علاقة بين الابناء وأبيهم . وان الابناء لا يتعلمون الكلمات التي يلقونها لأبيهم . ان نفس بنوتهم تعطيهم الكلمات .

وكل كلمات من الابن لها أثرها عند الآب . كلا . لم يشأ المعلم أن يكشف لهم خطأهم لئلا يجرحهم . ولكنه قدم لهم هذا الدرس في كلمات الصلاة النموذجية التي ألقاها لهم . وهذه هي الكلمات :

«أبانا الذي في السموات»

« ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك ، كما في السماء كذلك على الارض »

«خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب الينا . ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير »

هذه هي الكلمات التي ذكرها « لوقا » . ويضيف اليها « متى » خاتمة وهي « لأن لك الملك والقوة والمجد الى الابد. آمين»

والذي يتأمل في كلمات هذه الصلاة يدرك أن المعلم لم يقصد أن تكون هي الصلاة التي تُقدم بحروفها. بدليل أن الكتاب لم يذكر أن احداً ألقى كلماتها في ما بعد مع أنه ذكر صلوات ألقاها السيد وألقاها التلاميذ !!

وانما قصد المعلم بهذه الصلاة أن تضمن المبادىء العامة في الصلاة . ونستطيع أن نراها بسهولة بمجرد القاء نظرة عليها!

فالصلاة كما توضحها كلمات هذه الصلاة علاقة بين ابناء الله وأبيهم . الله لهم وهو السيد العظيم والخالق والقدوس ، هو لهم أبوهم السماوي . فالصلاة اذن هي سكب قلب الابناء امام ابيهم السماوي

وهي ابراز للولاء والتعبد كما يظهر من الطلبات المتصلة بشخصه . أي أن الصلاة هي عبادة لله !

ثم انها اعلان للاعتماد في كل شيء على الآب وذلك واضح من تقديم الطلبات الخاصة بالجسد والنفس

ما امجد الصورة التي تقدمها كلمات الصلاة التي قدمها السيد !!

على انه، وهو يعلم عدم نضوج فهم التلاميذ عقّب على كلمات الصلاة بتوضيح قوي للصلاة وذكر لزوم التقدم الى الآب والالحاح في الطلب كما ذكر ان الآب لا يمكن ان يمنع عن اولاده كل خير فانه آب وهل يمنع أب خيره عن أولاده ؟ وقد وضح ذلك في مثل صديق نصف الليل وفي مثل الابن الطالب من أبيه !

٧٦

صديق نصف الليل

« اقول لكم وان كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فانه من اجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج »
لوقا ١١ : ٨

كان الرجل مضطجعاً في فراشه ولكنه لم يكن قد استغرق في النعاس. كانت زوجته قد آوت إلى فراشها بعد الغروب بقليل ونام بجانبها طفلاها الصغيران . وكان الثلاثة في عالم الاحلام تمرّ أمامهم رؤى الليل فتترك آثارها ابتساماً أو عبوساً أو فزعاً . أما الرجل فكان ساهراً . يبدو أن أموره المالية لم تكن على ما يروم. وكانت حاجات البيت الكثيرة تضايقه . وها هو يرسل نظراته الساهمة ، يحاول أن يخترق الظلمات المحيطة . ماذا يعمل في الغد وليس عندهم خبز ومن أين يطعم أولاده وهو لا يملك شيئاً !؟

وبينما هو في حيرته وقلق نفسه سمع صوت طرقات على الباب الخارجي فانتبه وسأل نفسه ترى من هو طارق نصف الليل هذا ؟ لم يتحرك بسرعة . . فاذا الطرقات تتكرر قوية متتابعة وصوت صديق قديم يطلب منه أن يفتح له . فهزّه السرور للقاء صديقه القديم ولكنه كان سروراً مشوباً بقلق إذ يغلب انه مضطر أن يعد للضيف طعاماً ، ومن اين له الطعام؟؟

أيقظ الرجل زوجه واخبرها بكلمة عن الضيف الطارق وذهب إلى البـاب وفتحه واستقبل صديقه بالعناق ورحب به ترحيباً حاراً

كان الصديق قد اقبل من بلدة بعيدة وكان يحمل معه هدايا كثيرة من زبد وعسل وطيور وقمح وزيتون وعنب . جاء يحمل للبيت خيراً . ولكنه لم يكن قد تناول طعامه من الصباح فهو جائع

واضطرب صاحب الدار قليلاً . ثم ترك صديقه ينفض عنه غبار السفر ويخلع ملابسه الخارجية ويشتمل ثياب النوم . وخرج الى بيت صديق له كان يقيم على مقربة من المكان يلتمس منه ان يقرضه ثلاثة أرغفة من الخبز !

وطرق الباب في أول الأمر طرقات خائفة كانت تنم بضعفها عن تردده. ولكنه عاود الطرق وكانت طرقاته أقوى. فلما لم يسمع صاحب البيت طرق الباب طرقات شديدة متتالية استيقظ لها صاحب البيت مفزوعاً وسأل بانزعاج و بصوت غاضب : مَن ، مَن يطرق الباب ؟؟ واجاب الرجل انه أنا ياصديقي !

أنت ؟

ومااللذي جاء بك في نصف الليل ؟؟

اني اضطررت لذلك يا صديقي. اضطررت لان صديقاً جاءني الآن من سفر وليس لي ما اقدم له . وقد جئتك التمس ان تقرضني ثلاثة أرغفة . نعم يا صديقي ثلاثة أرغفة !

وتذمر الرجل في فراشه وقال هل في نصف الليل يأتون ليقترضوا ؟ كلا . اني لا استطيع . لقد نمت واولادي معي في الفراش والخبز في الجانب الآخر من المنزل ولا يمكنني ان اقوم وأمرّ في « الدوار » الكبير واخترق « حوش » الطيور حتى أصل الى الخبز ، والدنيا ظلام ولا اعلم طريق النور . كلا يا صديقي لا استطيع أن اعطيك شيئاً !

كان الرجل يسمع اعتذار صديقه وقد حاول ان يقاطعه ولكن الرجل لم يمهله بل

ظل يتكلم حتى فرغ من كلامه واذ ذاك قال له : نعم يا صديقي أنا اعلم ان الوقت نصف الليل وان مجيئي الآ ن لا يخلو من « جليطة » وقلة ذوق، ولكن ماذا أعمل. ان الرجل لم يأت إلا الآن ولم نكن مستعدين لاستقبال أحد . وهو صديقي . إلى من اذهب الآ ن ؟

وقال الرجل اذهب إلى غيري ياأخي فلماذا قصدتني أنا من دون الناس وأنت تعلم اني انام مبكراً ؟؟! واجاب الطارق انما قصدتك لانك صديقي ولانك كريم! وتتابعت المناقشة بين الرجلين . صاحب الدار يحاول أن يتخلص ويتملص ، وصديقه يلح عليه و يلحف حتى ضاق الرجل ذرعاً بالحاحه فقام كارهاً واعطى الرجل لا ثلاثة أرغفة فقط بل اعطاه كل ما كان في حاجة اليه من خبز وادام !

* * *

ألقى يسوع هذه القصة وصمت قليلاً ثم قال :

«وأنا اقول لكم اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لان كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له !

فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزاً أفيعطيه حجراً . أو سمكة أفيعطيه حية بدل السمكة. أو اذا سأله بيضة أفيعطيه عقرباً، فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون ان تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يطلبونه ! »

٧٧
أين التسعة

« فأجاب يسوع وقال أليس العشرة قد طهروا . فأين التسعة » لوقا ١٧ : ١٧

كان يسوع في طريقه الى اورشليم . وقد اخترق مدينة السامرة والجليل . وفيما هو داخل استقبله عشرة رجال برص . فوقفوا من بعيد ورفعوا صوتاً قائلين يا يسوع يا معلم ارحمنا . كان البرص ولا يزال مرضاً مخيفاً وكانت الشريعة اليهودية تعتبر الابرص نجساً لا يجوز ان يعيش مع الآخرين . فكان يطرد من بيته ولا يجوز له ان يودع اهله. وكان البرص يقيمون في محلة خارج المدينة او القرية وكان لا يجوز لهم ان يتخطوا حداً معيناً . وكان عليهم اذا ما اضطرهم امر ان يسيروا في وسط المدينة ان ينادوا «نجس نجس» . وكان الناس اذا ما سمعوا مثل هذا الصوت يهربون منهم ويختبئون هنا وهناك . اما الاولاد فكانوا يطاردونهم ويرجمونهم !

وكان اهل الابرص يرسلون له الطعام مع من يحمله إلى مكان خارج القرية ويتركه على مسافة منه !!

كانت حياة الابرص، الموت خير منها. وكانت رؤية ابرص واحد كافية لأن تنغص العيش الى درجة بعيدة. ولكن السيد هنا يستقبل عشرة برص !!! وكانت ثقتهم في يسوع عظيمة. لقد سمعوا عن محبته العظيمة وقوته المقتدرة وها هم يطلبون الرحمة. واننا لَنُحِسّ بكثير من العطف عليهم وهم يصرخون « ارحمنا » انهم لا يطلبون العدل او الانصاف . انهم لا يشتكون ولا يتذمرون ولكنهم يطلبون الرحمة !

اما يسوع فينظر اليهم نظرته العميقة الرحوم ، ويقول اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة . ما كان للابرص ان يري نفسه للكاهن إلا اذا رأى شيئاً من علامات الشفاء في جسده . أما هؤلاء فلا يرون شيئاً ظاهراً من علامات الشفاء ولكنهم

يذهبون . لقد قال لهم المعلم ان يذهبوا وهم يؤمنون بكلمته و يذهبون . وفيما هم ذاهبون طهروا !

اما تسعة منهم فانهم حالما أبصروا علامات شفائهم انطلقوا الى حال سبيلهم . لا نعلم بالتحقيق هل انطلقوا اولا الى الكهنة ام انطلقوا الى بيوتهم . كل ما نعلمه أنهم ذهبوا ولم يذكروا ذلك الطبيب العظيم بكلمة شكر . اما العاشر فانه حالما طهر نسي كل شيء ولم يذكر إلا يسوع الطبيب الشافي . انه لا يهتم بأتمام الناموس ولا يفكر في الذهاب الى الكاهن . و بيته وأهله وقومه كانوا شيئاً ثانوياً عنده . ان اول ما فكر فيه كان ذلك المحسن الكريم الذي شفاه بكلمة بل بدون كلمة . وهو لذلك يعود اليه يمجد الله بصوت عظيم و يخرُّ على وجهه عند رجليه شاكراً له !!

ونظر يسوع اليه وارتاحت نفسه وشبعت . لا تزال توجد قلوب حية . على أن يسوع نظر اليه وتعجب بل تأسف . ان ذلك الشاكر ليس اسرائيلياً . انه سامري . . . وقال أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة ؟ ولا يزال يسوع يكرر هذا السؤال ، اين التسعة ؟ ان اقلية لا تذكر هي التي تشكر واما الاكثرية فتمضي بدون ان تذكر و بدون ان تشكر ! !

٧٨
القاضي الظالم

«اقول لكم انه ينصفهم سريعاً . ولكن متى جاء ابن الانسان ألعله يجد الايمان على الارض» لوقا ١٨ : ٨

كان قاضي المدينة رجلاً بلغ شره وفجوره حداً جعل الناس يتندرون بمظالمه و يضحكون منها، وشرّ البلية ما يضحك !!

خلا قلب الرجل من التقوى فهو لا يخاف الله وليس له وازع من ضمير. كان إلهه المال فقط . وكان يسخر ممن يتحدث اليه عن ديونة الله ويوم الثواب

ويوم العقاب . انه لا يؤمن إلا بهذه الحياة التي يقضيها على الارض ولذلك كان يعمل جاهداً على أن يحيط هذه الايام بما يكفل جعلها مشرقة بقدر الامكان !

وكذلك كان الرجل عاتياً طاغية مستبداً. ولقد كان عهدنا بالمرتشي ضعيفاً يخشى الرؤساء بل يخشى المرؤسين. ولكن ذلك القاضي كان لا يهاب انساناً !!

كان رجلاً خلا قلبه من مخافة الله ومن خوف الانسان!!

ولنا أن نتصور ذلك القاضي كتلة ضخمة مروعة من مجموعة شرور ومآثم ولعنة. يضرع الناس الى الله أن ينقذهم من شره بأن ينقله من المكان ميتاً أو حياً. لم يكن أحد يصلي أن الله يغيّر قلبه فان كل رجاء في إصلاح ذلك الشيطان عبث. انه الابن البكر لبعلزبول. وفي عهده انتشرت المظالم وديس المساكين عند الباب . وبيع البار بنعلين وأهينت العدالة في بيتها !!

وكان في المدينة أرملة فقيرة !

لم يترك لها زوجها الراحل إلا بيتاً صغيراً متصلاً بكرمة كانت كل معيشتها

وكان إلى جوارها رجل غني أعجبه الكرم ولم يشأ ان يدفع فيه مالاً . ففي هدأة الليل قام رجاله وهدموا سوره وألحقوه ببيته . واستيقظت المرأة في الصباح لتجد كرمها قد طار . فصرخت واستصرخت والتمست من الغني أن يرد لها كرمها ولكنه هزأ بها وسخر من كلامها !!

وذهبت المرأة الى القاضي وصاحت ، يا سيدي القاضي أنصفني من خصمي . وكان خصمها قد سبق وعرف طريقه الى قلب القاضي . ان خصمها رجل غني وقد دفع الثمن مقدماً أما هذه فهي امرأة ضعيفة، وأرملة لا رجل خلفها يذود عنها، وفقيرة والفقر رباط يجرّ الرؤوس العالية الكريمة الى الطين. وصاح القاضي بالجند ان اطردوا هذه الحشرة الحقيرة . ودفعها الحجّاب دفعاً الى الخارج ولكنها لم تكف لحظة عن الصراخ، أنصفني من خصمي ، أنصفني من خصمي. وطردها الجند الى مسافة بعيدة

بحيث لم يعد القاضي يسمع صوتها . وظن انه استراح منها ولكنه بعد أن فرغ من عمله وانطلق الى بيته خرجت اليه من بعض الأزقة وجثت عند قدميه وصرخت ، يا سيدي القاضي أنصفني من خصمي . ودفعها القاضي بعيداً وأمر حاجبه ان يبعدها عن طريقه وجعل الحاجب يدفعها بعيداً وهي تصرخ، أنصفني من خصمي، أنصفني من خصمي . وذهب القاضي الى بيته وفيما هو يتناول طعامه سُمعت طرقات قوية وخرج الخادم يسأل واذا بالمرأة تصيح، أنصفني من خصمي. وعندما خرج القاضي بعد القيلولة لاحقته المرأة وهي تقول ، أنصفني من خصمي . وظلت الحال على هذا المنوال عدة أيام حتى ضاق الرجل ذرعاً . انه لايعرف أن ينام أو يقوم أو يمكث في البيت أو يتمشى في الطريق .. فان المرأة ما كانت لتتركه بل في كل هذه الأحوال لاحقته صارخة ، أنصفني من خصمي . واشتد الأمر عليه فقال في نفسه يوماً، وان كنت لا أخاف الله ولا أهاب انساناً فاني لاجل أن هذه الأرملة تزعجني انصفها لئلا تأتي دائماً فتقمعني .

وهكذا أنصفها

* * *

ألقى المعلم هذه القصة

ثم التفت الى الجالسين حوله وقال ، اسمعوا ما يقول قاضي الظلم

أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم ؟؟

أقول لكم انه ينصفهم سريعاً

ولكن متى جاء ابن الانسان ألعله يجد الايمان على الارض ؟؟

٧٩
صلاة العشار

« واما العشار فوقف من بعيد لا يشاء ان يرفع عينيه نحو السماء . بل قرع على صدره قائلا اللهم ارحمني انا الخاطيء » لوقا ١٨ : ١٣

كان المعلم يلقي تعاليمه وكان الجمع يتلقاها كما تتلقى ارض الصحراء نقط المطر المتهاطلة . كانوا جائعين الى المعرفة . كانت الغالبية الساحقة في الجمع من عامة الشعب وكانوا يحسّون انهم ليسوا أهلا لنيل بركات السماء . وكان بين هؤلاء عدد عظيم من العشارين والخطاة . وقد سبق لنا أن تعرّفنا الى بعض هؤلاء العشارين . فقد أبصرنا لاوي بن حلفى الذي عرفناه فيما بعد باسم متى. وفي مدينة أريحا رأينا زكا. وقد لمسنا مقدار الاحتقار الذي كان من نصيب العشارين فقد ازدراهم الشعب واعتبرهم خارجين على الدين وخارجين على الوطن !!

على أنه كان بين الجمع عدد قليل من الفريسيين وقد رأينا هؤلاء قبلاً . ألم نرَ نيقوديموس وسمعان الفريسي والرئيس الشاب وغيرهم . وكان الفريسيون واثقين بأنفسهم انهم أبرار ويحتقرون الآخرين . هم حفظة الشريعة وحماتها . والسماء لا يمكن ان تضم إلا الفريسيين !!

ويبدو أن جمهور الشعب سلّم بحقهم هذا وأعطاهم الكرامة والتوقير وقدم لهم التحيات في الاسواق والمتكآت الأولى في الولائم !!

ولكن يسوع لم يرَ ذلك !!

انه لا يخدع بمظاهر الدين . انه يرسل نظرته الى القلب . وقد كشف قلوبهم المملؤة خبثاً وشراً . ولم يخش بأسهم فقد واجههم بالحقيقة اكثر من مرة . كان يبغض نفاقهم . وقد أعلن أن العشارين والخطاة أقرب الى الملكوت من الفريسيين

وأبصر السيد بعض الفريسيين ، وترجح أنه شاهد بعض مظاهر كبريائهم وثقتهم ببرهم وكمالهم واحتقارهم للآخرين فألقى عليهم ذلك المثل العظيم مثل الفريسي والعشار . قال :


الفريسي والعشار

انسانان صعدا الى الهيكل ليصليا

واحد فريسي

والآخر عشار

ما اكرم يسوع انه يقدم الاثنين كما يليق ان يقدما . كان الفريسي في نظر الناس قديساً وملاكاً . وكان العشار في نظرهم آثماً وشيطاناً . ولكن السيد يراهما انسانين . فيهما كل سمو الانسانية وفيهما كل ضعفاتها. الواحد منهما نظير الآخر . لقد انخدع الناس بالعصابة على جبين الفريسي وعلى معصمه وبالاذيال في طرف ثوبه . كما انخدعوا بالتمتمة المستمرة على شفتيه . وغشتهم تلك الطيالس الخاصة فرأوا في الفريسي شخصاً مختلفاً عن بقية الناس.واما يسوع فرأى في الفريسي انساناً خلقه الله وكذلك رأى في العشار . ورأى في الاثنين عبدين من عبيد الله محتاجين الى الصلاة له !

وها نحن نسمع الفريسي يصلي

« اللهم أنا أشكرك اني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة

ولا مثل هذا العشار

أصوم مرتين في الاسبوع
وأعشّر كل ما أقتنيه»

* * *

يا لها من صلاة لله ليس لله فيها إلا الكلمة الاولى. ومع ذلك فانه يخـّيل الينا ان إله ذلك الرجل كان ذاته . لقد كان يعظم نفسه و يطلب لها التقدير والتكريم .

وهو يضع نفسه الى جانب و بقية الناس الى جانب آخر . شتان بين الاثنين. بقية الناس أشرار وهو بار . بقية الناس خاطفون ظالمون زناة وهو العف العدل الطاهر النقي . ليس الصلاح إلا انعكاس نوره وليست النقاوة إلا أريج أنفاسه !!!

وفي صلاته هـذه يلقي نظرة مليئة بالاحتقار والازدراء . ان ذلك العشار لا يستطيع ان يقترب الى مقدس الله وكيف يقترب.أما هو الفريسي فليس مثله.. مثله ؟؟ انه يبصق على الارض. ليست هناك أية مقارنة بينه و بينه . كلا. انه ليس « مثل هذا العشار » . انه يشكر لانه ليس مثله

ثم هو يبسط لله أعمال بره النافلة انه يصوم مرتين في الاسبوع . انه يعشر كل ما يقتنيه!!

صلى الفريسي صلاته هـذه ثم نزل من بيت الله وهو يتلفت حوله بزهو وخيلاء والجمهور المحيط يقدم له التحيات و يتحدث عن الفريسي البار !!

أما العشار فلم يستطع أن يدخل الهيكل . ان الجميع يعتبرونه كائناً شريراً وهو نفسه يعتبر نفسه كذلك . انه لا يجسر أن يلوث بأنفاسه الطاهرة جو مقدس الله . انه يقف من بعيد . وهو لا يرفع وجهه الى السماء . انه يخجل من مقابلة ربه . انه ينحني أمامه بتواضع واعتراف وهو يعترف انه خاطىء آثم يستحق الغضب . ان كلام الفريسي عنه صحيح كله . وهو لا يحاول ان يلتمس لنفسه هذا العذر أو ذاك. انه خاطىء و يستحق كل ما توجبه الشريعة عليه من عقاب. ولـكنه يأتي الى الله بتواضع يطرق باب رحمته وهو يصلي صلاته المشهورة :

« اللهم ارحمني أنا الخاطىء »

* * *

لم يرَ الجمهور نتيجة الصلاة الحقيقية. لقد ظنوا أن الفريسي نزل الى بيته مبرراً وان العشار نزل ملتحفاً بإثمه . كلا . ليس الأمر كذلك . لقد أعلن المسيح مؤكداً غير ذلك ، قال ، الحق أقول لكم ان هذا (العشار) نزل الى بيته مبرراً دون ذاك (الفريسي) لان كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع !!

٨٠

الطلاق في المسيحية

« ويكون الاثنان جسداً واحداً . اذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان »

مرقس ١٠ : ٨ ، ٩

كان المعلم الجليلي يلقي دروسه العميقة على الشعب الجائع الى المعرفة الحقيقية . وقد تركت تلك التعليم آثارها القوية فيهم . غير أن الفريسيين لم يستريحوا اليها فقد لمست جوانب دقيقة في حياتهم . من أجل ذلك بذلوا عشرات المحاولات لاصطياده . وكانت محاولاتهم مختلفة الوسائل . كانت أحياناً مراقبة وأحياناً أخرى مقاومة وأحياناً ثالثة أسئلة محرجة ! وكان المعلم يسمع أسئلتهم ويكشف خبث طويتهم ثم يجيب على أسئلتهم اجاباته الخالدة !!

وها نحن نراهم يجتمعون حوله ويسألونه سؤالاً بقصد أن يجربوه . وكان سؤالهم «هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب» ؟ وهو سؤال يبدو بريئاً في ظاهره ولكنه نظير أسئلتهم الكثيرة للمعلم كان يحمل بين جوانحه نياتهم السيئة . فقد سألوه هذا السؤال ليجربوه !!

كان الآباء يبيحون الطلاق لأسباب كثيرة ، كأن تكون المرأة عقيماً لا تلد ،

وان كانت لا تلد له ذكوراً فله الحق في ان يطلقها . وكذلك إذا لم تكن منسجمة معه في مزاجه . واذا لم تحسن طهي طعامه أو حياكة قميصه . أو اذا تأخرت في تلبية رغبة من رغائبه. بل كانت تطلق لغير ما سبب جنته، كأن يكون خصاماً مع أهلها أو غضباً لسبب بعيد عن البيت.كان الرجل يطلق امرأته وهو في الحقل أو في السوق .. وكان الآباء يبيحون الطلاق لهذه الاسباب ولغيرها !

وقد عمل هـذا على تقويض دعائم البيت فانحلّت الربط الزوجية وضعفت الروابط الوالدية وانتشرت خطية الزنا !

وكان الفريسيون يعلمون أن تعاليم يسوع ثورة على تقاليد الآباء ولذلك سألوه هذا السؤال حتى يكون لهم ما يشتكون به عليه !

ولكن يسوع لم يجب بشيء من عنده بل أعادهم الى الكتاب . فقال ، أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى . وقال من أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . اذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان !!

كان حواب يسوع جواباً محكماً لأنه استند على الكتاب استناداً كلياً . ولم يجد الفريسيون على الجواب مأخذاً . ولـكنهم لم يقفوا عند هذا الحدّ بل سألوه فلماذا أوصى موسى أن تعطى المرأة كتاب طلاق فتطلق ؟ ؟ لقد أباح موسى الطلاق ولم يضع لذلك إلا شرطاً واحداً أن تعطى المطلقة كتاب طلاق !!

أما يسوع فلا يطعن في قول موسى ولا يحاول أن يبيّن لهم ان الحياة الروحية تجتاز عدة أطوار وان بناء كيانها الروحي يتطلب خطوات كثيرة . انه لا يحاول شيئاً من ذلك وانما يبيّن لهم ان موسى لم يسمح لهم بالطلاق لأنه راض عن ذلك وانما لقساوة قلوبهم . كانوا يطلقون المرأة ويتركونها فلا يُطلقونها لتتزوج ولا يحتفظون بها زوجة . ولذلك أمرهم موسى أن يعطوا المطلقة كتاب طلاق حتى تستطيع أن تثبت أن علاقتها الزوجية قد انتهت فتستطيع أن تتزوج !!

ووضع السيد أسمى تعليم عن الرباط الزوجي فقال :

« ان من طلق امرأته إلا بسبب الزنى وتزوج بأخرى يزني » ذلك لأن الطلاق لغير علّة الزنى طلاق باطل لا يرضى الله عنه . وزواج الرجل من امرأة أخرى وزوجه لا تزال مرتبطة به زنى . وزواجها هي من آخر بينما هي في نظر الله لا تزال زوجة لزوجها الأول زنى !

وسمع التلاميذ هذا الكلام ولم يستريحوا اليه كثيراً ! !

لقد كان تفكيرهم التفكير اليهودي وعلاقة الرجل بالمرأة كانت في نظرهم علاقة الشخص بالشيء او على الأكثر علاقة السيد بالعبد. ولذلك لم يحسّوا بارتياح الى حديث المعلم عن قوة الرباط الزوجي وقدسيته . وقالوا له بكل صراحة إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق ان يتزوج . كان كلام معلمهم فوق مستوى تفكيرهم . لم تكن المسيحية قد تغلغلت بعد في قلوبهم وأذهانهم . ولكنهم بعد وقت طويل تعلّموا وفهموا . وها نحن نسمع بطرس بعد ذلك بسنوات يقول « كذلك أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الاناء النسائي كالاضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة لكي لا تعاق صلواتكم » !!

٨١

الولد في المسيحية

« الحق اقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله » لوقا ١٨ : ١٧

بعد أن تحدث يسوع عن مكان المرأة في ملكوته وانها ليست شيئاً يجوز للرجل ان يقذف به خارج البيت متى شاء، وانها والرجل جسد واحد، وان ما جمعه

الله لا يفرقه انسان . بعد أن ألقى تلك الكلمات التي ملأت صدر النساء بالشكر تقدمت البعض منهن حاملات أطفالهن وطلبن من المعلم ان يضع يده على الأولاد و يباركهم .

وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدموهم وطردوهم !

ولسنا في حاجة الى ان نسأل عن السبب الذي من أجله فعل التلاميذ ذلك لأننا نعرف السبب أو نظن اننا نعرفه . لقد كان المعلم متعباً مرهقاً وهو في أشد الحاجة الى دقائق يستريح فيها لذلك ينبغي ان يتركه الناس يستريح . انهم يقتلونه بلا شفقة. ومن هم هؤلاء الذين يشغلون وقت راحته؟ انهم ليسوا جماعة ذات خطر. انهم ليسوا نيقوديموس ولا سمعان الفريسي ولا الرئيس الغني . انهم جماعة نساء فقيرات لا يملكن شيئاً بالمرة. لا يفيد صندوق المعلم منهن شيئاً . وماذا تبغي اولئك النسوة الفقيرات ؟ انهن يحملن أطفالهن يطلبن من يسوع ان يلمسهم و يباركهم .

أولاد ؟؟!!

هل المسيح العظيم قد فرغ من كل شئون الكبار حتى يهتم بالأولاد؟ لينتظر الأولاد الى ان يكبروا . لا مكان لهم في ملكوت الله الآن . ان الشريعة لا تنتظر منهم شيئاً الى الثانيـة عشرة ، إذن لينتظر الأولاد . الوقت الآن ينبغي ان يشغله الرجال الكبار !

أما يسوع فتألم من مسلك التلاميذ . لقد مكثوا معه مدة طويلة ولكنهم لم يتعلموا بعد . لقد جاء فقيراً ، عاش فقيراً واهتم بالفقراء وهم أنفسهم فقراء ولكنهم يطردون الفقراء، وما اكثر ما علمهم عن قيمة الولد. ألم يأخذ ولداً و يقيمه في وسطهم و يعلمهم انهم ان لم يرجعوا و يصيروا مثل الأولاد فلن يدخلوا ملكوت الله؟ ألم يقل لهم أزيد من مرة عندما كانت بينهم مباحثة من منهم الأعظم في ملكوت الله ، ان الأصغر فيهم يكون عظيماً ؟ نظر يسوع إلى التلاميذ واغتاظ . ثم قال تلك الكلمات

التي حفظناها منذ كنا أطفالاً « دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات . الحق اقول لكم من لا يقبـل ملـكوت الله مثل ولد فلن يدخله »

فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم !!



يسوع يبارك الولد

٨٢

الشاب الذي مضى حزيناً

« فاغتمَّ على القـول ومضى حزيناً لانه كان ذا اموال كثيرة » مر ١٠ : ٢٢

هو شاب تميـز بكل ما يحبّب الناس فيه . فهو — فوق شبابه — غني ، قال عنه البشيران متى ومرقس أنه كان ذا أموال كثيرة وقال عنه لوقا أنه كان غنياً جداً . على أن الثروة لم تتلف حياته فقد ظلت نفسه نقية طاهرة . لم ينتفخ بسبب أمواله الـكثيرة ولم يغتر بما يسمعه من الناس مما يملقون به الاغنياء من وصفهم بما هم غير أهـل له من صفات . ولكنه وديع ومتواضع القلب . ويتجلى تواضعه قوياً ونبيلا خصوصاً وهو مع شبابه وثرائه متفقـه في شئون الدين وقد نال في شبابه مركزاً كبيراً بين فقهاء الأمة فهو رئيس بين الرؤساء يجلس مع أئمة الدين واحـداً من الأقطاب . ونستطيع أن نوكد أن ماله لم يكن سبب نواله هذه المـكانة . أو على الاقل لم يكن السبب الوحيد . فهو عالم وذو خلق ودين . وها نحن نراه يركض عندما يرى يسوع ويجثو أمامه على ركبتيه خاشعاً ويقول ، أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الابدية ؟ ؟

كان اليهود يلقبون المعلمين بهذا اللقب « المعلم الصالح » . وقد يكون المعلم شريراً وآثماً ولكنه لا بد وان ينادى بالمعلم الصالح . لقد فقد اللقب معناه . واعترض يسوع على مناداته باللقب لانه لا يقبل لقباً يلقيه المتكلم بدون تفكير . ان الرجل ينادي كل معلم به . ولـكن يسوع يقول كلا ، لا أقبل لقباً لا يقصد القائل كل معنى فيه . لماذا تدعوني صالحاً . ليس هناك صلاح بين الناس . ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله . ولقد يخطيء البعض فيظن أن يسوع رفض أن يعتبره الشاب معلماً

صالحاً . ولـكن السيد رفض أن يعتبر كباقي الملدين ينال اللقب في ظاهره دون ان يقصد القائل معناه ! !

ولم يقف يسوع ليجادل في هـذا الموضوع بل انتقل يجيب الشاب على سؤاله فقال « إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » — وسأل الشاب عن هذه الوصايا واجابه يسوع أنها الوصايا التي على اللوح الثاني « لا تزن . لا تقتـل . لا تسرق . لا تشهد بالزور . اكرم أباك وامك . واحب قريبك كنفسك » .

ولـكن الشاب أجاب يا معلم هذه كلها حفظتها منذ حداثتي فماذا يعوزني بعد ؟

لم يكن الشاب مرائياً ولا كاذباً عندما قال انه حفظ الوصايا منذ حداثته . فقد حفظها حقاً ، فقط ذلك الحفظ الناموسي الذي يهتم بقشور الوصايا لا بلبّها . وربما لو جلس وحاسب نفسه لقال نعم يا معلم لقد حفظت جميع الوصايا ولكنه في ذلك مخطىء بالرغم من أخلاصه. ليسأل نفسه «هل حفظتُ حقاً الوصية التي تقول لا تزن . ألم افكر يوماً فـكراً غير نقي . ألم انظر يوماً نظرة آثمة ؟» لا شك انه لو وصل الى عمق الوصية لاعترف امام الله انه كسر الوصية مرات هذا عددها . وكذلك الحال مع وصايا لا تقتل ولا تسرق ولا تشهد بالزور واكرم اباك وامك. سيكتشف انه حفظ الوصايا حفظاً حرفياً ولـكنه كثيراً ما نقض روحها — وهل يمكنه أن يقول حقاً انه حفظ الوصية التي تقول « تحب قريبك كنفسك » — تحب قريبك كنفسك ! ؟ !

لو انالوصية كانت «تحب قريبك» لـكانيمكن ان يقول اني احفظالوصية. ما والوصية تقول تحب قريبك كنفسك ، فلسنا نظن ان انساناً على الارض يمكنه ان يقول انه حفظها !

على ان الرجل كان مخلصاً . كان يظن انه حفظ الوصايا

وكان يشعر ان حفظ الوصايا لا يكفي لدخوله الى الحياة . ان في قلبه فراغاً لم

يستطع حفظ الناموس ان يملأه له . انه يسأل ماذا يعوزني بعد . انه مستعد ان يعمل كل شيء في سبيل حصوله على الحياة !!

ونظر يسوع الى الشاب واحبه !

أحبه فقد كان شاباً يستحق . كان مخلصاً وكان يطلب قصداً نبيلا وكان يعمل جاهداً للوصول اليه !

ثم قال له « إن اردت ان تكون كاملا فاذهب و بع كل املاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء . . . وتعال اتبعني حاملا الصليب ! »

لقد لاحظ يسوع أن الشاب مربوط بقيود ثقيلة الى ماله ومربوط بماله الى الأرض . ولم يكن في امكانه أن يتبع المسيح حاملا الصليب إلا بعد أن يتحرر من الاتكال على أمواله. و بعد فقد قال الشاب أنه حفظ الوصايا منذ حداثته وان من بين الوصايا تحب قريبك كنفسك . وقريبه جائع وعريان وهو يملك المال فلماذا لا يوزع ماله على قريبه البائس ؟ أليس يحبه كنفسه ؟ هل يليق أن يجوع قريبه وهو يفضل الخبز عن أجراه ؟ هل يجوز أن يهرأ البرد جسد قريبه وهو يلبس البز والأرجوان ؟ هل يليق ان يأكل كل يوم متنعماً ولعازر عند بابه يشتهي أن يأكل من الفتات الساقط عن مائدته ؟ هل هذا من الدين ؟؟ اذن ليبع كل أملاكه وليعط كل أمواله للمساكين . ثم بعد ذلك يتبع المسيح حاملا الصليب . والمسيح لم يطلب منه اكثر مما عمل هو مع ان المسيح لم يكن في حاجة الى أن يدخل الحياة اذ كان فيها . لقد ترك المسيح كل أمجاد السماء وجاء الى الارض حاملا الصليب وهو يطلب من الرجل أن يعمل نظيره !!

أما الشاب فاضطرب وهو يسمع كلام المعلم . انه يرغب جدياً أن يدخل الحياة ولكنه لا يستطيع التخلص من ماله . هل يتركه كله . كله ؟؟ كلا . لا يمكن أن يكون هذا . وقام صراع عنيف في داخله، صراع دام لحظات قليلة ولكنه كان صراع أجيال وقد انتصرت أمواله . فمضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة !

مضى الرجل حزيناً
ولـكنه ترك المعلم حزيناً

حزن المعلم حزناً مفرطاً على الشاب الذي ترك الحياة الأبدية من أجل المال . والتفت إلى تلاميذه وقال . الحق أقول لـكم أنه يعسر أن يدخل غني الى ملكوت السموات . وأقول لـكم أيضاً ان دخول جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني الى ملـكوت السموات . فلما سمع التلاميذ الـكلام بهتوا جداً . أن دخول جمل الى ثقب ابرة مستحيل وليس عسيراً فقط . ولقد حاول البعض أن يخففوا من قوة العبـارة فقالوا ان المقصود ليس الجمَـل بل الجُـمُـلَ وهو الحبال السميكة . وقالوا ان ثقب الابرة هو الباب الصغير في البوابة الـكبيرة . ولـكننا لسنا نرى ما يدفعنا الى محاولة التفسير العسير . كان القول معروفاً في ذلك الوقت وأراد المعلم أن يستعمله لتبيان شدة صعوبة دخول الأغنياء الى ملكوت السموات .

وقد قصد السيد بالاغنياء لا مجرد الناس الذين عندهم مال بل الناس الذين استعبدوا أنفسهم للمال واتـكلوا عليه وصيّروا منه سيداً. هؤلاء لا يمكن أن يسلموا حياتهم للسيد المبارك المسيح . فانه لا يقدر احد أن يخدم سيدين . ان المال يكون بركة عظيمة اذا ملـكه الانسان ولـكنه يتحوّل لعنةعظيمة اذا ملك هو الانسان . فاذا ما وقف المسيح والمـال أمام الانسان فان الحكيم من ضحى بكل شيء في سبيل ربح للمسيح !

* * *

مضى الشاب حزيناً
الشاب الذي أحبه المسيح مضى حزيناً

فهل تقف محبة المسيح عند حدّ البكاء على الابن الضال، ام انها تسلط قوتها عليه ولا تزال به حتى ترده الى الحياة ؟ لم تذكر القصة لنا شيئاً عن ذلك ولـكن الآباء ذكروا أن محبة المسيح كانت كالمغناطيس القوي اجتذبت الشاب فعاد وقد

انكفأ على وجهه وقال ماذا تريد يا رب أن أفعل . قالوا أن ذلك الشاب هو شاول الطرسوسي الذي قال فيما بعد انه يحسب كل شيء نفاية لكي يربح المسيح !

وقال غيرهم انه برنابا الذي عاد الى المسيح وباع ملكا له ووضع الثمن عند أقدام الرسل . وقال غيرهم هذا أو ذاك . ولكنهم اتفقوا جميعاً على أن الشاب عاد الى المسيح وأنه باع كل ما كان له وتبع المسيح حاملا الصليب ! !

٨٣
طلب العظمة

«بل من اراد ان يصير فيكم عظيما يكون لكم خادما»
مرقس ١٠ : ٤٣

كان الطريق شاقاً وقد عمل الحر مع التراب على زيادة الارهاق على المعلم . وها نحن نراه يتسلق منحدرات جبل صهيون وهو يتطلع إلى المدينة المقدسة وقد ارتسم الألم على وجهه

ولاحظ تلاميذه ما بدا على وجهه فاندهلوا

انهم صاعدون الى أورشليم . وفي أورشليم سيتسلم معلمهم ملكاً . وهم سيجلسون معه على اثني عشر كرسياً و يدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر . ولكنهم يرون الألم المر يملأ وجه سيدهم . لابد أن قلبه فائض بالألم

وهم يرون ذلك و يتحيرون وفيما هم يتبعونه كانوا يخافون

لعل الطريق إلى الملك ليس سهلاً كما توهموا . ربما كان الأمر كذلك. اذن ربما كان ألم المسيح هو بسبب ما سيلاقيه من عرق ودم قبل أن يتسلم التاج ! ربما كان الأمر كذلك . انهم لا يحسون بهدوء . انهم لا يفهمون الموقف على حقيقته.

ان معلمهم يحدثهم أحاديث متناقضة. واحياناً يحدثهم أحاديث لا يفهمونها ولكنهم برغم ذلك يخشون أن يسألوه

وفيما كان يسوع صاعداً أخذ الاثنى عشر تلميذاً على انفراد في الطريق وقال لهم ها نحن صاعدون الى أورشليم وابن الانسان يسلّم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت . ويسلمونه الى الأمم فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم !

يا لها من كلمات

اذن هم لا يصعدون الى أورشليم الى عرش

ولا يصعدون الى حياة لينة

بل يصعدون الى صليب

والى استهزاء والى جلد

لم ينتبه التلاميذ الى كلمات المعلم « وفي اليوم الثالث يقوم » وهل كان عندهم مكان لفهم بعد أن تحدث المعلم عن جلد واستهزاء وقتل

زادت حيرتهم وزاد خوفهم

وساروا صامتين !

وظلوا كذلك حتى وصلوا الى البيت الذي حلّوا فيه. ونحن لا نعلم بيت من هو

وقد جلس المعلم مطرقاً وكان في حالة تأمل روحي يعدّ نفسه للأيام الآتية

حينئذ تقدمت اليه السيدة سالومى زوجة زبدي وأم يعقوب ويوحنا. تقدمت يتبعها ابناها. يخيل لنا ان الاثنين ألحّا على امهما أن تتوسط عند المعلم ليعطيهما طلبتهما

تقدمت السيدة وسجدت عند قدمي يسوع وسألها السيد ماذا تريدين. فقالت ان يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك . ونظر يسوع الى التلميذين وكان ينتظر انهما لايتفقان مع أمهما على الطلب . انهما يفهمان عن الملكوت اكثر مما تفهم هي وهما يعلمان ان ذلك الملكوت يختلف عما يراه الناس

من حيث طبيعته وحقيقته . ولقد تحدث اليهما والى باقي التلاميذ منذ دقائق عما ينتظره في أورشليم من استهزاء وجلد وصلب . لابد انهما يفهمان اكثر عن الملكوت ولابد انهما لا يتفقان مع أمهما في طلبها

لكن التلميذين يكرران الطلب

نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا

اعطنا ان نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك !

وتجلى على وجه يسوع حزن عميق وفاضت آلام في عينيه

وقال للتلميذين : لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان ان تشربا الكأس التي اشربها أنا ، وان تصطبغا بالصبغة التي اصطبغ بها أنا تصطبغان ؟؟

كانا ، فعلاً ، لايعلمان ما يطلبان

ان مجد المسيح كان صليبه وقد صلب المسيح بين لصين

وكانت الكأس التي يشربها المسيح كأساً ذابت فيها كل دموع البشرية وآلامها وفشلها ويأسها . كل السموم التي أفرزتها الخطية على الارض . الكأس التي كان ينبغي ان الناس يشربونها . ولكنه هو قبل ان يشربها!!

أما الصبغة فكانت صبغة نارية اكتوى بها جسمه وذهنه وروحه. وكله!!

لم يكن في الامكان تصوير آلام المسيح ، وبالتالي فلا يمكن أن نتصور أن انساناً آخر يستطيع أن يشاركه فيها

وقال السيد للتلميذين أتستطيعان

أتستطيعان أن تشربا كأسي

أتستطيعان أن تصطبغا بصبغتي

واجابا نستطيع !

شد ما اخطأا !

كانا مخلصين ولكنهما لم يكونا فاهمين !

ولم يشأ السيد ان يحاورهما في استطاعتهما . لم يشأ ان يقول لهما انهما سيهربان مع من هربوا وسيخافان مع من خافوا وسيتركانه وحده مع من تركوا . لم يشأ أن يقول لهما ذلك. واكتفى بأن قال انهما قد يشربان كأسه ويصطبغان بصبغته ولكن هذا لن يقدم في الأمر ولن يؤخر . ان ذلك المكان معين لمن أعدّ لهم

وقد شرب ، فيما بعد ، يعقوب ويوحنا كاس المسيح واصطبغا بالصبغة التي اصطبغ بها ولكنهما لم يعودا يطلبان طلبتهما القديمة . فقد فهما ما لم يكونا يفهمانه عن المكان الممتاز مع المسيح

ويحمل لنا جواب السيد لهما أن المكان المجيد بجانب المسيح ليس هو المكان اللامع المريح الذي له روعة العظمة الارضية ولكنه المكان المشترك مع السيد في معمودية الدم

وان الذين ينالون ذلك المكان لاينالونه بمجرد أن تحملهم اليد الالهية وتضعهم فيه ولكنهم ينالونه بعد اعداد يخترق طريقاً من عرق ومن دم ومن عار وهوان وموت . وهذا شأن كل مكان مجيد في الحياة . ان الوصول الى مكان مجيد ليس شيئاً سهلاً والثمن الذي يدفع فيه ليس ثمناً رخيصاً !!

وعاد التلميذان مطرقي الرأس

وسرى همس بين التلاميذ عن طلبتهما وعن جواب المسيح لهما . وكان غيظ . لماذا يفكر التلميذان في المكان الأول. وما الذي يميزهما عن بقية التلاميذ؟ ودبّت الغيرة المرة في القلوب.ولا يستبعد أن مظهرها كان أقوى من النظرات أو الاشارات. لا نستبعد أن الأمر خطا نحو الكلمات وما بعد الكلمات !

ولاحظ يسوع ذلك وازداد ألمه

إن تلاميذه لا يفهمون

ولكنه لا يفشل بل يدعوهم اليه ليلقنهم الدرس القديم مرة أخرى . قال :

« انتم تعلمون أن الذين يحسبون رؤساء الأمم يسودونهم

وأن عظماءهم يتسلطون عليهم

نعم . نعم هذا هو الواقع . أن للرئيس حق السيادة والسلطان . هذا ما نراه في العالم !

ويهزّ يسوع رأسه ويتابع القول :

« فلا يكون هذا بينكم »

« بل من أراد أن يصير فيكم عظيما يكون لكم خادماً »

« ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبداً ! ! »

* * *

ما هذا التعليم الغريب ؟

ما هي العلاقة بين العظمة والخدمة ؟

وكيف يكون الأول عبداً أو العبد أولاً ؟

ما هذه المبادىء الثورية ؟

لم يسمع العالم بمثل هذه المبادىء ولا يمكن له أن يفهمها . ولكنها مبادىء صحيحة وضع أساسها ذاك الذي جاء لا ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين !!

* * *

واليوم يقف العالم كله أمام هذه المبادىء مؤمناً بها منفذاً لها

حقاً لقد صدق الناصري ! !

٨٤

بارتيماوس

« فأجاب يسوع وقال له ماذا تريد ان افعل بك. فقال له الاعمى يا سيدي ان ابصر. فقال له يسوع اذهب. ايمانك قد شفاك. وللوقت ابصر » مرقس ١٠: ٥١، ٥٢

هوذا المعلم يمرّ بأريحا للمرة الأخيرة في طريقه إلى أورشليم . وقد احتاط به عدد كبير من مختلف الناس . ومدينة أريحا مدينة ذات تاريخ. أننا عند ما ندخلها نذكر سلمون ورفيقة وقد دخلاها متنكرين وقضيا الليلة في بيت الزانية . يتحدثان عن قوة إله اسرائيل !

ونذكر يشوع بن نون وهو يقف أمامها في شيء من الاضطراب . وقد ظهر له رئيس جند الرب يشدد قواه الخائرة !

كما نذكر طواف الشعب الاسرائيلي حول المدينة وسقوطها بدون سلاح !

ونذكر أن يشوع لعن من يعيد بناء تلك المدينة. ولذلك ظلت سنين طويلة خراباً إلى أن جاء اسرائيلي و بناها ولكنه فقد بكره وهو يضع أساسها وفقد صغيره عند ما فرغ من بنائها !

على اننا لن نشغل أنفسنا في تلك المدينة ببناء أو باشخاص . سنمرّ مع المعلم في الطريق السلطاني لنستطيع أن نرافقه الى أورشليم

ونحن نشاهد على جانب الطريق شحاذاً أعمى ومع أن الشحاذ الأعمى لا يلفت النظر في تلك البلاد لكثرة الشحاذين العميان ، إلا أننا نحسّ أن ذلك الشحاذ يستحق منا شيئاً من العناية !

كان معروفاً في المكان

قيل أن السبب أنه أزمن في البقعة حتى صار هو وجانب الطريق كتلة

واحدة . وقد اصبح نظير ذلك الحجر الذي يقع في أول الطريق شيئاً واحداً .
لايستطيع الطريق أن يستغنى عن أحدهما!!!

وقيل انه كان من عائلة!

عائلة عميان!!

فهو « بار » تيماوس أي ابن تيماوس !

وقيل أن تيماوس كان أعمى!!

وكان أبو تيماوس أعمى!

فهو أعمى ابن أعمى ابن أعمى !!!

عريق في العمى !!!

* * *

وقد مرّت على بارتيماوس أيام أو سنون في مكانه وهو يتلقى الصدقات أو لا يتلقاها . فكان يشبع أحياناً و يجوع أحياناً و يدفأ أحياناً و يبرد أحياناً . وقد اخذ على حياته فتقبّلها كأمر واقع . كان في أول أمره يشكو من رفض الناس لطلبه أو قسوتهم عليه ولكنه اعتاد الحالتين!

ومرّت عليه الأيام في ظلمة طويلة مملّة لا فرق عنده بين نهار وليل إلا في ما يحيط به من حركة أو سكون!

ترى هل أحسّ بضيق الحياة و علالها ؟

وهل تمنى أن تنتهي رحلته على الارض؟

من يعلم ؟

واستيقظ بارتيماوس صباح اليوم المعهود وأحسّ بأقدام كثيرة تركض على مسافة، وسمع أصواتاً مختلفة تتجاوب هنا وهناك . وسأل ما عسى أن يكون هذا . ولسنا نشك انه سأل اكثر من واحد . فان كثيرين من الناس لا يهتمون ان يجيبوا على سؤال الشحاذ الأعمى !

وجاء الجواب اخيراً :
« يسوع الناصري مجتاز »
وهنا أحسّ ان قلبه ينخلع من بين أضالعه
يسوع الناصري مجتاز ؟!
يسوع الذي فتح أعين العميان وآذان الصمّ وطهر البرص واقام الموتى ؟
يسوع في اريحا ؟
ليس بيني و بينه إلا خطوات ؟ ؟
ورفع الاعمى صوته :
«يا يسوع ابن داود ارحمني »
«يا يسوع ابن داود ارحمني !»
كان يسوع لا يزال على مسافة بعيدة من بارتيماوس ومع ذلك فأن صوت بارتيماوس وصل اليه !
ولكن بارتيماوس لقي صدوداً من المتقدمين
انتهروه ليسكت
قيل انهم « استكثروا » ان يقف النبي العظيم من اجل شحاذ أعمى !
وقيل انهم علموا ان المعلم في عجلة وهم لا يريدون الانتظار طويلا
وقيل انهم كانوا جماعة من تلاميذ الفريسيين وقد ضايقهم أن يوجد من يدعو ابن داود !
وسواء كان سبب انتهار القوم له هذا السبب أو ذاك فان بارتيماوس لم يكف عن الصراخ :
« يا يسوع ابن داود ارحمني !! »
ووقف يسوع ونادى الاعمى
واسرع كثيرون الى الاعمى يهنئونه ، ثق . قم هوذا يناديك !

ولا يمكن أن نصور حالة الانفعال التي ملأت نفس بارتيماوس . هاهو النبي الناصري يدعوه . هاهو يقترب من البصر الذي طالما سمع عنه ولكن لم يعرف كنهه

وقام الرجل وقد اضطربت كل عضلة من عضلات جسمه و بدأ يسير نحو المسيح . ولكنه بسبب طول اعتياده على الجلوس و بسبب الرداء الذي كان عليه لم يستطع ان يمشي بالعجلة المطلوبة

ذلك الرداء العزيز وقف عقبة بينه و بين المسيح . لقد اعطاه له محسن كريم عندما لاحظ قسوة البرد على جسمه الناحل . نعم انه لم يكن مضبوطاً تماماً عليه ولكنه كان لولا طول قليل أضبط رداء لبسه . ثم قد كان له بركة أي بركة في شهور الشتاء القاسية

والآن هاهو الرداء يقف في طريقه

لقد تعثر فيه مرة ومرتين

ولكن بارتيماوس لا يقبل ان شيئاً مهما كان عزيزاً يعطله عن الركض نحو يسوع . فهو يخلع الرداء و يرميه جانباً وهو يعلم انه لن يعثر عليه بعد ذلك . سيفقد الرداء العزيز الغالي . ولكن ماهو الرداء بل ماهو ألف رداء بالنسبة للبصر المنشود عند يسوع معطي البصر ؟ ؟

وركض بارتيماوس ما اسعفته قدماه حتى وصل إلى يسوع . وسأله المعلم ماذا تريد أن افعل بك ؟ كان يسوع يعلم طلبة الرجل ولكنه كان بأسئلته يوقظ الايمان أو يقويه . ألم يكن ذلك الاعمى في حاجة إلى ما يقوي ايمانه في البصر ؟

وقال الاعمى ، يا سيدي أن أبصر !

فقال له يسوع، «أبصر ايمانك قد شفاك »

* * *

وفجأة تغير العالم امام بارتيماوس . انه عالم جديد زاغ بصره وهو يتنقل في

جوانبه. فهل فتح عينيه يريد أن يتملى بجمال القبة الزرقاء أو نور الشمس أو الاشجار والازهار والاطيار ؟

ما اكثر الاشياء والاشخاص الذين كان يمكن ان يشغلوا بصر بارتيماوس لكن شخصاً واحداً شغل بصره

وذلك هو شخص معيد البصر له

فقد فتح عينيه وملأهما برؤية يسوع

وارتفع صوته بالمتاف لابن داود

وتبعه ... وهو يمجد الله

وجميع الشعب اذ رأوا سبحوا الله

ولاشك اننا نشترك مع الشعب في التسبيح لله !!

٨٥
يسوع في بيت رجل خاطيء

« فلما رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين انه دخل ليبيت عند رجل خاطيء »
لوقا ١٩ : ٧

نحن لا نزال في أريحا في نفس اليوم الذي دخلناها مع المعلم . وقد لقينا في أولها بارتيماوس الأعمى أو على الأصح الذي كان أعمى. وها نحن نتلاقى مع شخص آخر عند آخرها نعتقد أنه كان اكثر عمى من بارتيماوس !!

كان لذلك الشخص عينان كبقية الناس

ولكنه بالرغم من انه كان ينظر بهما ، كان أعمى

اسم ذلك الشخص زكا

ونحن لا نعلم شيئاً بالمرة عن عائلته أو عن تاريخه السابق !

كل ما نعرفه عنه انه كان رئيساً للعشارين وانه كان غنياً . واذا قال الكتاب

انه كان غنياً فمعنى ذلك انه كان غنياً جداً . ومعنى ذلك ان الرجل كان عشاراً « حقيقياً » . فقد استطاع في تلك المدينة ان يحصل من التجار الاغنياء على اكثر ما حصلوه بمهارتهم وسرقاتهم . فقد كان تجار أريحا مشهورين باللصوصية التي يسمونها مهارة تجارية . وكان أولئك التجار يتذمرون من زكا لانه كان يسلب جانباً كبيراً جداً من أموالهم ولو أنصفوا لقالوا ، انه كان يشاركهم في سرقاتهم فقط بشيء من التعسف إذ كان يستولي على الجانب الأكبر منها !!!

وكان زكا قصير القامة . وقد اشتهر هذا النوع من الناس بالمكر الشديد وسعة الحيلة ويبدو أن هذه الشهرة صادقة على الأقل مع زكا فقد استطاع ان يكون غنيًا!

لكن هل شبع من المال ؟

كلا . بل كان جائعاً جداً

كان كلما جمع مالاً أحسّ بجوع فجمع مالاً اكثر ليشبع ولكنه كان يحس بجوع اكثر. ولقد اندهش هو ولكننا نحن لا نندهش. ان الجوع لم يكن في بطنه أو في خزانته . لقد كان الجوع في روحه ولا يمكن لكل ما في العالم ان يشبع نفساً جائعة . كان زكا جائعاً الى الحب والعطف والحنان!!

كان زكا مشغولاً عن بيته بالمال . لم تكن زوجته ترى منه إلا لحظات كل عدة أيام . وكان أولاده لا يبصرونه ـ اذا أبصروه ـ إلا عابس الوجه متجهماً فان انشغاله بالحساب والجمع والطرح « والضرب » قد أحال حياته آلة حسابية كبيرة لا تهتم بالعواطف . وكان اذا سار في طرقات المدينة تتخطاه العيون وهي ترسل نظرات مرّة . لو أن النظرات تؤذي لكان زكا صريعاً من سنين طويلة !

كل تاجر في المدينة كان يبغضه !

وكل مزارع كان يلعنه !

كل رجل فقير وكل امرأة أرملة كانوا يكشفون رؤوسهم كل يوم « ويستمطرون » عليه شواظاً من نار جهنم !!

لم يكن بوجد فرد واحد في المدينة يحبه !

كان يعيش فيجوّ مرّ من كراهة وحقد !

وكان الناس يبغضون اكثر ما يبغضون فيه ابتسامته الكريهة التي تقطر سمّاً!

وهو إذ كان يبصر تلك الكراهة كان يستجيب لها بكراهة أشد وبقساوة أشد . وهكذا كانت حياته بغضة متبادلة تتزايد يوماً بعد يوم !

على انه لا المال أشبعه !

ولا الانتقام أراح نفسه !

كان عشاراً قاسياً خاطئاً ولكنه كان انساناً !!

كان انساناً فيه نسمة الله !!

وكانت نفسه تجوع الى الحب والحنان والعطف!!

* * *

وأحسّ زكا بحركة غير عادية في المدينة . وعلم ان انساناً اسمه يسوع جاء الى المدينة . وانه فتح عيني بارتيماوس الأعمى

وحدثوه ان يسوع هذا نبي عظيم ومعلم كبير فتح أعين العميان وآذان الصم وطهر البرص وأقام الموتى . . .

وسمع زكا عن هذه الآيات التي قيل ان نبي الناصرة أتاها وذهل لها ولكنه لم يهتم كثيراً بها . انه لا يحتاج الى يسوع في هذه!!

ان عينيه تبصران الدرهم المخبوء تحت الف حجر !!

وأذناه تسمعان همس الدينار في الركن المظلم من حانوت التاجر !!

ويداه معتبرتان ظاهرتين بالرغم من انهما ملوثتان بالمظالم التي هي أشد شراً من البرص!!

وهو لا يزال حياً يسعى !!

كلا . ان معجزات يسوع لا تثير في نفسه حماساً فانه لايحتاج الى هذه المعجزات

على انهم حدثوه عن أشياء أخرى أتاها يسوع لم يذكرها الذاكرون على انها أشياء مجيدة جليلة . بل ذكروها على انها أشياء يُؤاخذ عليها !؟!

قالوا انه لا يبدو جباراً متجهماً بل انساناً عادياً !

ان قلبه اكبر جداً من رأسه!

انه يبكي لبؤس البائس !؟!

ويتحنن على المسكين!؟!

ويعطف على ذوي الحاجة!؟!

وانه . . محب للعشارين والخطاة !!!

ووثب قلب زكا من بين أضالعه !

هذا هو الرجل الذي احتاج اليه !

رجل قلبه اكبر من رأسه !!

محب للعشارين والخطاة !!

وسار زكا في الطريق الذي قيل له ان المعلم الناصري سيسلكه . وأبصر من بُعد جمعاً كبيراً جداً أحاط بالنبي

ولما كان زكا قصير القامة جداً فقد اكتشف ان من المستحيل عليه ان يبصره ما أشقاه!!

حتى رؤية الشخص الوحيد الذي يعطف عليه متعذرة عليه لانه قصير القامة . والجمهور ولا شك لن يساعده ليشق طريقه الى النبي لانه عشار

والآن ماذا يعمل ؟

ان في صدره لهيباً من شوق ان يرى يسوع من هو . ان قلبه يغلي. انه يظن ان رؤيته ستطفي تلك النيران المشتعلة في قلبه!

ولكنه لا يستطيع!!

وأبصر زكا على مسافة شجرة جميز جائمة بجانب الطريق . انه يعرفها . لقد

كانت شجرته المفضلة يوم كان صبياً صغيراً. يا طالما تسلقها وأكل من ثمرها الشهي.
آه لو عاد صبياً صغيراً فانه كان يتسلقها ويطل من بين فروعها ويبصر يسوع.
ولكنه ليس صبياً. انه رجل كبير. ومن العار أن يتسلق جميزة. ثم ان المسافة بعيدة بينه وبين الجميزة. لن يستطيع ان يصل اليها في الوقت إلا اذا ركض. وخرجت من صدر زكا انة امتزجت فيها مرارة نفسه بضحكة ساخرة خرجت منه دون أن يدري

يركض ؟؟

لم ترَ أريحا رجلاً يركض!

تلك الملابس الفضفاضة وتلك العمامة الكبيرة لاتسمح بالركض!

لو انني ركضت لركض أطفال المدينة خلفي وصفقوا ورائي وارسلوا هتافاتهم الداوية استهزاء بي!

وقال زكا في نفسه :

كلا. اني لا استطيع ان اركض

ولا استطيع ان اتسلق الشجرة

لن يتاح لي ان أرى يسوع

لكن!!

ماذا يهم ان سخر الأولاد بي؟ انهم يسخرون بي دائماً. على الاقل في سرهم. ماذا يهمني من تصفيقهم ومن هتافاتهم العدوانية ضدي؟ ما الذي أخسره اكثر؟ كل ما سيعملونه معي أنهم سيظهرون شيئاً آخر مما يكنونه لي من كراهة وحقد واحتقار

فلينفسوا عن انفسهم قليلاً!

اذن سأركض وسأتسلق الجميزة!

وابصرت اريحا في ذلك اليوم منظراً فريداً لم يسبق ان رأته قبل ذلك ولم تره بعد ذلك. ابصرت اريحا رجلا يركض. واخذت القوم الدهشة واذ سألوا من هو قيل انه زكا. وظن القوم ان عقل الرجل قد اختبل. لقد خبله مال الظلم والقساوة والاثم

على ان زكا لم يعبأ بشيء مما سمعه حوله !

بل استمر يركض حتى وصل الى شجرة الجميز !

وتسلقها !!

وجثم بين بعض فروعها وألقى نظره على الطريق يريد ان يملأ عينيه من ذلك الرجل الذي قلبه اكبر من رأسه والذي يحب العشارين والخطاة !!

جثم وهو يرجو ألا يلاحظه احد !

ان كل ما يرجوه ان يملأ عينيه مرة واحدة من ذلك القلب الكبير الذي لم يوجد في العالم نظيره !

لم يكن زكا يعلم بالطبع ان يسوع لن يمرّ بالمكان مرة ثانية وانها كانت فرصته الاخيرة . على انه بالرغم من ذلك كان قلبه يدق دقات عالية يكاد صدره ينخلع لها . انه لم يخش يوماً ان يقف امام حاكم أو والٍ ومع ان شكاوى كثيرة قد رفعت ضده وتعرض في كثير منها لان يحكم عليه بالجلد او بالقتل فانه لم يضطرب يوماً كما يضطرب وهو على شجرة الجميز !!

انه يهتز كقصبة

لقد تجسمت مظالمه قدام عينيه وأحسّ انه حقيق بكل مقت و بغض وحقد . ولعله فكر أن ينزل من مكانه . انه لا يستحق أن يرى ذاك الذي تجسمت المحبة فيه . ان كل محبة السماء لا يمكن أن تغسل البغضاء التي ملأت قلبه !

ولكن يسوع جاء قبل أن ينفذ فكرة النزول !

كان يسير خافض الرأس منحني الظهر كما لو كانت كل أثقال العالم قد حطت عليه . وكان ألم مرير يرسم خطوطاً حزينة على وجهه . على أن عينيه ووجهه كانا يفيضان بالعطف والحنان !!

وذابت نفس زكا فيه!!

ذاب قلبه فيه!!

بل أحس انه قد تحول من تلك الكتلة التي كانت زكا بكل ما حوته من متناقضات إلى لا شيء — بل اختفى كل شخص وكل شيء أمامه ولم يعد يرى إلا يسوع !!

و بغتة رفع يسوع عينيه ونظر نحو زكا !

يا لله انها نظرة فياضة بالحب!!

الحب المملوء بالرقة في نفس الوقت!!

والمملوء بالقوة النارية !!

انها نظرة تنساب كالنسيم لا يكاد يشعر بها حتى تملأ كل حياته. انها تدخل إلى عمق قلبه هادئة لينة !

ولكنها إذ تصل إلى هناك ترسل لهيباً محرقاً يقتل كل جراثيم خبيثة فيه. فهو يغتسل في بحر من النار وهو يحس انه أصبح انساناً جديداً !

وارتفعت ألوف الانظار اليه

ولكنها لم تكن أنظاراً هادئة لينة بل كانت ثائرة متمردة قاسية. انظاراً امتلأت بالاحتقار والكراهية. ترى ماذا يريد هذا « الملعون » أن يعمل ؟

اللص. السارق. العشار

كان زكا يتلقى قبلاً مثل هذه النظرات بما يقابلها من تحد وكراهة ومقت !

يا للعجب !

انه اليوم لا يفكر في شيء من ذلك !

ليس في قلبه مكان لغير الحب الذي ملأه به ذلك الشخص العجيب !

انه لا يبغضهم ولا يتحداهم . . بل ولا يلومهم !

انه يعذرهم !!

بل يعطف عليهم!!!

وتكلم يسوع :

هل خشيأن يرسل النبي له رسالة غضب؟
انه يستحق .. وهل نقول انه ينتظر!
مرة أخرى تعجب زكا !!
ان المعلم الناصري يناديه باسمه!!
اسمه القديم !!
يا زكا !

هل يصدق أذنيه . هل يسمع حقاً . هل يقول المعلم الجليلي يا زكا. انه منذ أن طرح نفسه في أحضان روما لم يسمع أحدهم يناديه أو يتكلم عنه باسمه . انه اللص. المذنب . الخائن . الملعون . الكافر . العشار . ولكنه يسمع يسوع يناديه يا زكا . انه يعفو عن شروره . انه يرد له اعتباره. انه يعيده إلى حظيرة الانسانية مرة أخرى

نعم قل يا سيد . قل ، يا زكا أنت خاطىء . أو قل يا زكا أنت مذنب . أو قل يا زكا أنت تستحق نار جهنم . أو قل يا زكا أبعد عن طريقي . قل أي شيء طالما اني أنا زكا !

ولكن المعلم يقول شيئاً اعجب من ذلك كثيراً !
يا زكا أسرع وانزل لانه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك !!
يا له من يوم عجيب!!
مملوء من العجائب!!
عجيبة بعد عجيبة !!
وكل عجيبة اعظم من سابقتها !!
هل يدخل النبي المقدس بيتي ؟
هل يدوس بقدميه الطاهرتين أرض بيتي ؟
هل يلمس جسده الطاهر أثاث منزلي ؟
هل يتناول الطعام عندي ؟

ان هذا فوق احتمال تصديقي!

انني أحلم ! !

ولـكنه برغم ذلك ينزل من مكاته و يرافق السيد الى منزله. وقد غمره ابتهاج طاغ ، ابتهاج ظهر في كل حركة من حركاته . كان بالامس يطرب للمال بملاْ خزانته أما اليوم فان طر به فاق كل طرب حتى خرج النو ر من عينيه !!

و يسوع ! ؟

يسوع نفسه بدا ارتياح على وجهه . وتلك الآلام التي رسمت خطوطاً على وجهه أشرقت ببهاء !

والجمهور ؟

الجمهور الذي كان ينتظر أن يبتهج لأن «الخروف الضال» قد عاد الى الحظيرة والدرهم المفقود قد خرج من الركن المظلم الى النور . والابن الشارد قد عاد الى بيت الآب . هذا الجمهور الذي كان ينبغي أن يفرح ويبتهج من أجل ذلك ثار وتذمر أن المعلم الجليلي يكسر كل قانون وتقليد ، انه ينزل ليبيت عند رجل خاطىء ، لقد سبق المعلم وقال لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى ، وابن الانسان لم يأت ليدعو ابراراً بل خطاة الى التو بة ، وقد سبق فقال انه يكون فرح بخاطىء واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى تو بة ، ولـكنهم بالرغم من هذا استمروا ينقدون عطفه على العشارين والخطاة !!

و يبدو أن تذمرهم كان أقرب الى الثورة !!

وان أصواتهم وصات داو ية الى أذني زكا والى اذني يسوع !!

اما زكا فقد سمع الـكلمات بتواضع!!

انه حقاً رجل خاطىء !

بل هو الخطية نفسها!!

انه يستحق أن يداس تحت الاقدام ، انه ليس أهلاً أن يكون في محضر

القديسين ، ان مكانه الطبيعي في جهنم،حتى الرحمة لا تستطيع ان تغسله من اقذاره فسيستمر « العشار الملعون» . وأولئك المتذمرون لهم كل الحق أن يتذمروا!!

على انه يحس أن قلبه لا يتسع للشكر الفائض من جراء دخول يسوع الى بيته ، انه يحس أن ذلك الدخول قد أعاده الى حظيرة المؤمنين ، انه لم يعد بعد زكا العشار ، انه زكا الخاطىء ، نعم، ولكنه بالاكثر زكا النادم التائب ، وهو يحس أن كل ما ناله من اكرام السيد له بدخوله الى بيته لايعود الى شيء فيه ، لا يتصل بندامته أو توبته أو تفكيره في صلاح ، انه يعود أولاً وآخراً الى نعمة السيد ، لقد اعطاه كل شيئاً مجاناً !

وهو لا يعرف كيف يشكر !

هو يقف ويقول :

«ها انا يارب اعطي نصف اموالي للمساكين
وان كنت قد وشيت باحد ارد له اربعة اضعاف »

قال هذا لا بنغمة التفاخر ولا بنغمة البر الذاتي وانما قال ذلك بنغمة الشخص الذي ذاق حلاوة الخلاص وهو يشكر من اجله!!

وهنا اعلن السيد ان زكا قد سبق ان نال الخلاص،انه لم يخلص بعد ان قدم عطاياه بل قبل ذلك، لقد نال الخلاص ثم شكر ، ولكنه كان محتاجاً الى ان ينال « براءة » الخلاص من صاحب السلطان وهذا ما قاله المخلص :

« اليوم حصل خلاص لهذا البيت
اذ هو ايضاً ابن ابراهيم
لان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك »

٨٦
مثل الامناء

« لاني اقول لكم ان كل من له يعطى . ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه » لوقا ١٩ : ٢٦

كان اليهود ينتظرون ان مسيا يأتي ويملك في أورشليم . وكانوا يظنون انه سيأتي في موكب عظيم يليق بالملك الذي يقول عنه الله « اما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي » « اني اخبر من جهة قضاء الرب . قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك. اسألني فاعطيك الأمم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك. تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزف تكسرهم »

ولما جاء يسوع ورأوا آياته ومعجزاته ظنوا انه الملك الآتي ولكن الغالبية « اكتشفت » انه لايمكن ان يكون هو الملك أو على الأقل انه لايملك كملك !

أما التلاميذ وعدد كبير من الشعب فلم يتغير ايمانهم فيه . وها نحن نراهم يتحدثون عن قرب ظهور الملكوت . وسمعهم المعلم يتحدثون عن ذلك . كان السيد قريباً من أورشليم وكانوا يظنون ان ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال . وكان يرافق هذا الظن كثير من الآمال الجسدية . أليسوا تلاميذ السيد وصحبه المقربين ؟ اذن لابد وان يكون مكانهم مكان الحاشية للملك !!

وابصر السيد جسدانيتهم هذه فأراد أن يحول تفكيرهم الى شيء ألزم . انهم يفكرون في أمجاد الملك المنتظر، وأمجاد الجلوس الى جانب الملك، وهو يريد أن يفكروا في الاستعداد لذلك المكان والاهلية له . وفي مثل الأمناء الذي القاه لهم كشف لهم عما فاتهم مما يلزم ألا ينسوه . فقال :

انسان شريف الجنس ذهب الى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً ويرجع . ولم يكن ذلك الانسان شخصاً خيالياً خلقته الرواية . بل كان شخصاً حقيقياً . فقد

ذهب الامير هيرودس الى رومية يسعى لأن تعينه الامبراطورية ملكاً على اليهودية وكان الشعب يبغضه وارسل خلفه وفداً من كبار اليهود يلتمس ألا يعين ملكاً.
ولكن هيرودس استطاع بوسائله أن ينجح ويعود ملكاً برغم أنف الشعب!!

ولم يكن من غرض المعلم أن يتحدث عن نفس هيرودس فقد كان يعلم ان العائلة كلها عائلة منحطة. وقد حذره اليهود يوماً وطلبوا منه أن يخرج لان هيرودس ينوي ان يقتله ولكنه رفض واجابهم اذهبوا وقولوا لذلك «الثعلب» اني اعمل اليوم وغداً. الى آخر ما قال. انه لا يصادق على ما قام به هيرودس من اعمال ولكنه ذكر ناحية واحدة مما عمل واتخذ منها دروساً اراد أن يعلمها لتلاميذه !!

وقبل أن يسافر الأمير الى الكورة البعيدة دعا عشرة عبيد له واعطاهم عشرة أمناء وقال لهم تاجروا حتى آتي — وكان المنا يساوي على ما قيل نحو خمس مئة جنيه. وهي في الأصل وزن. ونحن نذكر ماجاء في سفر دانيال عما كتبته اليد على مكلس الحائط «منا منا تقيل وفرسين» وان معنى «منا» وزنت. وقال دانيال وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً. وكانت الفضة توضع في أكياس وكان الكيس يعتبر وحدة المعاملة فهو منا أو هو وزنة. وقد اعطى الامير لكل عبد من عبيده وزنة من الفضة وطلب منهم أن يتاجروا حتى يعود !

ولاشك اننا نسأل بشيء من التعجب عن العلاقة بين الامارة والتجارة. ولا شك ان رجلا يذهب ليطالب ملكاً سينفق مبالغ ضخمة في الكورة البعيدة تصل الى ألوف الأمناء فالعجب انه يهتم بعشرة أمناء وما سيجيئه منها من ربح. ولكننا بقليل من التأمل نلاحظ أن الرجل لم يكن يهتم بالربح في ذاته وانما كان قصد أن يختبر أمانة واجتهاد عبيده حتى يضعهم في المراكز اللائقة بهم عندما يعود أي أن فرصة التجارة هذه كانت مدرسة وامتحاناً لامكانياتهم المخبوءة والدليل على صحة ذلك ان « الملك » عندما عاد ودعا عبيده، جاء الأول وقال ياسيد مناك قد ربح عشرة أمناء فقال له الملك نعما أيها العبد الصالح لانك كنت أميناً في القليل

فليكن لك سلطان على عشرة مدن . وكذلك الذي ربح خمسة أمناء تعين على خمس مدن وهكذا . ولو أن الأمر كان مجرد تجارة لما كان هناك مكان للسلطان على المدن ولكن الملك اراد أن يولي عبيده السلطان على قدر أمانتهم وكفاءتهم وقد ظهرت أمانتهم وكفاءتهم في القليل الذي اعطاه لهم !!

ولكن أحد العبيد لم يشغل الفضة ولما دعي ليعطي حساباً عن مناه قال ياسيد هوذا مناك الذي كان عندي موضوعا في منديل لاني كنت اخاف منك اذ أنت انسان صارم تأخذ مالم تضع وتحصد ما لم تزرع . وغضب الملك عليه واتهمه بالخيانة في ماله اذ كان يتحتم أن يتاجر به أو على الأقل يعطيه لغيره ليشغله له ـ وأخذ منه المنا واعطاه للذي معه العشرة أمناء وطرد الرجل بالطبع من خدمته !

و بعد أن رتب الملك أمور حكمه ووضع رجاله كلاً في الوظيفة اللائقة أمر أن يقبض على أعدائه الذين لم يريدوا أن يملك عليهم وحكم بقتلهم جميعاً !!

* * *

لم يتكلم يسوع شيئاً بعد أن القى هذه القصة ولكننا نرجو أن التلاميذ فهموا المعاني المقصودة ونرجو اننا نحن ندرسها ونفهمها !!

٨٧
المدعوون والمنتخبون

« هكذا يكون الآخرون اولين والاولون آخرين لان كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » متى ٢٠ : ١٦

كان الفريسيون يظنون انهم أصحاب الحق الوحيد في الملكوت . وان مكانهم ينبغي ان يكون في المتكآت الاولى وان العشارين والخطاة لا مكان لهم عند الله لأن الله إله القديسين فقط الذين هم جماعة الفريسيين ومن ذهب مذهبهم . وقد

حاول يسوع ان يفتح أذهانهم الى ان الله إله الجميع والى انه مستعد أن يقبل خروفه الضال . وان المعلم نفسه لم يأت ليدعو أبراراً بل خطاة الى التوبة . وان السماء تفرح بخاطيء واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة . ولكنهم لم يفهموا !

وقد ضرب لهم الأمثال الكثيرة التي تبين هذه الحقيقة وقد قصصنا بعضها ولكننا هنا سنبسط بعض ما لم نبسطه من قبل

١ — عمال الساعة الحادية عشرة

« قال لهم اذهبوا انتم ايضاً الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم » متى ٢٠ : ٧

أما المثل الاول فهو عن العمال الذين اشتغلوا في الكرم ساعة واحدة فقط ومع ذلك أخذوا أجر من اشتغلوا اليوم كله

قال المعلم ، ان ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت له كرم كان يتطلب اصلاحاً !!

خرج الرجل في الصباح ليستأجر فعلة للكرم وذهب الى المكان المعتاد الذي كانوا يجلسون فيه ووجد بعضهم وكانوا قد بكروا في المجيء . فاتفق معهم على دينار في اليوم وارسلهم الى الكرم!!

على انه اكتشف بعد وقت ان الأمر يتطلب فعلة آخرين فخرج في الضحى أي بعد نحو ثلاث ساعات وذهب الى السوق فوجد فعلة هنالك بدون عمل واتفق معهم على ان يأخذوا ما يحق لهم أي يأخذوا ثلاثة أرباع الدينار . . وارسلهم الى الكرم . و بعد ثلاث ساعات ثانية وثلاث ساعات اخرى خرج واستحضر فعلة للكرم واتفق معهم بالطبع على ان يأخذوا ما يحق لهم . وقبل الغروب بساعة واحدة رأى ان الأمر يتطلب عمالاً اكثر فخرج الى السوق ووجد عمالاً جالسين بدون عمل . واندهش من وجودهم بلا عمل وسألهم في ذلك فأجابوه انهم لم يرغبوا في

البطالة ولكنهم لم يجدوا من يستأجرهم وانهم مستعدون للعمل فأرسلهم الى الكرم على ان يأخذوا أجر الساعة !

و بعد ان انتهى العمل جاء وكيل الرجل و بدأ يعطي الأجرة للعمال وابتدأ من عمال الساعة الحادية عشرة (كان اليوم اليهودي مقسماً الى اثنتي عشرة ساعة) وهم الذين اشتغلوا ساعة واحدة فقط واعطاهم ديناراً ديناراً !

وانذهل الآخرون ، وظنوا انهم لا بد وان يأخذوا اكثر . لئن كان الذين اشتغلوا ساعة واحدة يأخذون ديناراً اجرة الساعة فانهم لا بد وان يأخذوا اكثر من الدينار بكثير . ولكن الوكيل جعل يقدم للجميع اجرة متساوية اي ديناراً لكل عامل !!!

ولما جاء دور العمال الذين ابتدأوا من الصباح واعطاهم الدينار تذمروا على رب البيت قائلين ، هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر . و يظهر ان احدهم اشتد في كلامه فقال له رب البيت ، يا صاحب ما ظلمتك . اما اتفقت معي على دينار . فخذ الذي لك واذهب . فاني أريد أن أعطي هذا الاخير مثلك. أو ما يحل لي ان أفعل ما أريد بمالي. أم عينك شريرة لاني أنا صالح ؟؟!

والتفت يسوع الى الفريسيين وتحدثت عيناه ، ان نعمة الله للجميع . ان للعشارين والخطاة مكاناً في الملكوت . انهم سيأخذون نفس النصيب الذي يأخذه الابرار بل سيكونون مكانهم قبلهم. هكذا يكون الآخرون اولين والاولون آخرين. لان كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون !

٢ – الابنان

« فأجاب وقال ما اريد . ولـكنه ندم اخيراً ومضى »متى ٢١:٢٩

كان لانسان ابنان

فجاء الى الاول وقال يا ابني اذهب اليوم اعمل في كرمي . فأجاب وقال ما أريد . ولكنه ندم اخيراً ومضى . مضى بالطبع متأخراً بعض الوقت .

وجاء الى الثاني وطلب منه ان يذهب الى الكرم واظهر الولد استعداداً كبيراً وأجاب جواباً حسناً ولكنه لم يمض !

كانت هـذه القصة التي تحدث بها المعلم لسامعيه من الفريسيين . وسألهم في ختامها مَن مِن الاثنين عمل إرادة الأب . ولم يكن هناك غير جواب واحد بالطبع فان الاول هو الذي عمل إرادة أبيه . ولقد كنا نحب انه يحسن الجواب ثم يحسن التنفيذ ولكنه ندم على رفضه الاول وهذا حسن

ونظر يسوع اليهم وقال لقد حكمتم على انفسكم . الحق اقول لكم ان العشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت الله . لان يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به.وأما العشارون والزواني فآمنوا به . وانتم اذ رأيتم لم تندموا اخيراً لتؤمنوا به !!

٣ — الـكرامون الاردياء

«فمتى جاء صاحب الـكرم ماذا يفعل بأولئك الـكرامين» متى ٢١:٤٠

كان انسان رب بيت غرس كرماً واحاطه بسياج وحفر فيه معصرة و بنى برجاً وسلمه الى كرامين . . وسافر !

كان الرجل غنياً وكانت له كروم اخرى وكان له كرامون يخدمون و يرسلون له الاثمار في أوقاتها وفي وقت المحصول ارسلوا عبيده الى الكرامين ليأخذ اثماره. ولكن الكرامين كانوا لصوصاً وقتلة فقبضوا على اولئك العبيد.وجلدوا البعض ورجموا آخرين بل بلغ بهم الامر انهم قتلوا البعض !

وبلغ الأمر الى صاحب الكرم فأرسل عبيداً آخرين وهؤلاء لم يلقوا من المعاملة أفضل مما لقيه سابقوهم . وظل يرسل لهم عبيداً بعد عبيد وهم يفتكون بهم . وقد ازدادوا قسوة وشراسة !

وأخيراً فكر صاحب الكرم أن يرسل اليهم ابنه قائلاً ، يهابون ابني . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم، هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه !

وسأل يسوع السامعين ، ماذا ينتظر أن يعمل صاحب الكرم مع هؤلاء الكرامين ؟ فأجابوا أولئك الاردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلّم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الاثمار في أوقاتها ! !

لم يعلم أولئك المتكلمون انهم يحكمون على أنفسهم . ألم يرسل الله اليهم أنبياء بعد أنبياء وقد جلدوا من جلدوا ورجموا من رجموا وقتلوا من قتلوا . وها هم يتهيأون لقتل الابن الوحيد ! ! ؟

لقد جاء في كتبهم عن الحجر الذي رفضه البناؤون الذي صار رأس الزاوية . وهم لم يفهموا معناه . وها هو يسوع يلفت نظرهم اليه !

وقصة هذا الحجر تتصل ببناء الهيكل أيام سليمان . كانت الأحجار تنحت في المدينة المجاورة على قياس . وكانت تنقل لتوضع في مكانها بدون أن يمسها أزميل إذ كانت تأتي مضبوطة القياس. وقيل انهم جاءوا يوماً بحجر لم يجدوا مكاناً يضعونه فيه فطرحوه على الارض وداسته أقدام العمال وغطاه التراب والطين وأصبح شكله قذراً وكان في مكانه مهاناً - غير أنه حدث عند نهاية البناء انهم بحثوا عن الحجر الذي يربط البناء كله ، أهمّ حجر ويدعى حجر الزاوية ، فلم يجدوه . وبحثوا هنا وبحثوا هناك فلم يجدوا . وأخيراً خطر ببال أحدهم أن يبحث تحت الأتربة والوحل عن الحجر الذي كان قد عثر به يوماً ، وأحضره ولما وضعوه في المكان كان هو الحجر المطلوب ! ! !

وقال لهم يسوع :

« أما قرأتم قطّ في الكتب . الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا

لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره !! »

٨٨

ثلاثة أشخاص

وقارورة طيب

« اما يسوع فقال اتركوها . لماذا تزعجونها . قد عملت بي عملاً حسناً . . عملت ما عندها . قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين. الحق اقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم يخبر ايضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها »

مرقس ١٤ : ٦ — ٩

نحن الآن في الاسبوع الاخير من حياة يسوع على الارض.وفي يوم الاربعاء على التحديد. وقد استراح المعلم في البيت الحبيب الى نفسه، بيت مرثا ومريم ولعازر. وقد أقامت العائلة له ولتلاميذه ولعدد كبير من الضيوف وليمة كبيرة . كانت العائلة تقيم للسيد في العادة وليمة كلما قصد بيت عنيا لكن وليمة ذلك المساء كانت اكبر الولائم التي أقامتها . لقد امتزجت المحبة فيها بالشكر . لقد أقام السيد لعازر الحبيب من الموت. ان ذلك البيت مدين له بما لا يستطيع ان يفيه ولو قضى العمر كله يوفي!

وإذ ندخل الى البيت نبصر جمهوراً غفيراً من النـاس يحيطون بالسيد . وقد جلس لعازر الى جانب يتحدث معه بعض المقربين . وجلس يهوذا الاسخريوطي يتصدر عدداً من التلاميذ . وأنت تبصر مرثا تذهب وتجيء هنا وهنـاك مرتبكة

كعادتها في أمور كثيرة . انها تريد أن تكون ولية اليوم سيدة الولائم . انها ترجو أن تقدم لسيدها أحبّ طعام . ولو استطاعت ان تستخرج من « حياتها » طعاماً لطهت « حياتها » طعاماً !

وتدور عينك تبحث عن مريم !

نعم مريم الفتاة صاحبة التأملات !

ترى أين هي ؟؟

وانت تجدها في أحد أركان المكان وقد تجلت حيرة قاسية على وجهها . ان المعلم في المكان وهي تريد أن تعبّر له عن محبتها وعن شكرها ولكنها لا تعرف كيف تفعل ذلك !

هل تقول له بفمها ما يحسّ به قلبها ؟ لكن انّى للكلام ان يصوّر أحاسيس القلب؟ أن البلاغة تبدو شيئاً تافهاً عندما تحاول ان تحدث عن عاطفة القلب بلغة اللسان!

فهل تعمل ما تعمله أختها . هل تقدم له طعاماً يحبه . هل تهتم بالطبق المفضل لديه ؟؟ انها تعلم جيداً انه لا يهتم بالطعام البائد. انه لا يطلب من الطعام إلا ما يسدّ الرمق. بل انه حتى في جوع جسده يغلبه جوع آخر. ولقد أحضر له تلاميذه يوماً طعاماً وقالوا له، يا معلم كلْ، ولكنه لم يلتفت اليهم وظل يتحدث الى السامرية ثم التفت بعد أن فرغ من حديثه اليهم وقال ، لي طعام لستم تعلمونه أنتم . طعامي ان أعمل مشيئة أبي الذي في السموات وأتمم عمله !

لكن مريم تريد أن تعمل شيئاً

ولو أنك دخلت في أعماق قلبها وذهنها لرأيت ذلك الصراع الكبير داخلها ، ماذا أقدم لسيدي ؟ و بغتة أشرقت عيناها إذ قد هتف في قلبها صوت :

قدمي له قارورة الطيب !

وقال العقل ، نعم انه لا شيء أغلى من ان يقدم للسيد. ان الطيب غال جداً. انه يساوي ثلاث مئة دينار. ولكن ماهي ثلاث مئة دينار. بل ما هي ثلاثة آلاف

دينار بالنسبة للسيد . لكن ماذا يفيد السيد من الطيب. انه لن ينتفع به. هذا فضلا عن ان الطيب هو ذخيرة الفتاة في يومها التاريخي يوم زفافها لعريسها . ستزفّين الى عريسك بدون طيب لانك بذّرت الطيب في ما لا يفيـد . ان السيد نفسه سينتقد تصرفك !

ولكن القلب لم ينتظر حتى يكمل العقل حديثه . ومتى انتظر القلب حديث العقل ؟؟ ان القلب لا يسير حسب المنطق . ولو ان القلب كان منطقياً ما رأينا أماً تنكر ذاتها من اجل ولدها وما رأينا أباً يبذل في سبيل ابنه. ان المحبة مجنونة كما يقولون انها تبذل دون أن تسأل عن مقدار البذل أو عن فائدة البذل . انها تعيش بالبذل!

وهكذا انطلقت مريم الى خزانتهـا وأخرجت قارورة الطيب من مكانها وأسرعت بها الى حيث جلس المعلم وسكبت القارورة عند قدميه وعلى رأسه . وقد امتلأ البيت من رائحة الطيب واستنشق الجميع ذلك العبير اللطيف عبير الطيب . غير أن مريم أحسّت بأطيب عبير !

أبصر الذين في المكان قارورة مكسورة وطيباً مسكوباً . . أي أبصروا مالا يُبذل. أما مريم فأبصرت شيئاً آخر. لم ترَ قارورة مكسورة، ولم تبصر طيباً مسكوباً. وانما ابصرت غنماً روحياً لم تجده يوم جمعت طيبها ، بل لم تجده في أي وم من ايام حياتها . وأحسّت بسعادة تغمر كل جزء فيها ، سعادة فاقت سعادتها يوم أقبل شابّها المفضّل يخطبها !

في تلك اللحظه تمنّت لو كان لها مئات قوارير الطيب لتسكبها عند قدمي سيدها فتتضاعف سعادتها مع ان سعادتها بلغت منتهاها !

على اننا نلمح في الجانب الآخر من المكان شخصاً بدا امتعاض شديد على وجهه، لم تستطع رائحة الطيب نفسها ان تزيله. ذلك هو يهوذا. ونحن نسمعه يتكلم مع بعض التلاميذ عن هذا الاتلاف وانه كان يمكن ان يباع هذا الطيب بأكثر من ثلاث مئة دينار ويعطى للفقراء . وكان كلامه يتفق مع العقل ومع المنطق وقد وافقه

سامعوه واتفق رأيهم على ان مريم اخطأت خطأ بيناً . بل اتجهوا نحوها وجعلو يو بخونها وكان كلامهم قاسياً ووقفت المسكينة امامهم لا تحير جواباً !

ونود نحن ان نفحص اعتراضهم في منطقه وفي قصده . لقد بنوا اعتراضهم على أن الفتاة اتلفت الطيب وأن ثمنه كان يمكن ان يعمل شيئاً نافعاً ، وهو منطق غير سليم. فان بذل الطيب للسيد لم يكن اتلافاً له. اما المال الذي يبذر على قولهم فلم يبذر. لقد ادّى المال رسالة أغلى بكثير مما يظنون. ليس المال اغلى الاشياء انك بكل مال لديك لا تستطيع ان تشتري ابتسامة على فم صديق او حبيب . فاذا ما كان بذل مئات الدنانير يجلب ابتسامة فما ارخصه ثمناً ! كلا . ان المرأة لم تتلف الطيب . لقد دفعته ثمناً لانتعاش قلب السيد . يا له من ثمن تافه !

ولو أننا تعمقنا اكثر لرأينا النية المستورة . ان اللائم لا يلوم عن اخلاص. انه لا يهتم بالفقراء اطلاقاً. لقد غضب لان المال لم يصل اليه هو . كان أميناً للصندوق وكان ينتظر ان تأتي الدنانير الثلاث مئة اليه باسم الفقراء وكان هو يأخذها !!

ولو أننا فحصنا حالة جميع الثائرين ضد اخوتهم من هـذا القبيل لرأينا اسباباً اخرى لا تمتّ الى الدين بسبب !

وامام يهوذا من الناحية الاخرى نرى السيد.وقد اشرق وجهه بابتسامة ذهبية وارسلت عيناه بريقاً نورانياً.وفي ما هو مبتهج بتقدمة مريم ابصر الوجوه المكشرة والكلمات الغاضبة . وابصر مريم واقفة في حالة اضطراب. فالتفت نحو يهوذا ومن معه وقال اتركوها . لماذا تزعجونها . قد عملت بي عملاً حسناً . لأن الفقراء معكم في كل حين ومتى اردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيراً . واما أنا فلست معكم في كل حين . عملت ما عندها . قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين . الحق اقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم يخبر ايضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها !

سمعت مريم هذه الكلمات الكبيرة فعاد الاشراق الى وجهها ونظرت الى السيد شاكرة !!

انه يقول انها عملت به عملا حسناً لم تدرك مريم حقيقة عملها ولكن السيد ادركه . لقد انعش الطيب جسمه المنهوك . ان له عدة ايام يعمل بدون انقطاع فهو في حاجة الى ما ينعشه وهذا الطيب قد ادّى هذه الرسالة . ربما كان هذا كل ما ادركته مريم . ولكن مريم لم تدرك شيئاً آخر . لقد انتعشت نفس السيد . فقد وصل المعلم الى الاسبوع الاخير وها هو يحسّ بالصليب يطلّ عليه ويرمي ظلاله نحوه . وقد تجسمت الكراهة في كل المحيطين به ! !

العالم يبغضه !

الشيطان يبغضه !!

الرومان يبغضونه !!

اليهود يبغضونه ! !

أحاطت البغضة به من كل ناحية . الجميع تحالفوا ضده . الكل يتآمرون على قتله. حتى بين تلاميذه وجد الخائن. و بين التلاميذ من سينكره ومن سيهرب بعيداً عنه. في ذلك الوقت جاءت مريم تسكب قارورة الطيب فتذكر له انه يوجد في عالم البغضة هذا ، من يحبه . كان هذا العمل سيفاً من نور في غمرة الظلام . كان واحة مخضرة في اقاليم متسعة من الرمال الصفراء . كان الرسم الجميل للمحبة وسط الصورة الشنعاء للكراهة !!

استراحت نفس السيد !!

وشكر لمريم عملها العظيم الذي أتته !!

وفي نفس الوقت وبخ رياء اولئك المنتقدين ووبخ شرهم . وأكد لهم ان عملها هذا سيظل مذكوراً أبد الدهر ! !

وقد سجل يوحنا ان يهوذا كان سارقاً وكان يأخذ ما يلقى فيه . على انه سجل ايضاً قول السيد انه حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم يخبر ايضاً بما فعلته مريم تذكاراً لها ! !

٨٩
فامتلأ البيت من رائحة الطيب

اليوم الجمعة على ما نظن أو السبت على ما يظن غيرنا أو الأحد على ما يرى البعض الآخر على أن آخرين يؤكدون أن ذلك كان في يوم الاربعاء في الاسبوع الاخير لخلصنا على الارض، وبما أننا لسنا بصدد تفسير وانما نحن نشاهد حوادث طريفة فلا يهمنا أي يوم هو. غير أننا نعتقد انه ليس السبت فانه يوم اليهود المقدس، وليس الأحد فقد جاء الأحد في الغد . ومع ذلك فسنصمت عن تحديد اليوم .

جاء المعلم إلى بيت عنيا !

هل جاء مدعوا ؟

ام جاء زائراً إحدى زياراته العادية ؟ ؟ لا نعلم . ولكننا نظن أن العائلة المحبوبة أقامت حفلة شكر لله وللسيد الذي ردّ للبيت بهجته ونوره !

وها نحن نرى مرثا ، كعهدنا بها، تتحرك من هنا إلى هناك وهي ترتب وتدبر وتنادي خادماً وترسل خادماً آخر . كانت مرثا مرتبكة في أمور كثيرة. لقدسبق لها أن سمعت من السيد درساً عن الحاجة الى واحد ولكنها لم تستطع أن تهدأ وكيف تستطيع ذلك والسيد في البيت ؟

لقد كان السيد موضوع تقديرها العظيم من قبل. كان فخارها بزيارته بيتها لا تعدله كل أمجاد العالم . وانها لتجلس حائرة تسأل كيف تكرمه . انها تعلم أنه لا يهتم بنفسه . يا طالما ترك الطعام دون أن يمسّه لانه كان يشتغل بمساعدة الجماهير المتدفقة عليه . ثم أن طعامه في الغالب لم يكن يعدو خبز الشعير وصغار السمك . وهي ترغب لو أمكنها أن تحيل الدنيا طعاماً شهياً تقدمه له. وكانت كل لقمة طيبة يأكلها تملأ صدرها حلاوة من الجنة !

واليوم ! ؟ !

لا يزال السيد في مكان تقديرها !

بل انها — بالرغم من أن السيد كان يحتل مقام الذروة من هذا التقدير من قبل — بالرغم من ذلك تحسّ أن مقداره قد ارتفع كثيراً فوق الذروة !!

السيد الذي بكى معها وكانت دموعه لهيباً

السيد الذي ازعجت روحه وهو يسمع نشيجها

السيد الذي وقف أمام قبر اخيها وصارع الموت وردّ لها ذلك الشقيق حياً !

السيد الذي ملأ البيت بالنور بعد أن غطاه الظلام !

ماذا تعمل له ؟؟

لقد ارتبكت من أجله بالامس !

أما اليوم فانها ترتبك اكثر !

اكثر كثيراً !!

ومريم ؟!

نعم مريم ، اين كانت ؟

لقد فاض قلبها بالشكر . انها لتودّ أن تجلس عند قدمي السيد وتضع قدميه فوق شعرها ولـكن المجال لم يسمح بذلك

ماذا تعمل من أجله ؟

انها تعلم أنه لا يهتم بالطعام . لقد سمعته بالامس يقول لاختها « الحاجة الى واحد » . بل لقد رأته يجلس الى المائدة فلا يتناول إلا القليل ، ولا يتناول إلا من طبق واحد . كلا أن الطعام له لم يكن لذة ومتعة . انه يأكل ليبقى على قوة ذلك الجسم المتعب . وهو يعلم اكثر من ذلك انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان !!

وهي تعلم انه لا يهتم لشيء من أعراض الدنيا

هل تعطيه مالاً ، وماذا يعمل به . انه لا يبقى درهما واحداً معه !

هل تعطيه ثياباً ؟ انه بالرغم من اعتنائه بملبسه ، وارتدائه الثوب النظيف الانيق

لا يكرم الثياب، إذ يكفيه ثوب واحد . وهو يلبس ثو باً منسوجاً قطعة واحدة !

ماذا تعمل له . . انها تريد أن تعمل شيئاً

و بغتة أشرقت ابتسامة نيرة على شفتيها وركضت الى مخدعها واحضرت شيئاً خبأته داخل كمّ ثوبها . واقتربت من السيد واخرجت ذلك الشيء المخبأ واذا هو قارورة من طيب ناردين خالص كثير الثمن .. وكسرت القارورة وسكبت الطيب على رأس السيد وسال من الرأس الى الوجـــه والى بقية الجسم وامتلأ البيت من رائحة الطيب !!

فهل أصابت في ما عملت ؟

هي تعتقد أن عملها عين الصواب

أن ذلك الطيب كان على ما يقال ذخيرة الفتاة تدخل به الى بيت عريسها يوم تزَفُّ اليه ، تحمل له فيه رمز الحياة الزكية المحبة الشاكرة . وتعلن له به أن قلبها كالطيب يملأ بيته بكل رائحة طيبة !!

كان الطيب رمز مستقبلها المأمول وهي ترى أن تقدّم حاضرها ومستقبلها ذبيحة و بخوراً وعطراً لذاك الذي تعتبره أعز من الشباب ومن المستقبل ومن الحياة نفسها بل لو أنها استطاعت أن تصهر حياتها وتضعها في قارورة لسكبت تلك القارورة على رأسه بدون تردد !!

ولا شك أن لعازر ومرثا نظرا الى عملها بكل سرور ورضاء !

أما الجمهور فقد سرت بينه همهمة . لنجتز بينه ونسمع :

— يا له من طيب زكي الرائحة !

— انه طيب ناردين خالص كثير الثمن !

— لقد كانت مريم تحتفظ به ليوم عرسها !

— لاشك انها برهنت على اخلص قلب !

— انها فتاة تقية نقية مرهفة الحس !

— لا شك انها حمقاء!

— ماذا أفاد المعلم من الطيب؟

— لقد احسنت صنعاً!

— ان المعلم ينظر اليها مسروراً شاكراً

وفي احد أركان المكان جلس يهوذا يحيط به نفر من التلاميذ. وقد لاحظ يهوذا ما عملته مريم فكان استياؤه عظيماً. قال في نفسه، لو أن تلك الحمقاء قدمت القارورة للسيد كما هي من دون أن تضيعها لكانت تقدمة تذكر اذ كنت ابيعها وأضعها في الصندوق!! ثم أشار الى مريم فاقبلت اليه واذ ذاك عنفها على حماقتها، لماذا تضيع الطيب هباء. ونظر الى التلاميذ وقال، انظروا هذه الغبية لئن كان في نيتك تقديم الطيب ذبيحة شكر فكان يلزم أن يباع بأكثر من ثلاث مئة دينار ويعطى المبلغ للفقراء. ووافقه التلاميذ على ذلك وانهال الجميع عليها توبيخاً وتقريعاً. والفتاة المسكينة تضطرب امامهم وتهتز كقصبة وتحس بخجل يرسل كل دمها الى وجهها وتوشك أن تنفجر باكية بصوت مرتفع.. وحين بلغت روحها التراق جاءتها النجدة من السيد فقد التفت الى أولئك الغيورين على الفقراء وقال:

« اتركوها لماذا تزعجونها ؟

الفقراء معكم في كل حين وتستطيعون أن تعملوا معهم خيراً متى أردتم

اما أنا فلست معكم في كل حين

قد عملت بي عملا صالحاً... انها ليوم تكفيني قد عملته!!

الحق الحق أقول لكم

حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل المسكونة يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها »

لم يكن الطيب الذي ترك رائحته الزكية فقد تلاشت الرائحة من قديم

ولكنها المحبة.. المحبة الخالدة!

المحبة التي كانت والكائنة وستكون الى الابد!!

٩٠
شجرة التين اليابسة

«لذلك أقول لكم كل ماتطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن
تنالوه فيكون لكم »   مرقس ١١ : ٢٤

نحن الآن في صباح الاثنين من الاسبوع الأخير للسيد على الارض
وقد كان في طريقه الى المدينة
وأحس بشيء من الجوع
وأبصر على جانب الطريق شجرة تين . لم يكن الوقت موسم الثمر . ولكن بعض أشجار التين تبكر في الثمر عن غيرها. وقد أبصر المعلم في تلك الشجرة علامات الثمر المبكر اذ أبصر ورقها الكثير الاخضر . وكان منظرها هذا يوحي أن بها ثمراً.
وجاء يسوع اليها علّه يجد فيها ما يشبع جوعه

ولسنا الآن في معرض البحث عن سابق علم يسوع كاله أو عدم سابق علمه كانسان. ولا يهمنا البحث في هذا الامر خصوصاً وأن هناك أسراراً كثيرة تتصل بيسوع لا يمكن ان نصل الى حلّها . وقد سمعناه يتحدث عن اشياء لا يعلمها أحد ولا الابن . وليس في الامكان وضع حد بين قدرته اللاهوتية وضعفه البشري . ولذلك نستحسن ان نسير في القصة سيراً طبيعياً

جاء يسوع الى شجرة التين وبحث علّه يجد بعض باكورات التين فلم يجد . ولذلك نظر الى هذه التينة « المرائية » حزيناً . انها رمز للأمة الاسرائيلية . أن ورقها كثير ولكنها لاثمر لها. أليس فيها الهيكل والمذبح والذبائح والعبادات والصلوات والفرائض والصيام . ان الذي يرى الأمة الاسرائيلية يظن انها أمة متدينة قريبة من الله ولكنه عند ما يفحصها عن قرب يتحقق ان ديانتها هي ديانة « الورق »

انها تخدع عين الناظر ولكنها لاتشبع قلبه. ان فيها منظر نار ولكنها لاتدفئ. سيستمر الناظر اليها جائعاً ومجمداً!

وأراد المعلم ان يقدم لتلاميذه درساً لا ينسونه فلعن تلك التينة « المرائية » . قال لايأكل أحد منك ثمراً بعد الى الابد. واذ ذاك بدأ الذبول يتسرب الى الشجرة ولكن التلاميذ لم يلاحظوا ذلك في الوقت . وفي الصباح التالي مروا بها فوجدوها جافة كأشجار الشتاء ، وكان اندهالهم عظيماً . وقد تحدثوا في ذلك أمام المعلم . ان الشجرة بدأت تيبس حالما ألقى المعلم كلمته. وتم جفافها في اليوم التالي وبذلك صار ظاهر الشجرة كحقيقتها. لقد كانت جافة القلب ولكنها كانت حية الظاهر، فأحال السيد ظاهرها كباطنها!

ترى هل فهم التلاميذ ان ماتم مع التينة كان نبوة بما سيتم مع الامة الاسرائيلية؟ كان ظاهرها الورقي يخفي موت قلبها ولذلك فسيموت الظاهر ليكون نظير الباطن. وقد تم ذلك حرفياً بعد سنوات قليلة! نعتقد ان التلاميذ لم يفهموا الامر تماماً في ذلك الوقت ولكنهم فهموه على حقيقته فيما بعد!

على أن اندهال التلاميذ كان بسبب الجفاف السريع للشجرة. لقد لعن السيد التينة . قال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد الى الابد وكانوا ينتظرون ان ذلك سيتم ولكن بدون تغيير سريع مفاجىء . فلما رأوا شجرة التين تشبه في يبوستها أشجار الشتاء اندهلوا وقال بطرس للمعلم ياسيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست . فأجاب يسوع وقال له وللتلاميذ، ليكن لكم ايمان بالله لاني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فمهما قال يكون له

ثم جعل يحدثهم عن الصلاة المقتدرة وقد ذكر عنصرين لازمين لهذه الصلاة. الأول الايمان وهو يقول في ذلك « لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم! »

والعنصر الثاني المسامحة وقد قال في ذلك « ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم . وان لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضاً زلاتكم ».

ولقد يسأل البعض عن العلاقة بين الغفران واجابة الصلاة . وهي ظاهرة فان المصلي ينبغي ان يكون على صلة طيبة بإلهه وإلا فكيف يجسر ان يرفع وجهه أمامه. وهل يمكن أن يكون امرؤ على صلة طيبة بإلهه وفي قلبه غل أو حقد ؟ ؟

ما اكثر الدروس التي لنا في شجرة التين !!

٩١

سلطان يسوع

«وكلموه قائلين قل لنا بأي سلطان تفعل هذا» لوقا ٢:٢٠

اولئك الفريسيون

المتكبرون

المتعصبون

العميان !!

لقد حاولوا منذ ان بدأ يسوع خدمته الجهارية ان يصطادوه . فدسّوا له وتآمروا به وعليه . وسألوه مختلف الاسئلة واشاعوا مذمته . وها هم يسألونه اليوم سؤالاً بادي البرارة ولكنه يخفي الشر واللؤم !

بأي سلطان تفعل هذا

ومن أعطاك هذا السلطان ؟

لقد دخل اورشليم ملكاً وهتفت له الجماهير، اوصنا مبارك الآتي باسم الرب ودخل الهيكل رباً له وطرد الباعة وقلب موائد الصيارفة وأمر باعة الحمام ان يحملوه

من المكان . ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع وقال لهم ، مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص .



الأولاد يهتفون ليسوع وهو داخل اورشليم دخوله الانتصاري

وكان غضب الفريسيين عظيماً ولكنهم لم يستطيعوا أن يجدوا في تصرفه ما يأخذونه عليه ولذلك رتبوا أن يصطادوه بهذا السؤال البادي البرارة . ان ما عمله يسوع لا يجوز أن يأتيه إلا من أخذ السلطان من رئيس الكهنة أو ممن هو أعظم

من رئيس الكهنة . وهم يقصدون أن يدفعوه الى القول انه ابن الله لكي يقولوا انه قد جدَّف وإذ ذاك يقبضون عليه ويقتلونه !

ولو انهم كانوا مخلصين لما سألوا هذا السؤال . ألم يروا في ما أتاه من أعمال ما يعلن عن مصدر سلطانه ؟ هل يمكن لمن لم يتسلم سلطانه من فوق ان يفتح عيون العميان وآذان الصم ويطهر البرص ويحيي الموتى ويسكن الريح ويخرج الشياطين؟ ولكنهم كانوا أشراراً ذوي طوية خبيثة وقد ملأ اللؤم أرواحهم وهم يريدون أن يزيلوه من الطريق بأية كيفية !

ورأى يسوع شرهم

واجابهم اجابة حكيمة صحيحة . قال وأنا ايضاً اسألكم كلمة واحدة . أجيبوني فأقول لكم بأي سلطان أفعل هذا !

«معمودية يوحنا من أين كانت

من السماء أم من الناس ؟ »

كان سؤال السيد سؤال حكمة واقناع . ماذا يرون في يوحنا ورسالته . وقد لخص كل خدمة يوحنا في كلمتي « معمودية يوحنا » إذ كانت المعمودية تحتوي على الكرازة بالتوبة والاعتراف والاغتسال . وقد أقبل الجمهور كله على يوحنا وآمن به نبياً . وقد تكلم يوحنا عن يسوع انه هو هو الآتي وانه حمل الله الذي يرفع خطية العالم وانه هو العريس !

هذا ما اعترف به يوحنا فماذا يقولون فيه . هل جاء رسولاً من الله أم كان نبياً كاذباً مدعياً ؟؟

واهتز الفريسيون واضطربوا . لقد كان السؤال كاشفاً . لقد أوقعوا أنفسهم في ورطة سبحان من يخلصهم منها . وهي ورطة محكمة الاغلاق . فهل يقولون ان معمودية يوحنا من الله وان الله أرسله نبياً . هل يقولون ذلك ؟ إذن لماذا لم يؤمنوا به ولماذا يسألون مثل هذا السؤال وقد أجاب عنه يوحنا بكل وضوح !؟؟ أم هل

يقولون ان معموديته من الناس ، وهو ما يعتقدونه هم ، وان الرجل لم يكن نبياً لله وانما كان نبياً كاذباً ومدعياً . لكن هل يجسرون أن يقولوا ذلك ؟ ان الشعب يرجمهم إذا قالوا ذلك . يوحنا القديس . . الملاك ، الرجل الذي وقف وحده أمام الملك الطاغية يوبخه على خطيئته . لقد جبنوا كلهم وأحنوا رؤوسهم وسكتوا على المعصية ترتكب في وضح النهار . أما هو فلم يسكت بل قال الحق وضاعت رأسه بسبب ذلك . هل يجسرون أن يقولوا ان معموديته ليست من الله ؟؟!!

وضاق بهم الأمر وأحسّوا بالخجل يغطيهم وهم يقولون لا نعلم. وقد ظنوا انهم تخلصوا من الورطة بادعاء الجهل . مساكين ! لقد كان كذبهم واضحاً !

أما يسوع فينظر اليهم موبخاً وهو متألم لقساوة قلوبهم و يقول لهم ، ولا أنا اقول لكم بأي سلطان أفعل هذا !

٩٢

عرس ابن الملك

« فاذهبوا الى مفارق الطرق و كل من وجدتموه فادعوه الى العرس » متى ٢٢ : ٩

كان ملكاً من ملوك الشرق

لم تكن مملكته كبيرة ولكنه كان غنياً اذ كانت كل ثروة المملكة تصب في خزائنه

وقد بلغ ابنه السن التي يتزوج فيها وخطب له أبوه أميرة جميلة من بنات الملوك في المملكة المجاورة . وحلّ يوم الزفاف

وأقام الملك تبعاً لذلك وليمة عظيمة جداً دعا اليها كل اشراف مملكته .

وحلّ ميعاد الطعام ولم يحضر أحد من المدعوين . كان القوم يبغضونه وكان قد أخذ الملك بالرغم من ارادتهم اذ كان قاسياً شديد الوطأة على الشعب . أو هذا

ما كانوا يرونه فيه . ولم يستطيعوا بالطبع ان يواجهوه برأيهم فيه ولكنهم كانوا يتصرفون معه تصرف المبغضين له المحتقرين لشأنه

وأرسل الملك عبيده ليدعو المدعوين الى العرس فلم يريدوا أن يأتوا

فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلا قولوا المدعوين ، هوذا غدائي أعددته . ثيراني ومسمناتي قد ذبحت . وكل شيء معد تعالوا الى العرس !!

كان ذلك تسامحاً من الملك . وكان ارسال العبيد للمرةالثانية تفضلا منه . على أن القوم لم يقابلوا صنيعه بما يليق ان يقابل به فانهم تهاونوا ومضوا واحد الى حقله وآخر الى تجارته . والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم ، بل امتد بهم الامر الى أن قتلوهم ! !

وسمع الملك بالأمر !

وغضب !!

بل كان غضبه هائلاً !!

ان تصرف القوم وقاحة وهو في نفس الوقت تمرد على الملك . لذلك لم يكن غريباً أن يأمر الملك جنوده أن يذهبوا الى مدينة أولئك المتمردين القاتلين ويحرقوها ثم يهلكون أولئك القتلة !

وكان تصرف الملك تصرفاً معقولا بالنسبة للقانون والعدل !!

و بعد ان فرغ الملك من أمر معاقبة القوم التفت الى عبيده وقال :

أما العرس فمستعد

وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين

فاذهبوا الى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه الى العرس !

فخرج أولئك العبيد الى الطرق وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين.

فامتلأ العرس من المتكئين!!

كان المتكئون جماعة كبيرة من عينات مختلفة. فقراء وأغنياء ، متعلمين وأنصاف

متعلمين وجهلاء . كما كانوا من طبقات اجتماعية مختلفة فيهم الشريف وفيهم اللص. ولكنهم كلهم كانوا في زي واحد . اذ كان التقليد الملكي أن يلبس ضيوف الملك ثياباً ملكية يوزعها الملك من خزائنه حتى يكون الجميع متشابهين في زيهم !!

لكن أحد الضيوف لم يشأ أن ينزل على أمر الملك ورفض أن يخلع ثيابه ويلبس ثوب العرس. نظن ان عبيد الملك حاولوا أن يقنعوه أن يلبس ثوب العرس ولكنه رفض لأن ثيابه أفضل من كل ثياب أخرى . ولأنه لا يريد أن يعامل كما يعامل الضيوف من الطبقات الحقيرة التي جلست في المكان . انه أشرف منهم وأكرم وينبغي أن يعامل معاملة تختلف عنهم !!

وقد يكون السبب انه كان في اعماق قلبه لايشعر بأي ولاء نحو الملك ولا يحس أن ثوب الملك يوليه فخراً بل بالعكس كان يحس أنه أشرف من أن يلبس ثوب العرس الملكي !!

ولا يستبعد أن عبيد الملك لما حاولوا أن يقنعوه استطاع أن يفحمهم بمنطقه فلم يحيروا معه جواباً وتركوه يدخل المكان وليس عليه ثياب العرس!

وحلت الساعة !

ودخل الملك لينظر المتكئين !

وأبصر الانسان الذي ليس عليه ثياب العرس !!

فقال له ، يا صاحب كيف دخلت الى هنا وليس عليك ثياب العرس ؟

فسكت !!!

أين اللسان الطويل ، أين الحجج القوية ، أين المنطق . كل هذا قد تبخر . في حضرة الملك يستد كل فم !

كان الرجل يعلم انه مسيء ، ويعلم أن عدم لبسه الثياب الملكية عصيان . كانت خطيته تناديه ، أنت خاطيء . لذلك لم يستطع أن يتكلم !

حينئذ أمر الملك خدامه أن يقبضوا على الرجل ويربطوه من يديه ورجليه

و يطرحوه في وادي « ابن هنوم » المظلم الذي كان يطلق عليه وادي ظل الموت . وهناك كان يلقى مصيره المحزن حيث البكاء وصرير الاسنان !!

* * *

ألقى يسوع هذه القصة على الفريسيين ليكشف لهم قساوة قلوبهم في رفضهم لابن الملك وليعلن لهم ان العشارين سيأخذون مكانهم . وليبيّن لهم فساد اعتمادهم على برّهم الذاتي اذ لا مكان لبرّ آخر خلاف برّ المسيح ! !

٩٣

امتحان

« حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة » متى ٢٢ : ١٥

« وجاء اليه قوم من الصدوقيين .. وسألوه» مر ١٢:١٨

« فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه اجابهم حسناً سأله اية وصية هي أول الكل» مر١٢:٢٨

أما الذين وضعوا أسئلة الامتحان فقوم خلت قلوبهم من الاخلاص وسلامة الطوية: ولم يكن غرضهم اكتشاف الحقيقة وانما كان غرضهم ان يصطادوا «المعلم» الجليلي عسى ان يتمكنوا من اهلاكه . كانت أسئلتهم مؤامرة اجتمعت فيها كل صفاتهم الشريرة ولكنهم ارتدوا من مؤامرتهم خاسرين !

ومع ان أسئلتهم كانت أسئلة مسمومة وكان التخلص من سمومها أمراً بعيد المنال إلا ان المعلم استطاع ان يخرج من بين خيوط الاشراك التي حبكوها . بل استطاع ان يضع في اجاباته مبادىء سامية ومُثُلاً عالية لا تزال ترسل نورها المتألق هداية وأماناً ! !

١ — أما السؤال الأول فهو سؤال الجزية

كان السؤال « أيجوز أن تعطى جزية لقيصر . نعطي أم لا نعطي »

ولعل السؤال يبدو بريئاً مخلصاً لغير الدارسين ، ولكننا نشاهد فيه كل شرور الحية القديمة !

وأول ما نشاهده من مكرهم وخديعتهم تلك التحية التي حاولوا أن يستروا بها نيتهم الخبيثة . فلقد جاءوا وكأنهم مختلفون في أمرهم . جماعة من الفريسيين وهم غلاة الدين وغلاة الوطنية ومعهم جماعة من الهيرودسيين أو رجال القصر وحلفاء الدولة المحتلة . الأولون يعتبرون دفع الجزية لقيصر خيانة للدين وخيانة للوطن والآخرون لا يرون ذلك . ولم يكن الفريسيون والهيرودسيون يُرون معاً إذ كانوا أعداء تفرّق العداوة بينهم . ولكنهم اجتمعوا اليوم معاً . اجتمعوا لكي يصطادوا المعلم بكلمة !

وقالوا : يا معلم نعلم انك صادق وتعلّم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد
لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس
فقل لنا ماذا تظن
أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا
نعطي أم لا نعطي ؟؟

أما انه صادق ويعلّم طريق الله بالحق ولا يبالي بأحد لأنه لا ينظر إلى وجوه الناس ، فقول حق كله . وهم يعلمون انه حق . ولكنهم لم يقصدوا بقولهم إقرار حقيقة وانما قصدوا أن يُعموا عينيه عن الحقيقة بتمليقهم اياه . كانوا يظنون انه نظيرهم يسره الثناء فلا يرى الشرك الموضوع أمامه ! !

والمديح رشوة يقدمها الناس لذوى النفوس الوضيعة . والذين يقبلونه يعلنون بقبوله انهم ليسوا جديرين به !

أما السيد فعلم خبثهم واكتشف شرهم الكامن خلف كلماتهم الناعمة . وقال ، لماذا تجربونني يا مراؤون ؟؟

أما التجربة في حدّ ذاتها فقد كانت شركاً محكماً . خصوصاً وهم يريدون جواباً صريحاً « أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا . نعطي أم لا نعطي »

فاذا قال « أعطوا جزية لقيصر » فقد أوقع نفسه في ورطة يستحيل عليه الخروج منها . ان الدين يأمر بعدم معاونة الاجنبي . ألم يقل موسى في سفر التثنية « من وسط اخوتك تجعل عليك ملكاً . لا يحل لك ان تجعل عليك رجلا أجنبياً ليس هو أخاك » . وقد قامت فتن كثيرة في اليهودية لأخذ الرومانيين تلك الجزية من أهلها . فهل يليق بالزعيم الديني الجديد ، بل بالمسيا الآتي كما يقول ، ان يسمح باعطاء الجزية للملك الاجنبي ؟ ألا يناقض هذا السماح تصريحاته المتكررة انه هو الآتي ، وانه هو المسيا ، وانه هو ابن الله ؟ وماذا يقول الشعب عن زعيم ديني كبير يجيز دفع الجزية ؟

لو أن المعلم قال « يجوز » ، لخسر كل شيء !!

فاذا قال « لا تعطوا جزية لقيصر » فقد أوقع نفسه في ورطة أقسى وتعذر عليه الخلاص منها . فان الهيرودسيين كانوا يرفعون أمره إلى السلطات الحاكمة . بل ان الفريسيين أنفسهم كانوا يفعلون ذلك . وكانوا يتهمونه بالقيام ضد الحكومة القائمة والتمرد على قيصر . بل انهم بالرغم من عدم قول يسوع ذلك قد افتروا عليه وادّعوا انه قال ان لا تعطى جزية لقيصر وطلبوا الحكم عليه بالقتل بسبب ذلك . فقد ذكر البشير لوقا ان كل جمهورهم قاموا وجاءوا بيسوع إلى بيلاطس « وابتدأوا يشتكون عليه قائلين اننا وجدنا هـذا يفسد الأمة ويمنع ان تعطى جزية لقيصر قائلاً انه مسيح ملك » — ولما لاحظ اليهود ان بيلاطس يميل إلى اطلاق يسوع « كانوا يصرخون قائلين ان أطلقت هذا فلست محباً لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر » !

وإذا رفض ان يجيب السؤال فقد أقرّ بعجزه أمامهم وأعطاهم فرصة يذيعون عنه فيها كل مذمة وتشهير!

ومع أن السيد لم يكن يهتم فعلا بما يقول الناس بل كان يقول الحق مهما كانت نتائجه. ومع انه لم ينظر إلى السؤال من نواحيه التى نظروها هم، إلا انه برغم ذلك فكّر أن يجيبهم جواباً يسكتهم!

قال: أيتوني بدينار لأنظره

فأتوا به!

فقال لمن هذه الصورة والكتابة به؟

فقالوا لقيصر!

كانوا يتعاملون بدينار قيصر. كانوا يبيعون ويشترون ويقرضون ويقترضون وكان واسطة كل ذلك دينار قيصر. وكان دينار قيصر يدفع في مرتبات الموظفين والجند والحراسة وكل ما يتصل بشئون المملكة. وكانوا بتعاملهم به يعلنون اعترافهم بولايته وسلطانه. إذن يتحتم عليهم ان يدفعوا له الجزية. ان قولهم بعدم الدفع تمحك فارغ!!

ثم ان قيامهم بواجباتهم كمواطنين لا يتدخل في أمور دينهم. ان لقيصر حقوقاً ولله حقوقاً. والسيد يضع ذلك المبدأ الذي صار من ذلك الوقت قانوناً:

اعطوا ما لقيصر لقيصر

وما لله لله!!

سمع السائلون جواب المسيح فأسقط في أيديهم وذهبوا متعجبين من حكمته وتركوه ومضوا!!

٢ — ذهب الفريسيون والهيرودسيون وقد أسقط في أيديهم. ذهبوا وهم يتحدثون عن حكمة يسوع الفائقة!!

ولكن صدوقيين جاءوا

والصدوقيون يكوّنون حزباً كبيراً في اليهودية . وهو يتألف من الطبقة المثقفة المستنيرة . هم أنصار الحديث !

هم يهود ولكنهم ليسوا يهوداً متزمّتين !!

وهم يؤمنون بالوحي لكن ليس بكل الوحي!!

هم يقبلون التعاليم الكتابية ولكنهم لا يقبلون ما خالف منها المنطق والعقل وكانوا ينكرون قيامة الأموات انكاراً قاطعاً . ولقد ضايق رؤساء الكهنة وكانوا من الصدوقيين في ذلك الوقت ان تلاميذ يسوع علّموا بالقيامة . كلا . ان الموتى لا يقومون !!

وقد جاءوا إلى المعلم بسؤال كان في ظاهره بسيطاً ولكنه في داخله كان يحمل كل معاني السخرية والاستهزاء !!

ولقد دلت كيفية سؤالهم على ثقافتهم فقد أخذوا بالأسلوب العلمي في البحث. انهم لا يأتون ليسألوا هل القيـامة من الأموات شيء حقيقي أم انها خرافة . ان سؤالا بهذه الصورة يبدو سمجاً . لذلك يأتون بسؤالهم في شكل قصة :

يا معلم كتب لنا موسى ان مات لأحد أخ وله امرأة ومات بغير ولد يأخذ أخوه المرأة ويقيم نسلا لأخيه . فكان سبعة أخوة . وأخذ الاول امرأة ومات بغير ولد . فأخذ الثاني المرأة ومات بغير ولد . ثم أخذها الثالث وهكذا السبعة. ولم يتركوا ولداً وماتوا . وآخر الكل ماتت المرأة ايضاً . ففي القيامة لمن منهم تكون زوجة . لأنها كانت زوجة للسبعة ؟؟

وكان سؤالهم ينطوي على استحالة القيامة من الأموات . فانه إذا كان الأموات يقومون فستقوم مشكلة بل مشاكل نظير هذه المشكلة . هل تكون امرأة لسبعة رجال ؟!

أما السيد فنظر اليهم حزيناً على غبـاوة أفكارهم وعمى قلوبهم وقال ، تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . لقد تسلموا الكتب المقدسة ولكنهم لم

يفهموها . وقد آمنوا بقوة الله ولكنهم حددوا هذه القوة . سلّموا بالخلق ولكنهم أنكروا القيامة

يا لضلالهم !

ذاك الذي خلق الانسان من لا شيء !!

هل يستحيل عليه ان يعيده الى الحياة بعد موته ؟؟

وشرح للمعلم لهم أمر القيامة من حيث العلاقات العائلية هنا فقال انهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء أي انهم نظير الملائكة في الخلود وعدم قبول الزيجة وانهم ليسوا بعرضة لشيء من الجوع أو العطش أو الوجع أو النوم أو الشهوات الجسدية وان أجسادهم الروحية لا تقبل الفساد — على انه لا يجوز لنا أن نستنتج من قول المسيح انقطاع كل صلات مودة ومحبة في القيامة بانقطاع الصلات العائلية فاننا نؤمن ان الذين عرفوا بعضهم بعضاً على الارض يعرفون بعضهم بعضاً في السماء والاصدقاء هنا يكونون أصدقاء هناك والأزواج هنا لا ينسون هنالك انهم كانوا كذلك . إذ أن قصد المسيح انه لا يغري الجسد الروحاني من الشهوات ما يغري الجسد الحيواني !

ولم يقف يسوع عند هذا الحدّ . بل أورد للصدوقيين من كتب موسى ـ وهي الكتب الوحيدة التي يؤمنون بها ـ ما يبرهن لهم ان القيامة أمر حقيقي . ألم يقل الله لموسى عندما خاطبه من العليقة : أنا إله ابرهيم وإله اسحق وإله يعقوب . انه لا يذكر انه « كان » إلههم ولكنه لا يزال إلههم . فهل يكون الله إله أموات . انه ليس إله مجرد أسماء أولئك الآباء بل الله أشخاصهم !!

وذهل الصدوقيون !

يا طالما قرأوا هذه الكلمات في الكتاب !

ولكنهم لم يروا فيها ما كشفه لهم المعلم الجليلي !

انهم فعلاً أغبياء !!

وناقصو الفهم !

وضـالون !

وهم يذهبون وقد امتلأت صدورهم بالأفكار المتناقضة

هل النفس خالدة ؟

ربما كانت خالدة !؟

كلا. لا يمكن أن تكون خالدة !!

ونحن لا نعلم ان كانوا قد آمنوا بالقيامة أم ظلوا سادرين في غيهم !

أما الجموع فقد بهتوا من تعليمه !

وابتهجوا به !

وآمنوا !!

٣ — كان سرور الفريسيين عند ما سمعوا ان المعلم أبكم الصدوقيين عظيما حتى ان أحد الكتبة قال له ، يا معلم حسناً قلت !

على ان شر قلبهم لم يتركهم فانهم لم يحتملوا أن يروا الناصري يسير بين الناس معلماً . انه لم يدرس في مدرسة الكتبة ولم يتسلم مفتاح الشريعة . ومع ذلك فان « الشعب الغبي » يتهافت على سماعه . انه قد يكون ماهراً في التخلص من مأزق ، ولكنهم سيسألونه أسئلة فقهية عميقة حار فيها علماؤهم وها هم يرسلون أحد الكتبة وهو ناموسي . وكان الناموسيون يتميزون عن جمهور الكتبة ، غالباً بتخصصهم في دراسات المشاكل اللاهوتية العويصة

أقبل ذلك الناموسي مدلاً بما عنده من علوم ومعارف لاهوتية وسأل يسوع ليجربه : يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس ؟؟

كان هـذا السؤال من أهم الأسئلة التي اختلف في الاجابة عنها علماء الفقه اليهودي. ذهب بعضهم الى ان أعظم الوصايا وصية الختان !

و بعضهم الى انها وصية الغسل والتطهيرات !

وآخرون الى انها الوصية المتعلقة بأهداب الثياب !

وغيرهم الوصية الرابعة من الوصايا العشر !

وكان لكل فريق حججه وأسانيده !

والذي يتأمل في اجابة اليهود على هـذا السؤال يكتشف ان الدين عندهم لا يزيد عن فرائض وطقوس لا تهدف الى معنى نبيل . وكان الله لا يستريح إلا إذا أجرى الناس هذه الفرائض والطقوس !

أما يسوع فيقدم لنا صورة أخرى للدين:

الله هو الغاية العظمى !

ومحبته من كل القلب وكل النفس وكل الفكر وكل القوة هي كل الدين !

هذه هي الوصية الأولى والعظمى!

وكل الوصايا الأخرى لا تزيد عن تعبير أو مظهر لهذه المحبة !!

فالصلاة هي اتجاه القلب نحو الحبيب!

والصيام هو محاولة لاسترضاء شخص الحبيب !

والختان والغسلات وحفظ السبت هي علامات الولاء للحبيب !!

الوصية الأولى والعظمى اذن هي محبة الله !

ولم يقف يسوع هنا بل قال ، وثمت وصية ثانيـة لا تقل أهمية عن الوصية الأولى لأنها جزءها المكمل وهي تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء !

سمع الكاتب من يسوع ما لم يسبق ان سمعه من أحد. الدين هو محبة . محبة الله ومحبة القريب . المحبة التي تتجه الى الله واذ ذاك تنعكس نحو الناس . أو المحبة لله التي تجد برهانها في المحبة للناس . أبوة الله وأخوة المؤمنين ! !

يا له من دين !!

تأثر الكاتب

لقد جاء بسؤاله ليجرّب المسيح
ولكن قلبه يذوب تحت كلمات المسيح الملتهبة وهو ينحني أمام يسوع قائلا ،
جيداً يا معلم . بالحق قلت . لأنه الله واحد وليس آخر سواه
ومحبته من كل القلب
ومن كل الفهم
ومن كل النفس
ومن كل القدرة
ومحبة القريب كالنفس
هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح!!
ونظر يسوع الى الكاتب وسرّ من اجابته . لقد أجاب بعقل . وقال له لست
بعيداً عن ملكوت الله !!
ترى هل دخل باب الملكوت ؟
أم ظل خارج الباب ؟!؟
من المؤلم ان يهلك انسان خصوصاً اذا لم يكن بعيداً عن ملكوت الله !!

٩٤

ابن داود ورب داود

«قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئاً
لقدميك » مرقس ١٢ : ٣٦

اليوم الثلثاء والمعلم يقف أمام رؤساء اليهود يحاورونه ويجيب أسئلتهم وقد
أفحمهم بل أبكمهم عند ما سألوه في موضوع الجزية والقيامة والوصية الأولى . ولم
يتجاسروا أيضاً أن يسألوه عن شيء
وأخذ يسوع يعلّم

وأنصت الناس لتعاليه

كان الشعب يتلقفها كالارض اليابسة لنقط المطر. لم يكن معلومهم يقدمون لهم غذاء لنفوسهم كانت نفوسهم جائعة . ولقد علمهم عن الله الآب الذي يعتني بفراخ الغربان فيطعمها وهي لا تزرع ولا تحصد. ويهتم بزنابق الحقل فيلبسها ثياباً لم يلبس سليمان في كل مجده كواحدة منها . وأظهر لهم ان الله أبوهم وأنه يحبهم ويعتني بهم ويحرسهم ويدبر كل الامور لخيرهم

وبينما هو يعلّم اجتمع الفريسيون حوله . ويبدو انهم لم يستريحوا الى تعليمه وأنهم حاولوا ان يظهروا ان الناصري لا يعرف ما يعرفون وأنه ليس خبيراً بالكتب نظيرهم . فالتفت اليهم وسألهم :

ماذا تظنون في المسيح . ابن من هو ؟

وأجابوا بعجلة وقد امتلأت كلماتهم بنغمة الاستهزاء والاستخفاف،هو ابن داود!

وابتسم السيد أو لعله لم يبتسم وقال كيف يكون ابن داود وداود نفسه قد قال بالروح القدس في المزمور « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » فان كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه ؟ وكان السؤال جديداً عليهم . يا طالما قرأوا كلمات داود في المزامير ولكنهم لم يقفوا ليسألوا . كيف يكون ابناً لداود ورباً لداود في نفس الوقت !؟ واكتشف الكتبة والفريسيون أن هناك أشياء في الكتاب لا يعرفونها . . وصمتوا أمام المعلم الناصري في خجل !

ولقد كان السؤال حقاً سؤالا عويصاً في ذلك الوقت . لأن القوم لم يكونوا قد عرفوا بعد أن ابن داود هو الله ظهر في الجسد. فهو إله داود لأنه هو الله الأقنوم الثاني في اللاهوت وهو ابن داود لأنه تجسد في بطن مريم العذراء وولد ابناً ليوسف الذي جاء من نسل داود

« عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح تراءى لملائكة كرز به بين الأمم أومن به في العالم رفع في المجد »

٩٥

اليونانيون يطلبون

« فتقدم هؤلاء الى فيلبس الذي من بيت صيدا الجليل وسألوه قائلين يا سيد نريد ان نرى يسوع » يو ١٢: ٢١

لا نعرف شيئاً بالمرة عن هؤلاء اليونانيين. انهم نظير المجوس الذين جاءوا من المشرق يسألون أين هو المولود ملك اليهود . من أين جاءوا من بلاد اليونان وكيف عرفوا الرب إله اسرائيل وكم عددهم الى آخر ما هنالك . أسئلة نقف أمامها عاجزين عن الجواب. وكل ما نستطيع ان نتحدث به اجتهادى نستخرجه من خلال سطور القصة ـ ومما جاء في بعض أقوال الشرّاح !

قيل ان أولئك اليونانيين كانوا جما ة من الامم الذين أقاموا في بلاد اليهودية. وانما أطلق عليهم لقب اليونانيين لانهم كانوا يتكلمون باللغة اليونانية . وقيل انهم جماعة من اليهود الذين استوطنوا في أرض الامم وجاءوا من بعيد ليسجدوا لالههم. وقيل انهم جماعة من الامم اليونانيين الذين كانوا يعبدون الاوثان ولكنهم كانوا ايضاً يقدمون الاكرام للآلهة الاخرى وهم يقدمون السجود والاكرام لإله اسرائيل. وقيل ان أولئك اليونانيين أبصروا دخول يسوع الانتصاري يوم الأحد وسمعوا مناقشاته مع اليهود يومي الاثنين والثلاثاء وعرفوا ما يبيته اليهود له من مؤامرات لقتله . وساءهم ان يعامل اليهود زعيماً عظيماً مثله وإذ ذاك فكروا في أن تتاح لهم فرصة لينفردوا به . و بما أنه لم يكن يجوز لهم أن يتعدوا دار الامم . فقد تقدموا إلى فيلبس وفيلبس قال لاندراوس وقدم الاثنان طلب القوم أن يروا يسوع !

وقد قيل انهم طلبوا أن يروه فقط . كما طلب زكا أن يرى يسوع من هو !! وقيل انهم طلبوا أن يجلسوا اليه و يسمعوا تعاليمه الغريبة و يستفهموا عن بعض

ما أغلق عليهم إذ قد جاء يسوع يحمل تعاليم لم يسبق لهم ان سمعوا نظيرها . بل لم يسبق لغيرهم ان يسمع نظيرها وهم يبتغون من ذلك ان يكونوا تلاميذ له !!

وقيل ان غرضهم كان دعوة يسوع ليذهب معهم الى بلاد اليونان حيث يجلس هناك على عرش الفلسفة والثقافة . وفي بلاد اليونان تحكم الفلسفة ولذلك سيكون يسوع هناك ملكاً له سلطان . أي أن القوم طلبوا أن ينقذوا يسوع من موت في اليهودية ليجلس على عرش في بلاد اليونان !!

ونحن بالطبع لا نعلم الصحيح في كل هذا. وماذا يهم ان كان هذا أو ذاك هو الصحيح . ان ما يهمنا انهم طلبوا أن يروا يسوع !!

ويغلب ان فيلبس واندراوس مع اليونانيين اتصلوا بيسوع في مكان ما وقدم التلميذان رغبة اليونانيين

ولم يهتم يسوع بالجانب المتصل بالمجاملات هنا . لا شك انه أحس بشيء من الارتياح وهو يرى قوماً يهتمون به ويطلبون أن يروه أو يتبعوه أو يجلسوه على عرش . وسواء كان ما سيعملونه صحيحاً أو غير صحيح فانه لا بد أحس بارتياح لوجود قوم ليس لهم قلب مظلم نظير رؤساء اليهود الذين يفكرون في قتله . ولا بد ان اليونانيين شعروا بما ملأ قلبه من شبع وارتياح . ولكن يسوع دخل مباشرة في موضوعه وقد قدم اعلاناً من أمجد اعلاناته . قال قد أتت الساعة ليتمجد ابن الانسان . وربما خيّل للتلاميذ ان تلك الساعة هي ساعة ملكه . انهم بالطبع لا يقبلون أن يذهب سيدهم الى بلاد اليونان ولو ليملك هناك . ان مسيا يملك في أورشليم . وهم يترقبون ذلك الملك . وقد خيّل لهم ان الساعة قد أتت ليملك على عرش داود أبيه !!

على أن يسوع سارع فقدم بقية الاعلان وكان كلاماً غريباً لم يفهمه التلاميذ أو بالحري لم يرغبوا أن يفهموه . قال إن حبة الحنطة لا تحيا إن لم تمت . وقال من

يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية وقال إن كان أحد يخدمني فليتبعني وحيث اكون أنا هناك يكون خادمي ايضاً . . . وقال الآن نفسي قد اضطربت . وماذا أقول . أيها الآب نجني من هـذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيت الى هذه الساعة !!

ما هذه الاعلانات الغريبة ؟
ما هي الحبة التي إذ تموت تأتي بثمر كثير ؟
وما معنى إهلاك النفس وحفظها ؟
وما هي هذه الساعة التي جاء من أجلها ؟

لئن بدا الكلام غريباً نوعاً ما على اليونانيين فانه لايبدو غريباً على التلاميذ. لقد سمعوامعلمهم يتكلم كثيراً عن موته . ان يسوع يعلن هنا انه جاء لكي يموت وان موته سيأتي ببركات كثيرة . وهو هنا يرفض ان يعمل أي شيء يعطله عن إتمام رسالته . ويعلن لليونانيين إذا رغبوا في اتباعه انه حيث يكون هناك ينبغي ان يكونوا . . ليتبعوه إذن الى العار والألم والموت . واذا كان قصدهم ان يقيموه ملكاً في بلاد اليونانيين فقد أخطأوا لانه جاء لكي يموت وان موته لازم لحياة الناس !!

وختم يسوع اعلانه بصلاة « أيها الآب مجد اسمك » وجاء الجواب « مجدت وأمجد ايضاً » ـ لقد مجد الله اسمه في حياة يسوع وتعاليمه وآياته، نعم مجّد اسمه كثيراً. ولكنه سيمجد ايضاً في موت يسوع . المجد الذي لم تسمع الارض أو السماء بمثله . لقد تمجد الله في صليب المسيح !!

٩٦

علامات المنتهى

« ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الامم . ثم يأتي المنتهى » متى ١٤:٢٤

خرج المعلم من الهيكل لآخر مرة في حياته بالجسد وفيما هو سائر بجانبه قال له واحد من تلاميذه يا معلم انظر ما هـذه الحجارة وهذه الأبنية ـ كان المعلم قد قال لليهود قبل ذلك قولا مخيفاً ضمنه في تلك الكلمات التي خاطب أورشليم بها «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » وقد رأى التلاميذ في ذلك القول أمراً لا تصدقه عقولهم وهم يتقدمون لكي يروه أبنية الهيكل . ويقول واحد منهم انظر ماهذه الحجارة وهذه الابنية. وقوم آخرون يقولون عن الهيكل انه مزين بحجارة حسنة وتحف — ونظن ان المعنى أنهم يستبعدون كل البعد أن يحدث لهذا الهيكل العظيم ما أنبأ عنه من خراب . فهل يسمح الله أن يخرب الهيكل المزين بالحجارة الحسنة والتحف. وتلك الحجارة الكبيرة هل يمكن لقوة أن تهدمها . كان طول الحجر يبلغ قرابة ثلاثين متراً وعرضه أربعة أمتار وسمكه ثلاثة .

كان التلاميذ ، نظير عامة اليهود ، ينظرون الى الهيكل نظرة تقديس يبلغ الى درجة العبادة بحيث لا يخطر ببالهم أن يداً بشرية يمكن ان تصيبه . ومع أنهم قرأوا في نبوات الانبياء ان الله يهدم مقدسهم اذا لم تكن علاقتهم علاقة سليمة به . بل أنه وبخهم على قولهم هيكل الله هيكل الله، الا أن ذلك لم يغير من تفكيرهم في ثبات وخلود الهيكل . وكانت احدى التهم التي ألصقت بالسيد انه قال اهدموا هذا الهيكل . ومن ضمن تهم استفانوس انه انبأ بانتهاء عهد الهيكل . كان كلام

التلاميذ ليسوع حاوياً لا مجرد سؤال بل اكثر من ذلك . كان حاوياً لعقيدة اليهود في خلود الهيكل!

وأجاب يسوع

« هذه التي ترونها ستأتي أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض »

وارتاع التلاميذ .. ولكنهم صمتوا وتأملوا. وساروا مع سيدهم وأفكارهم تحلق في أجواء الخيال، تنظر الى المستقبل الذي ينتظر الهيكل حين تهدم جدرانه ولا يترك حجر على حجر لا ينقض. وظلوا يتبعون المعلم وهو يتسلق إحدى قنن جبل الزيتون وحين جلس جلسوا أمامه !!

وتقدم منه أربعة من التلاميذ وسألوه، يا معلم متى يكون هذا وما هي العلامة عندما يصير هذا ؟ و يقول متى، ان السؤال حوى شيئاً اكثر فقد سأل التلاميذ ، قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟

لم يكن سؤالاً واحداً. انهم يسألون عن زمن خراب الهيكل وفي نفس الوقت يسألون عن علامات انقضاء الدهر ومجيء المسيح . ترى هل كانوا يعرفون حقيقة سؤالهم ؟ لقد جمعوا بين خراب الهيكل ومجيء المسيح وانقضاء الدهر . ونحن نظن انهم لم يكونوا يفهمون نفس سؤالهم . أو على الاقل، اننا نحن لا نفهم ماذا قصدوا من سؤالهم . فهل قصدوا أن خراب الهيكل أو خراب اورشليم لا يمكن أن يكون إلا إذا خرب العالم؟ أم هل قصدوا أن خراب الهيكل هو نهاية لعصر الناموس وان مجيء المسيح هو بداية عصر ملك المسيا ؟ أم هل قصدوا أن خراب اورشليم رمز لخراب العالم ومجيء المسيح الثاني ؟ في الحق أننا لا نعلم ماذا قصدوا . ولا نعلم ان كانوا هم فهموا ما قصدوه بسؤالهم أم لم يفهموا !!

ولكن المسيح أجاب السؤال . أجابه مختلطاً إذ مزج بين خراب أورشليم وخراب العالم . وقد قيل انه قصد بذلك ان خراب الواحد هو رمز لخراب الآخر ! ومن اللائق ان ندرس الجواب بهذا الفهم !!

قال ان من علامات المنتهى منتهى أورشليم الذي سيكون رمزاً لمنتهى هذا الدهر ، قيام حروب وسماع أخبار حروب . ستقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون زلازل في أماكن وتكون مجاعات واضطرابات . قال المسيح ، فاذا سمعتم بهذه الاخبار فلا تجزعوا ولا ترتاعوا لانه لا بد أن تكون هذه كلها . ولكن هذه كلها مبتدأ الاوجاع . ليس المنتهى بعد ! !

والعلامة الثانية التي ذكرها يسوع هي وقوع الاضطهادات على المؤمنين به . قال ، فانظروا الى نفوسكم لانهم سيسلمونكم الى مجالس وتجلدون في مجامع . بل سيبلغ الأمر انهم يُقتلون ويكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمه وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً . وسيسلّم الأخ أخاه الى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم !!!

على ان يسوع لم يشأ ان يترك التلاميذ في ظلمة اليأس إذ أشرق عليهم بنور الرجاء فقال لهم ، فمتى ساقوكم ليسلموكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا . بل مهما أعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا. لان لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس.لاني أنا أعطيكم فماً وحكمة لايقدر جميع معانديكم ان يقاوموها أو يناقضوها !

بل زاد على ذلك أن نتيجة الاضطهاد والمقاومة ستكون أن سيكرز ببشارة الملكوت في كل المسكونة شهادة لجميع الامم. وان وقوفهم أمام ملوك وولاة سيؤول ذلك للتلاميذ شهادة.وانه بالرغم من شدة الاضطهاد فان شعرة من رؤوسهم لاتهلك! شكراً لله !!

وقال المعلم ثم يأتي المنتهى !

أي منتهى يا ترى ؟

الظاهر انه منتهى أورشليم فقط . ولكن ألا يجوز أن يكون منتهى العالم ؟ ان الكرازة في كل المسكونة كلمة تحتمل جملةمعان. كل المسكونة قد تكون العالم المعروف وقتذاك.وقد حدث ان التلاميذ كرزوا في«عالمهم» المعروف ثم جاء المنتهى لأورشليم

وأخربها تيطس سنة ٧٠م. ولكنها تحتمل ايضاً كل المسكونة فعلاً. وهاهو الانجيل يمتد شرقاً وغرباً مكتشفاً ومتسعاً الى أن يرسل نوره الى كل بقعة على سطح الارض، وحينئذ يأتي منتهى العالم كله. وهكذا يكون خراب أورشليم صورة مصغرة لخراب العالم !!

ونحن نلاحظ هذه الحقيقة في تصويره لحالة المنتهى. فقد ذكر رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس وقال انها بدء المنتهى. « ورجسة الخراب » هذه كلمة كانت مفهومة لمن تحدث المعلم اليهم ولكننا نحن لا نعرف. قيل ان المقصود وجود الجيوش الرومانية في المدينة. بل لقد قال لوقا ذلك صريحاً. فبينما متى ومرقس يقولان « فمتى رأيتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال قائمة في المكان المقدس أو قائمة حيث لا ينبغي فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال . . . » يقول لوقا « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا انه قد اقترب خرابها حينئذ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال .... »

وقيل ان رجسة الخراب ترمز الى ما عمله أحد الملوك الاجانب الذين اقتحموا أورشليم ووضعوا دم الخنزير النجس على مذبح الله !

وقيل غير ذلك !

ووصف السيد ذلك الخراب الشامل فطلب أن يهرب الذين في المدن الى الجبال وألا يتأخروا في الهرب لأن السيف سيحصد. وقال بنغمة حزينة « وويل للحبالى والمرضعات في تلك الايام . وصلّوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت لانه يكون ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون !

وستكون أورشليم مدوسة من الأمم

ويقعون بفم السيف ويسبون الى جميع الامم

وسيظهر مسحاء كذبة في تلك الايام يحاولون أن يقودوا الشعب الى طرق معوجة بحجة تخليصه من الامم ولكن أورشليم ستنتهي !

وقد حدث هذا الكلام بالحرف في سنة سبعين وذاقت أورشليم واليهودية مرارة السيف والجوع وكانت ضيقتها أشد ضيقة عرفتها الارض . وذكر المؤمنون ماسبق أن قاله المعلم فهربوا الى الجبال قبل ان يأتي الخراب. و بذلك انقذت الكنيسة المسيحية من ويلات كثيرة !!

على أن هذه الصورة تصلح أيضاً للحالة التي سيكون عليها العالم قبل خرابه وهي الصورة التي رسمها أيضاً كاتب سفر الرؤيا . فسيمر العالم قبل خرابه في الضيقة العظيمة وسيغتسل في بحر من الدماء ! !

وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع . وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتياً على سحاب من السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الرياح الاربع من أقصاء السموات الى اقصائها

وعندما نستمع الى بقية حديث السيد نحس أنه يجيب عن سؤال يملأ رؤوسنا ويتغلغل في صدورنا . هل قصد السيد بكلامه أن يعطينا جدولا لمواعيد الحوادث الآتية كجدول السكك الحديدية مثلا أو جدول قيام الطائرات؟ وهل لنا أن نجلس ونحسب باليوم وبالساعة ونقول أنه سيأتي في هذه السنة أو في تلك كما قال الكثيرون؟ وأن زمانين ونصف زمان والالف والمئتين والاربعين يوماً وما يتصل بهذا ، لهذه دخل كبير في تحديد عدد السنين ؟ هل قصد السيد بجوابه ان يعطينا فرصة درس تنتهي بنا الى تحديد وقت مجيء المسيح ؟

انه يقول كلا . فان ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات الا الآب وحده . بل أن الأمر يمتد به الى القول أن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب !!

وذكر المعلم أن الأمر في مجيئه سيكون نظير مجيء الطوفان . « لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون الى اليوم

الذي دخل فيه نوح الفلك . ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع . كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الانسان »

فاذا كان الامر كذلك فماذا كان قصده من ذكر علامات المنتهي ولماذا فصلها هذا التفصيل الوافي ؟

انه هو نفسه يذكر السبب . فقد قال « فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الابواب » . وقال « ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب »

وقد قال كثيرون من المفسرين أن شجرة التين هي الأمة اليهودية وأن معنى اخضرارها أنها ستعود الى أورشليم ويكون لليهود وطن قومي . واختلف القوم في ذلك فمن قائل أن المقصود الرجوع الروحي للشعب أي قبول اليهود للمسيح وذلك لانه لم يذكر شجرة التين فقط بل ذكر جميع الاشجار أيضاً — ومن قائل أن اليهود سيعودون أولا الى أورشليم ، سيعودون يهوداً ثم يقبلون المسيح بعد ذلك. ومن قائل أنهم سيعودون يهوداً ويظلون يهوداً.. وان عودتهم انذار بقرب المنتهى

على أن الأمر الذي يهمنا أن هذا ينبغي أن يحفزنا الى الاستعداد . وقد قال المعلم صريحاً « أنظروا اسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت . فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة . لانه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الارض . اسهروا اذاً وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الانسان »

وقال أيضاً « اسهروا اذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم . واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لانه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الانسان »

وأوضح قوله بمثال قوي عن العبد الامين فقال « فمن هو العبد الامين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه . طوبى لذلك العبد الذي اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم أنه يقيمه على جميع أمواله » . . .

« ولكن ان قال ذلك العبد الردي في قلبه سيدي يبطي قدومه . فيبتدي يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى . يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الانسان!!»

وما أقوى مشورته التي ختم بها مرقس حديث السيد « اسهروا اذاً لانكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت ، أمساءً أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحاً . لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياماً »

وما أقوله لكم أقوله للجميع

اسهروا !!

٩٧

العذارى في موكب العرس

« واما الحكيمات فأخذن زيتاً في آنيتهن » متى ٢٥ : ٤

نحن في قرية صغيرة من قرى فلسطين. وقد اعتدنا ان نرى القرية تلبس ثوب السكون حالاً بعد ان تغرب الشمس. فتهدأ الناس والبهائم .. وتحس إذا ما أتيح لك ان تسير في طرقاتها انك في قرية الموتى لا في مساكن الاحياء !

ولكننا في هذا المساء نرى شيئاً يختلف عما اعتدنا ان نرى . فالحركة لا تنقطع والضوضاء تتزايد..والمحلات التجارية القليلة قد نفضت عنها تراب النوم واستعدت

لسهرة ممتعة. وقد وفد على القرية جمهور من الاغراب وساروا في الطرقات يتحدثون بأصواتهم العالية . وقد راقبهم أطفال القرية بكثير من الفضول وتطلعت النساء من خلف الابواب وكثر الهمس منهن عنهم !!

ويعنّ لك ان تسأل احد ابناء المكان عما عسى ان يكون الامر فيقال لك ، ان ابن قطب المدينة الصغيرة سيعقد قرانه في هذا المساء وستزف عروسه اليه في نفس الليلة وان موكب العرس سيكون فخماً جداً بالنسبة لمركز العريس ومركز عائلته .. بل ايضاً بالنسبة لما يتمتع به العريس من محبة ومن تقدير من الجميع !

لذلك دعنا ننتظر الى المساء لنراقب موكب العرس الجميل ولنرى كيف يقيم اولئك القوم أعراسهم ؟

وقد أعدّ العريس نفسه لليلته التاريخية فاغتسل وتطيب ولبس ثيابه الحريرية الغالية ووضع على رأسه عمامة مطرزة محلاة بأسلاك الفضة والذهب .. ووضع خاتماً كبيراً في يده .. ولبس حذاءه الجديد وتخطر في المكان مدلاً بشبابه وجماله !

وجاء رفقاء العريس وهم أصدقاء العزوبة وأخذوه معهم ليجولوا جولتهم التقليدية في طرقات المدينة الصغيرة يزورون بيوتهم ويتناولون عصير العنب ويلعب من يلعب ويرقص من يرقص ويهتف من يهتف . وأنت تشاهد العاب السيف والعاب الحطب وحركات الخيل وهي ترقص في كل ميدان !

وكان أصدقاء العريس كثيرين ولذلك نتركه ليتمم جولته . ولنعد الى بيته لننتظره هناك . وليس من داع لأن ندخل الى المكان بل انهم لا يسمحون لنا بالدخول . فقد أقبلت العروس في موكبها وقد تزينت وتجملت وها هي في انتظار عودة العريس من جولته في أنحاء المدينة !!

لكننا نشاهد عند الباب عشر عذارى لابسات ثياباً بيضاء وفي يد كل عذراء مصباح مضيء . ونحن نسأل عن هؤلاء العذارى فنعرف أنهن عذارى موكب العريس يحطن به ويضئن طريقه ويجملن موكبه. وكن يُخترن من خير العائلات



العشر عـذارى

ومن الجميلات البهيات . وكانت فتيات المدينة يتبارين في إبراز فتنتهن عسى أن يكون لهن نصيب في ذلك الموكب للشهود . وكانت العذارى في موكب العريس يعتبرن ذلك الموكب دعاية لشبابهن وجمالهن. وكان الواقع أن عذارى السنة لا يبقين عذارى إلا ريثما يتلقفهن العرسان فتصبح كل عذراء عروساً في وقت قريب !

ولذلك فاننا لا نندهش إذ نرى العذارى العشر قد بكّرن بالمجيء وأعددن أنفسهن لهذه المناسبة السارة . و إذ ندقق النظر في العذارى نكتشف أنهن متشابهات في كل شيء . فكل فتاة منهن آية في الجمال والبهاء . وكل واحدة قد لبست ثوباً أبيض جميلاً مطرزاً . . . وكل واحدة قد مشطت شعرها الطويل وأرسلته ضفيرة طويلة خلف ظهرها امتدت الى ما يقرب من قدميها . وكل واحدة أمسكت في يدها مصباحاً كان يرسل ضياءه كالوهج الخاطف في ذلك الليل المظلم فكانت ألسنة عشرة تشق ظلام المكان فترسم صورة رائعة لا تستطيع ريشة أقدر مصور أن ترسم مثلها . وأنت تحول نظرك من فتاة الى فتاة فيخيل لك أنهن فتاة واحدة متعددة الصور . كان الشبه في كل شيء كاملا !

لكن لا . هناك خلاف بسيط جداً لا تلاحظه إلا العين النقادة . كان خمس من العذارى يحملن مصابيحهن المضيئة الممتلئة زيتاً وكن يحملن بجانب المصابيح آنية ملأنها زيتاً . كان الزيت في المصباح يكفي في العادة لكنهن رأين من باب الاحتياط للطوارىء أن يأخذن زيتاً إضافياً . من يعلم فربما طالت سهرة العريس في الخارج . ربما كان أصدقاؤه أكثر مما قدّرن . نعم ان في حمل آنية بجانب المصباح شيئاً من المضايقة ولكنها مضايقة قليلة . والاستعداد للاحداث أضمن من مقابلتها بدون استعداد !!

أما الخمس الاخريات فأخذن مصابيحهن ممتلئة زيتاً ترسل أنوارها قوية لماعة. ولم يأخذن معهن زيتاً في آنيتهن !!

وقد حدثت مناقشة بين العذارى فقد تكلمت العذارى اللواتي لم يأخذن زيتاً

عن حماقة حمل زيت آخر في آنية اضافية . ما لزومه . ما الداعي اليه. لم يحدث أن العريس طالت سهرته إلا مرة أو مرتين على ما سمعن . إن العادة أن يعود العريس في أول الليل وسيكفي الزيت و يفيض وعندما يدخلن الى بيت العريس لن يكون مكان للمصابيح لأن المكان سيكون ممتلئاً بالنور !!

وحاولت العذارى اللواتي أخذن الزيت أن يقنعن رفيقاتهن أن يأخذن زيتاً احتياطياً وذكرن أنه حدث قبلاً أن العريس قد تأخرت جولته . نعم ان ذلك لم يحدث إلا مرتين أو ثلاث مرات . لكن من الذي يضمن أن ذلك لن يحدث مرة رابعة . ان من الحكمة أن يستعد المرء للطوارىء ومن الحماقة الاعتماد على الحظ أو الظروف ! !

وَلَوت العذارى اللواتي لم يأخذن معهن زيتاً وجوههن وقلن أبقين حكمتكن لكُنَّ أيتها الحكيمات . فنحن راضيات بحماقتنا وجهلنا !!

مساكين ! كن جاهلات حقاً
وكانت الأخريات حكيمات حقاً

وحدث صمت بين العذارى وجلسن ينتظرن عودة العريس . وطال عليهن الانتظار وراود النعاس أجفانهن فمالت رؤوسهن ونمن جميعهن . وطال نومهن دون أن يدرين . وكانت مصابيحهن ترسل طول الوقت أضواءها وكان الضوء يحرس أولئك العذارى المنتظرات

وفي نصف الليل عاد العريس

عاد يسبقه عدد كبير من الاولاد والشبان و يحيط به طبل ومزمار . . . وصاح صائحهم « هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه » فاستيقظت العذارى فزعات وانتبهن لمقدم العريس . فمدت كل عذراء يدها الى مصباحها وكان الزيت قد فرغ وابتدأت الأنوار تخبو !

أما الحكيمات فملأن المصابيح زيتاً من آنيتهن وعادت المصابيح الى ضوئها الوهاج

وأما الجاهلات فحاولن أن يعدن النور الى المصابيح . هززن المصابيح . عصرن الفتيل . ولكن النور بدأ رويداً رويداً ينطفىء . والتفتت الجاهلات بخجل نحو رفيقاتهن وقد اعترفت وجوههن بحماقتهن وخطأهن وطلبن من الحكيات أن يعطينهن زيتاً لأن مصابيحهن تنطفىء . ورفضت الحكيات . إن ما معهن لا يكفي لأزيد من حاجتهن . وأشرن أن يذهبن الى البائع ويبتعن !

وذهبت الجاهلات ليبتعن

لكن أين الحوانيت التي تفتح في نصف الليل

كان عليهن أن يذهبن الى الباعة في بيوتهم ويلتمسن منهم أن يذهبوا الى الحوانيت ويبيعوهن الزيت المطلوب . ولا شك أن أزيد من بائع رفض طلبهن وجعلن يطرقن باباً بعد باب وبعد وقت طويل رضي أحدهم أن يفتح حانوته ويبيعهن الزيت المطلوب !

وفيما كن ذاهبات جاء العريس

والمستعدات دخلن معه الى العرس

واغلق البـاب

* * *

وبعد وقت جاءت بقية العذارى وقرعن الباب طالبات، يا سيد يا سيد افتح لنا لكن ضوضاء العرس جعلت من المتعذر أن يسمع أحد صوت القرع . هناك غناء وزغاريد وطبل ومزمار ورقص . كل هذا يجعل بيت العريس يكاد يكون منفصلا عن الخارج

فلما سُمع صوت القرع وجاء من يسأل من يقرع وأجيب أننا نحن العذارى لم يقبل أن يفتح لهن . وكان له الحق في ذلك فقد كان كثيرون من أعداء العريس ينتهزون فرصة العرس ويدخلون البيت ويسببون كثيراً من الأذى يصل أحياناً إلى حد قتل العريس . لذلك كانت العادة ألا يفتح الباب مطلقا بعد دخول العريس .

وهكذا خسرت العذارى الجاهلات كل شيء بسبب عدم الاستعداد

* * *

روى المعلم هذه القصة المعروفة لسامعيه وجعل منها درسا للزوم الاستعداد للعرس الكبير فقال :

«فاسهروا اذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الانسان»

٩٨

حساب الوزنات

«فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة.
كل واحد على قدر طاقته» متى ٢٥ : ١٥

هو رجل من كبار الأغنياء في اليهودية

جمع ثروته ـ على الاغلب ـ من التجارة

وكانت تجارته متسعة تشمل كل الاقاليم المعروفة

وهو يتهيأ لرحلة كبيرة . قيل أنه كان ذاهباً الى رومية ليقابل القيصر و يتسلم منه فرماناً بالحكم . وقيل أنه نجح في مهمته وعاد أميراً . على أن الأمر الذي يهمنا في قصة الرجل الجزء الخاص بتشغيل ثروته أثناء رحلته

دعا الرجل عبيده وسلمهم أمواله

ولاتذكر القصة كل شيء عن أولئك العبيد . اذ تكتفي بذكر ثلاثة نعتقد أنهم ذكروا على سبيل المثال . أعطى الأول خمسة اكياس من الفضة وهو ما يعبر عنه بخمس وزنات . وكانت وزنة الفضة تساوي خمس مئة جنيه ـ وأعطى الثاني وزنتين أو كيسين . وأعطى الثالث كيساً واحداً

فاذا قيل ان الوزنات كانت ذهبية فان المبلغ يتضاعف عشر مرات

وسواء كانت الوزنات من فضة أو من ذهب فهي مبلغ كبير على كل حال .
وقد كان السيد في تسليمه لأمواله حكيماً اذ راعى في ذلك مقدرة كل واحد منهم وأعطاهم كل واحد على قدر طاقته

ولا بد أنه طلب منهم ان يشغلوا ذلك المال في ما يستطيعونه ان كان في تجارة أو زراعة أو صناعة. ولا بد انه أوصاهم بالاجتهاد والحذر والامانة ... وسافر للوقت

ويمكننا متابعة العبيد أو على الاقل متابعة العينات الثلاث منهم

فأما الاول فكان رجلا عظيم الاقتدار عظيم التقدير . وقد درس الاسواق وفهم أسرار التجارة ، فوق انه كان جم النشاط . وجعل يعمل بوزناته عمل التاجر الحكيم . فزرع الزيتون والعنب واستخرج الزيت والخمر وتاجر مع الصوري والصيداوي وارتبط بعلائق مع فينيقية ومقدونية وورومية . وارتفعت الاسعار فجنى من ارتفاعها ربحاً كثيراً وجعلت وزناته تزداد حتى صارت الوزنات الخمس، عشراً !

والثاني كان نظير الاولى في اجتهاده ونشاطه ولكنه لم يكن نظيره في الحكمة والتدبير . كان ينقص عنه قليلا . وقد اشتغل في الزراعة والتجارة على قدر مقدرته ونجح الى حد بعيد وها نحن نرى الوزنتين وقد صارتا أربعاً!

أما الثالث فأخذ الوزنة متذمراً . لماذا يعطيه سيده وزنة واحدة فقط ؟ وماذا تعمل وزنة واحدة في زراعة وتجارة ؟ انها لا شيء . لو انها كانت خمس وزنات أو عشراً أو عشرين لكانت شيئاً يمكن استغلاله . أما وزنة واحدة فماذا عساه أن يعمل بها ؟؟

ثم . . . لماذا يعمل ؟
لماذا يتعب في زراعة أو تجارة ؟
هل سيعود عليه ربح من جراء تعبه ؟
ان كل ربحه سيعود على السيد!
ان سيده انسان قاس يحصد حيث لم يزرع ويجمع من حيث لم يبذر !

اذن !!

اذن فخير ما يعمله ان يصر الوزنة في منديل و يحفر في ارض الكرم خلف بيته و يطمر الوزنة هناك . وها هي الوزنة في مكانها وزنة كاملة ولو أن التراب والماء قد كونا طبقة من الصدأ على كل قطعة من الفضة وأصبحت وزنة من نقود صدئة بدلا من تلك الوزنة اللامعة الجميلة .. ولكنها ظلت وزنة !

ولقد كان ضمير الرجل يثور عليه أحياناً . انه ليس أميناً لمال سيده ولكنه كان يسكت ضميره . انه لايظلم سيده . انه لا يسلم المال لاعداء سيده وهم كثيرون. وهو لا يستعمل المال لنفسه . كان يمكنه أن يبذره في ملاذه وتمتعاته . وهو لايتاجر به بتجارة خاسرة فلن ينقص مال الرجل درهماً واحداً . سيأخذ السيد ماله كاملا . نعم كاملاً جداً !!

وفي أحد الايام عاد السيد

وأرسل الى عبيده ليأتوا و يعطوا حساباً عن المال الذي سلمه لهم

وجاءوا

وقدم الاول حسابه:

يا سيد خمس وزنات سلمتني

هوذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها !

وسر السيد كثيراً وقال للرجل !

نعماً أيها العبد الصالح والامين

كنت أميناً في القليل

فأقيمك على الكثير

ادخل الى فرح سيدك !

قيل ان الفرح أقيم بمناسبة تولي الرجل الامارة أو الملك . وأن السيد ترك الوزنات العشر مع العبد بل اقامه متسلطاً على ولايات خاضعة للملك الجديد . وانما

كان الغرض من تشغيل الوزنات امتحان حكمة الرجل واجتهاده وأمانته !
وجاء الثاني وقال ياسيد وزنتين سلمتني هوذا وزنتان اخريان ربحتهما فوقهما !
وكذلك سر السيد كثيراً !
ان قلة ربح العبد لم تؤثر في تقدير السيد له . انه صالح وأمين وهو يسمع نفس الكلمات التي قيلت للعبد الاول. لايهم السيد الا أن نكون امناء للوزنات التي عندنا
بل انه ليخيل لنا ان العبد ، اذا فرضنا انه كان قد خسر ، فان السيد ما كان ليلومه اذا كانت الخسارة رغماً منه . ان كل المطلوب منه ان يكون مجتهداً وأميناً . وهو فعلا مجتهد وأمين. اذن هو يأخذ الوزنتين و يأخذ بعد ذلك نفس الثناء والتقدير الذي ناله العبد الاول !!
وجاء الثالث !
جاء يحمل الوزنة مصرورة في منديل
وقال:
يا سيد . عرفت انك انسان قاس . تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر . فخفت، خفت ان اعمل بوزنتك فتنقص او تضيع وأنت رجل تطلب الربح. خفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الارض !
هوذا الذي لك !
وغضب السيد
ان العبد يظلمه كثيراً
انه ليس قاسياً . كلا . ان قلبه رقيق الى درجة انه يبكي وهو يرى دموع الباكين . وعندما يرى الجمهور المسكين يتحنن
هل يمكن أن يكون قاسياً من يبذل وقته وصحته وراحته في سبيل إسعاد الآخرين؟
هل يمكن أن يكون قاسياً من يسكب حياته قطرة قطرة ليهب الحياة لبني البشر المائتين ! ؟

هل يمكن أن يكون قاسياً من يبذل حياته فداء عن أناس ناصبوه العـداء وقاوموه وهو يريد أن يعمل لهم الخير ؟

كلا . ليس السيد قاسياً

انه المحبة المجسمة !!

وهل هو ظالم حقاً ؟ هل يحصد حيث لم يزرع ويجمع من حيث لم يبذر ؟

يا للأحمق !

ان السيد يمنح الوزنات الأصل والربح للعبد . انه لا يطلب شيئاً لنفسه !

والعبد يظن انه كان أميناً

ألم يردّ الوزنة كاملة غير منقوصة ؟

انه لم يظلم سيده !!!

كلا . لقد سرقه . ان مال الرجل ليس شيئاً جامداً . انه شيء يتحرك . كان يمكنه ان يربح . واذا لم يكن للرجل جلد على التجارة أو الزراعة فـكان يمكن أن يوضع المال عند الصيارف ويشغله أولئك في أعمالهم المالية و يعطون عنه ربحاً !

غضب السيد وقال للعبد :

أيها العبد الشرير والـكسلان

عرفت اني أحصد حيث لم أزرع

وأجمع من حيث لم أبذر

فـكان ينبغي ان تضع فضتي عند الصيارفة فعند مجيئي كنت آخذ الذي لي مع ربحه !

والتفت السيد الى عبيـده وقال ، خذوا منه الوزنة واعطوها للذي له العشر وزنات. ان الذي له ربح يستحق ان يزاد رأسماله. أما الذي لا ربح له فنفس رأس المال يؤخذ منه !! نعم فقد صدق المثل المأثور :

«كل من له يعطى فيزداد
ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه»
و بعد ذلك نظر بصرامة نحو العبد وقال :
« والعبد البطال اطرحوه الى الظلمة الخارجية
هناك يكون البكاء وصرير الاسنان !!»

٩٩
المسيح الديان

« الحق اقول لكم بما انكم لم تفعلوه بأحد اخوتي هؤلاء
الاصاغر فبي لم تفعلوا » متى ٢٥ : ٤٥

ها هو ابن الانسان يأتي مرة أخرى الى الارض. ولكنه لا يأتي كما جاء في المرة الاولى. انه يأتي في مجده وجميع الملائكة القديسين معه. لقد سبق ان جاء في هوانه فلم يوجد له مكان يولد فيه واضطر ذووه ان يضعوه في المذود وان يلفوه بأقمطة من ثياب قديمة . وقد صدق عليه ما سبق ان قاله اشعياء : « من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب . نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة . لا صورة له ولا جمال فننظر اليه ولا منظر فنشتهيه . محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا . محتقر فلم نعتد به »

لكنه في مجيئه الثاني يأتي في مجد و يليق بنا أن نركب «عجلة الزمان» لتحملنا الى ذلك اليوم الذي نراه آتياً في مجده . فسنراه جالساً على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب للمحاكمة . ونحن لا يمكن أن نقول ان التعبير هنا تعبير حرفي ولا يمكن ان نقول ان المسيح سيجلس على كرسي وان جميع الشعوب ستقف امامه للدينونة وانه سيميزهم بعضهم عن بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء . فالمعنى رمزي ولا بد . ستكون دينونة لجميع الناس ولن يكون هناك تحقيق واثبات تهم أو

نفي تهم كما يجري عادة في المحاكم إذ أن المحكوم عليهم والابرياء يحملون علامات ذنبهم أو براءتهم. سيحكم كل أمرىء على نفسه. ولا يمكن لأمرىء ان يختفي عن عين السيد الفاحصة وكذلك لا يمكنه ان يخدع القاضي أو يقلب الحقائق. ولا مكان لمحامين يدافعون عن الباطل ويقلبونه حقاً. وفي تقاليد اليهود ان جسم الانسان سيشهد على خطاياه. فالعين مثلا ستقول لصاحبها انك شغلتني للنظر الاثم. واليد تقول انك شغلتني للسرقة أو للخصام. والقـدم تقول انك شغلتني للاسراع الى سفك الدم وهكذا!

وستخرس الألسنة التي تتكلم في الحياة وتدافع وتجادل. سيسمع المرء، ياصاحب كيف دخلت الى هنا وليس عليك ثياب العرس، وسيصمت. انه لايستطيع ان يتكلم

وسيفصل القاضي المذنبين عن الابرياء ويوقف هؤلاء الى يمينه والآخرين الى اليسار ثم ينادي الذين على اليمين، تعالوا اليّ يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لاني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني. مريضاً فزرتموني. محبوساً فأتيتم اليّ!! والابرار يسمعون هذا الكلام ويتعجبون. انهم لم يفعلوا شيئاً مثل هذا مع السيد وهم يسألون متى يا رب فعلنا ذلك؟ أننا لا نذكر أننا عملنا شيئاً مثل ذلك! ولكن الجواب يأتي:
لقد فعلتم معي كل ما ذكرتم إذ فعلتموه بالفقراء والمساكين الذين هم اخوتي!

ويلتفت القاضي الى الذين عن اليسار ويطردهم من حضرته بالقول، اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لإبليس وجنوده لاني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. كنت غريباً فلم تأووني. عرياناً فلم تكسوني. مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني. والاشرار يندهشون من هذا الحكم. انهم لا يذكرون أن السيد كان في حاجة يوماً وهم قصروا معه ولذلك هم يسألون متى حدث هذا يا رب، متى؟ وهو يقول انه حدث كثيراً « بما انكم لم تفعلوه بالفقراء اخوتي، فبي لم تفعلوا »
يا للكارثة!!

انهم يذكرون انهم مرّوا على الجياع والعطاش ولم يتحرك قلبهم. انهم يذكرون انهم لم يقدموا كسرة خبز لمسكين ولا كأس ماء لتعس ولا غطاء لعارٍ. انهم يذكرون انهم لم يهتموا بأحد خلاف أنفسهم. آه لو كانوا يعلمون أن ذلك الجائع أو العطشان أو البردان أو المسجون هو المسيح نفسه ، اذن لقدموا له أثمن ما عندهم ولكنهم لم يعلموا ذلك إلا بعد فوات الفرصة !!!

وكذلك تعجب القوم من قسوة الحكم ! ان الديان لا يحكم عليهم لانهم كذبوا أو سرقوا أو اشتهوا أو قتلوا أو ارتكبوا شراً . كلا . انه يحكم عليهم لا لأنهم عملوا شيئاً شريراً بل لانهم لم يعملوا شيئاً صالحاً!

ومن يعرف ان يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له!!

* * *

فيمضي هؤلاء الى عذاب أبدي والابرار الى حياة أبدية !!

١٠٠

الخطب الوداعية

« لا اتركـكم يتامى . اني آتي اليكم . بعد قليل لا يراني العالم ايضاً واما انتم فترونني. اني انا حي فأنتم ستحيون »
يوحنا ١٤: ١٨و١٩

انتهى العشاء الذي كان مليئاً بالحزن والذي كان في نفس الوقت مليئاً بالرجاء . خرج يهوذا ليبيع سيده . وسبح التلاميذ وخرجوا الى جبل الزيتون . وعلى ذلك الجبل تحدث المعلم حديثه الوداعي. يظن البعض انه ألقاه خطبة واحدة و يظن آخرون انه ألقاه خطباً. ونظن نحن انه ألقاه مرة واحدة. وسواء كان هذا أو ذاك فاننا سندرس هذا الخطاب أو هذه الخطب على سبيل الرواية

لما خرج يهوذا قال يسوع « الآن تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيه » ــ هل

قال هذا الكلام قبل ان يخرجوا من العشاء أم قاله بعد أن خرجوا وهم في الطريق أم قاله بعد أن جلس على جبل الزيتون ؟ لا نعلم ولا يهمنا كثيراً أن نعلم . ان كل ما يهمنا انه قال ذلك عقب خروج يهوذا لتسليمه. والعجب ان يتحدث يسوع عن المجد في الوقت الذي يقترب منه الصليب كثيراً. لكن لماذا العجب. ألم ينظر يسوع الى صليبه على انه مجده؟ وها هو ينبيء التلاميذ ان زمانه معهم قليل وهو يوصيهم وصيته الجديدة أن يحبوا بعضهم بعضاً كما أحبهم هو. قائلا ، بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب بعضاً لبعض !

وفي حديثه عن انطلاقه قال ، ستطلبونني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم أنتم الآن . وهنا قال له بطرس يا سيد الى أين تذهب. وقال يسوع حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني ولكنك ستتبعني أخيراً. ثم نظر اليه نظرة حزن ومحبة وتشجيع وقال ، سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى ايمانك وأنت متى رجعت ثبت اخوتك. والتفت الى بقية التلاميذ ونظر اليهم نفس النظرة الحزينة المحبة الراجية وقال، ان كلكم تشكّون فيّ في هذه الليلة لانه مكتوب اني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية. ولكن بعد قيامي أسبقكم الى الجليل . وكان ألم بطرس عظيماً انه لا يمكن أن يترك سيده . هل يشكّ فيه. هل ينكره . كلا . كلا . يا رب لماذا لا أقدر أن أتبعك . اني أضع نفسي عنك. لا يمكن أن أشكّ فيك. ولا يمكن أن أنكرك . ليشكّ فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً . اني مستعد أن أمضي معك حتى الى السجن والى الموت.وأحسّ يسوع بكثير من الارتياح وهو يسمع كلمات بطرس المملوءة عزماً وحماساً ومحبة واخلاصاً . ولكن السيد كان يعلم عن الانسان ما لا يعلم الانسان عن نفسه . لقد كان بطرس مخلصاً ولكن التجربة كانت أقوى منه كثيراً. وقبل ان يجيب المعلم على كلمات بطرس اندفع التلاميذ كلهم يقولون بحماس قوي ولو انه ليس في قوة حماس بطرس انهم يتبعون معلمهم ولو اضطروا أن يموتوا . ووجّه المعلم

كلامه الى بطرس وان كان في نفس الوقت قد قصد أن يكون جواباً للجميع . أنت يا بطرس تضع نفسك عني؟ الحق أقول لك انك في هذه الليلة قبل ان يصيح ديك تنكر ثلاث مرات انك تعرفني.وكان الواجب على بطرس ان يجثو عند قدمي معلمه باكياً ملتمساً ان يمنحه القوة حتى لا ينكر. ولكن بطرس قال بعناد، ولو اضطررت ان أموت معك لا أنكرك . وهكذا قال ايضاً الجميع !

ولم يقل يسوع شيئاً رداً على هذه الحماسة !

و بعد أن صمت قليلا تكلم . قيل انه صمت في صلاة من أجل بطرس ومن أجل التلاميذ . طلب من أجل بطرس مرة أخرى لكي لا يفنى ايمانه . وعند ما تكلم كان كلامه غريباً . وقد بدأه بتذكيرهم عن المرة التي أرسلهم فيها للكرازة وكيف انهم برغم عدم وجود اكياس ومزاود ولا أحذية معهم لم يحتاجوا الى شيء . وأعلنهم ان الحال ساعتئذ يختلف تمام الاختلاف عما كان وهو يطلب، من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ومن ليس له كيس فليبع ثوبه و يشتر سيفاً . وكان قصده أن ينبئهم أن أمامهم ـ بعد انطلاقه ـ وقتاً عصيباً سيتعرضون فيه للجوع والعري والحاجة والمقاومة وان من اللائق ان يتقدموا الى ذلك الوقت مستعدين.على انهم لم يفهموا كلام المسيح. لقد ظنوا انه ينبئهم عن الوقت الحاضر وانه يطلب ان يستعدوا للحرب وخطر ببالهم ان الحرب كانت في سبيل استيلاء «الملك» على عرشه وسحق رومية. بينما كان هو يهيىء أذهانهم لما ينبغي ان ينتظروه من المقاومة العنيفة والاضطهاد. وقال التلاميذ ان عندهم سيفين . وليس بعجيب ان تكون سيوف عند التلاميذ. فهم جليليون وجميع الجليليين رجال قتال. وتأسف يسوع لغباوة تفكيرهم. انهم بعد طول الزمن الذي قضوه معه لا يستطيعون أن يدركوا معنى كلامه فقال لهم كفى ..

وسكت التلاميذ

و بدأت تتجلى على وجوههم علامات الاسى

ألم يخبرهم المعلم أنه سيذهب عنهم ، ولن يعودوا يرونه

سيطلبونه وحيث يذهب لا يقدرون أن يتبعوه

وأشفق المعلم على ألمهم . والقى لهم ذلك الخطاب المملوء تعزية الذي بدأه بالقول لاتضطرب قلوبكم، أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي. وأخبرهم عن بيت أبيه والمنازل الكثيرة التي فيه. وأنه ماض ليعد لهم مكاناً وأنه حالما ينتهي من الاعداد سيأتي أيضاً و يأخذهم اليه حتى حيث يكون هو يكونون هم أيضاً. و يعلمون حيث يذهب و يعلمون الطريق!

كان التلاميذ يسمعون تلك الكلمات وهم لا يفهمون الجانب الاكبر منها . وعندما قال تعلمون حيث أنا أذهب، سألوا أنفسهم الى أين هو ذاهب ولكن أحداً منهم لم يجسر أن يسأل . ولا بطرس . هل يعلن أنه لا يفهم . لكن شكراً لله فان واحداً من التلاميذ كان شجاعاً وهو توما . فقد قال للمعلم يا سيد لسنا نعلم الى أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ و يسوع يقول لتوما ليس عليك ان تعرف أشياء كثيرة يا توما . انني لا أضع أمامك وصايا ونواه ورسوماً وفرائض . كلا . لن أطلب منك شيئاً من ذلك . كل ما اطلبه ان تنظر إليّ انا وتسير في مثالي فانا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً . كان السيد يعلمهم انه هو وحده الطريق والحق والحياة . ولكنهم ير يدون ان يكتشفوا أشياء أبعد . وهذا فيلبس يقول ياسيد أرنا الآب وكفانا . لقد سبق لموسى ان طلب هذا الطلب . ولكن موسى لم يكن قد رأى المسيح . أما التلاميذ فلا حق لهم ان يطلبوا شيئاً . ألم ير وا الله في المسيح ؟ لقد أبصروه في قواته وكلمات سلطانه وسجدوا له . و بعد، فأن الله روح وقد تجسد الله في المسيح . وما كان للعيون البشرية ان تنظر الروح . وتأسف يسوع مرة اخرى لعدم إدراكهم فقال أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول انت أرنا الآب ألست تؤمن اني انا في الآب والآب فيّ. الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحالّ فيّ هو يعمل الاعمال . صدقوني اني في الآب والآب فيّ . ألا تدل الاعمال التي اعملها على ذلك ؟

كان كلام المسيح اعلانات عجيبة يحوي كنوزاً ثمينة مدهشة . ها هم التلاميذ يسمعون عن الآب الحالّ في الابن . ويندهشون من هـذا الاعلان . ولـكنهم يسمعون اعلاناً اعجب ان الآب يحل فيهم ايضاً وإذ ذاك يعملون اعمالاً نظير سيدهم بل يعملون اعظم منها. فقد قال، الحق الحق اقول لكم من يؤمن بي فالاعمال التي انا اعملها يعملها هو ايضاً ويعمل اعظم منها لأن المسيح سينطلق الى الآب ولن تكون له فرصة بالجسد ليعمل على الارض اما التلاميذ وتابعوهم فستكون لهم الفرصة الكافية.

وجاء بعد ذلك حديث المعزي . فسيطلب الابن من الآب ان يعطيهم معزياً آخر خلاف الابن الذي سيصعد الى الآب . وذلك المعزي هو الروح القدس وقد أفاض السيد في حديثه عن المعزي الروح القـدس فذكر ان الآب سيرسله باسم المسيح وانه سيعلمهم كل شيء ويذكرهم بكل ما قاله يسوع!

وتحدث بعد ذلك عن العـلاقة بينه وبين تلاميذه واظهر انها علاقة الفرع بالأصل فقال أنا الـكرمة الحقيقية وانتم الاغصان . وبـيّن ان الغصن ينبغي ان يكون ثابتاً في الـكرمة حتى يتغذى من عصير قلبها فيحيا ويثمر ونـبّر كثيراً على موضوع الثمر . ثم ذكر لهم ما سينتظرهم من ألم وضيق . فسيخرجونهم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلهم انه يقدم خدمة لله ولـكنه طمأن مخاوفهم إذ اعلن ان الروح المعزي سيقف إلى جانبهم . ومع انهم سيبكون وينوحون ولكن حزنهم سيتحول الى فرح. وختم حديثه لهم بالقول «قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولـكن ثقوا. أنا قد غلبت العالم !!»

* * *

يا لها من كلمات، كل كلمة منها جوهرة من جواهر السماء. يليق بنا أن نعود اليها ونقرأها مرة بعـد اخرى ، ونتلذذ بتلك الـكلمات التي هي عصارة حياته ، لنقرأها ونحن ساجدون بروح الصلاة ونسمعه يقول «ولـكني سأراكم ايضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم»

١٠١

يسوع يصلي

«لست أسأل ان تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير»
يوحنا ١٧ : ١٥

بعد أن فرغ يسوع من خطابه الوداعي رفع عينيه نحو السماء وصلى تلك الصلاة التي لا تزال تحدث الناس عن عمق الصلاة وقوتها . ومن النافع لنا أن نصغي الى كلمات تلك الصلاة بقلب مفتوح

بدأ السيد تلك الصلاة بالقول «قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً وفي هذه الكلمات يبين السيد ان ساعة موته قد اقتربت وهو ينظر اليها كساعة مجد لا ساعة هوان . ولا نعلم ماذا قصد تماماً بطلب مجد نفسه. قيل انه طلب أن يشترك ناسوته في مجد لاهوته ؟

وتقدم في صلاته يطلب من أجل تلاميذه . وهل كان عنده الفكر أو القلب ليشتغل بغيره في ظروفه القاسية التي ينتظر فيها الصليب. مجداً ليسوع فانه لا يوجد شيء يستطيع ان يمنعه من الانشغال بتلاميذه . وها نحن نسمعه يطلب من أجلهم تلك الطلبات العظيمة !

من أجلهم أنا أسأل . لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتني لانهم لك !

أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن!

لست أسأل ان تأخذهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما اني أنا لست من العالم. قدسهم في حقك. كلامك هو حق. كما أرسلتني الى العالم أرسلتهم أنا الى العالم. ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم ايضاً مقدسين في الحق .

ولست أسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما انك أنت ايها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا ليؤمن العالم انك أرسلتني

ايها الآب اريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث اكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لانك أحببتني قبل انشاء العالم

وقد ختم السيد صلاته بهذه الكلمات العظيمة : « أيها الآب البار ان العالم لم يعرفك . اما انا فعرفتك وهؤلاء عرفوا انك أرسلتني . وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وا كون أنا فيهم » !

١٠٢
في البستان

« وخرج مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه » يوحنا ١٨ : ١

« ولما صار الى المكان قال لهم صلّوا لكي لا تدخلوا في تجربة » لوقا ٢٢:٤٠

لنخلع أحذيتنا ونتقدم بخشوع الى البستان

كان بستاناً في عبر وادي قدرون على جبل الزيتون . وكانت أشجار الزيتون تملأ المكان !

لم يكن البستان يتميز عن غيره من البساتين . لم يكن فيه شيء خاص . كان مكاناً خلوياً وكانت المعصرة التي فيه تعمل في الموسم وكان العمال يقيمون إذ ذاك بالقرب منها !

ولكننا اليوم لن نجد أحداً في البستان إلا المعلم وتلاميذه . كلا . ليس كل

تلاميذه فقد ترك يهوذا المعلم أثناء العشاء . ويظن أن يوحنا مرقس كان أيضاً معهم !

ونحن نشعر عند ما ندخل برهبة ! !

لقد انتقلت السماء على الارض !

كان يسوع معتـاداً أن يذهب الى المكان ويجلس مع الآب . وكانت لهما خلوات طويلة لا يشاهدها أحد عن قرب . كان التلاميذ يجلسون على مسافة . وبالقرب منهم كان رهط من الملائكة يجثو بخشوع !!

كم كنا نود أن نجلس مع يسوع لنسمع أحاديثه مع الآب وحديث الآب معه. على أن أحاديثهما كانت على الأغلب أحاديث صامتة . كان يسوع يجلس في سكون في حضرة الآب . وكان قلبه يتفتح لفيض الروح الالهي وهكذا كان القلب يتحدث الى القلب والنفس تتحدث الى النفس ! !

وكان وجه يسوع يتألق بنور عجيب يبـدو نور الشمس أمامه ظلاماً كلما اجتمع مع أبيه !!

على أننا نرى المعلم اليوم في وضع يختلف عما تعودنا أن نراه في الماضي !

لقد كنا نراهما بالأمس كحبيبين يتناجيان حديث حب خالد ويتبادلان قبلات أشهى من العسل . ولكننا نراهما اليوم في صورة أبعد ما يكون عن مناجاة الحب !

كان الابن جاثياً أمام الآب يتضرع !

وكان الآب يسمع تضرعه ويخيل للناظر أنه يسمعه بصـدود وبقلب قاس . ولو أننا اقتربنا لرأينا الآب تفيض عيناه محبة وألماً !

كان الابن يصارع وكان عرقه ينزل كقطرات الدم وكانت كلماته تخرج لهيباً من قلبه « يا أبتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » « يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك . فأجز عني هذه الكأس ولـكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت » « يا أبتاه ان شئت ان تجـيز عني هذه الكأس ، ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك »

كان الابن جاثياً في حضرة الآب وكان التلاميذ الثلاثة على مسافة قريبة منه . وكان الملائكة جاثين بالقرب من التلاميذ . كان الابن وحده يصارع !

أما التلاميذ فناموا !!

أما الملائكة فظلوا في أماكنهم يستعدون لأن يقدموا المعونة في وقتها . وقد تقدم واحد منهم وشدد قوى الابن. لا نعلم كيف قوّاه . هل ظهر له مؤكداً له انه غير منسي؟ أم حدثه حديثاً أمرته به السماء ؟ أم أبرز له مجد الفداء الذي سيتممه؟؟ لا نعلم . قد يكون هذا أو ذاك ، أو قد يكون هذا وذاك !

جاءت المعونة من الملائكة !

أما التلاميذ فناموا . التلاميذ الذين أكدوا مع بطرس انهم سيتبعونه ولو الى الموت.. ناموا. ونظر الابن الى سمعان وقال له أهكذا ما قدرتم ان تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف!

وعاد الابن يلقي صلاته ثانية !

ورجع الى التلاميذ مرة ثانية ووجدهم نياماً !

ثم عاد يلقي صلاته للمرة الثالثة «يا ابتاه ان لم يمكن ان تعبر عني هذه الكأس إلا ان اشربها فلتكن مشيئتك » ـ ولما رجع الى التلاميذ ووجدهم نياماً قال لهم ناموا الآن واستريحوا . لم يعد بعد في حاجة الى سهرهم معه إذ قد اقتربت الساعة وابن الانسان سيسلم الى أيدي الخطاة . وطلب منهم ان يقوموا لينطلقوا من المكان فان الذي سيسلمه قد اقترب !

ولقد وقف جمهور المسيحيين حيارى أمام جثسيماني وسألوا أسئلة كثيرة لا نجد لها جواباً شافياً !

ما هي الكأس التي طلب السيد ان يجيزها الآب عنه ؟

هل هي كأس الموت ؟

وهل خاف المسيح من الموت ؟

هل هي كأس الموت النيابي ؟

وهل كان يقصد الابن حقاً ان يجيز الله عنه هذه الكأس ، وهو قد جاء لكي يموت وهدف حياته ان يموت ؟!!

ونحن نعترف ان الامر لا يزال مغلقاً علينا . كل ما نراه ان الانسان يسوع رأى كأس الموت النيابي أي قصاص الخطية المروع ، الموت بكل ما فيه من سموم الإثم ومرارة المعصية رأى كل ذلك بصفته انساناً نائباً عن الجنس البشري فاضطرب امامه والقى الصلاة التي سمعناها . ومع اننا لا ندرك الجانب الكبير من اسرارها إلا اننا نرى فيها البشرية كلها ممثلة فيه تستقبل الموت . كما نرى كيف يكون الصراع الروحي القوي !

وقد قال كاتب سفر العبرانيين انه «قدم في ايام جسده بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من اجل تقواه !»

نعم في جثسيماني رأينا الابن والآب في اعمق وضع واعظمه اثراً !!

١٠٣

يسوع في جثسيماني

« ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك » لوقا ٢٢:١٢

هل قامت في العالم حياة عجيبة وسامية نظير حياة يسوع؟ ألم يقف الناس خاشعين امام قوة برارته . وعندما نظر بعينيه امتدت أشعة من نور هربت امامها ظلمات الخطية والمرض والموت . . وقد كنا نهاب الوقوف امام مخلصنا في خدمات محبته . وكنا نشارك المشار في خفض رؤوسنا والقرع على صدورنا وطلب الرحمة . . ومع ذلك فاننا بالرغم من ذلك كنا نزحم الجماهير ونلتف حول المسيح !!

أما اليوم فنحن نقف امام البستان لا نجسر أن ندخل . يملأ المكان الى الباب

أقدس جو أحسسنا به الى الآن ونحن نسمع صراع البر مع الخطية فتضرب قلوبنا ويخيّل لنا ان ذلك الملاك الذي وقف يحرس البستان في عدن يقف ليحرس البستان في جبل الزيتون !

لنخلع أحذيتنا من أقدامنا بل لنزحف ووجوهنا في الارض لنشاهد أعظم معركة عرفها التاريخ !!

١ — خرج يسوع ومضى كالعادة الى جبل الزيتون .. الى بستان جثسيماني. لم يحيا مخلصنا حياة الاعتزال والنسك . بل بالعكس كان اجتماعياً الى آخر حدود الاجتماع . وقد أعلن هو انه كان عكس يوحنا المعمدان يأكل ويشرب . على انه كان يخلو بنفسه بين حين وآخر هنا وهناك . وطالما سمعناه يقول لتلاميذه، تعالوا أنتم الى الخلاء منفردين . إذ كانت الخدمة تزحمه كان يخلو الى نفسه ويجلس الى الآب ويستمد قوات. وقد رأيناه احياناً يقضي الليل كله في الصلاة. وكان معتاداً ان يذهب الى بستان جثسيماني. لننس قليلاً ان بستان جثسيماني كان مكان اكبر صراع سمعت به الارض، ولنذكر انه مكان خلوة الصلاة والشركة. ان زحام العمل واندفاع الناس بقوة تبعاً لحركة الارض كاد يذهب بهدوء التأمل. ولسنا نندهش ان يخترع الناس الاسطورة عن اينشتاين العالم اليهودي وانه ذهب من اوربا الى امريكا في سفينة شراعية وهو يقول : « نعم ان السفن البخارية وما شابهها تدلنا على عظمة العقل البشري ولكنها أوشكت ان تقتل القلب . ان سرعة المواصلات المدهشة لا تترك لنا لحظة لنتأمل في الله وفي عجائب الله » !!

أما يسوع فقد كانت حياته مملوءة بالعجائب.وكانت اعماله تسير بسرعة هائلة. وفي السنوات القلائل التي أقامها على الارض أجرى من المعجزات ما يملأ مئات المجلدات . ولكنه كان بين حين وآخر يذهب الى البستان ليختلي !

ما أحوج العالم الى البستان . وهل اقول، ما احوج الخدام، على الخصوص، الى البستان ! !

٢ — وعند باب البستان ترك ثمانية من تلاميذه وأوصاهم ان يصلوا لكي لايدخلوا في تجربة. وتوغل هو في البستان مع الثلاثة المقربين من تلاميذه.وأوصاهم نفس الوصية، ثم انفصل عنهم نحو رمية حجر وابتدأ جهاده. كان ثمانية من التلاميذ عند الباب وكان ثلاثة على مسافة قريبة منه، وهو جثا وحيداً . فماذا كان مكان التلاميذ منه ؟ كان على التلاميذ ان يعاونوه في صراعه بشركتهم معه. كان وجودهم وعطفهم لازماً له . لم يطلب منهم شيئاً آخر إلا هذا الشيء البسيط . أما العطف فكان فيهم فقد حزنوا معه ولكنهم ناموا وتركوه وحيداً . لقد حاربهم المجرب وانتصر عليهم بسهولة . لو انهم أطاعوا سيدهم وصلوا لما ناموا !!

أليس من العار، خصوصاً على التلاميذ المقربين،ان يناموا. وأليس من المدهش ان ينخذلوا دائماً امام النوم؟ على جبل التجلي ناموا . وفي بستان جثسيماني ناموا !!

٣ — أما هو فانفصل عن تلاميذه، كما قلنا، نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه، أو كما يقول متى ، وخر على وجهه وصلى . هنا الصلاة المصارعة . كان صدر السيد هدفاً لسهام كثيرة وكانت التجربة حجراً ثقيلا ومراً. وها هو ينطرح على الارض ويحارب . ان أعظم انتصارات الكنيسة خرجت من الجثو على الارض !

وحتى نعرف نوع صراع مخلصنا لنفحص كلمات صلاته . فهي اولاً موجهة الى شخص الآب . ثم هي تنظر الى الكأس وتطلب ان تجوز عنه . ولكنها ترتفع الى الآب وتعان التسليم لارادته !

«ياأبتاه انشئت انتجيز عنيهذه الكأس.ولكن لتكن لاارادتي بل ارادتك»

« يا أبتاه ». ان في هذه الكلمة تعزية لا يستطيع شيء في العالم ان يعطي مثلها. يكفي ان تأتي الى صدر الله وتقول ، يا أبتاه ، ان صلاة تتجه الى الآب تختلف عن كل صلاة أخرى !

« ان شئت ان تجيز عني هذه الكأس » ما هي هذه الكأس ؟ قال المسيح ليعقوب ويوحنا ، هل تستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها ؟ فما هي هذه

الكأس؟ هل هي كأس الموت والألم على الصليب؟وان كانت هي فاننا، مع ما نحسه من مرارة الكأس ، نشعر انها لا يمكن أن تؤثر في مخلصنا هذا التأثير . ان عظماء العالم لم يخافوا من الموت . ان سقراط شرب كأس السم باسماً. و بطرس، على رواية التقليد ، طلب ان يصلب منكساً . والشهداء كانوا يرتلون وهم يساقون الى الموت ، وكانت النار تحرق أجسامهم وهم يهللون بهتاف النصرة . لا يمكن اذن أن يكون الخوف من الموت والألم ، الكأس التي اضطرب امامها مخلصنا . وكيف يخاف من الموت وهو رب الحياة، ذاك الذي جاء ليموت وليتألم، والذي استمد للموت والألم !!

إذن ما هي هذه الكأس ؟؟

قال البعض انه خشى ان جسمه المنهوك الضعيف كان معرضاً للموت قبل الوصول الى الصليب. فهو يطلب ان تجوز عنه هذه الكأس لئلا تتعطل الغاية التي جاء من أجلها . و يجد القائلون بهذا الرأي اسباباً يدعمون بها رأيهم . فان الآلام النفسية المروعة التي تركزت في جسمه الهزيل حتى جعلت عرقه ينزل قطرات من الدم ، هذه الآلام كانت كافية ان تقضي عليه قبل ان يصل الى الصليب . ومن اجل ذلك جاءه الملاك ليقويه. ويقولون ان هذا هو الموت الذي قصده كاتب سفر العبرانيين في قوله : « الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت . وسمع له من اجل تقواه »

ومع ما في هذا الرأي من وجوه قوة ، إلا أننا لا نرانا ميالين لقبوله . خصوصاً إذا دققنا النظر في كلمات الصلاة. يقول لوقا انه قال « يا أبتاه إن شئت ان تجيز عني هذه الكأس . ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك » ـ ويقول مرقس « وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن امكن وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك. فأجز عني هذه الكأس . ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت » . ويقول متى « فمضى ايضاً ثانية وصلى قائلا يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا ان أشربها فلتكن مشيئتك » ـ ونحن نلاحظ في كل ذلك الكلام ان السيد قبل ان

يخضع لارادة الآب ويشرب الكأس. ولو كانت تلك الكأس « كأس الموت قبل الصليب » لما كان هناك معنى لقول « إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا ان اشربها فلتكن مشيئتك »

إذن ما هي هذه الكأس ؟

هي على رأي أعداء المسيح كأس الموت على الصليب . وهي كذلك على رأينا نحن . أعداء المسيح يقولون انه جبن وخاف من الموت. وقالوا انه معذور لأن الموت مخيف . ويبتسم أعداء المسيح قائلين ان سيدكم خاف مما لا يجوز أن يخاف منه الابطال أو انصاف الابطال. ذلك لانهم لم يروا إلا مظهر الموت على الصليب. أما نحن الذين رأينا اعماق الموت على الصليب فقد رأينا عاره ولعنته وخطيته، فاننا نغمض عيوننا ونحن نرى مخلصنا قادماً على الصليب. لما كان مخلصنا على الارض كان يجول يصنع خيراً ويشفي كل مرض في الشعب . فهل خطر ببالنا يوماً ان عملية الشفاء هذه مكلفه . لم يكن عليه إلا أن يضع يديه فتنفتح عيون العميان وآذان الصم تتفتح ويطهر البرص ويمشي العرج ويقوم الموتى . هذا ما رأيناه ولكننا رأيناه مرة يقول ان قوة خرجت منه لما استلت الشفاء منه امرأة كانت نازفة دم . فما معنى هذا ؟ اليس معناه ان يسوع في صراعه مع الخطية المتجسدة في المرض كان يفقد شيئاً من قوته ؟ وما هي القوة ؟ اليست هي نفوسنا في نشاطها ؟ إذن كان مخلصنا يسكب حياته قطرة قطرة في صراعه مع الخطية . ولما اقترب الى الصليب ابصر الخطية في اشنع صورها واعظم جرمها واثقل كتلتها . لم يكن « الموت » هو الذي اضطرب منه المسيح وانما كان الموت الذي يلبس الخطية . ذاك الذي لم يعرف خطية صار خطية من أجلنا !

دخلت الخطية عالمنا فاضطرب العالم من ثقلها وأنت الخليقة ، الارض والبحر والجو والجماد والحيوان والانسان . كل ما في الكرة الارضية أنّ تحت ثقل الخطية! المرض والفقر والحزن والضيق والدموع والأنات وكل ما في العالم من بؤس

هو من ثمار الخطية . ان الرجل منا ينحني الى الارض من خطيته هو ، فكم يكون الأمر لو أن خطية شخص آخر وضعت عليه؟ وان كان البنون يتألمون لأنهم يحصدون ثمار خطايا والديهم فما يكون الأمر لو انهم حصدوا ثمار خطايا كل السلسلة التي يتصلون بها. والآن ها هو المسيح يتقدم كحمل الله ليموت . ولكنه سيموت تحت ثقل خطية العالم كله. فلا عجب ان اضطرب ولا عجب ان طلب ان تجوز عنه هذه الكأس ؟!!

٤ — ومع اننا رأينا في جثسياني « يسوع الانسان » إلا اننا رأيناه ايضاً الانسان الكامل . انه لا يطلب ان تنفذ مشيئته بل يسلّم الارادة للآب، لا كأنه مقهور .. كلا. بل اعلاناً لخضوع الابن للآب. كان للمسيح إرادة ولكنها لم تتعارض مع إرادة الآب . كانت الأرادتان في نفس يسوع متفقتين . كانتا كأنهما إرادة واحدة. كانت مسرته ان يتمم إرادة الآب. وهنا منتهى الكمال ا. وحي في الانسان. كانت الانسانية سعيدة يوم كانت إرادة الله و إرادة الانسان متفقتين . فلما انفصلتا امتلأت الارض بالبؤس والدموع والحزن . لم تكن حياة مخلصنا خالية من الألم ولكنها كانت خالية تماماً من التذمر، و بالتالي كانت خالية من الشقاء. ان الدموع التي سكبها والحزن الذي أثقله والآلام التي انحنى تحتها كانت في سبيل إسعاد البشرية !

٥ — و إذ كان يصلي في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم . كان العدو يحارب به بمنتهى القسوة والعنف. من يعلم كم عدد السهام التي صوّبها نحو قلبه. لا شك انه صوّر له موت الصليب كما هو في آلامه وجفائه وعاره ولعنته. نعم ، وصوّر له استهزاء الجماهير به وسخريتهم واضطهادهم من ضرب ولطم و بصق. وصوّر له القيود والمحاكمة والحكم . كل هذه رسمها قدامه فرآها في صورتها المخيفة . وما اكثر من هربوا في أول الطريق . أما مخلصنا فكان يصلي لا بفمه فقط بل بكل حياته حتى تفتّح جسمه وخرج عرقه قطرات من دم !!

ولم يكفّ العدوّ بل ظلّ يرسل سهامه بدون انقطاع فرسم أمام السيد، البشرية، التي لأجلها هو يقدم ذاته، في صورتها الخائنة الغادرة الدنيئة . نعم رسم صوراً من

مثل صورة بيلاطس وهيرودس وقيافا وحنان . وعرج على شعب اسرائيل فقدمه للمسيا في انحطاطه الخلقي وشناعة الاثم. بل قدم نفس تلاميذه ، وفيهم يهوذا الذي باعه، و بطرس الذي سينكره، وتوما الذي سيشك فيه و بقية التلاميذ الذين أثبتوا انهم ليسوا أهلاً للوجود معه . لماذا إذن يموت ذلك الموت المخيف من أجل عالم كهذا أفضل ما فيه معجون بالغدر والجبن والجهل ؟؟ والحق انها كانت ساعة عصيبة، وكان مخلصنا يصارع بكل قوته أو بكل حياته . وظهر كأن قوته تضعف ولذلك جاءه ملاك يشدده في صراعه هذا . لم يعد الملاك يده ليصارع معه . ولكن لما نام التلاميذ جاءت الملائكة. وظل السيد يجاهد جهاده العنيف هذا حتى انتصر نصرة كاملة . فهو يقدم نفسه بسرور للصلب !!

قال لهم ساعه دخوله الى البستان،نفسي حزينة جداً حتى الموت، وكان يدهش و يكتئب . ولكنه خرج ممتلئاً من القوة والسلام !!

كانت جثسيماني ليسوع مكان عزلة مقدسة ، ومكان سهر وصلاة ،ومكان جهاد عنيف أمام التجربة القاسية. ولكنها كانت أخيراً مكان نصرة فائقة !!

١٠٤

الطريق الى جلجثة

« هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه »

تكوين ٣ : ١٥

رنت هذه الكلمات في اذني الحيـة منذ عشرات المئات من السنين . ومنذ سمعتها وهي تتحفز لسحق عقب ذلك النسل الذي سيسحق رأسها . وقد شاهد التاريخ عشرات المواقع الحربية التي رفعت فيها الحية رأسها وخفضتها تبعاً للظروف. وها نحن نقف اليوم على رابية في بلاد فلسطين لنشاهد الموقعة الفاصلة بين نسل المرأة والحيـة أي بين الخير والشر . ومع ان الموقعة بدت فشلاً للخير إلا ان ذوي

العيون المفتوحة ابصروا نسل المرأة يسحق رأس الحية وان كانت الحية قد سحقت عقبه!

* * *

كان السيد متكئاً مع تلاميذه في علية في اورشليم وقد تجلى على وجهه مزيج من محبة وألم!!

لقد وصل الى نهاية للرحلة وقد هاجمته الحية القديمة منذ اللحظة الاولى التي جاء فيها الى الارض، وظلت تهاجمه. وكان هو يصد هجماتها بقوة أذهلت المحيطين به وبحكمة جعلت الناس يقولون ما هذا بشراً إن هو إلا ملك كريم!!

والآن؟!!

أزفت الساعة التي سيضرب فيها ضربته الفاصلة وقد أعدّ نفسه اعداداً كاملا لهذه الساعة

على اننا نرى ألماً ممضاً يملأ وجهه

إن الحرب التي جاء يعلنها كانت بين اثنين، هو والحية القديمة. ولكن الحية القديمة استطاعت ان تكتسب الى جانبها عدداً غفيراً ممن كان يجب ان يكونوا الى جانبه.

هذا رئيس الكهنة وكهنته مع جماعات رؤساء الكتبة والناموسيين وبقية رجال الدين، كل هؤلاء كان يجب ان يهللوا لعمانوئيل ويعلنوا تأييدهم له ولكنهم وقفوا ضده وقاوموه، بل كانوا هم أشد عداوة له من الاجانب!!!

ثم هذا الجمهور الذي صنع معه السيد كل خير ففتح أعين عميانه وآذان الصم وطهر البرص وشفى المرضى واطعم الجياع واقام الموتى.. هذا الجمهور الذي نال كل بركة منه، والذي كان السيد يتحنن عليه كلما رآه، قد انقلب ضده وهتف ينادي بعداوته!!!

وتلاميذه الذين التفوا حوله وسمعوا تعاليمه وعاشوا في جو قداسته، تلاميذه الذين رأوا ما لم يره الآخرون انفضوا من حوله وآثروا الغنم والسلامة في الابتعاد عنه!!

والاثنا عشر الذين اصطفاهم وكشف لهم من قلبه ما لم يكشف للسبعين أو

للخمسمائة ، الحلقة الداخلية ، القدس ، بل الثلاثة أو الاربعة الذين بلغوا من معرفته ما لا تكاد تبلغه النفس من صاحبها ، هؤلاء واولئك كانوا جماعة خائنة ، وها هو يتهيأ لمقابلة جبنهم وغدرهم .. و إذ يلقي نظرة الى الامام يحاول ان يخترق ظلمة الغد يبصر ذلك الصليب الخشن المروع و يبصر نفسه وحيداً .. كلا ليس وحيداً إذ قد بقي له الآب .. بل واسفاه حتى الآب تركه وحده ، تركه يحمل خطية البشر . ولئن لم نفهم كيف يتركه فنحن نقبل الحقيقة كما جاءت !

اتكأ السيد في تلك الليلة مع تلاميذه لآخر مرة ، اتكأ وقد اعتاج في قلبه ألم مُرٌّ مظلم، ألم لم يعرف العالم نظيره ، ألم امتزجت المرارة فيه بالمحبة التي لا حدَّ لاتساعها ولا حد لعمقها . وقد اجتمعت المحبة بالألم فكان لاجتماعهما مزيج غريب كانت لهبه تتصاعد تكوي قلبه بنار أقسى من اللظى ...

و بينما كان يحتمل نيران ألمه بسكون القى نظرة اخرى على تلاميـذه فرآهم بالرغم من ادراكهم بعض الشيء لألمه ، لا يشاركونه فيه . فهم يتشاجرون من منهم يكون الاعظم في الملكوت. و يقدم لهم السيد درسه الخالد في غسل الأرجل ، و يتحدث اليهم في رفق عن العظمة الحقيقية !!

ثم يقدم لهم فريضة العهـد الجديد و يقول لهم هذا هو جسدي المـكسور من اجلكم .. وهذا هو دمي . و يكشف لهم في تلك الفريضة المحبة التي تبذل اكثر من الحياة في سبيل من تحب !

وفيما هو يتكىء ، ولسنا نعلم اليقين ان كان ذلك قبل الفريضة أو بعدها قال لهم واحد منكم سيسلمني . وحدث بسبب ذلك هرج بين التلاميذ وسـأل كل منهم مستنكراً ان يكون هو الخائن لسيده، هل أنا يا رب .. حتى يهوذا .. وعند ما قال «كلكم تشكّون فيّ» لم يقبلوا التهمة بل نفضـوها عنهم بعنف . . وزاد بطرس في حماسه، واعلن له السيد في حزن انه سينكر لا مرة ولا مرتين بل ثلاث مرات !!!

ولقد سبق لنا ان فصّلنا هذه الحوادث وانما عدنا اليها لنرسم الصورة الحزينة للسيد وهو ينظر الى الغد

على ان اروع صورة للصليب خلاف الصليب نفسه كانت جثسياني ، وقد جثونا فيها بالامس وبكينا بدموع الخجل والندامة والحزن . . والرجاء



قبلة يهوذا

وها نحن نرى الجماهير مقبلة على السيد يتقدمها «صديقنا» يهوذا . وها نحن نراه يأتي الى السيد ويتقدم اليه مقبّلا !!!

وقد يسأل بعضنا عن القبلة ومكانها

لم تكن قد مضت إلا ساعة أو ساعتان منذ ترك يهوذا سيده فلم يكن هناك مكان لقبلة . ولسنا نظن ان الرجل قد بلغت به الصفاقة حدّ اعلان غدره في قبلته

نظن ان الرجل خرج غاضباً من الوليمة . فعند ما قال السيد واحد منكم سيسلمني وقال له يهوذا هل أنا يا رب أجابه السيد انت تقول .. ثم قال السيد له ما انت تفعله فافعله بأوفر سرعة . وأحس يهوذا بكرامته تهدر، فخرج غاضباً على السيد . ولكنه يعود الى السيد « مستسمحاً » فيقبله، أو على الاقل، هذا ما أراد ان يعتقد به السيد وتلاميذه وما أراد ان يخدع به نفسه !

أم هل أراد ان يضع في روع السيد انها قبلة الجزع مما يتعرض له من الرعاع الذين اقبلوا يحاولون ان يسيئوا اليه كما يفعل الناس عادة عندما تصيبهم كارثة داهمة أو تحل بهم مصيبة شديدة ؟؟

أم ان القبلة كانت ، كما تظن أقلية ضئيلة ، قبلة الاستسماح والاستغفار . فقد بدأ يهوذا ، على زعم هؤلاء القوم . يحسّ بوطأة جريمته من قبل ان ينفـذها ولم يكن في طاقته الرجوع عنها ؟؟

لا شك ان القصـد الاصلي للقبلة كان ان يبين يهوذا للقوم، في ظلمة الليل ، الرجل الذي سيقبضون عليه . ولكن قبلته اتخذت مظهراً آخر حاول فيه ان يخفي شناعة فعلته ، ولـكن محاولته باءت بالفشل الذريع إذ اصبحت قبلته رمزاً لأدنى خيانة وأحط غدر وأضحت لقباً لـكل غدر قبيح ورياء دنيء !!

وهجمت الجماهير تنوي القبض على السيد فوقف امامهم وسألهم من تريدون فقالوا يسوع الناصري فقال لهم ، أنا هو، وإذ ذاك هووا الى الارض . لقد كانت كلمته كلمة مَـلِك بل كلمة مَـلَك ـ وثبت للتلاميذ ان السيد لم يكن في حاجة الى سيف يحميه كما حاول ان يفعل بطرس . ولم يكن يقصـد ان ينجو من الموت فقد كان ذلك ميسوراً له . من اجل الصليب جاء وها هو يستقبله راضياً !!

وأولئك الجبناء الذين لم يستطيعوا ان يواجهوا السيد عادوا بعـد ان سمح لهم وقبضوا عليه بعنف ، وانهالوا عليه ضرباً ولطماً وركلاً و بصقاً واستهزاء وجرّوه الى وكر الدسائس و بؤرة الفساد .. الى مجلسهم الديني الاعلى !!!

ولئن اردت ان تعجب فاعجب لمجلس يعلن انه مجلس الله ولكنه مجلس الشيطان. يعمل الشيطان كل شيء فيه في ماعدا مظاهر الامور . ذلك انهم يبدأون اجتماعهم بصلاة تحمل اسم الله و يقسمون باسم يهـوه العظيم ليكونن له ولناموسه ولأنبيائه . ولـكن كلاً منهم شيطان مريد... كلهم عصبة أبالسة!! لعل من الانصاف ان نقول جلّهم فقد كان بينهم نفر من المخلصين !!

كان رئيسهم متكئاً على أريكته العالية وقد امتد «كرشه» الى الامام وملأ بلحمه المكتنز مقعده الكبير وكان يتخلل باصابعه لحيته الطويلة الغزيرة . . وكان الى جانبه نفر في مثل صورته ومثل ثيابه.. وقد بلغت عدتهم قرابة السبعين!

كان هذا مجلسهم الاعلى الذين يطلقون عليه اسم مجلس السنهدريم وكان لا يضم إلا نخبة علمائهم ورؤساء دينهم . وكان يشترط في عضوية المجلس ان يكون العضو رئيساً عالماً «تقياً» له نفوذ أدبي مستمد من تقواه أو من علمه أو من كليهما معاً . كما كان يتحتم ان يكون متزوجاً . وألا يقل عمره عن الاربعين . على ان القوم استطاعوا ان يتحللوا من بعض الشروط ونستطيع ان نؤكد ان شرط التقوى لم يكن له مكان في الوقت الذي نتحدث عنه . بل ان العلم لم يأخذ مكان الصدارة كما كان المنتظر من فقهاء الناموس فقد قبل بين الاعضاء من لم يكونوا على كثير من العلم . وكانت الثروة تحل كل عقدة. فقبل في عضوية المجلس امثال الشاب الذي كان رئيساً وغنياً الذي قيل انه نفس بولس على ما يظن الكثيرون !!

على انه لا يجوز ان ننسى بعض الاعضاء الافاضل نظير نيقوديموس ويوسف الرامي . ولكن أولئك الاعضاء كانوا قلة وكانوا ضعفاء أمام شر الكثرة وتعصبها ومقدرتها في الدس والتخريب . فقد كان نفس ولاة روما يجزعون من تلك القوة المخيفة التي كانت تستطيع ان تقيم ثورة جامحة من الشعب الاحمق!

يا للشعب المسكين !

يأكله أولئك الرؤساء!

ويمتصون دمه !

ويخلعون عنه ثوبه لكي يضعوه على اجسام ماشيتهم ، ويحتقرونه الى اقصى درجات الاحتقار ويدوسونه تحت اقدامهم وينعتونه شر النعوت بل يقولون «أما ذلك الشعب الجاهل فهو ملعون» والشعب يرى كل ذلك ولكنه بالرغم من ذلك يقبل ايديهم بل يقبل مواطىء اقدامهم ويطلب رضاهم ويصغي لمشوراتهم ويطيع

طاعة عمياء أوامرهم ويموت في سبيلهم ، فهم في نظره حماة الايمان ورسل الدين وحاملو مفاتيح الملكوت !!

* * *

ووصل الموكب المختلط الى دار الرئيس وكان قد اجتمع حوله العدد الاكبر من الاعضاء وكان الوقت حول منتصف الليل !

وسحب الحراس يسوع وأوقفوه امام رئيس الكهنة !

ياللهول !!

يسوع الطاهر القدوس البار!

يسوع الذي لم يفكر إلا في صنع الخير ولم يتكلم إلا بتدبير الخير ولم يعمل إلا كل الخير!

يسوع ابن الله!

يسوع يقف وقفة المجرمين ؟؟

وأمام من ؟

أمام عصبة من اللصوص الأدنياء؟؟

أمام جمهور من أحط من ولدت الارض؟

لكن هكذا رتبت النعمة أن يكون !

وقف البار لكي يحاكم من أجل برا!

وسأله رئيس الكهنة كما لو لم يكن يعرفه عن اسمه وتلاميذه وتعليمه ، سأله كما لو لم يكن قد سمع شيئاً عن يسوع ، سأله كما يسأل القاضي النزيه المتهم حتى لا يحكم عليه إلا بالعدل !!!

أما يسوع فاجاب :

«أنا كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً . وفي الخفاء لم اتكلم بشيء»

« لماذا تسألني أنا؟
اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم !
هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا !! »

كانت كلمات السيد ، بالرغم من ظاهر بساطتها ، كلمات من نار ، تململ رئيس الكهنة وهو يسمعها !

كانت كلمات كاشفة موبخة !

كشفت نفاق الرئيس وخبث قلبه وانحطاط نفسه وجهالته!

لماذا يسأل وهو يعرف كل شيء . ولماذا يلبس قناع البراءة وقد بيّت الغدر ، ولماذا يدّعي صفة القاضي العادل وهو تجسُّم الظلم؟؟

كانت كلمات السيد سياطاً من نار !

ظهرت آثارها على وجه رئيس الكهنة وفي عينيه . فتقطبت أساريره واحمرت عيناه ، و بدا وحشاً يتحفز للهجوم ، ولكنه لا يستطيع لان « معذبه » قوي !

على أن احد الخدام ، الخدام الاغبياء الجهلاء ، وهل نقول ، الخدام «الطيبين» البسطاء ، الخدام الذين يكرمون الكهنوت ورجال الكهنوت و يعتبرونهم رسل الله على الارض ، تقدم احد هؤلاء من السيد غاضباً ولطمه على وجهه وقال ، أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟

ونظر السيد الى ذلك الخادم حزيناً !

انه لا يعرف !

انه يظن ان رئيس الكهنة نائب الله على الارض !

انه لا يعرف ان جمهوراً من الأبالسة يقيم في قلب « خادم الله » ، « نائب الله »

انه يعتبر عدم إكرام الرئيس جريمة تشبه جريمة التجديف على الله ، بل تزيد !

نظر يسوع اليه متألماً .. مسامحاً .. موبخاً !!

« ان كنت تكلمت رديًا فاشهد على الردى وان حسناً فلماذا تضربني ؟؟ »

كان الناموس يحرم استعمال العنف ويشدد على وجوب إعطاء فرصة للدفاع ، وكان عمل الخادم تعدياً صارخاً على الناموس . فانكمش الخادم وانكمش معه سيده. ولكن رئيس الكهنة أراد أن يستمر في المحاكمة فسمع شكوى المشتكين الذين جرّوا يسوع للمحاكمة وهاك ملخص عريضة الدعوى :

ان يسوع هذا الذي عرفته بلاد الجليل ابناً ليوسف النجار ومريم يدّعي انه ابن الله

قد جعل نفسه مساوياً لله .. إذ قال :

« أنا والآب واحد »

« أبوكم ابرهيم .. رأى يومي وفرح »

« قبل ان يكون ابرهيم أنا كائن »

« الذي رآني فقد رأى الآب ايضاً »

« أنا هو القيامة والحياة »

« من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يرى الموت الى الابد »

« دفع اليّ كل سلطان في السماء وعلى الارض »

* * *

ولم يكفه هذا بل تعدى على موسى وعلى الناموس وعلى الهيكل. وكان حماسهم بازاء هذه التهمة عظيماً ، فذكروا كيف انه لم يعط موسى الكرامة اللائقة بواضع الناموس الذي هو فخر اليهود ومناط مجدهم. ودللوا على ذلك بكثير من الأقوال من مثل ما جاء في عظته على الجبل من قوله « سمعتم انه قيل . . أما أنا فأقول لكم » وقد سخر في عظته بقواعد الطلاق وحقيقة الزنى والأخذ بالثأر الاقسام . بل لقد اشتط في ذلك فكسر السبت وسمح لتلاميذه ان يكسروه وأكل بأيدي غير مغسولة وترك تلاميذه يفعلون ذلك. وامتنع عن الصيام هو وتلاميذه . ولما سئل في ذلك قال

ان السبت جعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت وقال انه هو رب السبت ايضاً . وقال ان الذين يحفظون تقاليد الشيوخ في الغسل والصيام يكسرون وصية الله و يصدق عليهم ما قاله اشعياء «يقترب اليّ هذا الشعب بفمه و يكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس !!

وقال ان النظام الموسوي سيتلاشى يوماً ما!

فان الهيكل سيهدم يوماً ما!

قال «اهدموا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه »

وقال عن أبنية الهيكل انها ستهدم ولن يبقى حجر على حجر فيها لا ينقض!

وان العبادة لله عبادة روحية لا علاقة لها بالمكان !

وانه تأتي ساعة حين يسجد الساجدون الحقيقيون لا في هيكل اورشليم ولا في جبل السامرة !

لأن الله روح !

والساجدون لله يسجدون بالروح والحق !!

بل لقد شبه النظام اليهودي بالثوب القديم أو بالزق القديم وقال انه لا يليق ان توضع رقعة جديدة في ثوب قديم ولا خمر جديدة في زق عتيقة . وهو يعلن بذلك ان النظام الموسوي قد انتهى أمره !!

ولقد أيّد المشتكون هذه التهمة مما عمله يسوع من تقريبه العشارين والخطاة ومن أكله معهم ، ومن توبيخه للكتبة والفريسيين !

وقد أجرى بعض الآيات بقوة حليفه الشيطان فاجتمعت الجماهير كلها وراءه وكاد يحدث انقلاب لا يعرف أحد مداه لو انه نجح !!

ولذلك طلب المشتكون تطبيق الناموس عليه كنبي كاذب مضل!

وكان القصاص المنصوص على تلك التهمة القتل!!

* * *

سمع الرؤساء هذه القائمة الطويلة من الاتهامات

ولم تكن فيها تهمة واحدة جدية

فان نفس الشكاوى كانت تحمل لا تبرير المشكو بل برّه !

على ان رئيس الكهنة والمحيطين به « ارتاعوا » من جسامة التهم . لقد أساء يسوع ـ إذا صدقت الاتهامات ـ الى الله!

والى موسى !

والى الناموس!!

والى هذا الموضع المقدس !!

ولكن رئيس الكهنة رجل « قانوني عادل » لا يقبل الشكاية إلا على فم شاهدين أو ثلاثة . أي ان التهمة لا يمكن أن تقوم لها قائمة إلا إذا شهد بصحتها اثنان على الأقل !

وتقدم شهود زور كثيرون !

ولكن لم تتفق شهادتهم !!

* * *

وبينما كان القوم في ارتباكهم يحاولون أن يجدوا شاهدين يتفقان في شكوى واحدة لاحظ أحد الاعضاء ان الجلسة غير قانونية « شكلاً » ، لان قانون مجلس السنهدريم ان اجتماعه لا يكون إلا بين الصباح والمساء ، حتى تكون جلساته في « نور النهار » وشهاداته وأحكامه في النور !!

وانفضت الجلسة في الحال !

ان القوم رجال عدالة كاملة !

ورجال خضوع للقانون !!

ولو انهم حكموا على يسوع بالموت في جلستهم الليلية هذه لألغوا الحكم في الصباح واعتبروه غير قائم لأن العدالة تقتضي المحاكمة في النهار !!

وهم رجال عدالة !!!

وهم لا يحكمون على متهم بدون شهود !!

ينبغي ان تتفق شهادة شاهدين على الأقل !

فاذا لم تتفق فلا يمكن أن يصدروا حكماً !

نعم،انهم قد «يوضّبون» الشهود وقد يلقنونهم شهادةالزور. ان هذا لايناقض العدالة . ان الناموس يقول « لا تشهد على قريبك شهادة زور » ولـكنه لا يقول « لا ترتب شهود زور » ـ ان ذنب شهود الزور لا يقع على كاهل المحكمة . ان كل ما تهتم له المحكمة ان يشهد اثنان شهادة متفقة.لا يهم إن كانت شهادة زور أو شهادة حق طالما كانت تستكمل المظاهر القانونية !!!

ان الناموس معبود القوم !

كلا . ليس الناموس !

بل مظاهر الناموس الخارجية!

أيها الناموس كم باسمك ترتكب الآثام؟!!

واجتمع مجلس القوم في الصباح !

ذهبوا هم إلى فراشهم، وناموا نوم الأبرار إلى الصباح ، أو لعلهم لم يناموا ، بل ظلوا مستيقظين يفكرون في الوسائل القانونية « العادلة » التي يقتلون بها يسوع !!

أما يسوع فقد ظل بين الحراس والخدام يضربونه ويلطمونه ويبصقون على وجهه ويهزأون به !

وهو صامت !

لم يكن غضب في عينيه بل حزن وألم!

مساكين أولئك القوم!!

تعساء !!

جهلة !!

انهم لا يعلمون ما يعملون !!
وقد ظل إلى الصباح ينال منهم كل ما استطاعت الجهالة والحماقة ان تأتيه من ضروب الأذى !
وفي الصباح جرّوه من قيوده إلى رئيس الكهنة ومجلسه
و بدأت حركة الشهود !
جاء شهود وقالوا انه قال ان لا تعطى جزية لقيصر . ولكنهم استبعدوا هذه الشهادة إذ انها لو صحت لما كانت ضده . على انهم لم يستبعدوها نهائياً إذ فكروا ان يستعملوها عندما يقفون أمام الوالي !
وجاء شاهدان يقولان انهما سمعاه يقول انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أبنيه . على ان شهادتهما اختلفت في تفصيلاتها !
وارتبك المجلس !!
لا يوجد شهود !
وهم لا يستطيعون أن يحكموا عليه بدون شهود!
فهل يفلت منهم ؟؟
يا طالما أفلت منهم ومن حبائلهم بحكمة كلامه بالأمس!
واليوم ها هو يوشك ان يفلت منهم بصمته !
كلا . ان هذا لا يكون !
ينبغي ان يموت!!
ينبغي ان يكسر !!
ولو ضد الناموس!!!
وهتف الرئيس لأعضاء المجلس وهم مرتبكون، أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون انه خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها !
ظل يسوع صامتاً!!

وعندئذ قام رئيس الكهنة من مكانه وقال استحلفك بالله الحي ان تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله !؟

وهنا تكلم يسوع!

لقد كان صمته قبل الآن شهادة !!

ولكن صمته سيكون انكاراً إذا صمت عن الجواب، ولذلك أجاب، ان قلت لكم لا تصدقون وان سألت لا تجيبوني ولا تطلقونني !!

فقال الجميع ، أفأنت ابن الله ؟؟

وكرر رئيس الجمع ، أفأنت ابن الله ؟؟

وقال يسوع أنت قلت!!

ثم التفت الى الجميع وقال « وايضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء »

لم يكن هذا الكلام مخالفاً لما جاء عن المسيا في تقاليد القوم. لم يكن في ما قاله خطأ ضد الناموس أو ضد الله. لو أن يسوع هو مسيا المنتظر لكان كلامه هو ما يجب أن يكون . ولكن العمى والحقد والكراهة والغباوة ملأت صدورهم فلم يروا النور ولم يصغوا إلى الحق . بل ثاروا ومزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً :

«قد جدّف. ما حاجتنا بعد إلى شهود ؟؟

ها قد سمعتم تجديفه ماذا ترون؟؟»

فأجابوا بصوت كالرعد ، انه مستوجب الموت !!

رفقاً ياحماة القانون!

مهلاً يا رسل العدالة!

لماذا تثورون وتندفعون كالوحوش الكاسرة ؟؟

لماذا تحمر عيونكم وقد كادت تخرج من محاجرها ؟

لماذا ؟ ؟

لقد ادّعى ذلك الانسان انه المسيا المنتظر !

لقد قال انه ابن الله فهل أخطأ ؟ ألم يقل كتابكم «قبلوا الابن لئلا يغضب» !؟

« قال الرب لربي اجلس عن يميني »

لقد قال انه سيأتي في السحاب فهل اخطأ؟ ألم يقل نبيكم هوذا يأتى مع السحاب؟

ان كل ما قاله عن نفسه سبقت الكتب وأنبأت به ، أما كان يجدر بكم يا رجال يهوه !

يا رجال الدين!

يا رجال الكتاب!

يا رجال الناموس!

أما كان يجدر بكم ان تفحصوا قضيته ؟

لقد زعم انه المسيا ، فحققوا معه !

ابحثوا معه في شخصية مسيا !

وطبقوا برنامج المسيا على ما عمله !

وادرسوا وثائق المسيا التي قدمها !

اما أن تحكموا أنه جدف لمجرد انه قال انه مسيا وان مسيا الذي تنتظرونه له صورة أخرى . . فحماقة وشر وظلم !

وهل حكمتم عليه غيرة على الدين ؟

وعلى الحق ؟

وعلى الناموس ؟!

كذبتم يا قوم !

فأنتم مراؤن !

لقد حكمتم عليه غيرة وحسداً!

لقد خفتم منه !

ان العالم كله قد ذهب وراءه وتركهم
انكم تقتلونه لا في سبيل الحق بل بسبب الحسد والغيرة
مساكين
لقد حكمتم على أنفسكم يوم حكمتم عليه

* * *

انتهت المحاكمة الاولى امام مجلس اليهود وقد انتهت بالحكم على يسوع بالموت. ولكن القوم لم يكونوا يملكون تنفيذ حكمهم إذ كانت السلطة الرومانية الحاكمة هي التي تتولى القضاء ومشتملاته. وقد أباحت تلك السلطة لليهود ان يتولوا المحاكمات الدينية وان ينفذوا احكامهم في ما لا يصل الى الموت . واقد ثار اليهود على السلطة الرومانية وحاولوا ان ينالوا حق تنفيذ

أمام بيلاطس

احكامهم كما هو وارد في الناموس ، ونجحوا في بعض الاوقات فنفذوا حكم الرجم على البعض. إلا ان السلطة الرومانية في وقت محاكمة يسوع كانت قوية. لذلك اضطر اليهود الى ان يمثلوا امام الوالي الروماني بيلاطس و يطلبوا منه قتل يسوع. وها نحن نراهم يقصدون دار الولاية في الصباح المبكر. ولم يدخلوا هم الى دار الولاية « لكي لا يتنجسوا » فيأكلون الفصح. ان دار الولاية ارض رومانية نجسة وحرام عليهم أن يدوسوا أرضها أو يتنفسوا هواءها . انهم يريدون أن يحتفظوا بطهارة حياتهم . انهم يراعون مطالب الناموس بدقة

أما حسدهم ليسوع ومؤامراتهم ضده

أما اختلاق التهم ضده

وتوضيب شهود الزور

أما هذه وغيرها من القساوة والوحشية والشر وحب الأذى فلا تنجس الحياة ولا تقلل من طهارتها !!!

ما هي شكواكم يا رؤساء اليهود ؟

وممن تشتكون ؟

وقدّم اليهود يسوع

ونظر اليه بيلاطس وأحسّ انه امام شخصية إلهية يشعّ نور النعمة على قسمات وجهه !

كان صامتاً وقد تجلى حزن عميق في عينيه وقد أضفى شحوب وجهه جمالاً ساحراً له . وتعجب بيلاطس ان القوم يشكون مثلّ ذلك الرجل فسألهم ، ما هي شكواكم ؟ وأجابوا :

وجدنا هذا يفسد الأمة !

و يمنع ان تعطى جزية لقيصر !!

قائلاً انه مسيح ملك !!!

وتبسم بيلاطس

يا للمخادعين !

هل يشكون رجلاً لأنه يمنع ان تعطى جزية لقيصر قائلاً انه مسيح ملك . لو
ن التهمة صحيحة لالتفوا حوله ووضعوا تاجاً على رأسه وساروا خلفه يؤيدون رسالته

يا للمخادعين !!

منذ متى كانوا أحلافاً لرومة ؟

ومنذ متى اهتموا بجزية قيصر ؟

ولكن بيلاطس كان على علم بطويتهم وما يخبئونه داخل صدورهم من مكر
وخبث وخديعة

لم تجز عليه كاذيبهم بالطبع

وإلاّ !!

فلو أنه صدقهم

لأقام مجلساً عسكرياً في الحال وقتل الثائر !

وأنقذ رومة من عدو مخيف !!

ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك !

بل دعا اليه يسوع وقال له

أنت ملك اليهود ؟

قال الكلمة باحتقار ممزوج بعطف !

ونظر يسوع اليه بجلال وقال :

أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني ؟

واضطرب بيلاطس قليلا وأجاب بانفعال :

ألعلي أنا يهودي ؟؟

أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ

ماذا فعلت ؟؟

ورفع يسوع عينيه نحو بيلاطس وفاض منهما تيـار من وقار وألم وقال :

مملـكتي ليست من هذا العالم

لو كانت مملكتي من هذا العالم لـكان خدامي يجاهدون لكي لا اسلم الى اليهود !

ولـكن الآن ليست مملكتي من هنا !!

ولم يفهم بيلاطس من كل ما قيل إلا ان يسوع يقول انه ملك ، وان مملـكته من مكان آخر فسأله :

أفأنت اذن ملك ؟

هل كان سؤاله بنغمة السخرية ؟

أم بنغمة الاضطراب ؟

أم كان سؤال الفضول ؟

أم كان على الأرجح مجموع هذه النغمات ؟؟

قد يكون الأمر كذلك . ولـكن السيد تجاهل نغمته الساخرة وقال :

نعم أنا ملك !

أنت تقول اني ملك !!

لهذا قد وُلدت أنا !

ولهذا قد أتيت الى العالم !

لأشهد للحق !

كل من هو من الحق يسمع صوتي !!

* * *

وتبسم بيلاطس وهو يسمع كلام المسيح عن الحق . اين هو هذا الحق ؟ لو ان الحق كان في العالم لـكان هذا المتهم طليقاً وكانت تلك العصـابة المشتكية ، عصابة

اللصوص مقيدة بالأغلال . ما أبعد هذا العـالم عن الحق . فكـّر بيلاطس في هذا والتفت الى السيد وقال له :

ما هو الحق ؟

ولم ينتظر حتى يسمع جواب المسيح . ولماذا ينتظر فان الحق كيفما كان ومهما كان معناه لا وجود له . فلماذا يتعب اذنه بسماع تحديد لشيء غير موجود ؟ وخرج وقال لليهود ان الرجل برىء

أنا لست أجد فيه علة واحدة !

ولما سمع الرؤساء ذلك صاحوا بحماس انه مجموعة شرور . انه مفسد . انه داعية فتنة

انه يهيـّج الشعب

وهو يعلم في كل اليهودية

مبتدئاً من الجليل الى هنا

فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي وحين علم انه من سلطنة هيرودس رتب أن يرسله الى هيرودس إذ كان هو أيضاً تلك الأيام في اورشليم

وهيرودس هذا هو ابن هيرودس الكبير الذي نصبه الرومان ملكاً على اليهودية . وبعد موت أبيه أقامته السلطات الرومانية أميراً على جزء من البلاد واطلقوا عليه لقب « رئيس الربع » ـ وسعى هيرودس لدى رومة فنال لقب الملك . وهيرودس هذا هو هيرودس يوحنا المعمدان ، وكان قد سمع كثيراً عن يسوع وتعليمه ومعجزاته وكان مشوقاً الى ان يراه

ولقد قامت خصومة مرة بينه وبين بيلاطس بسبب تنازع السلطان. فلما وقف يسوع امام بيلاطس ، وسمع انه ملك وانه من الجليل رأى ان يرسله الى هيرودس ملك اليهود . ليرسل اليه اذن الرجل الذي يتهم انه ملك اليهود ، وستكون هذه خطوة للصلح بين الوالي والملك

وأمر بيلاطس فأرسلوا يسوع الى هيرودس

واستقبل هيرودس يسوع بسرور بالغ

يا طالما سمع عن يسوع

عن شخصيته القوية وعن تعاليمه السامية وعن معجزاته

لقد سمع عن المعلم الجليلي الذي وقف امام رؤساء اليهود ووبخ رياءهم ونفاقهم ولم يجرؤ احد منهم ان يرفع وجهه فيه

وسمع عن التعاليم العجيبة التي حركت الجماهير فكانوا يلتهمونها التهاماً ، وقال قائلهم لم يتكلم انسان قط مثل هذا الانسان

وسمع عن الانسان الذي لمس بيده الاعمى فأبصر ، والاصم فسمع ، والابرص فطهر ، والمحموم فتركته الحمى !

بل سمع عن المجنون الذي لم تستطع شياطينه ان تعصى كلمته (كلمة يسوع) والميت الذي قام بأمره !

والآن ها هو الانسان العجيب يقف امامه . فسيسأله الكثير مما يشغل ذهنه وسيطلب منه ان يجري امامه آية من آياته

وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء

ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد

وحاول هيرودس ان يسمع منه كلمة فلم يجب بشيء. وعندئذ صغر شأنه في عيني هيرودس ولم يَر فيه الانسان الذي طالما منّى نفسه ان يراه ، الانسان الذي قال عنه انه «يوحنا المعمدان قام من الاموات» . بل احتقره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً ورده الى بيلاطس

فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم

* * *

وها نحن نرى بيلاطس يخرج مرة اخرى ليسمع شكاية المشتكين على يسوع . ولكنه قاطعهم بقوله لهم ، قد قدمتم إليَّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب ، وها أنا

قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه ، ولا هيرودس ايضاً لأني ارسلتكم اليه ، وها لا شيء يستحق الموت صنع منه ولئن كان قد عمل شيئاً يستحق قصاصاً فأنا أؤدبه وأطلقه . ولكن الرؤساء ، وسايرهم في ذلك جمهور الشعب ، صاحوا صيحة مدوية ، كلا . لن يكفي لرفع أذاه إلا الموت

— لكن لا علة فيه تستوجب الموت

— ليُصلب . ليصلب

وقال بيلاطس ان لكم عادة ان اطلق لكم واحـداً في الفصح ، واحداً من المحكوم عليهم بالموت . أتريدون ان نبقي هذه العـادة أم نلغيها . فصرخ الجميع وابتدأوا يطلبون ان يفعل كما كان دائماً يفعل لهم . وأجاب بيلاطس حسناً ، أتريدون ان اطلق لكم ملك اليهود ، أم أطلق لكم باراباس ؟ فكّـروا في الأمر وأخبروني .. ودخل الى دار الولاية ريثما يفكرون

وهنا نجد أنظارنا موزعة الى ناحيتين . فعلى الناحية الواحـدة كان بيلاطس جالساً على كرسي الولاية يتحدث باهـتمام مع رجل من الحاشية . وعلى الجانب الآخر كان الجمهور في ضوضائه وصراخه يتأمل في من يطلب اطلاقه

فمن هو رجل الحاشية هذا ؟

إنه رسول من قبل زوجة الوالي، أرسلته الى زوجها يحذر من الاساءة الى يسوع. قالت إياك وذلك البار فاني تألمت الليلة كثيراً في حلم من أجله . واذا علمنا ان كلمة « بارّ » تعنى عند القوم « إله » كانت رسالة امرأة الوالي إياك وذلك الاله ! !

ولا شك أننا نتذهل أن زوجة الوالي الروماني تهتم بالمسيا اليهودي . ونحن نعلم أن زوجات كبار الموظفين الرومان يعشن منعزلات عن الشعب ولا يتداخلن عادة في شئون الحكم . وربما يناسب أن نستمع لشرح الباحثين في التـاريخ والتقليد . قيل ان اسم الزوجة كلوديا ، وقيل انها كانت قادمة يوم دخل السيد دخوله الانتصاري ، وقيل انها أبصرته يترك الموكب الهاتف وينعزل الى ركن هادىء

ويبكي . وقد تأثرت كثيراً وهي تبصر ذلك الوجه الذي تجسّم فيه الصلاح والبر والنقاوة وتجلّى فيه الحزن والألم . وأحست أنها أمام شخصية مقدسة . وقيل أنها سألت بعض خدمها من اليهود عن ذلك النبي الجليلي وكان بعضهم ممن آمنوا به، فرووا لها كثيراً من اعماله الجيدة واقواله السامية وحدثوها عن بغضة اليهود له ، فتأثرت كثيراً من أجله . ولكن اعمال النهار طغت عليها فنسيت كل شيء عنه . ولكن في هجعة الليل استيقظت نفسها وأبصرت ذلك الشخص يتمثل لها في صورة جوبتير رئيس آلهتها وأبصرت اليهود يقبضون عليه ويقتلونه . وظلت هي تنادي أنقذوه أنقذوه . واستمر المنظر زمناً ظنته أجيالاً واستيقظت وهي تقول بصوت مختنق أنقذوه أنقذوه ، أنقذوا البارّ من عصبة المجرمين !!

وقيل انها لم تكن تعرف شيئاً عن يسوع ، ولكن الله كشف لها في الحلم عما سيرتكبه زوجها من الشر تلقاء ابنه الحبيب !

وسواء صح هذا أم ذاك ، فقد اهتمت تلك المرأة المترفة المتنعمة ، وأرسلت الى زوجها ، دون ان تأبه لتقاليد الحكم الروماني ، تحذره من الاساءة الى يسوع !

وأضاف هذا التحذير عاملاً آخر من العوامل التي كانت تحفز بيلاطس لاطلاق يسوع !

* * *

وكان الجمهور في الخارج يفكر في ما عرضه الوالي ، مَن مِن الاثنين أطلق لكم ، باراباس أم يسوع ؟ ولو اننا جلنا بين القوم لسمعنا شيئاً مثل هذا :

— باراباس اللص المخيف ؟؟!

— القاتل الذي روّع اليهودية بجرائمه ؟!

— كلا . كلا . لا يمكن أن نطالب اطلاق باراباس

— باراباس الذي هجم على بيت لحم واحرق المحاصيل وقتل هو ورجاله قرابة مئة رجل ؟!

— والذي هجم على الناصرة وذبح بيده الآئمة أفراد أسرتين كاملتين ؟!
— كلا . ان اسمه أصبح رعب الجميع
— هو الغول الذي يضطرب منه الكبار والصغار
— أما يسوع . .
— نعم انه خالف بعض قواعد الدين ولكنه لم يسيء إلى أحد
— لم يسيء ؟ لقد أحسن إلى كثيرين!
— ألم يفتح عين بارتيماوس ؟
— ألم يطهر برص سمعان الابرص ؟
— ألم يقم لعازر من الموت؟

وسرى بين الجمهور همس ظل يرتفع و يرتفع حتى صار هديراً عالياً ، لتطلب ان يطلق يسوع و يقتل باراباس !!!

وأدرك الرؤساء ان الجمهور يكاد يفلت من أيديهم، كما أدركوا الخدعة التي حبكها بيلاطس لينقذ الناصري الذي يعتقد هو أنهم أسلموه حسداً . لكن ما أعجب ما حدث . لقد انتهز القوم فرصة اختلاء بيلاطس برسول زوجته فحرضوا الجموع على ان يطلبوا باراباس و يهلكوا يسوع ! . آه من ذلك الجمهور الغبي

لقد افتقد الرؤساء أن يسوع خارج على الدين ولم يسأل الجمهور ما هو الدين ولا من هم اولئك الغيورون على الدين. لقد قال الرؤساء أن يسوع خارج على الدين وانه محروم من ملكوت الله وان من يتبعه يضلّ عن الطريق السوي و يسلك في طريق الهلاك و يعرض شخصه و بيته وقومه لخراب محقق !

لقد ارتاع الرؤساء من مجرد فكرة اطلاق يسوع
يسوع الذي كسر السبت
فقد فتح عين الأعمى يوم السبت
وشفى ذا اليد اليابسة يوم السبت

وأقام المرأة المنحنية يوم السبت

وأخرج الشيطان من الرجل في المجمع يوم السبت

وقطف تلاميذه السنابل وفركوها يوم السبت

يسوع الذي أكل بأيدٍ غير مغسولة

والذي لم يحافظ على قواعد الصيام التي وضعها الآباء

والذي قرّب اليه العشارين والخطاة

يسوع هذا هل يمكن أن يفكر أحد في اطلاقه ؟

ان السماء ستغضب على اليهودية

وستصب عليها صواعقها

وستلاشيها ! ! !

نعم ستفعل ذلك واكثر منه

إذا أطلق يسوع !

أما باراباس؟!

فانه يهودي أمين

انه يقود فئة من اليهود لا للسرقة كما يزعمون ولا للقتل كما يدعون . انه يقود فئة لمناوأة الغاصب الاجنبي

هو وطني ملتهب في وطنيته

انه مستعد أن يبذل ماله ودمه في سبيل استقلال بلاده

ولئن كان قد سلب أحداً فانه لم يسلب إلا المال الذي كان سيذهب إلى خزانة الرومان

ولئن كان قد قتل فانه لم يقتل إلا من الرومان أو أنصار الرومان

بل هبه سرق وقتل من اليهود

فان ذنبه مغفور

لانه رجل متدين . يأتي الصلوات في أوقاتها . ويصوم مرتين في الاسبوع ويعشر كل ما يقتنيه ، ولا يتناول طعاماً محرماً ولا يأكل بيد غير مغسولة ، ومن السوق لا يأكل إلا بعد أن يطهر ما يأكل

انه رجل متدين حقاً

لقد عاد من إحدى جولاته التي أبلى فيها بلاء حسناً . وبعد أن غسل يديه من الدماء التي علقت بهما ممن قتلهم لم ينس ان يركع ليصلي قبل ان ينام بالرغم من انه كان مكدوداً !!!

ولقد هجم يوماً على قافلة تجار أغنياء وبعد أن اعمل فيهم ذبحاً وتقتيلاً أحس بالجوع ولكنه لم يقبل ان يأكل من الطعام الذي وجده عندهم إذ كان طعامهم مما حرّمه الناموس !!!

باراباس رجل متدين !

ومتعصب في تدينه !!

* * *

وعندما فرغ بيلاطس من حديثه مع رسول زوجته خرج وسأل القوم مطمئناً انهم سيطلبون اطلاق يسوع لانهم لا يمكن أن يطلبوا اطلاق باراباس ، وكان انذهاله عظيماً عندما سمعهم يطلبون أن يطلق باراباس !

وسأل بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع ، ليصلب! فقال الوالي ، وأي شر عمله ، فكانوا يزدادون صراخاً قائلين، ليصلب !

وحاول بيلاطس محاولة أخرى ان ينجي يسوع من المصير السيء الذي يبيته له أولئك القوم الاثمة ، فأخذ يسوع وجلده . ثم أخرجه إلى الجمهور يحاول ان يستدر عطفهم وقال لهم، هوذا الانسان !

ورأى الجمهور في يسوع كتلة من الدم

كان جسمه يبرز عشرات الثقوب التي تسيل منها الدماء الحمراء القانية . فقد

انهال عليه العسكر القساة بالسياط المسلحة بقطع النحاس. وكانت كل جلدة تترك في الجسم شقاً طويلا ينتهي ببقعتين أو ثلاث بقعات عميقة. وقد جلدوه أربعين جلدة..

ومع ذلك فقد وقف أمام الجمهور ملكاً يكلله تاج من وقار، هادئاً ساكتاً لا يتلفظ بكلمة واحدة. بل ان عينيه لم يتجلّ فيها غضب أو سخط أو نية انتقام بل تجلى فيها حب ورثاء وألم!!

كان بيلاطس يظن أن منظر يسوع سيثير شفقتهم وإذ ذاك يطلبون اطلاقه، ولكنهم كانوا كالوحوش المفترسة. ما أن رأوا الدم حتى صاحوا بصوت دوى كهزيم الرعد:

— اصلبه

— اني لم أجد فيه علّة واحدة

— اصلبه. اصلبه

وقال بيلاطس غاضباً، خذوه أنتم واصلبوه لاني لست أجد فيه علّة ـ أجابه اليهود، لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله!

واضطرب بيلاطس اكثر

ابن الله؟؟؟

فدعا اليه يسوع وقال له، من أين أنت؟ أما يسوع فلم يجبه بكلمة!

وقال له بيلاطس بانفعال، أما تكلمني. ألست تعلم ان لي سلطاناً ان أصلبك وسلطاناً ان أطلقك؟؟ أجابه يسوع، لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق. لذلك الذي أسلمني اليك له خطية أعظم!

ووضع بيلاطس في قلبه ان يطلق يسوع، وظهر أثر ذلك في حديثه مع اليهود. ولاحظ اليهود ذلك فصرخوا في وجهه قائلين:

إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر

كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر

كان هيرودس قد اضطرب وهو يسمع ان يسوع قد جعل نفسه ابن الله. ولكن جزعه ازداد وهو يسمع بتهمة خيانة قيصر ـ انه يعلم ان قيصر إذا غضب فسيضيع بيلاطس وسيضيع بيته . إذن ليذهب يسوع إلى حيث يريد له القوم وليبق له قيصر ورضاء قيصر !!

هاهو يغسل يديه أمامهم ويقول، أنا بريء من دم هذا الانسان. وهاهم يقولون: دمه علينا وعلى أولادنا ! !

وقال بيلاطس لليهود ، هوذا ملككم . فصرخوا ، خذه خذه اصلبه . وعاد بيلاطس يقول، أأصلب ملككم؟؟ فأجاب رؤساء الكهنة، ليس لنا ملك إلا قيصر !!

كان بيلاطس يعلم انهم يلقون بأعظم كذبة وهم يقولون ليس لنا ملك إلا قيصر. ولكنه لجبنه ولشرّ أسلمه اليهم ليصلب !!

١٠٥

من دار بيلاطس الى جلجثة

فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة (يوحنا ١٠:١٧)

أنصف الوحي بيلاطس الوالي الروماني

فقدم له صورة صحيحة كاملة

حاول الرجل ان ينقذ يسوع. على ان محاولته لم تكن خالصة لوجه الحق، ان الرجل لم يكن على خلق طيب. فقد كان خلاصة مجموعة ردية من الصفات. كان قاسياً إلى أبعد حدود القساوة، وكان ماكراً كثير الغدر، وكان عبداً للخرافات.. وكان جباناً.

رأى في يسوع جلالاً ملكياً فخاف وحاول أن ينقذه خوفاً. ولما سمع انه يقول عن نفسه انه ابن الله خاف اكثر . ولما أرسلت له زوجته تحذره من الاساءة لهذا البار اشتد خوفه اكثر كثيراً !

كان خوفه يدفعه إلى محاولة إنقاذ يسوع
ولـكن ذلك الخوف نفسة دفعه إلى تسليمه
قال له اليهود، إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر. قال اليهود هذه الكلمات فهلع قلبه وخاف على مكانه وسلّم يسوع للصلب
كذلك كان الرجل جباناً فانه بعد محاولاته ان ينقذ يسوع وقوله انه لم يجد فيه علّة «كانوا يلحّون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب. فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة فحكم بيلاطس ان تكون طلبتهم. فأطلق لهم الذي طرح في السجن لأجل فتنه وقتل الذي طلبوه وأسلم يسوع لمشيئتهم !!
ولو أن بيلاطس كان قوياً حقاً لانتهرهم واتهمهم باثارة الشعب وقبض على رؤسائهم.. ولكنه كان جباناً دفعه الخوف على مركزه واثرت فيه أصواتهم التي قويت على صوته !
وها نحن نرى العسكر الروماني يتسلمه لينفذ فيه حكم الموت. وقد كتب البشيرون القصة متأثرين بما أصاب يسوع فيها من ألم فلم يراعوا فيها ترتيب ما عمل مع يسوع. ولكننا بمقارنة ما كتبه كل بشير نستطيع ان نرى صورة صحيحة بقدر الامكان!
مضى العسكر بيسوع الى داخل الدار. وكان العسكر جماعة خشنة فظة عاتية. وكانوا ينتخبون عادة من المستعمرات الرومانية ولم يكونوا على شيء من الثقافة أو الأدب. وكانوا يحتقرون اليهود كل الاحتقار. وقد فكروا في أن يجعلوا من صلب يسوع سخرية بنفس اليهود !!
وجمع العسكر الموكلون بالصلب كل الكتيبة وألفوا منها – على سبيل الاستهزاء بيسوع – حرساً ملكياً. وألبسوه أرجواناً وهو ثوب الملوك. وضفروا اكليلاً من شوك ووضعوه عليه. وابتدأوا يسلمون عليه قائلين، السلام يا ملك اليهود. وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه، ثم يسجدون له جاثين على ركبهم !
ولو علموا.. لو علموا ان ملوكهم، بعد أقل من ثلاثة قرون، سيسجدون أمامه،

لو علموا ان ذلك المصلوب سيكون لا ملك اليهود فقط، بل ملك الرومان وملك الملوك ، لو علموا لما سجدوا سخرية واستهزاء بل سجدوا خشوعاً وتعبداً وولاء . . ولكنهم لم يعلموا !!!

و بعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ووضعوا الصليب عليه ثم خرجوا به ليصلبوه !

حمل يسوع الصليب

حمله لا كما يحمله أتباعه اليوم ، صليباً من فضة أو من ذهب أو من جوهر ، صليباً جميلاً يزيّن العنق أو الصدر !؟!

كلا . بل حمله صليباً من الخشب!

صليباً ثقيلاً جداً خشناً لا جمال فيه !

صليباً يصلح لأن يمثل الخطية التي حملها المصلوب في جسده ! !

وحمل السيد الصليب على كتفه وحاول ان يسير به ولكن جسمه المنهوك انهار تحت ثقله فسقط تحته. ولم يتأثر الجنود الغلاظ. لم يذرف واحد منهم دمعة على ذلك الانسان الذي تحالفت كل قوات الشر عليه وهو لم يكف عن فعل الخير، بل تقدموا اليه وركلوه بأحذيتهم الغليظة وظلوا يركلونه إلى ان قام وحمل الصليب مرة أخرى وسار بضع خطوات والعرق يتصبب من جبينه مختلطاً بالدم السائل من رأسه ومن ظهره . ولكنه انهار مرة أخرى ! !

وثارت ثائرة الجند فانهالوا عليه ركلاً بالأقدام وضرباً بالسياط ووخزاً بالحراب يا للوحوش !

ولم ينطق يسوع بكلمة

لم ينظر اليهم بغضب

ولم يكن حقد في قلبه

بل قام وحمل صليبه مرة ثالثة وحاول أن يسير ولكنه سقط تحت حمله وقد

خرج أنينه حشرجة حتى لقد خيّل للقوم انه سيلفظ أنفاسه الاخيرة . ولم يستطع ركل الاحذية ولا ضرب السياط ولا وخز الحراب ان تحركه من مكانه

أين أنت يا سمعان بطرس ؟ ؟

أين أنت لا لتموت مع سيدك كما قلت لكن لتحمل صليبه عنه ؟؟

أين أنت أيها الشجاع الوفي !!؟!

لم يأت سمعان بطرس

لكن سمعاناً آخر جاء

سمعان القيرواني

كان الرجل آتياً من الحقل . فأمسكه الجند الروماني وسخروه ، أو هكذا ظنوا ، ليحمل صليب يسوع

كان على المصلوب ان يحمل صليبه

وكان حمل الصليب عاراً

ملعون كل من مُعلّق على خشبة

وقد حمل السيد العار

وحمل اللعنة

ولم يكن يوجد بين اليهود من يقبل ان يحمل الصليب . ولذلك ظن العسكر الروماني انهم سخروا سمعان القيرواني ليحمله

أما سمعان فحمل الصليب راضياً

كان يمكنه أن يرفض

ولكنه قبل بسرور

يبدو أنه كان أحد المؤمنين بيسوع

وكان أبا الكسندرس وروفس

وظن العسكر أن سمعان حمل عاراً ولم يعلموا أنه حمل مجداً بهياً. وهوذا التاريخ

يسجل بسطور من نور حياة الخالدين . . وعلى رأس أولئك الخالدين تجد سمعان القيرواني . وإذ تقف أمام مجد الأزل يسوع تجد الى جانبه كوكباً لامعاً بهياً هو سمعان القيروانى !!

وسار الموكب من دار الولاية الى جلجثة
يسوع ـ مربوطاً ـ يسير محاطاً بالجند
وخلف يسوع سمعان القيروانى
وعلى مسافة قصيرة سارت جماهير الشعب من الفضوليين وغيرهم
وخلف هؤلاء سارت جماعة من النساء

لم يذكر الوحي ان أحد الرجال ألقى كلمة عطف أو أظهر علامة تأثر. كان جمعهم خليطاً من خصوم للسيد أو متفرجين . وكان حديثهم يحمل بين طياته إما عدم الاكتراث أو الشماتة !

على أن النساء اللواتى تبعن كن يلطمن وينحن عليه
والتفت السيد الى النساء

كانت النساء تبكين لان يسوع يصلب ولم يعلمن أن صلب يسوع كان الحلقة الاولى لحلقات مروّعة آتية. كان هلاك ماحق يوشك ان يحل باليهودية. وكان السيد مشغولاً لا بنفسه بل بالمدينة التي أحبها، فالتفت الى النساء وقال بكثير من العطف:

يا بنات أورشليم
لا تبكين عليّ
بل ابكين على أنفسكن
وعلى أولادكن

لأنه هوذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع . حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا . لأنه ان كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس !!؟

وسمعت الجماهير حديث يسوع

ولم تأبه له !!

ولم تهتم به !!

الى أن جاء اليوم وحينئذ تذكروا !

واذ نشاهد ذلك المنظر المروع تتوالى أمامنا صور مثيرة تلفت كل ما في أنظارنا من انتباه وتنادي كل ذرة من تفكيرنا . على أننا في وسط تلك الصورة نشاهد منظراً صغيراً قد يبدو تافها لأول مرة. ولكننا اذ نراه نذكر ما سبق وأنبأ به الأنبياء من ألوف السنين

فقد اجتمع العسكر ووضعوا بينهم ثياب يسوع وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً . وأخذوا القميص أيضاً . وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق . فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل « اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة »

. ووصل الموكب الى مكان الصلب ، وكان يدعى جلجثة أو موضع جمجمة

وكان المحكوم عليهم ثلاثة، يسوع ومعه لصان. ولن نشغل بصلب اللصين اذ أن يسوع يشغل كل اهتمامنا

طرحوا الصليب على الارض . ثم مددوا يسوع عليه وبسطوا ذراعيه على الخشبة الافقية وجعلوا يدقون المسامير الغليظة في يديه وفي قدميه . كانت كل طرقة ترسل المسمار في جسده الرقيق فتمزق الأنسجة والأعصاب وتقطع الشرايين وترسل لهيباً من ألم لا يطاق . وكان المصلوبون عادة يرسلون من أفواههم سيلاً من أقذع الشتائم والتجاديف واللعن . وكان الجمهور يسمعهم ضاحكا أما يسوع فقد أرسل من صدره أنيناً موجعاً ولكنه أرسل من فمه كلمة الغفران

يا أبتاه

اغفر لهم



العذراء تبكي تحت الصليب

لانهم لايعلمون ما يعملون

يخيل إلي أن رئيس الجند أحس أن تلك الكلمات سيف اخترق قلبه . هل يمكن أن يوجد بين الناس من يغفر لصالبيه ومن يلتمس لهم المعاذير – ومع ذلك فقد بدأت الذبيحة الكفارية تؤتي ثمارها وها هو الغفران يفيض منها

وجاء العسكر بعد ذلك بحبال قوية وشدوا جسم يسوع الى الصليب ، ثم تعاونوا على اقامته ثم رفعوه الى أعلى قليلا و بعد ذلك دفعوه بعنف في البقعة التي عينوها لأقامته وكانت الدفعة عنيفة جداً فتخلعت أوصال السيد وساخت روحه وبدت غمامة مظلمة أمام عينيه وظل الى برهة لا يكاد يلتقط أنفاسه ولا يستطيع ان يتكلم . ولكن نفسه الداخلية كانت طول الوقت تقول يا أبتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يعملون !!

* * *

واستفاق لنفسه قليلاً وأبصر خلف الصليب أمه العذراء المباركة تبكي حرّ بكاء الابن الحبيب الذي وهبته لها السماء ثم أبصر بالقرب منها تلميذه الحبيب الى نفسه يوحنا وشغل يسوع بأمر أمه . ماذا تعمل بعد ان يذهب يا للابن الغالي !!

ان له من آلامه ما يمكن ان يشغله حتى عن نفسه ولكن تلك الآلام لم تستطع ان تمنعه من الاهتمام بأمه فالتفت اليها وقال يا امرأة هوذا ابنك ثم أشار الى يوحنا وقال هوذا أمك . وأخذ يوحنا مريم الى البيت فكانت له مذ تلك اللحظة أماً وأعز من الأم !!

و إذ نرفع عيوننا الى صليب المسيح نبصر عنواناً مكتوباً فوقه «يسوع الناصري ملك اليهود » وقد قرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود وكان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية. ورأى رؤساء اليهود ما في الكتابة من معنى التحقير الذي قصده بيلاطس. لقد قصد بيلاطس أن يطعن اليهود طعنة قاسية وهو يصلب ملك اليهود!

ولو أن اليهود كانوا مفتوحي العيون لأبصروا ذلك الاحتقار منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها محاكمة يسوع . ولكن رغبتهم في قتل يسوع أعمت عيونهم. ألم يسمعوه يقول لهم أأصلب ملككم ؟ ألم يروا أن كل تحقيقه كان يدور حول ادّعاء يسوع أنه ملك . بل ألم يقولوا هم ليس لنا ملك الا قيصر ؟؟ !

ولكنهم حين قرأوا الكتابة استفاقوا لأنفسهم وأبصروا العار الذي لحقهم فأرسلوا الى بيلاطس وقالوا لا تكتب «ملك اليهود» بل ان ذاك قال انا ملك اليهود

و يبدو ان بيلاطس كان لا يزال ثائراً عليهم فأجابهم بغضب لا أغير شيئاً. ما كتبت قد كتبت ! !

لم يصلب يسوع وحده

صلب معه لصان واحد عن يمينه والآخر عن اليسار

يا لسخرية الاقدار

لقد طلبت أم ابني زبدي أن يكون أحد ابنيها عن يمينه والآخر عن يساره في مجده. ولم يمنحها السيد هذا الشرف . ولقد ناله لصان ! ! !

لصان شريران آثمان !!!

ووقف الجمهور أمام الصلبان الثلاثة ، ولكن أنظاره تركزت في الصليب الأوسط . وكنا ننتظر أن يبدو من الجمهور عطف وتأثر ودموع . ألم يتحنن السيد على ذلك الجمهور ؟ ألم يبك من أجله ؟ ألم يطرح راحته وهدوءه .. بل طعامه، جانباً في سبيله ؟ ألم يبذل في سبيله كل شيء ؟ ألم تخرج قوة منه وتتحول شفاء وعافية له ؟

لكن ذلك الجمهور نسي كل شيء

كان الجمهور ينظر اليه نظرة الفضول

والاستهزاء !

والشماتة !!

والتعيير ! !

ايـنزل الآن عن الصليب !

ليخلصه الله لأنه سرّ به ! !

خـلّص آخرين فليخلص نفسه !

بل ان اللصين المصلوبين معه كانا يعيرانه . قال له كلاهما بعد ان اشبعاه تعييراً ،

إن كنت ابن الله فخلص نفسك وإيانا ! !

ويسوع ؟؟

لم يفتح فمه !

بل كان طول الوقت ينظر بعطف الى الجمهور !

والى اللصين ! !

وتأثر أحد اللصين !

أي اللصين هو الذي تأثر ؟

لا نعلم !

ولـكن التقاليد تقول انه اللص الذي كان عن يمين يسوع . وقد ذكرت التقاليد عنه الكثير . فذكرت ان العذراء المباركة بينما كانت واقفة تحت الصليب وقع ظلها عليه فشملته النعمة . وذكرت ان العـذراء بينما كانت هاربة الى مصر وقعت بين يدي عصـابة لصوص كان ذلك اللص زعيمها وأنه حالما رأى الطفل المقدس ونور يشع منه لم يؤذِ العائلة المقدسة بل سار معها الى حدود مصر . وذكرت كثيراً من مثل ذلك مما لا يستند على أساس صحيح من تاريخ. لكننا نستطيع من بين سطور القصة ان نستنتج ان الرجل كان قد سبق وسمع شيئاً عن يسوع ، وكان قد فهم شيئاً عن ملـكوت يسوع الروحي وسمو ذلك الملـكوت . لذلك نراه بعد ان اشترك في تعيير السيد يصمت ويتأثر ويندم ويخاطب زميله :

أولا أنت تخاف الله

إذ نحن تحت هذا الحكم بعينه

أما نحن فبعدل لاننا ننال استحقاق مافعلنا

وأما هذ فلم يفعل شيئاً ليس في محله

ثم التفت الى السيد وقال :

اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك

ونظر يسوع اليه وقد اشرق وجهه وقال :

الحق اقول لك

انك اليوم تكون معي في الفردوس

كان الصليب آلة الاعدام الرومانية للصوص والعبيد . لا يجوز أن يعلق روماني عليه . وكانت آلام المصلوب فوق طاقة الاحتمال ولذلك كانوا يسقونه خلاً ممزوجاً بمرارة لتخديره نوعاً ما فتخف آلامه قليلاً . اما يسوع فرفض ان يشرب السائل المخدر وآثر ان يشرب كأس آلامه حتى الثمالة !!

كانت الآلام القاسية تهد كيان الجسد والنفس فالجروح القاسية في اليدين والقدمين ترسل دماءها فتلوث الجسم وتتجمع حول تلك الجروح الحشرات تحاول أن تمتصها فيتأذى الجسم وتلتهب فيه آلام أشد وطأة من النار

وكان ألم التعليق على الصليب كما قال الذين جربوه وأنزلوا قبل ان يموتوا أشد من ألم الجروح . كان الحلق يجف وييبس مثل شقفة .. وقد أحس النبي بما في ذلك الألم من قسوة فأنبأ بالكلمة الرابعة التي نطق بها السيد ، إلهي إلهي لماذا تركتني ، وقد نطق السيد بهذه الكلمات إلهي إلهي لماذا تركتني أئن أنينا وليس خلاص

أنادي دواماً نهاري وليلتي . . فلست تجيب ومالي مناص

عطشت .. احترقت .. وجفت رطوبتي لحر الالتهاب ومر العذاب

* * *

وفي الساعة السادسة حدث حدث طبيعي غريب . اظلمت الشمس مدة ثلاث ساعات . وقد ثبت أنه لم يكن وقت كسوف للشمس . قيل ان الشمس

خجلت ان ترسل نورها على الارض فترى أحطّ جريمة وأحقر جناية ، فارسلت قناعاً على وجهها

وقيل ان العالم كله كان في ذلك الوقت يسبح في ظلمة روحية وأدبية وأن الظلمة بلغت أقصاها في صلب يسوع وكان من اللازم ان تظلم الشمس رمزاً لتلك الظلمة!

وقيل ان السيد بلغ في ذبيحته الكفارية الحد الذي تمثلّ فيه «خطية» . فان الذي لم يعرف خطية صار خطية من أجلنا . في ذلك الوقت حمل السيد كل عار الاثم . وحجب الله عنه إذ ذاك وجهه ونوره . وحجبت الشمس نورها وأحسّ الابن أنه وحيد في موقفه الفريد هذا ، فصرخ إلهي إلهي لماذا تركتني . وقد نطق الكلمات باللغة السريانية الوي الوي لما شبقتني ، فظن اليهود أنه ينادي ايليا ليخلصه

واستبدّ العطش بالسيد و بلغ أقصى درجات الاحتمال فصاح أنا عطشان . ذاك الذي طالما أروى النفوس العطشى تركه العالم كله يعطش . على أن أحدهم ركض وأخذ اسفنجة وملأها خلاً وجعلها على قصبة وسقاه !

وأما الباقون فحاولوا أن يمنعوه قائلين ، اتركه لنرى هل يأتي ايليا و يخلصه . لم يكن المصلوب لهم شخصاً ذا حسّ يتأثرون لألمه ، بل كان لهم جزءاً من شريط روائي يتطلعون اليه و يشبعون نفسهم بالفرجة عليه !

ونادى يسوع بصوت عظيم وقال، يا أبتاه في يديك أستودع روحي. ثم قال قد أكمل . ولما قال هذا أسلم الروح !

واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى أسفل . والارض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين

وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع ، فلما رأوا يسوع يموت لا كما يموت الناس ضعيفاً بل أسلم الروح بعد أن صرخ بصوت عظيم . نعم فقد أطلق السيد صيحة النصر وهو يسلم حيـاته . . ولما رأوا الزلزلة وما كان ، خافوا جداً وقال قائد

المئة بالحقيقة كان هذا الانسان باراً . وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم

وكان اليهود كما ذكرنا يعتبرون الصلب لعنة وكانوا يحاولون ألا يتركوا أجساد المصلوبين معلقة يوم السبت . ولما كان بعض المصلوبين يستمرون أياماً كثيرة قبل ان يموتوا ، ثم إذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً ، سأل اليهود بيلاطس ان تكسر سيقانهم و يرفعوا. فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه . وأما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج ماء ودم !

وكانت العادة ان تدفن اجساد المصلوبين بدون احتفال في « قبور الصدقة » ولكن الامر لم يكن كذلك مع يسوع . فقد تقدم اثنان من رؤساء اليهود ، يوسف الرامي ونيقوديموس . وكانا من عليّة القوم وسألا بيلاطس ان يأخذا جسد يسوع وسمح لهما بيلاطس بذلك . فأخذا جسد يسوع ولفّاه بأكفان مع الاطياب وكانت مزيج مرّ وعود نحو مئة مناً وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه احد قط، كان يوسف قد نحته في الصخرة لنفسه . ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى

ونحن نقف على القبر لنذرف دمعة حزينة مرة ولكنها دمعة ممزوجة بالرجاء ان الجسد لن يبقى في الهاوية وان القدوس لنْ يرى فساداً ! !

١٠٦

النصرة على الموت

لماذا تطلبن الحي بين الأموات ليس هو ههنا لكنه قام
لوقا ٢٤ : ٥ و ٦

ها قد فرغ القوم من يسوع !

اختفى الرجل الذي أهاج غيرتهم وأثار حسدهم !

لن يعودوا يسمعون بعد كلماته التي كانت سهاماً حادة تخترق قلوبهم !

ولن تعود أنظارهم تتأذى برؤية الجماهير تتهافت عليه لتسمعه وتشفى من أمراضها

مات يسوع !

لقد رأوه وهو يسلم الروح!

بل طعنه أحد الجنود في جنبه ليتأكد من موته !

ودفنه يوسف الرامي في قبر جديد ودحرج على باب القبر حجراً كبيراً !

وتنفس القوم تنفس الارتياح !

وناموا ـ ربما لأول ليلة منذ ظهر يسوع ـ نوماً هادئاً !

لم يستيقظ ضمير أحدهم !

كلا . فقد قلق البعض ! !

بل ، اكبر الظن ، ان جميعهم قلقوا !

كان نومهم مضطرباً !

على ان اضطرابهم لم يكن اضطراب النفس التي استيقظ ضميرها بسبب هاتف الخير، بل كان اضطرابهم خوفاً مما عساه أن يصيبهم. لقد تمثلت جريمتهم أمام عيونهم طول الليل !

أبصروا ضحيتهم سابحاً في دمه !

ونظروا الى أنفسهم فاذا هم لم يعودوا بعد بشراً !
كانوا وحوشاً ذات أنياب ومخالب !!
ورأوا كيف هجموا على ذاك الذي كان كشاة تساق الى الذبح
أبصروه يسلم الروح !
ورأوه يدفن في القبر !
و يدحرج حجر على فم القبر !!
لكن ما هذا ؟ ؟
انه لا يزال يقف أمامهم !
انه ينظر اليهم بعينيه العمقتين !!
انه يوبخ رياءهم وشرّهم !
انه يضيف في حساب خطاياهم خطية جديدة
وقال قائلهم ، من هذا ؟ وقيل انه يسوع !
لكن يسوع مات !
لقد قتلناه !
ودفناه !!
كلا . يا قوم انكم لم تقتلوه !
من أنتم حتى تقتلوا البار ؟
لقد شبه لكم !
ان الموت لا يستطيع ان ينتصر عليه !
سيخرج من القبر حياً !
وسيحاسبكم على ما أتمت أيديكم !
وفي الصباح تقابل الرؤساء !
وكانت وجوههم شاحبة !

وتحدثوا معاً فاذا كل منهم قد رأى ما رآه الآخرون. ومع انهم حاولوا ان يقللوا من شأن الامر ، الا ان الامر كان اعمق من ان يستطيعوا التغلب عليه. وذكر بعضهم، أو على الأصح، ذكروا كلهم ماسبق ان انبأ به تلاميذه عن قيامته. ألم يقل لهم ازيد من مرة ان ابن الانسان سيسلم لأيدي الناس فيجلدونه ويقتلونه ولكنه سيقوم. ألم يقل انه كما كان يونان في جوف الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال ، هكذا ينبغي أن يمكث ابن الانسان في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ؟؟ وجعلوا يذكرون اقوال يسوع عن موته وقيامته. قالوا ذلك بنغمة الساخر ، ولكن سخريتهم لم تستطع ان تحجب خوفهم!

وأبدى احدهم خشيته أن تلاميذه يذهبون الى القبر ويسرقون جسده ثم يدّعون أنه قام من الأموات!

كانت خشية حمقاء!

وكان من ابداها أبعد الناس عن الايمان بها!

التلاميذ يذهبون الى القبر ويسرقون الجسد ؟

التلاميذ ؟

التلاميذ الذين هربوا واختبأوا كل واحد في وكر مجهول ؟

التلاميذ يسرقون الجسد ؟

ويقولون ان يسوع قام ؟

ولكن القوم ، وقد استبدّ بهم الخوف لم يروا وسيلة أخرى يهدئون بها ثورة قلوبهم ويطلبون من الوالي ان يضبط القبر بالحراس

نسوا أن اليوم كان سبتاً

وكان سبتاً عظيماً إذ كان يوم عيد الفصح

والناموس يحرم عمل شيء في يوم السبت

ولكنهم نسوا ذلك وتوجهوا إلى الوالي

وها نحن نراهم يمثلون أمام بيلاطس ويقولون:

يا سيد !

قد تذكرنا ان ذلك المضل قال وهو حي، اني بعد ثلاثة أيام أقوم !

فمرْ بضبط القبر الى اليوم الثالث

لئلا يأتي تلاميذه ليلاً

ويسرقوه

ويقولوا للشعب

انه قام من الأموات

فتكون الضلالة الاخيرة أشر من الاولى !

نظنُ أن بيلاطس اضطرب وهو يسمع كلامهم . ان المصلوب لم يكن انساناً عادياً . لقد وقف امامه إلهاً نظير آلهته بل أعظم من آلهته !

وها هم الرؤساء يقولون شيئاً عن قيامته

ونلمس في صورة وجهه وفي نغمة كلامه ان صلب يسوع قد ترك آثاراً سيئة في نفسه . وهو لذلك يشير اليهم بيــده ليذهبوا ويريحوه من كلامهم. ليذهبوا هم ويضبطوا القبر كما يعلمون. قال عندكم حراس، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون ! !

ما أجهلهم ؟!!

أيظنون أن ختماً وحراساً وقوة مادية تستطيع ان تقف امام الحياة ؟

أيظنون أن الارض تستطيع ان تنتصر على السماء وان والشر يهزم الخير وابليس يفوز على عمانوئيل ؟؟

لقد ضلّـوا وكان ضلالهم عظيماً !

* * *

وذهب القوم الى القبر فختموه بخاتم الوالي ، وأقاموا العسكر في مواضع مختلفة محيطة بالقبر ، وشددوا عليهم وأغروهم بالعطايا حتى لا يسمحوا لأحد أن يقترب من المكان ، وعادوا هم إلى بيوتهم . ولكن هل اطمأنوا إلى أن يسوع لن يترك القبر ؟

لا نظن !!

وفي يوم السبت هذا استراح جسد يسوع

ولقد سرى بين القوم ان نوراً خرج من القبر وأضاء المكان ، نوراً سماوياً يختلف عن كل نور أرضي

بل قالوا ان ذلك النور لا يزال يخرج من قبر السيد إلى اليوم

ويذهب الألوف من الحجاج كل سنة ويقفون في يوم السبت امام القبر ، ويشاهدون النور ويشعلون منه شموعهم ويحملونه معهم بركة !

أما البعض فيقولون ، لقد خرج نور من القبر ، حقاً ويقيناً، ولماذا لا يخرج؟ لقد حلّ الجسد الطاهر في القبر فكان حلوله حلول النور في المكان المظلم،ولم يستطع القبر أن يحجب ذلك الذي هو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان !

وأما البعض الآخر فيقول ان النور مصنوع الدلالة على ان حلول جسد السيد في القبر صار فاتحة عهد جديد للموت . كان القبر قبل موت يسوع مكاناً مظلماً موحشاً ، وكانت الأجساد التي تلقى فيه تلقى الى «الهاوية» كما كانوا يظنون، وعلى غير رجاء . فلما حلّ جسد يسوع بدأ عهد جديد . فضاء القبر بنور الخلود ورأى الناس في القبر لا ظلمة الفناء واليأس بل نور الخلود والرجاء ! !

ونحن الذين نرجح ان النور عمل رمزي نستقبل ذلك النور بكثير من البهجة رمزاً لنور الحياة والخلود ! !

* * *

أين كان التلاميذ في ذلك الوقت ؟

كان أحدهم قد انتهى أمره يوم الجمعة

وكان بعضهم يقيم قريباً من القبر،ولكنهم جميعاً كانوا يقيمون خلف الابواب المغلقة

اما « احدهم » هذا ، وهو يهوذا فانه بعد ان شاهد ما وصلت اليه حالة السيد ثار ضميره ثورة جامحة انتهت به الى الانتحار

وبطرس ويوحنا كانا يقيمان في بيت قريب من القبر وقد ظل بطرس ينوح في مرارة الندم بسبب انكاره الدنيء لسيده!

وبقية التلاميذ كانوا يقيمون غالباً في نفس البيت في غرفة أخرى وكانت الأبواب مغلقة بسبب الخوف من اليهود

وجاء صباح الأحد!

قبل ان ترسل الشمس أشعتها الاولى كان يرى على الطريق الرئيسي الذي يتجه الى خارج المدينة عدد من النسوة. وكان منظرهن غريباً في تلك الساعة المبكرة من النهار!

وإذ نقترب منهن نرى بينهن مريم المجدلية وبعض النساء الأخريات ممن كن يتبعن يسوع وينفقن عليه من أموالهن. وكنّ من الولاء له بحيث لم يتركنه وقد تركه الرجال وبكين عليه حين سخر من آلامه الرجال!

كانت النساء آخر من ترك الصليب

وكانت أول من جاء صباح الأحد

جئن يحملن عطوراً واطياباً

سرن وقد ملأ الحزن وجوههن وكان حديثهن همساً

قالت احداهن، ترى من يدحرج لنا الحجر؟

وقالت الأخرى ارجو أننا نجد البستاني!

وكانت المجدلية صامتة لا تتحدث. كانت دموعها تملأ وجهها. ولم تستطع زميلاتها ان يهدئن من روعها!

ووصلت النساء الى البستان

ودخلن الى حيث القبر الجديد

وقد ذهلن، فقد كان باب المغارة مفتوحاً وقد ارتكز الحجر الذي كان على فمها الى جانب!

أما الحراس فكانوا منكفئين على وجوههم وقد ظنت النسوة انهم نائمون لولا انهن لاحظن أن أنفاسهم كانت تخرج شبيهة بحشرجة الموتى أو للغمى عليهم !

وترددت النساء ولكنهن دخلن ولم يرين شيئاً في اول الأمر إذ كان الظلام شديداً وكن قد دخلن من الخارج حيث الضوء . على انهن لاحظن شيئاً غريباً . لقد رأين رجالاً في ثياب بيضاء.رأين شابين في ثياب بيض واضطربت النساء و بدا عليهن رعب شديد و إذ كنا خائفات ومنكسات وجوههن الى الارض قالا لهن :

لماذا تطلبن الحي بين الأموات

ليس هو ههنا

لكنه قام

اذكرن كيف كلمكن وهو بعد في الجليل قائلا انه ينبغي ان يسلم ابن الانسان في أيدي أناس خطاة

و يصلب

وفي اليوم الثالث يقوم ! !

لا نعلم هل تحدث الملاك مع النساء عن كيفية قيامة المسيح أم انهن عرفن ذلك من نفس الحراس في ما بعد . ولكننا نحن نعلم ان ملاكاً جاء الى القبر قبل الفجر وكان منظره لامعاً كالبرق ولباسه ابيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات .. وكان ذلك حالاً قبل مجيء النساء . وقام السيد من الموت وخرج من القبر دائساً شوكة الموت

لم يره أحد من البشر وهو يقوم

لكن كانت جوقات ملائكية في ركابه ولاشك. ولا بد ان مظاهرات ملائكية عظيمة ملأت جو السماء وهتفت للسيد الذي انتصر على الخطية وربما كان من بينها تلك الترنيمات التي نرنمها يوم عيد القيامة :

أنت دست الموت وحدك يا يسوع الناصري
مظهراً للخلائق مجدك بالجمال الباهر

أما النساء فسمعن الرسالة خائفات وخرجن شبه هاربات. ولكن اثنتين منهن تأخرتا. ترى هل تأخرتا لانهما ترددتا في تصديق الرسالة، أم تأخرتا لانهما لم تستطيعا السير من الخوف خصوصاً وقد لاحظتا الحراس وقد بدوا شبه أموات؟؟ من يعلم! واذا الملاك يقترب منهما و يقول، لا تخافا أنتما فاني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب

ليس هو ههنا لانه قام كما قال
هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه
واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه انه قد قام من الاموات
ها هو يسبقكم الى الجليل
هناك ترونه
ها أنا قد قلت لكما !!

فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه. وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما. فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع لا تخافا. اذهبا قولا لأخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني!

كان أول من رأى يسوع بعد قيامته امرأتين لا نعرف من هما على وجه التحقيق فقد كانت النساء اللواتي ذهبن مريم المجدلية و يونا ومريم أم يعقوب و بعض الأخريات. ونحن نعرف ان مريم المجدلية لم تكن احدى المرأتين لانها كانت قد سبقت وركضت حيث كان بطرس و يوحنا وقالت لهما، أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه. هل كانت قد سمعت كلام الملاكين ام انها لم تنتظر عندما ابصرت القبر خالياً، قد يكون هذا أو ذاك !!

واضطرب التلميذان عندما سمعا كلام المجدلية وخرجا يبغيان أن يعرفا الأمر وكان الاثنان يركضان معاً . وسبق يوحنا بطرساً ووصل الى باب القبر وانحنى فنظر الاكفان موضوعة

ولكنه لم يدخل

قيل انه لم يشأ ان يدخل قبل بطرس

وقيل بل انه لم يدخل خشوعاً لساكن القبر أو لمن كان يسكنه

فلما جاء بطرس دخل القبر ونظر الاكفان موضوعة والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً على الاكفان بل ملفوفاً في موضع وحده. كان كل شيء ينبيء عن شخص قام من النوم ورتب في هدوء، فراشه. ولسنا نعلم على وجه التحقيق هل آمن بطرس بالقيامة ام كان هناك شيء من الشك في قلبه ؟!

أما يوحنا فدخل !

ورأى فآمن !!

ويوحنا هنا يذكر انه لم يكن مؤمناً من قبل . انه وبقية التلاميذ لم يكونوا يعرفون الكتاب، انه ينبغي ان يقوم من الاموات !

وعاد بطرس ويوحنا الى موضعهما . وتحدثا عما شاهدا في قبر يسوع ولكن بقية التلاميذ لم يصدقوا انه قام !

في ذلك الوقت كانت مريم المجدلية قد عادت الى القبر. وكان بطرس ويوحنا قد تركاه . ولم تعرف منهما شيئاً عن الموضوع فدخلت الى البستان تبكي واتجهت الى القبر وهي تبكي . وفيما هي تبكي انحنت الى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين . قالت لهما انهم اخذوا سيدي ولست أعلم اين وضعوه. ولما قالت هذا التفتت الى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولكنها لم تعرفه. كان الظلام لايزال يملأ المكان وكانت عيناها غارقتين في الدموع فلم تعرفه. وسألها يسوع يا امرأة



يسوع والمجدلية بعد القيامة

لماذا تبكين . من تطلبين ؟ فظنت مريم انه البستاني وقالت يا سيد إن كنت أنت قدحملته نقل لي أين وضعته وأنا آخذه !!

يالمحبة ! !

لم تقف مريم لتفكر كيف تستطيع ان تحمل جسد يسوع ، ولم تفكر أين ستضعه . أن كل فكرها كان في جسد الحبيب !

انها تبغي ان تسكب دموعها على جثمانه!

ونظر يسوع اليها وقال لها :

يا مريم !!

ما هذه النغمة التي لمست قلبها فوثب من مكانه ذاهلاً طروباً !؟

ما هذه النغمة التي رنت في أذنيها موسيقى سماوية استجاب لها قلبها، وهتفت معها جوانحها، ورددت مقاطعها روحها؟؟

يا مريم !

ان شخصاً واحداً هو الذي وضع، من قديم، لحن هذه الأنشودة الجميلة !

شخصاً واحداً فقط !!

لقد أطلقوا عليها من زمن أسماء أخرى

فهي حليفة الشياطين

ومسكن الأبالسة

المجنونة

مجنونة مجدل !!

ألم يخرج منها السيد سبعة شياطين ؟

ولقد كانت السبعة عند اليهود لا تعني رقماً محدوداً وانما تعني رقم الكمال. إذن كان بالمجدلية لا سبعة شياطين بل اكبر عدد منها

لقد سكن في نفسها جيوش من الشياطين

وكانت رمز الخطية !

والعار !!

والهوان !!

فلما رآها يسوع أول مرة ، نظر اليها نظرته المتلئة من محبة السماء فهربت شياطينها وسقطت عند قدميه شبه ميتة فناداها، وجاءها صوته كما من واد سحيق.

يا مريم !

واستيقظ فيها كل معنى نبيل!

استيقظ فيها الكائن الانساني!

بل الكائن الالهي !!

ومذ تلك اللحظة صارت المجدلية انساناً جديداً . وكانت نغمة السيد لها القضيب السحري الذي أعاد لها ما سبق ان فقدته !

والآن ها هي تسمع مرة أخرى تلك النغمة الحلوة :

يا مريم !

انه هو السيد !

ليس غيره من ينطق بهذه الموسيقى الشجية!

والتفتت اليه بنفس مستيقظة !

وعين باصرة !!

ورأته !!

وعرفته !!

فارتمت عند قدميه !!

وقالت سيدي سيدي !!

وأمسكت بقدميه لا تريد أن تفلتهما ، كأنها تخشى انه سيتركها !

اتركيني يا مريم !!

خففي من قبضة يدك !

ان يديك مهما كانتا قويتين لا تحفظانني بالقرب منك!

انه قلبك يا مريم !!

المحبة وحدها هي القوة التي غلبتني !!

لا تلمسيني فاني لم أصعد بعد الى أبي!!

سأبقى فترة من الزمن !

اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم !

وفكّت مريم يديها بكل صعوبة . انها لا تريد أن تتركه . ولكنه أمرها وهي تركض الى التلاميذ وتقول لهم لا بشفتيها فقط بل بعينيها و بقلبها:

سيدي قد قام!

سيدي قد قام !!

ثم حدثتهم بكل قصتها و بالرسالة التي أرسلها لهم معها

فهل صدقوا ؟؟

لقد صدقها يوحنا !

ومال بطرس الى تصديقها !

أما بقية التلاميذ فشكّوا !!!

هؤلاء هم التلاميذ الذين اتهمهم اليهود انهم سرقوا جسد يسوع لكي يقولوا انه قام. كانوا هم يشكّون في القيامة بالرغم من الشهادة القوية التي حملتها النساء..والمجدلية!

و بينما كان التلاميذ يسمعون شهادة النساء عن قيامة يسوع ، كان العسكر يروون قصة الملاك الذي كان منظره كالبرق وثيابه بيضاء كالثلج ، والذي من خوفه ارتعدوا وصاروا كأموات ، و يروون قصة القبر المفتوح الخالي !

و بلغ الخبر رؤساء اليهود فاضطربوا أيما اضطراب ودعوا العسكر اليهم وحاولوا

ان يزحزحوهم عن شهادتهم ولكنهم لم يستطيعوا. فرشوهم بفضة ليقولوا أننا بينما كنا نياماً جاء التلاميذ وسرقوا جسد يسوع . وقال الرؤساء انهم سيتوسطون لدى الحكام فلا يجري عليهم حكم الموت الذي كان من نصيب الحارس الذي ينام . وقال الحراس كما لقنوا !

يا لها من كذبة ظاهرة البطلان !

حراس يعترفون انهم ناموا وهم يعلمون صرامة القانون الروماني !

و يقولون أن التلاميذ جاءوا وسرقوا الجسد !

من الذي انبأكم أن التلاميذ سرقوا الجسد أيها الحراس ؟

لقد كنتم نياماً فمن أخبركم بما تقولون؟

و بعد اعترافكم بالنوم لازلتم تتمتعون بالحياة ؟ يا للعجب !!

ثم أولئك التلاميذ الابطال !!

ما أغربهم وما أغرب عملهم !!

لماذا يسرقون الجسد ؟

وما الذي يفيدونه من سرقته ؟

لقد لاقوا في سبيل الشهادة بالقيامة الهزء والعار والضرب والجلد والسجن والموت ، ومع ذلك ظلوا يقولون أن يسوع قد قام !

لمـــاذا ؟

لماذا يفعلون ذلك اذا لم تكن القيامة حقاً و يقيناً ؟

كلا يا رؤساء اليهود!

ان كذبتكم ظاهرة البطلان !

ظاهرة السخف !

ظاهرة التأليف!!

ولسنا نعلم لماذا تصرون ان يسوع لم يقم وهو قد قام ؟!؟!

لقد شهد بقيامته القبر الخالي!

وشهد بقيامته يوحنا وبطرس!

والنساء !!

ومريم المجدلية !!

ثم جاءت الشهادات الباقية تترى:

فهذان تلميذان في طريقهما الى قريتهما عمواس ، يتحدثان باكتئاب عن النبي الذي كان مقتدراً في القول والفعل والذي كانا يظنان أنه المزمع أن يفدي اسرائيل. يلاقيهما السيد وقد أغلقت عيونهما عن معرفته و يتحدث اليهما عن رسالة المسيا فيلتهب قلباهما ولكنهما لا يعرفانه الا عند ما جلس معهما وكسر الخبز!



في الطريق الى عمواس

وها نحن نراهما يقصان الرواية على التلاميذ فيصدق البعض و يشك البعض ، وفيما هم بين الشك واليقين ينظرون السيد قائماً في وسطهم يؤكد لهم بشخصه انه قام!

و بعد اسبوع نرى التلاميذ يحاولون أن يقنعوا توما أن السيد قد قام وتوما يصر على التكذيب و يقول اني لا أصدق حتى أضع اصبعي في أثر المسامير

، بغتة يبصرون يسوع في وسطهم وهو يدعو توما اليه و يقول هات اصبعك وضعه في أثر المسامير ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً !

وظهر للتلاميذ مرات أخرى فرآه بطرس في جلسة خاصة .. وكذلك يعقوب



يسوع على الشاطىء

وظهر لسبعة من التلاميذ وهم يتصيدون وكان له حديث خاص مع بطرس !

وظهر لجمهور من المؤمنين بلغت عدته اكثر من خمسمائة أخ !

وظهر للأحد عشر وأمرهم بحمل رسالة الخلاص الى العالم أجمع ثم نفخ فيهم عطية الروح ، وصعد أمامهم على السحاب الى السماء !

ورجع التلاميذ بفرح ! !

واستعدوا لحمل رسالة الـكرازة عن المسيح الذي جاء من السماء وعاش بين الناس ومات على الصليب ودفن في القبر . ولكنه بعد ثلاثة ايام

قام



على جبل الزيتون

فهرست الكتاب

فهرست الصور